

مِقْدَادُ الْكَلِمَاتِ

الجزء الثالث

(تلخيص لما سبق)

في الجزء الثاني من هذا الكتاب حدثتك عن الوقائع التي وقعت في فلسطين من اليوم الذي انتهى فيه الانتداب وزحفت الجيوش العربية في ١٥ ايار ١٩٤٨ حتى نهاية المعارك التي وقعت عند باب الواد .

ولابد أنك ، ايها القارئ الكريم ، تذكر ان في ذلك الجزء من الكتاب صفحات بيض . . . واخرى سود . . . فيه الشيء الكثير عن الاعمال التي قامت بها الجيوش العربية : متى اجتازت الحدود ؟ وعن اي طريق ؟ وما هي المعارك التي خاضت غمارها ؟ وكيف انتهت تلك المعارك ؟ ولماذا انتهت الى ما انتهت اليه ؟

هناك حدثت عن الجيش السوري ومعركتي سمخ ودجانيا .
وعن الجيش العراقي ومعركتي كيشر وكوكب الهوى . .
وعن الجيش اللبناني ومعركة المالكية . . وعن القري اللبنانية التي اضاعها . . ثم استردها
وعن الجيش المصري ومعارك الدنقورد يدمر دخاى وكفار نتساينم . .
وعن الاخوان المسلمين المصريين والمعارك التي دخلوها في كفار داروم ورامات
راجيل وبيير السبع . .

وعن جيش الأنقاذ وفعاله وانسحابه من البلاد . . وما قبل عنه وله في مختلف الأوساط .
وعن المناضلين الفلسطينيين ، ومختلف الفرق التي ينتمون اليها : كفرقة التدمير
والجهاد المقدس والمجاهدين المستقلين . . والمعارك التي خاض غمارها هؤلاء واولئك
في مدينة القدس . . ورامات راجيل . . وعند باب الواد . . وفي مختلف انحاء البلاد .
وعن الجيش العربي الاردني ومعاركه في مدينة القدس . وفي الحي اليهودي من
هذه المدينة . والمستعمرات اليهودية التي استولى عليها : عطارون والنبي يعقوب وكالية .
وفي ذلك الجزء بحث مستفيض عن هذا الجيش . . وعن رئيس اركانه غلوب باشا .
وما فعله هذا من اجل الحيلولة دون تقدمه . . والأسباب التي ادت الى تأخر وصوله
الى مدينة القدس والنتائج الخطيرة التي اسفرت عن ذلك التأخير والدمار الذي الم بهذه
المدينة واما كنها المقدسة طوال فترة القتال . .

والأهم من هذا وذاك اني حدثتكم في الجزء الثاني من الكتاب عن الخطط الحربية
التي رسمها رؤساء الاركان العرب والتي استبدلها غلوب بخطط غيرها . . تلاثم
الاستعمار واهدافه . .

كل ذلك تجده في الجزء الثاني . وفي صفحاته الاخيرة وصف « مسهب » لجميع
المعارك التي قامت عند باب الواد : من اليوم الذي نشب فيه القتال حتى المعركة الاخيرة
التي وقعت عند (صفا) بتاريخ ١٨ تموز ١٩٤٨ والتي خرف فيها اليهود ٣٣٠
قتيلاً . واما خسائر العرب في تلك المعركة فكانت احد عشر شهيداً وعشرة جرحي .

هذا من الحامية . يضاف اليه سبعة من المناضلين (١) . وغنم العرب في هذه المعركة مصفحتين يهوديتين ومقادير كبيرة من العتاد الحربي . ولم تهدأ الاحوال عند باب الواد الا بعد ان اعلنت الهدنة الثانية ووقف القتال . وقد بدأت هذه في تمام الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم الثامن عشر من شهر تموز سنة ١٩٤٨

وفي ١٧ تشرين الاول ١٩٤٩ سمح لليهود بنقل جثث قتلاهم من قطاع اللطرون باب الواد عملاً بالقرار الذي اصدرته لجنة الهدنة الاردنية - اليهودية المشتركة ، وقد تم هذا العمل بحضور احد رجال الدين اليهود وممثل عن الجيش العربي وآخر عن الصليب الاحمر .

هذا ولا بد لنا من القول ان المعارك العنيفة التي جرت عند باب الواد كلفت اليهود خسائر فادحة (٢) لو عرف القادة الكبار كيف يستغلونها، وكانوا مخلصين، لتغير الوضع الحربي في ذلك القطاع ، ولغير التاريخ مجراه في فلسطين . ولكن .. قاتل الله السياسة .. فقد رحنا ضحيتها . وراح معنا دماء الكثيرين من ابنائها هباءً منثوراً ...

ماذا قال الملك عبد الله عن الانكليز والدول العربية



في ٢٨ ايار ١٩٤٨ هبط جلالة الملك عبد الله القدس القديمة فزار الحرم وكنيسة القيامة ثم ذهب الى باب الواد . وبعد ان تفقد سير القتال هنا وهناك عاد الى رام الله ... واليك ما قاله لي يومئذ بالحرف الواحد :

«سمعت قبل اليوم ، الشيء الكثير عن جن اليهود ، ولكنني رأيت اليوم بام عيني ما سمعته من قبل باذني . انهم حقاً جنباء يفرون من مساحة الوغي زرافات ووحداً قتلهم كثيرون خسائرننا قليلة ، والحمد لله .. »

ولكن الملك كان بالرغم من ذلك ، عابساً . وفيما كنت اسأل نفسي عن السبب قال الملك :

(١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

(٢) قال دافيد بن غوريون ، رئيس وزراء اسرائيل في بيان القاه في البرلمان اليهودي (الكنيست) في ١١ حزيران ١٩٤٩ ان اليهود خسروا في معارك باب الواد ، بين قتلى وجرحى ضعفي العدد الذي خسروه في معارك فلسطين كلها .

«غريب طبع هؤلاء الانكليز . انهم سبب الامتعاض الذي يبدو على وجهي . . .
يقولون اننا اذا لم نستمع لنصائح مجلس الامن ولم نتوقف عن اطلاق النار ، سيضطرون
لسحب الضباط الانكليز الذين يشتغلون معنا ، وسيمتنعون عن تقديم الاسلحة والذخائر
لجيشنا ، ويظهر انهم لا يريدون ان نكسر اليهود كسراً تاماً »

سكت جلالته برهة ، ثم استأنف حديثه ، وقال :

الا ، فليسحبوا ضباطهم . . عندنا اثنان وعشرون ضابطاً بريطانيا . . فليأخذوهم
انا لا يهمني هذا . . انني استطيع الحرب بدونهم ، وعندني العدد الكافي من الضباط
العرب الاكفاء . .

واما الاسلحة والذخائر فانها تنقصنا . . وانا في حاجة لمساعدتهم من اجل الحصول عليها .
وفي الحقيقة ان الرأي كان سائداً يومئذ ان الجيش العربي ما كان ينقصه الرجال ،
ولا السلاح ، ولا الذخيرة الخفيفة . فقد كان لديه من ذلك الشيء الكثير . حتى انه ارسل
مقادير كبيرة من ذخائره الى جيش الانقاذ في سورية والى الجيش السوري نفسه . وانما
كان في حاجة لقنابل المدافع الثقيلة من عيار ٢٥ رطلاً ، ومدافع الهاون والمورتر ذات
الثلاث بوصات (١) . ولقد زاد في الطين بلة ان سفينة كانت تحمل للجيش العربي
مقادير كبيرة من الاسلحة والذخائر التي كان في حاجة اليها (ومنها خمس عشرة الف
قنبلة من قنابل المدافع الثقيلة) صادرتها الحكومة المصرية عندما رست في ثغر الاسكندرية
وبعد مخابرات دامت بين الحكومتين عدة ايام تنازلت الحكومة الاردنية لشقيقتها
الحكومة المصرية عن تلك الاسلحة والذخائر ، وكانت هي ايضاً في حاجة اليها . الامر
الذي احدث ازمة سياسية بين الانكليز ، مصدرى تلك الاسلحة والدول العربية .
ثم راح جلالته يتحدث عن الدول العربية قائلاً :

«انها قصرت في هذا المضمار ، ولم تعمل الى الان عملاً يذكر ، وكان باستطاعتها - لو
شاءت - ان تفعل الشيء الكثير فتمد فلسطين بالاسلحة والمال والذخائر والرجال » . . .

قال الملك لرجال حاشيته بعدئذ ان غلوب باشا ، رئيس اركان الجيش العربي ، وهو
انكليزي قال له : « ان المصلحة تقضي بالانسحاب من باب الواد لانعدام المقدرة على
مقاومة اليهود هناك . » قال ذلك والمعركة قائمة على اشدها . فغضب الملك ونادى وزراء
اليه ، فقال لهم انه يعارض في انسحاب جيشه من باب الواد ، وانه على استعداد للتنازل

(١) كان الجيش العربي يشتري قذائف المورتر ذات البوصتين بجنه ونصف للواحدة هذا في السوق
السوداء بينما كان سعرها في مصنعها لا يزيد عن واحد في المئة من هذا المبلغ .

عن عرشه او يقود الجيش بنفسه ويقا تل حتى النفس الاخير :
وقال عبد الرحمن عزام الامين العام لجامعة الدول العربية في مقال له نشرته مجلة
(آخر ساعة) المصرية (١) ما يلي :

«بعد ان اكد لي الملك عبد الله انه ينوي مهاجمة القدس القديمة ، ثم محاصرة القدس
الجديدة ، ثم الزحف صوب تل ابيب . . انتظرت فتم تطهير القدس القديمة ولكن بعد ذلك لاشيء
فادركت عندئذ ان اصابع الانجليز تلعب من وراء ستار ! . . لقد قصدوا الا تسقط القدس
الجديدة ، ولا تحاصر ورتبوا بمعونة رجالهم الا يتحرك الجيش الاردني الا في اطار التقسيم ! .

جبل الرادار



عندما اغار اليهود بطائراتهم على رام الله والبيرة وعلى سائر المواضع الهامة في القطاع
الشمالى ، عندئذ ادرك الجيش العربي ان اليهود لن ينفكوا عن مهاجمة هذا القطاع ما دام
جبل الرادار في ايديهم (٢) . اضف الى ذلك ان السيطرة على طريق القدس - باب
الواد تبقى ناقصة ما لم يكن هذا الجبل بيد الجيش . ولهذا اعتزم ان يسترده منهم مها
كلفه ذلك من ثمن ، فتولت سرية من رجال الكتيبة الاولى يقودها الملازم الاول خالد
الصحن هذه المهمة . وزحفت مع الفجر في ٢٦ ايار نحو الجبل من ناحيته الشمالية ،
يدعمها اربع مصفحات ، فاقتحمته بعد عراق دام بينها وبين اليهود ساعة من الزمن ،
كان سلاحها فيه القنابل اليدوية والبنادق سريعة الطلقات . وانسحب اليهود الى قريبات
عنايم تاركين وراءهم ٤٢ قتيلا وعدداً من الجرحى . واستشهد اربعة من العرب .
وجاء اليهود بعد ذلك بيومين (٢٩ ايار) يريدون استرجاع جبل الرادار من يد
العرب ولكنهم صدوا . وخسروا ١٨ قتيلا .

وبعد ليلتين اخريين (١ حزيران) حشد اليهود قوة اكبر من التي سبقتها وجاءوا
يبغون استرداد الجبل . وهاجموه من اربع جهات ، وكادوا ، في هذه المرة ، ان ينجحوا
لولا ان صمد لهم العرب . وجاءت بعض المصفحات العربية لنجدة الحامية فتقوت هذه

(١) اقرأ العدد . ١٨ من مجلة (الصريح) المقدسية لصاحبها هاشم السبع بتاريخ ٣٠ ايار ١٩٥٣

(٢) اقرأ ما كتبناه عن هذا الجبل في ٢٨ نيسان وفي اواسط شهر ايار . انه واقع الى الشمال من
قرية العنب ، وعلى بعد كيلومترين عنها . وهو على مقربة من مستعمرة الخمس ويسيطر سيطرة تامة على
الطريق التي تصل باب الواد بالقدس .

وصدتهم . وفي هذه المرة ايضاً خسر اليهود خمسين قتيلاً . وأيقنوا ان الجبل منيع ، وان افتتاحه يكاد يكون مستحيلاً . ولما سيطر الجيش العربي على هذا الجبل اصبح حصار القدس تاماً وكانت مهمة السرية الاردنية التي وضعت في هذا الجبل سد الطريق بين قرية ابي غوش وقرية بدو فرام الله .

معركة رأس العين

رغم جميع المساعي التي بذها اليهود للاستيلاء على النبع المعروف بـ (رأس العين) (١) وكانوا في اشد الحاجة اليه لينقذوا اخوانهم المحصورين في القدس ، وكان العطش قد اخذ منهم مأخذه (٢) - فقد احتفظ العرب بهذا النبع من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم (٢٩ / ١١ / ١٩٤٧) ونشب القتال الى اليوم الذي نشبت فيه معركة اللد والرملة وتخلي الجيش العربي عن هاتين المدينتين (في ١١ و ١٢ تموز ١٩٤٨) . كانت رأس العين في اثناء تلك المعركة بيد الجيش العراقي . وكان يربط في ذلك القطاع حامية عراقية هي السرية التي يقودها المقدم الركن علي غالب عزيز . انها من سرايا الفوج الاول (اللواء الاول) الذي جاء من قطاع جسر المجامع وحط رحله هناك في ١ حزيران سنة ١٩٤٨ .

ولما سقطت اللد والرملة اصبح الجناح الايسر للجيش العراقي هناك مكشوفاً ، فاضطر ان يترك رأس العين ويرجع الى الوراء ، وما كاد يفعل ذلك حتى جاء اليهود واستولوا عليها .

هذا ولا بد لنا من القول ان المعارك لم تنقطع بين اليهود والمناضلين من عرب فلسطين في الايام التي سبقت مجيء الجيش العراقي الى ذلك القطاع ، وكان اشدها تلك المعارك التي وقعت في الايام الثلاثة الاخيرة من شهر ايار ١٩٤٨ ، فقد قامت بين الفريقين حول النبع معارك مريرة ابلت فيها كل منها بلاء حسناً . واستمات اليهود في سبيله ، وكادوا ينجحون ، لا بل تغلبوا على حاميته واخرجوها منه . واحتلوا رأس العين ٣٠ - ٣١

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذا النبع في الفصل الذي اعددناه لمعارك الحياة ومياه القدس في ١٨ نيسان الثاني سنة ١٩٤٨ وفي ١٠ نيسان سنة ١٩٤٨ .

(٢) خلافاً لما كان عليه العرب الذين كانوا يزودون بالماء من عين فارة وقد احتفظوا بها طوال فترة القتال .

٥ / ١٩٤٨ : ولكنهم لم يبقوا هناك سوى ليلة واحدة ، اذ ما كاد الخبر ينتشر في القرى العربية المجاورة حتى راح المناضلون من كل صوب يزحفون ، وكان على رأسهم قائد القطاع الاوسط الغربي الشيخ حسن سلامة . وفي طريقه اليها استنجد بالمناضلين من ابناء دير طريف وبيت نبالا والقرى الاخرى المجاورة لها . وما ان وصل هؤلاء الى الميدان حتى انضموا الى اخوانهم الذين كانوا هناك . وراح الجميع يعملون يدأ واحدة على اخراج اليهود .

وكان الفجر قد اطل (٣١ ايار سنة ١٩٤٨) ووقعت بين الفريقين معركة دامية ، جرح فيها القائد اثر شظية اصابته في رثته اليسرى ، فنقل على محفة الى مستشفى الميدان . وازداد المناضلون حماساً فراحوا يقاتلون الاعداء بقلوب ملؤها الايمان وعند الضحى كان لواء النصر معقوداً للعرب ، فطردوا اليهود واستردوا العين (٣١ ايار سنة ١٩٤٨) . وما كاد هذا الخبر يتصل باليهود حتى راحوا يعدون العدة ، وما هي ، الا برهة حتى اعادوا الكرة على رأس العين ، وكانت في تلك اللحظة سرية عراقية من سرايا الفوج الاول اللواء الاول قد وصلت يقودها المقدم الركن علي غالب عزيز . وصلت في ١ حزيران سنة ١٩٤٨ . وما ان نزلت الى الميدان ، حتى ارتد اليهود الى الوراء . ارتدوا دون ان يشتبكوا في قتال مع العراقيين . وقد تسلم هؤلاء (رأس العين) وقطاعها وراحوا يحصنون ذلك القطاع ، لئلا يأتي اليهود فيحاولوا الاستيلاء عليها مرة اخرى . كان الشيخ حسن سلامة ، ذلك اليوم ينازع سكرات الموت ، وما كاد يسمع بارتداد اليهود وبقاء رأس العين في يد العرب حتى حمد الله ، واسلم الروح من فوره (١)

(١) ولد في قولة من اعمال اللد . وله من العمر ٤٥ سنة . اشتغل بالمسائل الوطنية يوم اعلن الاضراب عام ١٩٣٦ ، ولعب نجمة في ثورة عام ١٩٣٨ يوم نسف هو ورفيقه محمد سمحان قطار حيفا - اللد ، نسفاه على مقربة من ويلها ، فانقلب ومات عدد كبير من الجنود البريطانيين كانوا فيه واقتفى الجند اثرها فقتلوا رفيقه واما هو فقد جرح . ولكنه تمكن من الفرار فنزل العراق والتحق بالجيش هناك واشترك مع من اشترك من الفلسطينيين في الثورة التي قادها رشيد عالي الكيلاني ضد الانكليز ولما اخمد الانكليز تلك الثورة ، واشترك في اخمادها الجيش العربي يقوده غلوب باشا ام ابرن ومنها سافر الى المانيا . وهناك اتم تدريبه في شؤون القتال والالغام . وجاء الى فلسطين سنة ١٩٤٥ مع ذي الكفل عبد اللطيف ، وثلاثة من الالمان في طائرة هبطت في سهل اريحا ، قاصدين اشمال نار الثورة ضد اليهود وحماتهم الانكليز واكتشفت السلطة امرهم فالقت القبض على ذي الكفل واثنين من الالمان فاعتقلتهم واما هو والالمان الثالث فقد اختفيا في العباسية حيناً ثم فرا الى سوريا . وبقي الشيخ حسن هناك الى ان صدر قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ . فهد اليهم الحاج امين بقيادة المناضلين في القطاع الغربي للمنطقة الوسطى ، ذلك القطاع الممتد من يافا الى وادي الصرار .

حدثني المقدم الركن علي غالب عزيز عندما اجتمعت به في بغداد مستظلاً رأيه فيما جرى ، وكان يومئذ قد رقي فأصبح عقيداً ، «ان مناضلاً تركيا اسمه حسن وستة من المناضلين الفلسطينيين اشتركوا مع العراقيين في المعركة الاخيرة وان هؤلاء المناضلين ابلوا فيها بلاء حسناً ، وانه قتل من اليهود يومئذ اربعة : اثنان منهم يمانيان وامرأة، وشخص رابع لم تعرف هويته، واما العرب فلم يقتل منهم أحد وقد جرح ثلاثة احدهم عراقي ، واثنان فلسطينيان ». هذا ما قاله لي العقيد علي غالب عزيز وقد غادر رأس العين بعد يومين تاركاً هناك فصيلاً مؤلفاً من ثلاثين جندياً معهم ثلاثة رشاشات من طراز برن ، وترك بقية افراد السرية في كفر قاسم وعاد هو الى نابلس .

ظلت رأس العين بيد العراقيين من ١ حزيران سنة ١٩٤٨ الى ما قبل سقوط اللد ١١ تموز سنة ١٩٤٨ والرملة ١٢ تموز سنة ١٩٤٨ فن قاتل انهم (اي العراقيين) انسحبوا من هناك والمعارك قائمة بين اليهود والاردنيين حول هاتين المدينتين ، ومن قاتل انهم ما انسحبوا من هناك الا بعد سقوطها ، اذ انكشف جناحهم الايسر بسبب ذلك السقوط وراح اليهود يهدون الجنود المرابطين في ذلك الجناح .

فقد اكد لي العقيد الركن علي غالب عزيز ان السرية العراقية التي كانت قبل سقوط اللد والرملة ترابط في رأس العين لم تنسحب من هناك الا بعد سقوط اللد والرملة بيومين وان القيادة العراقية ما كانت لتأمر بانسحابها الا بسبب احتلال تينك المدينتين ، وسقوط قرى مجدل صادق وقولة والمزيرة بيد اليهود . وكانت هذه القرى بيد الاردنيين ، فخشي العراقيون ان يقطع اليهود عليهم خط الرجعة فانسحبوا .

ويقول علي غالب عزيز ان السرية العراقية التي كانت في رأس العين والتي كانت مهمتها حماية الطريق التي تربط طول كرم باللد والرملة انسحبت بعد سقوط اللد والرملة الى شرق الطريق التي تربط بينهما (رأس العين) وكفر قاسم ، حيث كان يقوم المعسكر البريطاني في زمن الانتداب .

الفريقان يوقفان القتال ساعتين

قضي الفريقان النصف الاول من اليوم الاول من شهر حزيران ١٩٤٨ يتبادلان النار

مخلص ، جريء مقامر . جرح ثلاث مرار : الاولى عندما نسف القطار سنة ١٩٣٨ وقد اطلق يومئذ شعر لحيته ليخفي نفسه عن انظار السلطة ، فكناه الناس بالشيخ . والثانية في ٥ نيسان سنة ١٩٤٨ والثالثة والاخيرة في معركة رأس العين تلك المعركة التي خاض غمارها وقضى نحبه فيها وكان ذلك بتاريخ ٢-٦-١٩٤٨ .

من مدافعها في القدس وقد قتل من سكانها يومئذ عربيان. اجدهما من سلوان والثاني من الخليل ثم اتفقا على وقف اطلاق النار عند الباب الجديد ساعتين ليتمكننا من نقل جثث موتاهما ، ونقل المرضى العرب الذين كانوا في المستشفى الا فرنسي . فوقف القتال بالفعل من الساعة الواحدة حتى الثالثة بعد الظهر . بيد انهما لم يستطيعا الا نقل بعض الجثث بسبب تفسخ البعض الآخر ، وانتقل خمس من راهبات دير القربان الى المنطقة العربية وما كادا ينسحبان حتى رجعا الى سيرتهما الاولى ، وراحا يقتتلان :

« قال خذها ، ولا تخف ؛ سنعيدها سيرتها الاولى (١) » .

وخرقت احدى القنابل التي كانت تطلقها مدافع الجيش العربي من علي جبل المشارف (سقوبس) جدران مدرسة الفرير في اربعة مواضع ، خرقتها خطأ . رغم استغاثة رجال هذه المدرسة بقائد المدفعية وكان هذا انكليزياً .

العرب يحاولون نفس النوتردام



ولقد حاول العرب في اليوم التالي (٢ حزيران) ان يذسفوا ما تبقى من عمارة النوتردام (وقد كانت بيد اليهود) الا انهم منعوا بامر من القيادة الاردنية . وأعادوا الكرة بعد ذلك بيومين (٤ حزيران) . الا ان السياسة لعبت هذه المرة ايضاً لعبتها ، فصدوا ؛ وخرقت قبلة يهودية سطح الدير المعروف بـ (فيرونيكا) بقصبة المفتي ، فهدمت جانباً منه . وتبعتها قبلة ثانية في نفس الموضع ، الا انها لم تنفجر . وسقطت احدى القنابل اليهودية على كنيسة الارمن الكاثوليك في حي الواد ، فخرقت القبة .

مجلس الامن يخول الوسيط الدولي حق تحديد الموعد الفعلي لتنفيذ الهدنة



قرر مجلس الامن ، في الجلسة (٣١١) التي عقدها في ٢ حزيران ، تخويل الوسيط الدولي حق تحديد الموعد الفعلي لتنفيذ الهدنة في فلسطين ، ذلك عملاً بالقرار الذي اتخذه المجلس المشار اليه في ٢٩ ايار . وقد اشرنا اليه في غير هذا المكان .

(١) سورة طه الآية ٢١ .

(١) اقرأ ما فعله الوسيط في ٢ حزيران ١٩٤٨ .

معركة غور الصافي



عند مطلع فجر اليوم الثاني لشهر حزيران ١٩٤٨ هاجم اليهود غور الصافي (١) من أعمال الاردن . وكانوا في وقت متأخر من مساء اليوم الذي سبقه قد قطعوا اسلاك الهاتف وزرعوا الالغام في الطريق التي تربط الغور بالكرك . زرعوها عند المضيق المعروف بـ (المريصد) ذلك المضيق الكائن بين البحر والجبل ، قاصدين الحيلولة دون وصول النجدات الى تلك البقعة من الارض .

جاء اليهود يومئذ (اي في ٢ حزيران) من الطريق التي انشأوها على محاذاة البحر من الجنوب والتي تصل الغور بمنشئاتهم . جاءوا في ثلاث سرايا قوامها ستمئة محارب (٢) مزودين بعدد من مدافع المورتر ، والبرن ، وراجمات الالغام وكان معهم اربع دبابات . وبعد ان استولوا على مساحة واسعة من الغور راحوا يهاجمون المخفر ، وقد طوقوه ، وراحوا يصلونه ومن فيه بنيران حامية . فقتلوا نائباً هو المرحوم زايد رشيد الطواليه وجندياً هو المرحوم محمد راشد الخنيطي ، وجرحوا سبعة جنود (٣) ، ونفق ثلاثة وعشرون حصاناً من خيل الفرسان . وكانوا يستولون على المخفر نفسه ، لو لا ان اتت في اللحظة الاخيرة نجدة مؤلفة من سبعة جنود ونقيبين هما ابراهيم العايد وعلي الفارع وثلاثة نواب هم قاسم الزعبي و ابراهيم محمد الشوبكي و احمد عودة ، وعريف هو مفلح مصطفى يقودهم وكيل القائد نديم رجب ، وكان هذا هو المسؤول عن قطاع الكرك . وكان هؤلاء مزودين بأربعة صناديق من العتاد .

جاءوا مشياً على الاقدام . ولم تتمكن سياراتهم من الوصول الى المكان ، بسبب

(١) يقع هذا الغور في «الطرف الشرقي الى الجنوب من البحر الميت وعلى بعد خمسة اميال من المستعمرة اليهودية التي انشأتها شركة البوتاس على شاطئ البحر المذكور من الجنوب ويقوم على جانب ذلك الغور وفوق هضبة مرتفعة من الارض مخفر للدرك ، فيه فئة مؤلفة من تسعة وعشرين دركياً يقودهم ضابط هو الرئيس ابراهيم السحاقيات وكان هذا تابعا للاوامر التي يتلقاها من الكرك واما المكان الذي وقعت فيه المعركة فيدعى ارض المشنقة وهو على بعد ١٥٠ متراً من المخفر .

(٢) كان لديهم في مستعمرتهم تلك يومئذ الف وخمسة محارب ، هم الذين ذكرناهم عند ذكرنا لحوادث كالية في ١٦ ايار سنة ١٩٤٨ .

(٣) عرفنا منهم حسين شتوي ، عبد الرحمن شخبي ، والنائب محمد علي الروسان ومنهم أيضاً اسما عيل ايضا عثمان ورغم ان هذا اصيب بثلاثين جرحاً في مواضع مختلفة من بدنه ، فانه لم يموت

عطل طراً عليها . اذ كانت الطريق وعرة للغاية ، وكانت زاخرة بالغوارنة الذين ما
ما كادوا يشمون رائحة القتال حتى راحوا يرحلون عن منازلهم ، وكان اول عمل قام
به المنجدون ان رفعوا الالغام ، وربطوا الاسلاك ، واتصلوا برجال الحامية في عمان
وطلبوا نجدة اقوى . وفي الوقت نفسه راحوا يتمر كزون في نقب الابرش المشرف على
المخفر والمطل على الغور . وحلقت في الجو ثلاث طائرات اردنية مقاتلة ، وكان المشاة قد
طوقوا المخفر من جهاته الاربع فتمكنوا من صدهم عنه ، وارتد اليهود الى مستعمرتهم
تاركين وراءهم عدداً من القتلى قال الذين شهدوا المعركة انهم اربوا على الاربعين ؛
وانت في اليوم التالي (٣ حزيران) نجدة اخرى من عمان ، مؤلفة من مئة مقاتل يقودهم
الزعيمان برود هارست وفارادي ، وجاءت نجدة اخرى من الطفيلة بقيادة
الرئيس سليمان الساكت .

وكان المخفر قد انقذ ، فنقل الشهيدان في نعش واحد ، ودفنا في قبر واحد ،
واتجهت النية الى مهاجمة المستعمرة ، الا انه رؤي بعد قليل ان مهاجمتها يكاد يكون
ضرباً من الجنون ، لانها كانت محصنة للغاية ، وكان يفصل بينها وبين الغور طريق صعبة
مبثوثة بالالغام وسبخة فسيحة يكاد يكون من المستحيل اجتيازها . فاكتفي بقصفها
بالمدافع ، وكان رجال النجدة الثانية قد اتوا معهم بمدفعين من عيار ٢٢ رطلا . وكانت
قذائف هذين المدفعين تضرب الاهداف البعيدة من مسافة تزيد على عشرة اميال . وقد
قصفوها بخمسة قنبلة ضربت معظم المعامل واعطبت الكهرباء وظلت هذه معطوبة
سنة اشهر .

ولكن ما كانت الهزيمة التي امت باليهود في غور الصافي لتفل من عزيمتهم ، اذ
كانت شوكتهم في مستعمرتهم القائمة على شاطئ البحر الميت من الجنوب قد تقوت
بانضمام اخوانهم الذين كانوا في كالية ، على شاطئه من الشمال (١) وازدادوا قوة
وغطرسة عندما سقطت بئر السبع في ايديهم (٢٢ تشرين اول ١٩٤٨) فسار الجميع معا
نحو الجنوب . ساروا صفواً واحداً فسيطروا على (واد العربية) ووقفوا على شاطئ البحر
الاحمر (١١ آذار سنة ١٩٤٩) يقطعون كل صلة من البر بين الاردن وشقيقتها مصر ،

(١) اقرأ ما كتبناه عن كالية وعن اللين الذي ابداه الفريق غلوب باشا في مقابلته لسكانهاو عن
هربهم وانضمامهم الى اخوانهم في جنوب البحر الميت في موضع آخر من هذا الكتاب عندما ذكرنا
الحوادث التي حدثت في ١٦ ايار سنة ١٩٤٨ .

هدنة تدوم نصف يوم

وفي ٣ حزيران ١٩٤٨ اعلنت ، باتفاق الفريقين ، هدنة شملت القدس كلها ، ودامت من الساعة السابعة صباحاً حتى الساعة مساءً . فتبادل الفريقان المدنيين . وتسلم العرب يومئذ خمسة وثلاثين مدنياً كانوا في المنطقة اليهودية . كانهم شيوخ ونساء وأطفال وكانت علائم التعب والجوع والحرمات بادية على وجوههم . واهتبل اليهود هذه الفرصة (اي الهدنة) فسحبوا معظم قواتهم المرابطة هنا الى قطاع جنين ، حيث كانت تدور بينهم وبين العراقيين معركة طاحنة .

معركة جنين الاولى

شن اليهود هجوماً كبيراً على جنين في ساعة مبكرة من صباح يوم الخميس ٣ حزيران سنة ١٩٤٨ . جاءوها بقوات كبيرة تتراوح بين اربعة آلاف وخمسة آلاف مقاتل (١) ، جاءوها فرقة مؤلفة من ١٢٥٠ مقاتلاً ، ثلاث منها تولت الهجوم ، والرابعة ظلت في المؤخرة على سبيل الاحتياط ، جاءوها من العفولة ، وكانوا قبل ذلك بيوم واحد (٢ حزيران) قد احتلوا زرعين وصندلة وجملة وراحوا يقصفون مدينة جنين من الجو ، وكان يربط في القرى المذكورة فئات قليلة من المناضلين الفلسطينيين والمتطوعين الاردنيين يقودهم الرئيس الاول عبد الرحمن الصحن ، فاضطروا الى الانسحاب (٢) تجاه قوات العدو الضخمة .

حدثني الملازم نايف الصالح البرغوش وكان يومئذ في جنين ان القوة العربية التي كانت ترابط في جنين في ذلك الحين كانت عبارة عن :

(آ) عشرين مناضلاً فلسطينياً يقودهم فوزي جرار .

(١) حدثني الزعيم العراقي عمر علي اخم عثروا في جيوب القتلى من اليهود على اوراق جاء فيها ان القوة اليهودية التي هاجت جنين كانت عبارة عن ست كتائب وان مجموع افرادها اربعة الاف ومئتان مقاتل .

(٢) شكائي الضابط العراقي المقدم الركن نوح عبد الله الحلبي ان هذا الانسحاب قد تم قبل وصول الفصيل العراقي الى هذا القطاع .

(ب) ثلاثة من رجال البوليس الفلسطيني يقودهم الملازم نايف الصالح البرغوش ؟
(ج) سرية اردنية يقودها الرئيس عصر المجالي (اخو حابس ونجل رفيقان المجالي) :
وان هذه السرية انسحبت من قطاع جنين بامر القيادة ، وقد تم انسحابها من هناك
فجأة وقبل وصول العراقيين باربع وعشرين ساعة ، وان هذا الانسحاب جعل الرعب
يدب في افئدة السكان ، فراحوا يرحلون ، ولم يبق منهم سوى اولئك الذين لجأوا الى
القلعة ، وعددهم لا يزيد على الخمسين .

وكان هناك ، بالاضافة الى حامية المدينة المتقدم ذكرها في (آ) و (ب) عدد من
المناضلين في القرى المجاورة لجنين ، لا يزيد على المئة .

بعد ان احتل اليهود قريتي جلانة وصندلة تقدموا صوب جنين باتجاهات ثلاثة : فقد
جاء ناحهم الايمن عن طريق وادي برقين الى الغرب من جنين ، والايسر من ناحية
المزار وعربونة منها الى الشمال : وفيما كان هؤلاء يزحفون نحو المرتفعات المحيطة بالمدينة
(المراح من الشرق وابو ظهير من الغرب) قاصدين قطع الطريق التي تربط جنين بنابلس
جاءت جماعة من الوسط ، وكانت في القلب على الطريق العام ، فهاجمت الفصيل العراقي
الذي كان قد وصل في تلك البرهة وحط رحله في تل الخروبة (١) وهو اي الفصيل العراقي
مؤلف من سبعة وثلاثين مقاتلا ، وكان يرافقه زهاء خمسين مناضلا من الفلسطينيين :
وايقن الفصيل العراقي انه لا قبل له بالزاحفين فاستنجد بالقيادة ، فأمدته ببقية الرتل
الذي كان مخبئا في (دير شرف) (٢) وكان عبارة عن سرية من المشاة (ثمانون مقاتلا)
مزودين بأربعة مدافع هاون واربع رشاشات من طراز فيكرز وخمس مدرعات وفصيل
هندسي ، يقود الجميع ضابط عراقي (اسمه نوح عبد الله الحبلي) وهو مقدم ركن .

ثم جاءت سرية اخرى يقودها الرئيس الأول محسن الاعظمي ، وبهذا بلغ عدد العراقيين
في جنين مئتين وخمسين ، والمناضلين الفلسطينيين خمسين ، وما كاد الرتل اليهودي الذي
قلنا انه كان في القلب يشتبك مع الفصيل العراقي الذي قلنا انه كان قد حط رحله في تل
الخروبة في قتال ، حتى تغلب عليه واحتل التل ، وكان الليل قد انتصف (٢-٣) حزيران
وكان الرتلان الاخران قد احتلا التلال الاخرى ، وتم لهم تطويق المدينة ، فانسحب
العراقيون الى (القلعة) (٣) وتحصنوا فيها .

(١) تل يقع على بعد ثلاثة كيلومترات من جنين الى الشمال وقد اطلق العراقيون عليه الرقم ١٥٢

(٢) هبط هذا الرتل دير شرف في اليوم الرابع والعشرين من شهر ايار وقد اطلق عليه اسم الاسد .

(٣) عمارة البوليس المعروفة بـ تيجارت وهي واقعة عند مدخل جنين من الغرب .

وكان قد سبقهم اليها عدد غير قليل من السكان شيوخاً ونساءً واطفالاً ، ممن لم يستطع مغادرة المدينة عندما راح اليهود يقصفونها من الجو . وأما المناضلون الفلسطينيون ففريق منهم لجأ الى القلعة وفريق اعتصم بالجبال وراح يقاتل الاعداء بقلب ملؤه الايمان :

حدثني المقدم نوح فقال : كان معي في قلعة جنين ، عندما حاصرنا اليهود مثلثاً نسمة سرية مشاة ، وقلول السرية التي انسحبت من التل ذي الرقم ١٥٢ وعشرون شرطياً فلسطينياً وخمسة من الموظفين الفلسطينيين (١) وعدد من النساء والشيوخ والاطفال ، وكان معنا اربع مدافع هاون واربعة من عيار ٧ ، ٣ عقدة الى ان قال : - وكان معي زهاء عشرين مناظلاً من المسلحين الفلسطينيين ، خشيت ان يكونوا جواسيس فسجنتهم ولكن عدت فأطلقت سراخهم (٢) .

دام القتال بين الفريقين (العراقيون في داخل القلعة واليهود خارجها) من الساعة الواحدة بعد نصف الليل حتى الساعة السادسة صباحاً ، وكاد اليهود يتغلبون ، وقد احتلوا معظم احياء المدينة . فلم يبق بيد العراقيين سوى القلعة وقاربت ذخيرة العراقيين على النفاذ ، لولا ان وصل بعد ساعة من الزمن (٣٠ ، ٧ من صباح ٣ حزيران) فوج عراقي يقوده المقدم عمر علي ، قوته عبارة عن خمسمئة بندقية واربعة مدافع هاون وثمانية رشاشات من طراز فيكرز وتسع وعشرون رشاشة خفيفة ، انه الفوج الثاني من اللواء الخامس وهو من الافواج التابعة للجحفل الملكة عالية (٣) وكانت هذه القوة متجهة نحو (ناثانيا) حتى انها اشرفت على البحر وكادت تحتل ناثانيا ، لولا انها امرت بالانسحاب والتوجه الى جنين (٤) .

حاول اليهود صد الهجمات العراقية والحيلولة دون تقدمها ، ولهذا اغارت طائراتهم على نابلس ودير شرف من الجو ، ولكن الفوج العراقي المتقدم ذكره تمكن بالرغم من

(١) القاظم عصام رشدي الشوا وحاكم الصالح خليل العبوشي ، والدكتور نصفت كمال ، وضابطا البوليس نايف البرغوتي ونور الدين العبوشي .

(٢) عندما اجتمعت باللواء الركن عارف باشا رئيس اركان الجيش العراقي ببغداد في ١٨-١٢-٥٣ امتدح المناضلين من ابناء جنين وكذلك قال اللواء الركن طاهر الباشا الزبيدي الذي اكد لي ان ابناء جنين كانوا من البطولة والاخلاص على جانب عظيم

(٣) القائد المسؤول عن هذا الجحفل هو العقيد الركن صالح زكي توفيق . واما قائد الجيش كله فكان يومئذ الزعيم طاهر الزبيدي . ومقره نابلس :

(٤) هذا ما قاله لي الزبيدي نفسه يوم زرته ببغداد مستطعاً طلع الخبر .

ذلك من الوصول الى الميدان ، وما ان وصل الى مفرق قباطية على بعد ثلاثة كيلومترات من جنين حتى قوبل بنيران المدافع اليهودية من الاكمة القائمة الى الجنوب من جنين ، وكان اليهود قد احتلوا الاكام المحيطة بجنين . سيما الاكمة الممتدة من الطريق العام الى برقين .

حاول عمر علي ، باديء دي بدء ، ان ينقذ الحامية المحصورة في القلعة من غير قتال ، فطلب الى قائدها نوح ان ينسحب . الا ان هذا ابى ان ينصاع للامر قائلاً انه لا يستطيع الانسحاب لانه محصور ، ولو استطاع لما فعل ، ذلك لان في القلعة نساء وشيوخا واطفالاً لا بد من التفكير بمصيرهم . ولو انصاع للامر وانسحب لسقطت جنين وضاعت معالمها ، اذ لا بد من القتال ، وبدأ القتال بالفعل . بدأ من الساعة الثامنة من صباح اليوم الثالث من حزيران ، اذ راح العراقيون يقصفون المواضع اليهودية بنيران مدافعهم .

وفيها كانت المعركة قائمة اراد اليهود ان يبلغوا قائد الفوج العراقي ، فانتحل احدهم شخصية المقدم نوح ، وكلم عمر بالاسلوكي طالبا اليه ان يقصف القلعة وليبى هذا باديء ذي بدء الطلب ، وقصف القلعة بقنبلة سقطت في طرفها ، فقتلت واحداً وعشرين من رجالها العراقيين ، وسرعان ما اكتشف نوح الحيلة ، فاتصل بعمر وطلب منه توجيه حممة الى المواضع اليهودية ، ففعل ، وراح يقصفهم بشدة . رغم ان العراقيين المحصورين في القلعة عرفوا ان القنبلة التي سقطت عليهم عراقية الا انهم فرحوا . اذ ايقنوا ان ساعة الخلاص قريبة .

وعندئذ قذف اليهود الى ميدان المعركة بنجدة ثالثة عززوها بنيران مدافع الهاون نصبوها في (الخروبة) . وراحت هذه تصب قذائفها على المدينة ، وبصورة خاصة على الشارع العام - من عين الشريف الى الجامع الكبير - لاعتقادهم بأن الجيش العراقي لا بد وان يكون زاحفاً في تلك الساعة عبر ذلك الشارع ، وهذا ما وقع بالفعل ، اذ راح المشاة العراقيون يساعدهم المناضلون الفلسطينيون يزحفون صوب المدينة لا من الشارع العام فحسب بل ومن الجبال .

وما ان دقت الساعة التاسعة حتى كان العراقيون قد احتلوا سفوح برقين ، وعند الظهر احتلوا احدى الاكام المشرفة على المدينة بعد معركة نشبت بين الفريقين بالسلاح الابيض ، وقد ابلت فيها السرية الاولى يقودها الرئيس الاول ادريس عبداللطيف بلاء حسناً ، واندحر اليهود الى محطة السكة الحديدية ، تاركين وراءهم علي الاكمة

خمسة وعشرين قتيلاً . وست رشاشات (ربيع منها براوننج وواحدة هوتشكس ،
والسادسة من طراز فيكرز) ومدفع هاون (٢ و ٢ عقدة) وقاذفة فيات ومقدار من الالغام .
عندما فشل الجناح اليهودي الايمن وارتد الى المحطة ، راح جناحهم الايسر يحاول
صد العراقيين الذين كانوا يحاولون عبور المدينة من الطريق العام (طريق نابلس - جنين)
فوقفت حوالي العصر اربع من مصفحاتهم (اي المصفحات اليهودية) في مداخل المدينة
من ناحيتها الشمالية ، ووقفت احدها عند الجامع الكبير ورابطت الثلاث الاخرى في
نقاط مختلفة تحمي ظهور المتقدمين ، واشتبك رجال هذه المصفحات في قتال مع المناضلين
كانت ساحته الجزء من الشارع العام الواقع بين الجامعين وقد قتل فيه اثنان من المناضلين
العرب وزهاء عشرين من اليهود ، وفر الآخرون ، وكان بينهم عدد غير قليل من اليهود
العراقيين ، يكاد المرء لا يميز بينهم وبين العراقيين المسلمين لا في الكساء ولا في الكلام .
وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر (٣ حزيران) وصل فوج عراقي آخر ، هو الفوج
الثاني من اللواء الرابع ، يقوده شليمون مخائيل (١) وهذا ايضاً جزء من جحفل الملكة
عالية الذي تقدم ذكره .

اكد لي عصام الشوا ، قائم مقام جنين في ذلك الحين ، ان القائد شليمون اختار الطريق
العام الى جنين ، وانه عندما وصل وجنده الى (عين نين) رأى الماء يتفجر منها فشرب
هو ، وشرب جنده ، واستغرب القوم في جنين كيف يتفجر الماء ، وكان غائضاً فيها
منذ عام او يزيد ، واستمر النبع يومين ، وعندما انتهت المعركة عاد ، ففاض ! . . ولولا
ان محدثي شاب مثقف ، ورجل مسؤول لما صدقت هذا الخبر . والله في خلقه شؤون . . .
وراح الفوجان (فوج شليمون هذا وفرج عمر علي المتقدم ذكره) يتعاونان ويشاغلان
اليهود بقية النهار ريثما يجن الليل ، يشاغلانهم بنيران المدافع ، وقد خف للنجدة - في
الوقت نفسه - زهاء مئة من المجاهدين الفلسطينيين ، جاءوا من عرابة وبرقين ومن رمانة
وسيلة الظهر وصانور وجاء معهم عدد من النساء يزغردن .

وما كاد الليل ينتصف (٣ - ٤ حزيران) حتى قام العرب ، عراقيون وفلسطينيون
بهجوم على اليهود ، وعلى الآكام التي كان اليهود قد تحصنوا فيها ، هاجموا تؤيدهم
نيران المدافع والرشاشات . وفيما كانت هذه تفتك باليهود ، راح المشاة يزحفون زحفاً
جانبياً من الطريق العام ، ومن وادي برقين ، وما كاد الفجر يبرغ حتى كانت سرية
الفوج الثاني من اللواء الرابع يقودها الرئيس حسيب علي توفيق ، قد وصلت الى مدرسة
جنين على طريق بيت قاد : وفي الساعة الثالثة والدقيقة الثلاثين من صباح يوم الجمعة

(١) من الاشوريين الذين انخرطوا في الجيش العراقي .

الموافق الرابع من شهر حزيران بدأ اليهود ينسحبون ، وما كادت الساعة تدق الحادية عشرة (اي قبل صلاة الجمعة بساعة) حتى كانت مدينة جنين كلها قد طهرت من الاعداء .

اكد لي القائد العراقي المقدم الركن عمر علي عندما زرتة ببغداد ، مستطعاً رأيه فيما جرى . ان قتلى اليهود في هذه المعركة كثيرون ، وانهم سحبوا جثث الكثيرين من قتلاهم ، ومن لم يسحبوهم احصاهم فوجد انهم ثلاثمئة وخمسون (١) بينهم قائد الحملة وفتاتان وجدت جثثهما الى جانب رشاشيهما ، ووجد في جيب القائد اليهودي المقتول اوراق تقول ان اليهود كانوا بعد احتلال جنين يعتزمون السير قدماً حتى مفرق قباطية ومن هناك يتفرعون : فرع يسير باتجاه دير شرف ، ليقطع خط الرجعة على العراقيين الموجودين في قطاع طولكرم ، وفرع يسير باتجاه وادي الهمدان ليقطع خط الرجعة على العراقيين الموجودين في قطاع طوباس . واما الجرحى فاكثر من ذلك ، اذا كد لي سكان جنين انهم رأوا عن بعد ثلاثين سيارة من السيارات اليهودية المصفحة الكبرى وهي تنقل للقتلى والجرحى ، واما قتلى العرب فانهم اقل من المئة : عشرون منهم عراقيون (٢) اقدم ضابط وعشرون فلسطينيون ، هؤلاء مقاتلون ؛ واما المدنيون فانهم ستة واربعون بينهم عدد ضئيل من النساء والاطفال .

واكد لي المقدم نوح ان عدد الذين استشهدوا في داخل القلعة خمسة عشر : ضابط برتبة ملازم ، هو عبد اللطيف صبري ، وأربعة عشر جندياً . وجرح طبيب عسكري ، ومعظم هذه الاصابات كانت نتيجة قنبلة يهودية سقطت فاخرقت سقف السجن ، وفي قول انها قنبلة عراقية هي التي قلنا انها سقطت خطأ في وسط القلعة .

وفيما يلي بيان الاسلحة التي غنمها العرب في هذه المعركة : -

النوع	العدد
بندقية (تركية قديمة وانكليزية وتشيكوسلافكية)	٣٠٠
مدافع هاون (انكليزية ذات ثلاث عقد)	٣
مدافع هاون (اميركية ذات ٨١ ملم)	١
مدافع هاون (انكليزية ذات عقدتان)	٤
رشاشات (من طراز برن)	٥

(١) قال اليهود ان عدد القتلى والمفقودين من رجالهم بلغ في معركة جنين ١٢٤١ .

(٢) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع

رشاشات (من طراز براوننج) ٤

رشاشات (من طراز فيكرز) ٢

رشاشات (من طراز هوتشكس) ٣

رشاشة (من طراز ستن) ١٥

رشاشان (من طراز تومي) ٢

رشاشات ايرانية ٤

لغم ٣٠٠

اجهزة لاسلكية ٤

ومقادير كبيرة من العتاد من قنابل الهاون .

وهكذا انتهت معركة جنين بنصر مبین للعرب (١) هذا مع العلم بان اليهود وان كانوا قد ارغموا على مغادرة مدينة جنين الا انهم ظلوا محتفظين بالقرى العربية العشر الآتي ذكرها : مقيلة ، جلمة ، زرعين ، نورس ، المزار ، زبوبا ، ديرغزالة ، عربونة عراقه ، فقوعة ولجأ سكان هذه القرى الى مدينة جنين .

هذا ولا بد لنا من اطراء ما ابداه اثنان من العراقيين في معركة جنين من بطولة واخلاص : وهما المقدم نوح عبد الله الحلبي الذي حوصر في القلعة . والمقدم عمر علي الذي جاء على رأس النجدة وكان له الفضل في انقاذ ليس المحصورين فحسب بل و جنين باسرها . اما نوح فقد ولد في الموصل سنة ١٩٠٩ وتخرج من الكلية العسكرية سنة ١٩٣٠ برتبة ملازم ثان . ودخل كلية الاركاز سنة ١٩٣٥ وعين آمراً للفوج الآلي الاول سنة ١٩٤٤ واشترك في حرب فلسطين ، فحوصر في قلعة جنين (٣ حزيران سنة ١٩٤٧) ورفق بعد انسحاب الجيش الى العراق ، فاصبح عقيداً .

واما عمر علي فقد ولد في كركوك سنة ١٩١٠ ، وتخرج من الكلية برتبة ملازم ثاني سنة ١٩٣٦ ودخل كلية الاركاز سنة ١٩٣٥ ، وعين آمراً لفوج المشاة الثاني للواء الخامس سنة ١٩٤٤ واشترك مع فوجه في حرب فلسطين وتدرج في رتب الجيش حتى اصبح زعيماً ركنياً .

(١) بعد هذا اقرا انباء المعركة التي دارت في قطاع جنين بتاريخ ٨ تموز سنة ١٩٤٨ .

قانون (١)

سقطت قانون بيد اليهود في اليوم الخامس من شهر حزيران ١٩٤٨ . ولهذا السقوط

قصة رواها لي المناضلون فقالوا : -

« كان فيها عند صدور قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ خمس وخمسون بندقية ومدفعان رشاشان من طراز برن ، خمس وثلاثون من هذه البنادق زودتنا بها الهيئة العربية العليا ، والباقي شريناه باموالنا وباسعار باهظة . وكنا جميعا على استعداد لان ندرأ الشر عن بلدنا ، مهما كلفنا ذلك من ثمن . ذلك لانا كنا على مقربة من عدد من المستعمرات اليهودية القوية ، وكان بيننا وبين اليهود خصام يرجع عهده الى ثورة ١٩٢١ . ونشبت بيننا وبين اليهود ، في اثناء الشهور الخمسة التي سبقت مجيء الجيش العراقي عدة معارك ، كان النصر فيها كلها حليفنا . فلم نخسر سوى ثلاثة شهداء وعدد قليل من الجرحى .

ولما جاء الجيش العراقي ، بعد انسحابه من معركة كيشر ، وحط رحله في مدينة طولكرم وكان ذلك في النصف الاخير من شهر ايار ، رجونا الخير على يده ، ورحنا نتوقع سقوط المستعمرات اليهودية القريبة منا الواحدة بعد الاخرى . ولكن سرعان ما خاب املنا . وكم كان استغرابنا شديدا عندما رأينا انه مذ حط رحله في طولكرم ، ظل قابعا فيها . فلم يتخط حدود المدينة والمحطة والقسم الذي يحد هذه المحطة مباشرة من الغرب بلي وربك ، انه لم يتعدا شبراً واحداً الى الامام . بل اكتفى بضرب المستعمرات اليهودية الواقعة الى الغرب من طولكرم ، بمدفعه الثقيلة . وأمر اصحاب البيارات المجاورة لها (٢) بمغادرتها ، حتى المناضلين المسلحين الذين كانوا الى ذلك الحين يذودون عنها ، فقد أمروا بالنزوح بحجة ان الجيش وحده هو المسؤول . وما كدنا ننزح عن بياراتنا ومزارعنا ، حتى جاء اليهود فاحتاوها . وباحتلالهم هذه البيارات سيطر اليهود على جميع السهل الواقع الى الشرق منها . وهو قسم من سهل شارون المعروف في التاريخ ، والمشهور بخصبه وجودة ترابه .

« كل هذا جرى امام سمع الجيش العراقي وبصره ، دون ان يحرك ساكنا . لا ، ولا

(١) قرية كبيرة من قرى طولكرم ، يسكنها (عام ١٩٤٥) ١٩٧٠ نسمة . كلهم مسلمون

(٢) كبيارات آل النابلسي (الحاج نمر واولاده ؛ راضي وحسن) وبيارات آل المصري وآل

سمارة وغيرها .

ركض لتحصين القرى الامامية كالطيرة وقلنسوة وبقعة الغربية وقاقون .

ولما ازداد تساؤلنا واستغرابنا ارسالوا الى قريننا قاقون ثلاثة وثلاثون جندياً . وكان ذلك في اليوم الاخير من شهر ايار ١٩٤٨ . وجاء القائد المسؤول طارق بك في ٢ حزيران مع ثلاثة من ضباط الجيش وبعد ان درسوا الوضع عادوا الى مقرهم قائدين انهم سيقصفون الليلة هذه المستعمرة القريبة منا بمدافعهم ، وسيحرقونها حرقاً ، فيجعلون عاليها سافلها وطلبوا منا ان نهيء العدد الكافي من المناضلين لاحتلالها ، بعد الانتهاء من القصف . فاعددنا لهم مئة سلاح . وبقينا ننتظر . و سرعان ما خاب رجاؤنا فلم تقذف في تلك الليلة قذيفة واحدة . لا ولا في الليلة التي تلتها .

« وراح اليهود في اليوم الرابع من شهر حزيران يحتشدون في بياراتهم التي لا تبعد عنا اكثر من اربعة كيلو مترات ، وكنا نرى العدد العديد من مصفحاتهم ومدافعهم وسياراتهم تنقل المقاتلين من رجا لهم . واخبرنا من فورنا قادة الجيش العراقي الموجودين في طولكرم ومع ذلك فانهم لم يحركوا ساكناً .

« وراح اليهود في الساعة الخامسة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم (٤ حزيران) يقصفون القرية بمدافعهم . فقتلوا منا عشرة اشخاص ، وجرحوا عشرة ، ورجونا اخواننا العراقيين ان يقوموا بعمل مماثل ، فيقصفوا الاماكن التي حشد اليهود فيها مجموعهم ولكنهم لم يلبوا طلبنا لا ، ولا اطلقوا طلقة واحدة ، ولو على سبيل الارهاب ، الامر الذي جعل الرعب يدب في قلوبنا ، فحملنا نساءنا واطفالنا ووضعناهم في البيارات الكائنة في شرقي القرية ، وبقينا نحن المناضلون مع رجال الحامية العراقية المرابطة في القرية ؛ وكانوا من القلة بحيث لا يؤبه لهم ، واستأنف اليهود (عند منتصف الليل ٤ - ٥ حزيران) قصف القرية بمدافعهم ، وفي تمام الساعة الثانية ، راحوا يزحفون ، ورحنا نحن نبذل ما في وسعنا من جهد لصددهم ، ولكن أنى لحامية صغيرة ان تنجح في صد عدو اعد العدة الكافية التي تمكنه من الوصول الى هدفه ، سيما وهو يرى ان الجيش المرابط في الخطوط الخلفية القريبة منا لم يحرك ساكناً ولم يطلق طلقة واحدة ، وهذا ما جراه على الزحف فما كادت الساعة تدق التاسعة حتى كان العدو قد وقف على ابواب قاقون يبغى احتلالها

« عندئذ استنجدنا بالمسلحين من اخر اننا سكان القرى المجاورة ، فانجدونا ، كما انجدتنا نابلس بعدد من مسلحيها ، وكذلك فعلت عنتبا ، ورابط المنجدون عند السكة الحديدية في موضع يبعد عن قاقون زهاء خمسمئة متر ، ينتظرون صدور الامر من قادة الجيش العراقي بالزحف . ولم يستطيعوا الزحف من تلقاء انفسهم . ذلك لان الجيش كان اذاع

في اليوم الذي سبق (٤ حزيران) انه سيقوم بمناورة في سهل شارون وانه سيعاقب كل من يجده غربي الخط الحديدي .

«وعندما تحرك الجيش العراقي في ذلك اليوم (٥ حزيران) وكانت الساعة تشير الى الساعة السابعة ، كان الوقت قد فات ، وكان اليهود قد وقفوا - كما سبق وقلنا - على ابواب قاقون . وعند ما اقترب العراقيون من القرية لم يحاولوا دخولها . بل اكتفوا بقصفها بمدافعهم ودباباتهم ، وبقوا على تلك الحال حتى المساء ، ولما غابت الشمس انسحبوا الى طولكرم ، ودخل اليهود القرية . وكانت نتيجة تلك المعركة ان قتل من اهل القرية اربعون رجلاً ، ومن الحامية العراقية سبعة عشر رجلاً ، ومن سكان القرى المجاورة الذين خفوا للنجدة عشرة . ويظهر ان العراقيين شعروا بتبكيك الضمير ، اذ راحوا في صبيحة اليوم التالي (٦ حزيران) يقصفون القرية بمدافعهم . ودام القصف طيلة ذلك النهار . فما كادت الشمس تجنح الى المغرب حتى كانت القرية قد هدمت . وكانت منازلها قد اصبحت طلالاً بالياً . ولكن الضباط العراقيين لم يسمعوا لاحد من اهلها ، لا ، ولا من الجنود ، باجتياز الحدود ، الامر الذي جعل الاعتقاد يسود ان هناك خطة موضوعة تقضي بالايجتاز الجيش العراقي ايضاً الحد المعين له في قرار التقسيم . والله في خلقه شؤون ويقتضيني الانصاف ان اذكر ما قاله لي العراقيون انفسهم عن معركة قاقون هذه ، فقد حدثني المقدم الركن طارق سعيد فهمي الذي كان مسؤولاً عن هذه المعركة ، عندما التقيت به في بغداد بعد وقف القتال ، وكان يومئذ (١٦ - ١٢ - ٥٣) زعيماً ، انه تسلم قاقون من الضباط محمد اسحق من ضباط الجيش العربي ومن مدلول عباس من ضباط جيش الانقاذ ، وان القوة اليهودية التي هاجمت قاقون كانت عبارة عن مئة وخمسين مسلحاً ، وان القوة العربية التي كانت ترابط فيها مئة وعشرون مقاتلاً : ثمانون فلسطينيون واربعون عراقيون ، اسلحتهم بنادق اعتيادية وكان معهم اربعة رشاشات برن واربعة مدافع هاون ، اثنان ذاتا عقدتين واثنان ذاتا ثلاث عقد . وكانت المدافع العراقية من وزن ٢٥ رطلاً تسندهم من طول كرم :

ومما قاله لي الزعيم طارق : -

ان رتله المعروف بـ (رتل نمر) كان ، فور وصوله الى طول كرم في الاسبوع الاخير من شهر ايار ، قد احتل مستعمرة (غوليم) القريبة من كفاريونا على طريق ناثانيا ، ودمرها . ثم اغار على (كفاريونا) ولكنه لم يستطع احتلالها ، اذ جاء اليهود بقوات كبيرة ، فاخرجوهم منها ومن غوليم ، واضطر العراقيون الى الانسحاب ، فانسحبوا

الى طول كرم ، وفيما كانوا يناوشون اليهود في (الطيرة و (باقا الغربية) ، قام هؤلاء (اي اليهود) بهجوم كاسح على (قاقون) فاحتلوها (٥ حزيران ١٩٤٨) .
وحاول العراقيون في اليوم التالي (٦ حزيران) استردادها ، الا انهم اخفقوا ، بالرغم من انهم كانت لديهم - علي ما يقول الزعيم طارق - سرية مشاة عدد رجالها ١٤٠ وسرية مدرعات عددها ١٦ وبطارية من المدافع عددها ٤ ووزن الواحد منها ٢٥ رطلا وكتيبة مدفعية عددها ١٢ مدفعاً من عيار ٣,٧ وكانت لديهم ايضاً اربعة رشاشات من طراز فيكرز واربعة مدافع هاون ، وقصفوها يومئذ (٦ حزيران) بالطائرات ويقول طارق ان اليهود كانوا اقوى منهم عدداً وعدة .

واتتهم (اي العراقيين) نجدة بعد الظهر ، عبارة عن سرية يقودها الرئيس الاول الركن شكري محمود نديم ، فقامت هذه بالاشتراك مع المناضلين الفلسطينيين بهجوم ثان الا انهم لم يفلحوا في استرداد قاقون . اذ كان اليهود قد لغموا الطريق اليها ، وظلت هذه بيد اليهود ، وعاد العراقيون الى الشويكة ، ليؤمنوا طريق نابلس .
خسر العرب في معركة قاقون هذه واحداً وستين شهيداً : سبعة واربعون عراقياً ، واربعة عشر فلسطينياً ، ومن العراقيين شهيدان برتبة ضابط ، هما الملازم يعقوب يوسف والملازم محمود اسعد الدوري ، وجرح آمر رتل قريش الرئيس سعيد القريشي .

بيت داراس



في ٥ حزيران سنة ١٩٤٨ سقطت بيت داراس (١) بيد اليهود . سقطت في ايديهم بعد ان قاتلتهم قتالا عنيفاً ، واشتبيكت معهم في اربع من اشد المعارك التي قامت في قطاع غزة ، وتفصيل ذلك :
ان اليهود هاجموا بعد صدور قرار التقسيم اربع مرات ، يبغون التخلص منها لانها واقعة امام مستعمراتهم ، وكثيراً ما عرقل المناضلون من ابنائها ، طرق مواصلاتهم (٢) وكان في القرية ثمانون مناضلاً .

اما المعركة الاولى فقد نشبت بين الفريقين في اليوم السادس عشر من شهر آذار ١٩٤٨ ورغم ان عدد المناضلين ما كان يومئذ ليزيد عن الثمانين (٣) وان اليهود هاجمهم

(١) قرية عربية من اعمال غزة ، كان يعيش فيها قبل سقوطها اربعة آلاف نسمة كلهم عرب مسلمون ، وكلهم مزارعون نشيطون .

(٢) هناك عدد من المستعمرات القرية من بيت داراس ، اهمها « بيارتعبيا » و (كفارنتاليم) .

(٣) سلاحهم الهنادق وعتادهم لا يزيد عن المشطين للبندقية الواحدة

بأربعة اضخاف هذا العدد من مقاتليهم ، فقد تمكن البدارسة من صددهم فارتد اليهود تاركين وراءهم عدداً غير قليل من القتلى ، وقتل من المناضلين يومئذ ثلاثة كما قتلت امرأة ونفق جمل . وهدم اليهود قبل انسحابهم منزلين من منازل القرية . واصيب مختار القرية حسين عقيل صالح بجرح بالغ .

وبعد مدة تقرب من الشهر ١٣ نيسان جاء اليهود بأعداد كبيرة يبغون مقاتلة العرب ، وكان معهم هذه المرة اربع من المصفحات وكان الوقت عصراً . وبعد ان اطلقوا النار من برناتهم انسحبوا دون ان يحدثوا اي ضرر .

فقد كان القصد من الهجومين المذكورين جس النبض ومعرفة درجة المقاومة عند العرب .

اذ ما كاد ينتهي شهر نيسان حتى جاء اليهود (١ ايار ١٩٤٨) بأعداد كبيرة يبغون احتلال القرية وازالة معالمها ليصفو لهم الجو هناك . جاءوا مع انبثاق اشعة الفجر وتركوا في موضع يسمى (نصار) وراحوا من هناك يقصفون القرية بمدافعهم القوسية (المورتر) وفيها كانوا يفعلون ذلك من شرق القرية ، راح مشاتهم يزحفون من غربها ، فاحتلوا المدرسة وتقدموا صوب القرية . فوقعت القرية بين نارين : نار المدافع من الشرق والبرنات من الغرب ، ولكن حماة القرية لم ييأسوا ولم يهنوا بل راحوا يقاتلون الاعداء بقلوب عامرة بالايمان ، وظلوا كذلك الى ان تمكنوا من دحرهم فردوهم الى الورا ، واستردوا المدرسة وما ان استوت الشمس في كبد السماء حتى كانت المعركة قد انتهت بنصر للعرب ، واراد المناضلون ان يقتفوا اثر اليهود المنهزمين لولا ان هؤلاء كانوا قد استنجدوا بالقوات البريطانية القريبة منهم فهبت هذه لنجرتهم في ثلاث مصفحات وهب لنجدة بيت داراس في اوقت نفسه مناضلون من اسدود وحمامة والسوافين والبطاني ، ومن المحدل والفالوجة ، ومن كل مكان .

ولكن البريطانيين اسرعوا ، فوقفوا بين الفريقين ، يحاولون دون اصطدامهما . وقد انقذوا ، بعملهم هذا ، اليهود من ورطة كبيرة (١) . ومع ذلك فقد اكد لي المطلعون انه قتل من اليهود في هذه المعركة مئتان واربعون وفي قول ان قتلاهم يومئذ لم يجاوزوا المئة والخمسة والسبعين . وجرح منهم كثيرون ، واما قتلى العرب فثمانية وجرحاهم اثنان وعشرون وان هذه المعركة يصح ان تعتبر من اهم المعارك

(١) يلاحظ ان القوات البريطانية ما هبت للنجدة الا عندما شعر اليهود بالخطر ، وانها لم تفعل

مثل هذا عندما كان العرب يقومون في مثل هذا الخطر .

التي وقعت في قطاع غزة ان لم تكن اهمها كلها . وكانت قوة بيت داراس يومئذ عبارة عن ١٩ بندقية ، منها سبع لا تصلح للعمل .

وأما المعركة الرابعة فقد وقعت في ٢١ ايار ١٩٤٨ اذ جاء اليهود بأعداد كبيرة تدعمهم المصفحات ، وقد طوقوا القرية من جهاتها الاربع يبغون الحيلولة دون وصول النجديات اليها . وبعد ذلك راح مشاتهم يزحفون صرب القرية من الجنوب ، وقد بدأ الزحف مع الفجر ، وكانت مدافعهم في الوقت نفسه تقذف حممها على القرية .

واقترف سكان القرية خطأ كبيراً بأخراجهم الشيوخ والنساء والاطفال من الناحية الجنوبية اذ تلقفهم اليهود الزاحفون من تلك الناحية فقتلوا منهم خلقاً كبيراً . وكانت احدى فتيات القرية تتقدم صفوف المجاهدين وتحضهم على النضال ، كما كان عدد آخر من الفتيات ينقلن الماء الى المجاهدين ، فاغتاز اليهود وخطفوا احدهن فهتكوا عرضها وحرقوا بيادر القرية ، ونسفوا اربعمائة من الدور الكائنة خارج القرية ولئن هب المناضلون من أبناء القرى المجاورة لنجدة القرية الا انهم لم يتمكنوا من الوصول اليها ، لان اليهود كانوا قد احسنوا ضرب النطاق حولها ، ومع ذلك فقد أبلى البدارسة بلاءً احسنافتمكنوا من صد اليهود ، وما كاد النهار يتتصف حتى كانت المعركة قد انتهت بنصر للعرب .

وتمكن اليهود من جر قتلاهم معهم . خسر البدارسة في هذه المعركة ثلاثة وثلاثين شهيداً (١) وبلغت خسائرهم في المعارك التي سبق ذكرها في الاسطر المتقدمة ثمانين قتيلًا .

ان المعركة الاخيرة هذه وان كانت قد انتهت بنصر للعرب الا ان الذعر كان قد دب في قلوبهم ، ولقد زاد طينهم بلة فقدان العتاد ، ورغم انهم استنجدوا بالهيئات والجماعات العربية المختلفة الا ان احداً منها لم يلب نداءهم ، ولم يزودوهم بالعتاد الذي كانوا في اشد الحاجة اليه خلا بضع مئات من الطلقات زودتهم بها اللجنة القومية بغزة ؛ ولهذا راحوا ينزحون عن منازلهم حتى انه لم يبق منهم في القرية سوى عدد ضئيل من المناضلين .

ومع ذلك فلم يجرؤ اليهود على دخولها الا قبل اعلان الهدنة الاولى ببضعة ايام (٥ حزيران ١٩٤٨) (٢) .

محاولات قبل الهدنة الاولى

ان سقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة (٢٨ ايار) وفشل اليهود في رفع الحصار

(١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

(٢) بعد هذا اقرأ ما كتبناه عن بيت داراس في ٣٠ حزيران يونيو عندما استؤنف القتال في ٩ تموز

الذي فرضه العرب ، على الاحياء اليهودية رغم المعارك التي خاضوا غمارها في قطاع باب الواد ، والخسائر الجسيمة التي تكبدوها هنا وهناك ، جعل اليهود يأسون ، وايقنوا ان النصر الذي يبتغون بعيد المنال . فلم يجدوا بداً من تلمس جميع الطرق الموصلة لعقد هدنة مع العرب .

وفيما كانت المساعي تبذل في هذا السبيل من لدن رجالهم السياسيين ، يؤيدهم في ذلك أصدقاءهم الاميركيون ، وهم كثيرون ، راح رجالهم العسكريون يفرغون ما في جعبتهم من هتاد ومكر ودهاء . وقد اثروا على مجلس الامن ، فاصدر قراره (في ٢٩ ايار ١٩٤٨) القائل بوجوب قيام هدنة في فلسطين .

فقدفوا الى الميدان بكل ما يملكون من مدافع ، وطائرات ، ومن راجمات الالغام ، ولم يكن لديهم يومئذ اكثر من مدفع واحد من عيار ١٨ رطلا وبضعة مدافع قوسية (مورتر) من عيار بوصتين وثلاث بوصات ، ولم يكن لديهم سوى اربع طائرات مقاتلة واربع قاذفات للقنابل الخفيفة وثلاث للقنابل الثقيلة وتسع وعشرون طائرة للتدريب والمواصلات . واما راجمات الالغام ، فكانت عبارة عن انبوب محشو بالالغام طوله ٧٥ سنتمتراً وقطره ٧٥ مليمتراً . انه من صنع محلي . وكذلك الالغام ، انها وان كانت ذات صوت مزعج ، الا أن تأثيرها على العمارات والسكان كان ضئيلاً للغاية .

ومهما كان الامر ، فقد استعمل اليهود في الايام الثلاثة التي سبقت الهدنة كل ما يملكون من سلاح وعتاد وقاموا بمحاولة المستميت للحصول على اكبر قدر مستطاع من الربح قبل ان تفرض الهدنة ويقف القتال ، فقصفوا ، يوم الاحد الموافق ٦ حزيران الاحياء العربية بنيران مدافعهم ولا سيما حي الشيخ جراح من اجل الوصول الى الهداسا وנסفوا جميع المباني القائمة بين الباب الجديد ومدرسة ترسانطة بين النوتردام والسور ، واصيب عدد كبير من الاديرة ، منها كنيسة الارمن الكاثوليك وبطيريكية الروم الارثوذكس والقازانوفا ودير الاباء الفرنسيين غير ان تأثيرها على الارواح كان ضئيلاً اذ لم يقتل سوى عربيين . احدهما اردني يوسف الفهد من العدوان والآخر مقدسي هو فتحي داود عبد من مناضلي حي الثوري وكذلك فعل العرب ، فقد قصفوا بمدافعهم الاحياء اليهودية ، ودام قصف المدافع بين الفريقين طيلة اليوم التالي (٧ حزيران) . وفي ٨ حزيران ١٩٤٨ قام اليهود بهجوم على مراكز الدفاع العربية في اللطرون وباب الواد ولكن الجيش العربي صمد لهم وردهم على اعقابهم ، بعد أن كبدتهم خسائر فادحة في الاموال والارواح ، وبهذا فشلت محاولتهم في امرار القافلة وتزويد حامية القدس

بالمؤن والرجال ، وظلت الاحياء اليهودية محصورة من كل جانب . لا يصلها الماء ، ولا المؤن ، ولا الرجال ، واشتد كرب هذه الاحياء من جراء قلة المؤن والماء فوصل الى الى درجة لا تطاق ؛

وفيهما كانت المعركة قائمة عند باب الواد كان اليهود يقصفون (في ٧ حزيران) الاحياء الغربية في القدس ويفرغون عابها كل ما تبقى لديهم من قنابل المورتر وكذلك قتل عنها في ٨ حزيران ورغم ان عدداً من هذه القنابل قد أصاب الخداف ، وسقط على قبة كنيسة القيامة (١) والحرم القدسي (٢) الا انها لم تحدث الاثر الذي كان يهدف اليه الاعداء ، فان المجاهدون الذين كانوا يعملون في قلب المدينة بهمة ونشاط صمدوا لهم واستغل هؤلاء ما جرى لاثارة العالم الاسلامي والمسيحي ضد اعدائهم ، فأبرق رؤساء الدين المسيحي الى قداسة البابا ، كما ابرق رؤساء الدين الاسلامي الى فضيلة شيخ الازهر ، وأرسلت نسخ عن برقيات الاحتجاج الى مجلس الامن وهيئة الامم وقناصل الدول الاجنبية ورؤساء الحكومات وعلماء المسلمين في العالم كله .

اطلعت على نداء وجهه علماء الشام الى المسلمين في مشارق الارض ومغاربها . لافتين انظارهم الى ما حل بالحرم القدسي وبالمسلمين من سكان بيت المقدس من جراء تلك الغارة الشنعاء ، والنداء موقع من لدن العلماء الآتية أسماؤهم : -

- | | | |
|-----|------------------------|--------------------------------|
| ١ - | محمد شكري الاسطواني | المفتي العام للجمهورية السورية |
| ٢ - | محمد سعيد آل حمزة | نقيب السادة الاشراف |
| ٣ - | محمد عزيز الخاني | قاضي الشام |
| ٤ - | ابو الخير الميداني | رئيس رابطة العلماء |
| ٥ - | محمد المكّي الكناني | نائب رئيس رابطة العلماء |
| ٦ - | محمد ابراهيم الغلاييني | مفتي وادي العجم |
| ٧ - | محمد حسن الميداني | رئيس جمعية التوجيه الاسلامي |
| ٨ - | احمد الدقر | نائب رئيس الجمعية الغراء |

(١) تلك هي المرة الثالثة التي تصاب فيها هذه الكنيسة بقنابل اليهود . وكان حجم الثغرة التي فتحتها القنابل هذه المرة ٣٠ × ٢٠ م ولم يخترق الواح الرصاص . وقال رئيس معهد الفرير انه راي القبلة موجهة نحو الكنيسة من عمارة النوتردام .

(٢) سقطت قنبلتان منها يومئذ في ساحة الحرم . وكان اليهود يقصدون الانتقام لكفهم التي خدمت يوم سقوط الحي اليهودي في ٢٨ ايار . ولكنهم نسوا انهم استعملوا كنسهم لغايات حربية بينما لم يستعمل لا المسلمون ولا النصارى اما كنهم المقدسة لمثل تلك الغايات .

- ٩ - عمر بهاء الاميري نائب المراقب العام للاخوان المسلمون
- ١٠ - محمد معروف الدواليبي نائب حلب
- ١١ - محمود الشقفة نائب حماه
- ١٢ - محمد المبارك نائب دمشق

وفي الوقت الذي كانت فيه نداءات الاستغاثة توجه الى العالمين الاسلامي والمسيحي راح حماة المدينة يذودون عن الحي بكل ما اوتوا من عزم وتصميم . وراحوا يضيقون الخناق على اليهود في كل مكان ، في حي الثوري والنبي داود وفي المصراة والشيخ جراح ، كما راحوا يقصفون الاحياء اليهودية بمدافعهم^(١) ودام القتال طيلة ذلك النهار ومن أهدافها حبيبات شاول وروميما وبيت هاكريم وشرقة عين كارم ومياشورم وشنلر ودار الوكالة اليهودية ، بعض هذه الاهداف على مسافة قدرت بثمانية آلاف وتسعمئة متر ، والبعض الاخر بعشرة آلاف .

وكانت المدافع العربية تصيب الهدف بشكل يدعو للارتياح ، وكنا نرى هب الحرائق المشتعلة في الاحياء اليهودية ، من مسافات بعيدة ، وكان اكبرها ذلك الحريق الذي شب في دار الاذاعة بشارع الملكة ميليسنادة .

قال الكاتب اليهودي (آرثور كوستار) في كتابه (عهد وفاء) ص ٢٣٨ و ٢٤٢ انه « ليس في الاحياء اليهودية بالقدس بيت واحد لم يصب برصاصة او بشظية من قنابل المدافع العربية . وكانت ضحايا اليهود المدنيين ، قبل عقد الهدنة ، بمعدل عشرين شخصاً في اليوم الواحد .

واما العرب فلم يقتل منهم في ٧ حزيران سوى شخص واحد (هو قسطندي زخريا مصرصع) ، وتسعة اشخاص في التاسع : اربعة منهم اردنيون ، والباقيون من ابناء

(١) بعد سقوط الحي اليهودي بيد العرب استبدل الجيش مواضع مدافعة بالشكل الاتي :

أ - المدافع التي كانت على جبل الزيتون بقيت مكانها .

ب - والمدافع التي كانت في بيت حنينا نقلت الى قطاع بدو والنبي صمويل ومن هناك تولت فئة منها قصف الاحياء اليهودية بالقدس وتولت فئة اخرى قصف المستعمرات اليهودية من طريق القدس - يافا الى الغرب من المدينة .

ج - والمدافع التي كانت بباب الواد بقيت مكانها .

د - والمدافع التي كانت في البلدة القديمة نقلت الى حي الشيخ جراح ونصبت في مكان ما على جبل

صكوبس بالقرب من معسكر اليوليس .

بيت المقدس . وكان بين قتلى اليهود قائد (١) الجيش الاسرائيلي في القدس الامر الذي ادخل الرعب في افئدة اليهود . ولم يكن لهم يومئذ في المدينة اكثر من النفي مقاتل . معظمهم من اليمانيين والسفراديم (اي اليهود الشرقيين) ، هذا من مجموع مقاتليهم في البلاد كلها وكان عددهم لا يزيد عن ثمانية آلاف (٢) لقد بلغ الامر باليهود قبل الهدنة الاولى بقليل ان شربوا المياه التي كانت في المستنقعات مثل بركة السلطان وبركة مأمن الله وهاجر الكثير من يهود القدس الى القرى المجاورة مثل لفتا وعين كارم التي كانت تحت سيطرتهم طلباً للماء من الينابيع الموجودة فيها . ولم تكن حالة يهود القدس من حيث الطعام بأحسن من حالتهم من حيث الماء حتى ان الاهلين كانوا يقومون بمظاهرات طالبين التسليم للجيش العربي ، وهذا ما دعاهم لملاحمة امر الهدنة . يؤيدهم في ذلك أصدقاؤهم الاميركيون . وظلوا في سعيهم سائرين الى ان تكفل سعيهم بالنجاح . وتقررت الهدنة . وكانت هذه اكبر مصيبة ألمت بالعرب في تلك الفترة من الزمن .

هنا يجدر بنا ان نقف قليلاً لنستمع الى ما يقوله الزعيم عبد الله التل ، قائد الكتيبة السادسة التي كانت تحارب في وسط المدينة . فقد قال هذا ، بعد ان وقف القتال واستقال من عمله ، ما يلي (٣) .

« في ٧ حزيران ١٩٤٨ عثرت على وثائق ومعلومات سرية كشفت لي الستار عن الخطة التي رسمها غلوب باشا للجيش الاردني والتي تقضي بالا يحتل هذا الجيش القدس ، والا يشتبك مع اليهود في حرب حقيقية ، واعترف التل بان الجيش الاردني دخل فلسطين دون ان يكون مزوداً بخطة عسكرية موضوعة ، وانه كان بإمكان الجيش العربي لو اخلص قاداته النية ، ان يحتل القدس كلها ، وان الجيوش العربية لم تكن متفقة على خطة معينة ولو كانت متفقة لاستطاع الجيشان المصري والعربي ان يلتقيا عند ابواب تل ابيب . »

وقال هذا القائد ، في حديث آخر (٤) انه - والنار مستعرة في بيت المقدس - اقترح أن يرسل اليه اللواء العراقي الذي كان مرابطاً في قطاع السامرة على سبيل الاحتياط كي

(١) انه الكولونيل ماركس وهو اميركي يهودي كان يقود معارك القدس ولما مات « ٧ حزيران ١٩٤٨ » خلفه في القيادة الكولونيل موشه دايان .

(٢) هذا ما اعترف به رئيس حكومة اسرائيل دافيد بن غوريون في خطبة القاها بعد ذلك التاريخ

(٣) مجلة آخر ساعة . العدد ٧٩٧ التاريخ ١-٢-١٩٥٠

(٤) اقرأ رسالته المنشورة في العدد ٢٣٢١٧ من جريدة الاهرام بتاريخ ٢٠ ايار ١٩٥٠

يعملاً معاً من اجل الاستيلاء على القدس كلها ، وان العراق قبلت هذا الاقتراح ، الا انها اشترطت توحيد القوتين العراقية والاردنية ، وان يعهد اليها هي بالقيادة لتطمئن على مصير جنودها ، وان الحكومة الاردنية وافقت ، الا انها ارجأت تنفيذ الخطة ريثما يعود غلوب باشا ، رئيس اركان حرب الجيش الاردني ، من لندن. ولما عاد هذا رفض الفكرة . ولم تجرؤ الحكومة الاردنية على ارغامه .

قبل الهدنة الاولى

عندما اتصل بالمناضلين ان هناك مفاوضات من اجل عقد هدنة بين العرب واليهود تمنوا ان لو يساعدهم الجيش العربي الذي كان يربط في قطاع اللد والرملة ، فيمددهم بالعتاد وبعدد من المدرعات ، ويحمي ظهورهم بمدافعه ، على ان يزحفوا هم بينادقهم فيستردون العباسية وكفر عانة والسافرية وصر فند وما الى ذلك من القرى الواقعة غرب السكة الحديدية والتي كان لا بد من استردادها لحماية اللد والرملة . وتقدموا الى قائد القطعات العربية التي كانت هناك ، وكان هذا انكليزياً ، باقتراحهم هذا . وكان ذلك قبل اعلان الهدنة بيوم واحد (٩ حزيران) ، وبعد ان وافق القائد على تلك الخطة عاد فعدل ، وانبأ المناضلين انه يؤثر ارجاء المسألة الى اليوم الثاني . واقترح القائد في الوقت نفسه ، مهاجمة مستعمرة جيزر الكائنة جنوبي الرملة . فهاجم المناضلون المستعمرة واحتلوها واسروا ٣٦ من رجال حاميتها . ثم عادوا ، فاخلوها بأمر من القائد نفسه .

وفي ساعة مبكرة (الساعة الثالثة) من صباح اليوم الثاني (١٠ حزيران) تقدم المناضلون فاحتلوا العباسية وتوغلوا في قرى كفر عانة والسافرية ، وكادوا يحتلونها . لولا ان صدر الأمر بوقف القتال . فوقفوا . وكانوا قد خسروا في تلك المعركة ١٨ شهيداً و ٦٣ جريحاً .

مجلس الامن يقر هدنة مدتها اربعة اسابيع

في ٢٩ أيار سنة ١٩٤٨ أقر مجلس الأمن اقتراح بريطانيا القائل بان يوقف العرب واليهود القتال في فلسطين ، وان يقبلوا هدنة مدتها أربعة اسابيع ، يعمل خلالها وسيط هيئة الامم ، الكونت فولك برنادوت، على التوفيق بينهم. ولقد ابلغ المجلس قراره هذا الى الفريقين طالباً منها ان يعطيا قرارهما قبل مساء اليوم الأول من شهر حزيران . وتلقى الوسيط ، في اليوم التالي ، برقية من المستر تريجفي لي يخبره فيها بما جاء في ذلك القرار .

ومما جاء في ذلك القرار قول مجلس الأمن أنه لا يجوز لأي فريق من الفريقين ان يدخل ، خلال فترة الهدنة ، رجالاً مقاتلين الى فلسطين ومصر والعراق ولبنان وسوريا والمملكة العربية السعودية والاردن واليمن . واذا دخل هذه البلاد رجال في سن الجندي ، فعلى الفريقين ان يتعهدا بعدم تجنيدهم أو استخدامهم في شؤون القتال ، وعليهما ان لا يستوردا أو يصدرا اسلحة أو آلات للقتال ، وان يصونا مدينة القدس ، وان يضمننا سلامة الوصول الى المعابد والأماكن المقدسة بقصد العبادة .

وفي القرار امر للوسيط الدولي كي يراقب ، بالاشتراك مع لجنة الهدنة ، الفريقين ، ويرى انهما قاما بتنفيذ هذه الشروط ، وان يكون على اتصال دائم مع الفريقين من اجل الوصول الى هذه الغاية . وعليه ان يرفع لمجلس الأمن تقريراً في كل اسبوع يصف فيه الوضع في فلسطين .

وطلب المجلس من الفريقين ، العرب واليهود ، ان يعلموه عما اذا كانوا يقبلون امره هذا أو يرفضونه قبل الساعة السادسة من بعد ظهر اليوم الأول من شهر حزيران ١٩٤٨ . حتى اذا مارفضه أي الفريقين بحث المجلس في تطبيق العقوبات التي نص عليها الفصل السابع من ميثاق هيئة الامم .

وفيما كانت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية مجتمعة في عمان لتقرر ما يجب في

هذا الصدد قامت الطائرات اليهودية بضرب عمان . وكان ذلك في وقت مبكر من صباح اليوم الأول من شهر حزيران . فمذفتها باربع عشرة قذيفة . سقط معظمها على مقربة من قصر رغدان ومن المطار . وقتل من جرائها سبعة اشخاص ، وجرح عشرون . ولم يشك أحد في ان اليهود ، كانوا يهدفون ، من وراء تلك الغارة ، الى التأثير على الرأي العام الاردني ، ومليكه الذي كان يرأس اجتماع اللجنة ، وعلى المجتمعين . وكانت تلك الغارة أول غارة يقوم بها اليهود من الجو على عمان .

وراح العرب أيضاً يقاتلون اليهود حيثما وجدوهم . وسقطت قنابلهم في احد عشر موضعاً من المواضع اليهودية في القدس . وكان زمام المبادرة في المدينة بأيديهم .

وفي ٢ حزيران ١٩٤٨ أبلغ الفريقان مجلس الأمن في ليك سكسس انهم يقبلون اقتراحه ، وانهم على استعداد لاصدار الأمر بوقف القتال . وقبل العرب قرار مجلس الأمن فقرروا الهدنة في الاجتماعين اللذين عقدهما في عمان بتاريخ ١ حزيران وفي عالية في اليوم التالي . ولكن كلا الفريقين اشترط شروطاً لا يقبلها الاخر . فاشترط اليهود ان لا يتسلم العرب ، خلال فترة الهدنة اية اسلحة من أية دولة اجنبية ، وان يسمح لهم بتزويد مدينة القدس بالماء والمؤون وبهجرة يهودية غير محدودة . . . واشترط العرب وقف الهجرة اليهودية ، والغاء التقسيم .

ولكن . . . كم كان استغراب الوسيط شديداً عندما تلقى برقية المسيو تريجفي لي بتاريخ ٣ حزيران ١٩٤٨ وقد جاء فيها (١) أن الفريقين قبلا اقتراح الهدنة وقررا وقف القتال دون قيد أو شرط . وجاء في تلك البرقية أن مجلس الأمن خول الوسيط تعيين الوقت الذي يراه مناسباً لوقف القتال بعد أن يستشير الفريقين وأعضاء لجنة الهدنة .

المخابرات التي سبقت اعلان الهدنة الاولى

في ٧ حزيران سلم الوسيط الدولي ، الكونت فولك برنادوت ، الدول العربية مذكرة قال فيها انه « عين الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الموافق ١١ حزيران ١٩٤٨ موعداً لبدء الهدنة ، وان على الفريقين ان يمتنعوا عن اطلاق النار وعن القيام باية حركة عسكرية اعتباراً من تلك الساعة والى مدة أربعة اسابيع »

وذكر الوسيط في مذكرته هذه الشروط التي قرر فرضها على الطرفين ، والتي اعتبرها حلاً وسطاً لشروطهما . وطلب من الفريقين ان يعلماه ، فيما اذا كانا يقبلان الوقت الذي حدده لوقف القتال ، أو يرفضانه . مشروطاً ان يصله الرد قبل ظهر الاربعاء الموافق ٩ حزيران . مهدداً برفع الأمر الى مجلس الأمن في حالة الرفض .

ان قبول الهدنة يعني ، كما قال الوسيط في مذكرته وكما نص عليه القرار الذي اتخذه مجلس الأمن في ٢٩ أيار ، وقف اعمال العداء دون ان يؤثر وقفها في حقوق كلا الجانبين ، العرب واليهود ، وفي وضعهما ومطالبهما في المستقبل . وقال انه يعلم ان هناك شروطاً لكلا الفريقين من اجل الهدنة ، وان هناك تناقضا في ارائهما في بعض الشؤون ، فان المهم في الأمر « ان لا يحرز اي من الفريقين أي غنم خلال فترة الهدنة » وانه ، توصلاً لهذه الغاية ، يؤكد ما قاله لكلا الفريقين من أنه « لا يجوز ادخال الأشخاص المنتمين الى منظمات عسكرية ، ولا اولئك الذين يحملون سلاحاً ، الى أية دولة من الدول العربية أو الى اي جزء من فلسطين » وانه سيتولى مراقبة المهاجرين الذين يقدون الى البلاد ، خلال فترة الهدنة ليتأكد من انه لن يكون بينهم رجال في سن الجندي ، وانه سيحول دون دخول امثال هؤلاء الرجال ، فان دخولهم « غنم » يؤثر ولا شك على دفعة القتال ، واذا دخل فريق منهم البلاد ، فانه « سيحتفظ بهم في معتقلات يديرها المراقبون الذين وضعتهم هيئة الامم تحت سيطرته » بحيث لا يتمكنون من الانخراط في صفوف القوات المسلحة ، ولا يتدربون على شؤون القتال .

ويمنع انتقال الجيوش ومعدات القتال ، خلال فترة الهدنة ، من بلاد الى اخرى من البلاد التي يعنىها الأمر والمتاخمة الى فلسطين ، والى جبهات القتال في فلسطين . وتبقى خطوط القتال في جميع الجبهات ثابتة كما كانت عند بدء الهدنة « فلا يزداد عدد المقاتلين ، ولا معدات القتال . ولا يجوز ادخال الاسلحة ومعدات القتال الى اي جزء من

الأراضي الواقعة تحت سيطرة اي فريق من الفريقين .

واما السكان المقيمون في المناطق البلدية والذين ذاقوا الشدائد بسبب القتال، كما هي الحال في القدس ويافا ، فانه يجوز اغاثتهم بالموثون بواسطة لجان الصليب الأحمر الدولي، بحيث « لا يزيد ما يتبقى منها عند انتهاء الهدنة على ما كان لديهم عند بدئها ؛ ولا يقل ... »

وتمنع جميع الأعمال والحركات الحربية خلال فترة الهدنة: في البر والبحر والهواء ...

معركة بين عشيرة الصبيح وكيشت

منذ المعركة التي قامت في ٣ / ١ / ١٩٤٨ لم يحدث أي حادث يستحق الذكر بين عشيرة الصبيح ومستعمرة كيشت ، وان كان تبادل النار لم ينقطع بين الفريقين . وظل الحال على هذا المنوال حتى قبل اعلان الهدنة الاولى بثلاثة أيام . فقام اليهود في اليوم الثامن من شهر حزيران ١٩٤٨ بمهاجمة مضارب العشيرة بقوة لا يقل عددها عن ستمئة مقاتل ، تحميهم مدافع المورتير . جاءوا من الناحية الشمالية الغربية . وتمكنوا من الوصول الى منزل الشيخ علي النمر ، وهو من مشايخ الصبيح المعروفين وقائد المجاهدين من ابناء تلك العشيرة . فقامت بين الفريقين معركة حامية ، جرح فيها الشيخ علي واستشهد أربعة من رجال عشيرته ، ونسف اليهود بيت الشيخ ، وقتلوا شقيقته وطفلا كان الى جانبيهما، ورأى الناس بعد انتهاء المعركة هذا الطفل مشطوراً الى شطرين ، فقد شطره اليهود ببلطة حادة .

قام اليهود بنا الهجوم المفاجيء عندما كان المناضلون منشغلين في مواضع اخرى . ولم يكن هناك في مضارب العشيرة سوى ثلاثين مقاتلا . وما كان في مقدور الثلاثين ان يصدوا ثلاثمئة ، دع عنك ستمئة . ولم يك بسد من التراجع . فتراجع المناضلون غرباً . وتقدم اليهود حتى (عين ماهل) . وهناك التقى الجمعان : اليهود من الناحية الواحدة . والمناضلون من أبناء عشيرة الصبيح والناصره وكفر كنا وعين ماهل من الناحية الاخرى . ووصل في تلك اللحظة توفيق الابراهيم المكنى بابني ابراهيم ، ومساعدته محمد العورتاني .

جاء مع عدد من رجال الجهاد المقدس ، ارسلتهم الهيئة العربية العليا . وكان مع المجاهدين العرب مدفع مورتر واحد من عيار بوصتين . ولكن عتاده كان قليلا .

وشطر المناضلون انقسم شطرين : شطر تولى مهمة الهجوم واخر قام بحركة التفاف حول العدو وتقدم الشطران وكانا يهللان ويكبران . ورغم ان اليهود كانوا اكثر عدداً وعدة فان الرعب قد تسرب الى افئدتهم ، فلم يصمدوا في مراكزهم اكثر من نصف ساعة ثم انسحبوا تحميهم المدافع الرشاشة التي كانت تطلق نيرانها من منازل الصبيح ومدافع المورتر التي نصبوها في المستعمرة . وبعد مضي سبعين دقيقة كان اليهود قد جلوا عن اراضي عين ما هل . وفي منازل الصبيح اشتبك الفريقان بالاسلح الأبيض من عمارة الى اخرى ومن دار الى دار . وما كاد الليل يجن حتى كان لواء النصر معقوداً الى العرب . وقد تمكنوا من استعادة الاراضي والمنازل التي احتلها اليهود ، وخسر اليهود ثمانية وعشرين قتيلا . وظلت كلمة العرب هي العليا في ذلك القطاع الى ان انسحب جيش الانقاذ وسقطت الناصرة بيد اليهود .

اعظم قصف مدفعي شهدته المدينة

وشهدت الأحياء اليهودية ، في ٨ حزيران ، أعظم وأسوأ قصف مدفعي منذ نشوب القتال . وقال الكاتب اليهودي Harry Levin في الصفحة ٢٣٧ من كتابه Jerusalem Embattled ان قذف اليوم قد القى بآمال اليهود ومعنوياتهم الى الحضيض ، فراحوا يصرخون ، اوقفوا القتال .

وقال ان العرب كانوا يقصفون من مدافعهم الثقيلة عشر قذائف لقاء كل قنبلة كانت تقذف بها مدافع المورتر اليهودية الخفيفة . وقال أنه سقطت في الحي الذي يعيش فيه خمس قذائف ، واما عدد القذائف التي سقطت في قلب المدينة وفي بحر ساعتين فخمسون . ودام القصف ليلا . وكان تأثيره شديداً .

الفريقان يقبلان الهدنة

وفي ٩ حزيران تلقى الوسيط رد الدول العربية^(١) بامضاء النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية وقد جاء فيه ما يلي :

« سيدي الكونت ،

« تسلمت مذكرتك المؤرخة في ٧ حزيران ١٩٤٨ والمتضمنة المقترحات الاخيرة لتنفيذ قرار مجلس الأمن في ٢٩ أيار ١٩٤٨ بشأن وقف اطلاق النار في فلسطين لمدة اربعة اسابيع .

« ولي الشرف أن اخبرك بأسم حكومات مصر والسعودية ولبنان وسوريا ، باننا نوافق على تلك المقترحات لنبرهن على رغبتنا الصادقة في التعاون مع هيئة الامم لوضع حل سلمي عادل لقضية فلسطين . والحكومات التي امثلها توافق على المقترح القائل بأن تبدأ الهدنة من يوم الجمعة ١١ حزيران ١٩٤٨ من الساعة السادسة صباحاً .

«واني أرغب في أن أعرب لكم عن ثقة الحكومات العربية التامة في عزمكم على تنفيذ قرار مجلس الأمن بعدالة .

« وختاماً أقبّلوا فائق الاحترام . »

وفي الساعة الثامنة من بعد ظهر ذلك اليوم تلقى الكونت رد اسرائيل أيضاً بالموافقة . فشعر الكونت^(٢) اثر ذلك ، بالغبطة والسرور . وضرب الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الموافق ١١ حزيران موعداً لوقف القتال .

(١) كتب الرد باللغتين الانكليزية والفرنسية . وقد سلمه الى الكونت برنادوت ضابط مصري ارسله عبد الرحمن عزام باشا الامين العام لجامعة الدول العربية .

(٢) هكذا قال في مذكراته التي نشرت بعد وفاته .

قبيل الهدنة الاولى

وقام العرب ، في ١٠ حزيران ، بقصف مدفعي على الأحياء اليهودية في القدس ، وعلى مواضع القتال اليهودية في الجبهات الاخرى ، مستعملين ؛ لأول مرة ، مدافع من عيار مئة رطل وقيل اذ هذا القصف كان أشد من أية مرة سبقت . وأراد المناضلون يومئذ ، بالاشتراك مع فريق من رجال الجيش العربي ، ان يحتلوا النوتردام . الا ان القيادة منعتهم . ومع ذلك فان التراشق بالرصاص والقنابل والألغام لم ينقطع تلك الليلة من الجانبين . فقتل من اليهود خلق كثير . والم بهم يأس شديد^(١) . وأما العرب فلم يقتل منهم يومئذ سوى أربعة : اثنان من رجال الجيش العربي ، ومقدسيان ، وطالبة من طالبات دار الايتام . وتعرضت دور القنصليات الأجنبية أيضاً لقذائف المدافع الطائشة : لا فرق في ذلك بين انكليزية وفرنسية واميركية وتركية ويوغسلافية . حتى الدار التي كانت تقيم فيها لجنة الهدنة فقد اصيبت بعدد من القذائف . ودام القصف ليلاً .

هذا في قطاع القدس .

واما في القطاعات الاخرى فقد أراد اليهود ان يبرهنوا على أنهم قادرون على المضي في القتال فقاموا ببعض الهجمات على الجيش العراقي في قطاعي جنين ورأس العين ، وعلى الجيش العربي في قطاع اللطرون ، وعلى الجيش المصري في جنوب فلسطين . ولكنهم صدوا في جميع هذه القطاعات . واحزرت القوات السورية التقدم في مناطقها واحتلت بعض القرى .

(١) قال الكاتب اليهودي Harry Levin في الصفحة ٢٤٣ من كتابه Jerusalem Embattled ما يلي : «اننا اليوم في ١٠ حزيران . والقدس ما برحت في خطر شديد ، رغم طريق بورما الجديدة . فليس لدى الجنود طعام الا قليل من الخبز ... وليس ثمة وقود ، لا في المنازل ولا في الافران . عدد الرجال قليلون . انهم ينقصون ولا يزيدون . والموجودون منهم الادررون على القتال في تنقل مستمر : تارة هنا وطوراً هناك . في الطرق والخنادق ، والجبهات . تارة في الشمال وطوراً في الجنوب . يكادون يموتون من الجوع والتعب . اسلحتهم ناقصة . وعتادهم قليل ... وليس باستطاعتنا ان نأتي بالسلاح او الذخيرة او المؤن . ذلك لاننا محصورون . حتى طريق بورما الجديدة ، فانا لا نستطيع ان نستعملها كما نشاء . ذلك لانها لا تصلح للاستعمال . ولن تصلح الا اذا عمدت واصلحت اصلاحاً تاماً . وهذا يحتاج الى وقت ورجال . وما هي الاحياء الغريبة تكاد تتمزق من شدة القصف .

إذا لا بد من الهدنة . انها رحمة . والا قتلنا العرب جوعاً » .

الهدنة الاولى

في ١٠ حزيران ١٩٤٨ أعلن رسمياً ان الفريقين ، العرب واليهود ، قبلا اقتراح مجلس الأمن بوقف القتال ، وان القتال سيقف في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي .

وفي ١١ حزيران أصدرت قيادة الجيش العربي في عمان وقيادات الجيوش العربية الاخرى اوامرها بوقف القتال . فوقف . وأعلن رسمياً ان هدنة مدتها أربعة أسابيع ، قد بدأت . وان الوسيط سيسعى خلال هذه المدة لايجاد حل لقضية فلسطين .

فاستاء العرب لهذا القرار . وأما اليهود فقد تنفسوا الصعداء . وراحوا يرقصون في الشوارع طرباً . وراح بعضهم يقبل بعضاً . واذاعت صحفهم نبأ هذه البشري باحرف بارزة . ولم يكن فرح القادة ، قادة جيش اسرائيل ، بأقل من فرح الشعب . إذ كانت الحرب عليهم أشد مما كانوا يتوقعون^(١) . ولا سيما في القدس ، حيث كان الجيش العربي يطر الأحياء اليهودية بوابل من قنابله . وقتل منهم ما ينوف عن ٤٠٠ شخص . هذا بالاضافة إلى من مات منهم جوعاً وعطشاً ، وإلى ما تهدم من منازلهم ، وما انحط من معنوياتهم .

وقد لا يخلو من فائدة أن ندون فيما يلي البيان^(٢) الذي القاه زعيم الارغون (مناحيم بيغن) وقد جاء فيه :

« ما ان أعلنت الدولة اليهودية حتى دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين . أما جيش اسرائيل فلم يكن لديه سوى ٨٠٠٠ مقاتل . وقد أحس حكام تل ابيب بالخطر ، ووجه بن غوريون نداء إلى العالم ، يطلب فيه مساعدة الدول الصديقة . وتواردت الأنباء من جميع المدن والمستعمرات اليهودية ان الشعب اليهودي اصابه الخوف ، وخصوصاً اهل القدس الذين شهدوا فشل القوات اليهودية في فتح طريق باب الواد

1) «Seve Fallen Pillars » By Jon Kimche P(i 245

٢) جريدة (الحياة) البيروتية بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ٤٨ وكتاب (غيرة فلسطين) لموسى العلمي ١٩٤٩ ، طبع بيروت ، الصفحة ٢٨ .

وتموينهم ، وكان الجيش العربي قد دخل القدس وبدأ يقصف احياءنا بمدافعه الثقيلة .
فجعل الشعب اليهودي يقوم بالمظاهرات الصاخبة ، داعياً إلى إنهاء الحرب بأي ثمن .
وعندها طلب إليّ بن غوريون ان اذهب إلى القدس ، واتولى حفظ النظام فيها والدفاع
عنها . وصلت إلى المدينة والشعب اليهودي فيها ثائر يطالب بالخلاص . فأعلنتُ
الأحكام العرفية ومنع التجول . واخذتُ الشبان ووضعتُهم في الخطوط الأمامية للدفاع
عنها . ولكن لا سلاح ولا عتاد ولا غذاء ولا ماء إلا قنابل الأعداء . وكانت الدوائر
الصهيونية تعمل لارسال رسول سلام إلى فلسطين ، وعقد هدنة مؤقتة ، تتلاشى معها
الفضيحة الكبرى . ووردت الأنباء بان رسول السلام في طريقه إلى فلسطين . وتمت
الهدنة ، فجئنا إلى يهود القدس بالطعام وبعض الماء وكانت الهدنة في صالحنا ، فاستعددنا
وجلبنا الأسلحة والعتاد والمتطوعين والمحاربين من الخارج ... »

ولا نعرف حتى الآن كيف ولماذا قبلت الدول العربية الهدنة ، وقد كان الوضع ،
بوجه عامة في صالحها . وساد الاعتقاد يومئذ ان الدولة التي ارادت الهدنة وعملت لها
اكثر من غيرها هي المملكة الاردنية . وثبت بعد حين أن الحكومة المصرية أيضاً كانت
تواقة لعقد الهدنة نزولاً على رغبة قادة الجيش المصري .

ولقد قرأت في الصفحة ٢٠١ من التقرير الذي وصفته (لجنة التحقيق النيابية في
قضية فلسطين) .. ذلك التقرير الذي رفعته إلى مجلس النواب العراقي بتاريخ ٤ أيلول
١٩٤٩ .. ان الفريق الركن نور الدين محمود فاه ببيان أمام اللجنة السياسية لجامعة الدول
العربية جاء فيه « انه لم تكن هناك أسباب عسكرية ملحة تلجئ الحكومات العربية إلى
التماس الهدنة ، أو قبولها . »

وجاء في التقرير نفسه أيضاً ما يلي : « المفهوم ان الدول العربية تعرضت لضغط
سياسي شديد من الدول الكبرى بقصد حملها على قبول الهدنة . »

وادعت الوزارة العراقية انه لا علم لها بالعوامل السياسية التي حدثت بالحكومات
العربية لقبول الهدنة ، وأنه ليس لديها ما تقوله بشأن الكيفية التي تم بها هذا الضغط .

وقال رياض الصلح رئيس وزراء لبنان في كتابه الذي أرسله إلى مزاحم الباججي
رئيس وزراء العراق بتاريخ ١٤ آب ١٩٤٨ : « ان ممثلي شرق الاردن بلغونا قبل قرار

مجلس الأمن وعند الاجتماع في عالية ان شرق الاردن لا يمكنه ان يرفض قرار هذا المجلس حتى ولو رفضته جميع الدول العربية . »

وقال أيضاً : « ان القيادة العراقية أعلنت عندئذ ان الجيش العراقي في حالة انسحاب لجيش الاردني ينسحب هو أيضاً من الميدان دون ريبة . » وهذا ما وقع .

وقال عبد الرحمن عزام ، الأمين العام لجامعة الدول العربية ، بعد ان رفع استقالته إلى مجلس الجامعة في ١٠ أيلول ١٩٥٢ وقُبلت ، انه لم يوافق على الهدنة الاولى بعد ما ثبت له من المعارك الاولى ان العرب يستطيعون قهر اليهود لو اخلصوا النيات . ولما أعلنت الهدنة الاولى ضد رأيه كتب استقالته من الجامعة في اليوم نفسه . ولكنه عاد فاستردها نزولاً على رغبة النقراشي رئيس وزراء مصر في ذلك الحين .

حدثني فارس بك الخوري ممثل سوريا في هيئة الأمم - وكان عند فرض الهدنة الاولى عضواً في مجلس الأمن ، انه العضو الوحيد الذي خالف قرار الهدنة ، وان القرار اعطي بأكثرية سبعة أصوات ، وليس بصحيح ما قيل عنه من انه نصح حكومته بقبول الهدنة ، والحقيقة هي انه لا هو ولا احد آخر من زملائه ممثلي الدول العربية في هيئة الأمم نصح بقبول الهدنة ، وكل ما قالوه لحكوماتهم ، عندما استشيروا في الامر ، ان قبول الهدنة ورفضها متوقف على الوضع العسكري في فلسطين . فاذا كانت الجيوش العربية قادرة على القتال ، فترفض الهدنة ، وإلا ، فلتقبلها ...

اليهود يخرقون الهدنة

خرق اليهود الهدنة ولما ينقض على اعلانها اكثر من ثلاث ساعات^(١) . فبعث الأمين العام لجامعة الدول العربية ، عزام باشا ، إلى الوسيط الدولي كتاباً جاء فيه « ان هذه الدول مضطرة بكل أسف ان تعتبر الهدنة لاغية ، بسبب خرق اليهود لها وقيامهم باعمال تنافيتها . »

ولكن هذه الدول لم تنفذ تهديداتها . بل سكتت على مضض . وراح اليهود يستوردون

السلاح ، ويحشدون المقاتلين من كل صوب . وما كانت ساعة من ساعات الليل او النهار تمر دون ان يسمع فيها ازيز الرصاص يلعلع في ناحية من انحاء القدس (٢) .

بلى وربك ؛ فقد خرق اليهود الهدنة من نواح عديدة ، منها واهمها :

(١) تموين الجزء اليهودي من القدس بمقادير من المؤن اكثر بكثير من المقادير التي اقرتها لجنة الهدنة .

(٢) ادخال المقاتلين .

(٣) تزويدهم بالسلاح والعتاد .

وهذا ما جعل كفتهم ترجع عند ما استؤنف القتال .

طريق بورما

اتم اليهود ، في فترة الهدنة ، فتح الطريق الجديدة التي اسموها (طريق بورما) . اتموها في ١٢ حزيران ١٩٤٨ . وقد شرعوا في فتحها عندما تسلم الجيش العربي قطاع اللطرون ، (١٨ أيار) وراح يسيطر على ذلك القطاع وعلى طريق باب الواد . واليك ما فعله اليهود يومئذ :

فقد بدأوا يفكرون في الاستعاضة عن طريق باب الواد في ١٨ أيار إذ انتدبوا يومئذ ثلاثة من مشاتهم ليجوسوا خلال الديار ، ويبحثوا عن طريق يمكن الاستعاضة بها عن باب الواد من اجل وصل القدس وجبالها بالسهل . على ان تكون الطريق الجديدة متاخمة قدر المستطاع لساحة القتال في اللطرون . فسار المشاة الثلاثة ليلاً . ووصلوا خلدة عند مطلع الفجر . فابرقوا إلى قيادتهم يقولون انهم وفقوا في مهمتهم ، ووجدوا ضالتهم . ورجعوا إلى القدس ورجع معهم ثلاثون مقاتلاً من رجال البالماخ .

وأرسل في اليوم التالي ، ١٩ أيار ، ثلاث سيارات من طراز جيب لارتياح الطريق نفسها . وكان مع القافلة ، المرة هذه ، عدد من البغال . فشقوا طريقاً ، وان شئت فقل ،

(٢) مذكرات برنادوت . ص ١٤١

وسعوا الطريق الرجلية القديمة . مستخدمين من اجل ذلك مئتين وأربعين شاباً وشابة من المهاجرين الذين جاءوا حديثاً من معتقلات قبرص . وضاعفوا جهودهم في سبيل انشاء هذه الطريق في ١ حزيران ١٩٤٨ بعد أن احتلوا بيت جزويت سوسين . وراح المهندسون بعدئذ يبحثون عن توسيعها وتعييدها . وكانت في كل مرة تصبح أحسن من المرة التي سبقتها . واستعملها اليهود لاغراضهم الحربية رغم انها عبارة عن اتربة وصخور ووعور ومنعطفات خطيرة ومنحدرات وعرة ، انها مليئة بالاخطار ، لا تتسع لسيارتين في وقت واحد . إذا ما التقتا لا بد للواحدة منها أن تنتحي جانباً من الطريق حتى تمر الاخرى .

وقصارى القول : انها طريق عسكرية ووعرة للغاية . تبدأ عند خلدا وتنتهي عند التلال الواقعة إلى الجنوب من باب الواد . أنشأها رجال الهاغانا سرأ ، وكانوا يشتغلون بها ليلاً . وقد استخدموا لانشائها كل ما لديهم من فطنة ودهاء لئلا يكتشف العرب أمرهم . فقد حظروا على العمال أن يتكلموا أثناء العمل ، أو ان يستعملوا الضوء من أي نوع كان . وما كان لهم ان يستعملوا أية آلة من الات الحفر ، ونقر الصخور ، خشية ان يراهم ويسمع صوتهم العرب . وكل ما كان بأيديهم لتكسير الحجارة ازاميل اعتيادية للنحت ومطارق مصنوعة من الخشب . وكانوا يصبون على الأرض مقادير كبيرة من الزيت لئلا يثور الغبار ، فيلفت الانظار .

انهم فعلوا ذلك أثناء الهدنة . ولم يقف المراقبون الدوليون في وجوههم ، ولم ينهوهم عن عملهم . فقد ذكر الكاتب اليهودي (ارثور كوستلر) في كتابه (وعد ووفاء) ص ٢٣٨ أنه رافق المستر الكيس Aleais من مراقبي هيئة الامم في رحلة قام بها هذا ليرى الاعمال التي كانت قائمة هناك ، فذهبا باديء ذي بدء ، إلى خلدا . وهناك تركا سيارة هيئة الامم ، وامتطيا سيارة عسكرية وضعها تحت تصرفها البرينمادير رابنيوفيتش قائد الجيش اليهودي الذي كان يحارب في ذلك القطاع ومساعد المايجور بتروولف اللندني من ضباط الجيش البريطاني . ذلك لان الطريق لم تكن قد تمت ، وكان السفر عليها في سيارات هيئة الامم خطراً .

ورأى جنود الجيش العربي الذي كان مرابطاً في التلال القريبة من ذلك المكان ، الكاتب وصحبه وهم يقطعونها . ولكنهم - على ما يقول الكاتب - لم يطلقوا عليهم النار بسبب الهدنة .

كذلك كانت طريق بورما عندما استؤنف القتال . وكان بالامكان استعمالها رغم انها لم تكن مرصوفة . ولقد تم رصفها في ١٠ آب أي بعد اعلان الهدنة الثانية .

وما كان اليهود لينجحوا في شق هذه الطريق التي أفادتهم كثيراً لو كان الجيشان الاردني والمصري على اتصال . فقد كانا رغم المسافة القصيرة التي بينها ، منفصلين : الاردني يربط على التلال الواقعة بين اللطرون ودير ايوب . والمصري في القطاع الواقع إلى الجنوب من وادي الصرار^(١) .

ترويد يهود القدس بالمؤن

كانت المهمة الرئيسية في نظر اليهود ان يموتوا القدس في فترة الهدنة ، تمويماً يضمن لهم الثبات والنصر ، فيما إذا استؤنف القتال مرة اخرى .

وعبثاً حاول الوسيط ان يقنعهم انه لا يجوز لهم ان يزيدوا مؤنهم بحيث تكون المقادير المتبقية لديهم عند انتهاء الهدنة اكثر مما كان لديهم منها عند بدئها .. وكان هذا هو رأي لجنة الهدنة القنصلية التي عينها مجلس الامن . وقد قدرت هذه المؤن التي تحتاج اليها القدس ، خلال فترة الهدنة ، بثمانية الاف وخمسمائة طن ، معتبرة ان الشخص الواحد من السكان يحتاج إلى ٣١٠٠ وحدة حرورية Calories في اليوم الواحد .

ولكن اليهود لم يعبأوا بما قيل لهم . وراحوا يستوردون المؤن تحت سمع المراقبين الدوليين وبصرهم . ولاجل الوصول إلى غايتهم اتموا انشاء (طريق بورما) . التي ذكرناها في الفصل المتقدم

فدخل القدس ، خلال فترة الهدنة ، زهاء ثمانية آلاف سيارة محملة مؤناً ، هذا بالاضافة إلى عشرة آلاف رزمة أرسلت ليهود القدس هدايا من مختلف انحاء العالم .

وتمكن اليهود ، في غضون الهدنة من تموين مستعمراتهم الاخرى في سائر الجبهات .

(١) قال (ش . غزيت) وهو كاتب عسكري يهودي اشترك في معارك باب الواد ، ان اليهود ما كانوا ينجحوا في انشاء هذا الممر المعروف بطريق بورما لو كان هناك اتصال بين الجيش العربي والجيش المصري في تلك البقعة من قطاع باب الواد . ولو اتصل الجيشان هناك لما تمكن اليهود من شق هذا الممر ، ونظمت القدس معزولة عن الساحل عزلاً تاماً .

ترويد يهود القدس بالماء

وطلب الوسيط من الحكومات العربية ان تزود اليهود القدس بالماء . ولما رفضت هذه طلبه احتج عليها احتجاجاً شديداً ، قائلاً ان هذه مسألة انسانية لا يجوز للعرب ان يتعنتوا في صددها . هذا رغم انه لم يكن مفروضاً في شروط الهدنة تزويد اليهود بالماء الذي حرموا منه قبل الهدنة .

ولم يترك الوسيط ؛ من أجل حل هذه المشكلة ، باباً الا وطرقه .

وكان أول من تحدث اليه في هذا الموضوع (٢ تموز) البريغادير لاش قائد الفرقة الاولى للجيش العربي . فاقنع هذا برأي الوسيط ، ووعدته بتقديم كل ما في امكانه من تسهيلات لحل هذه المشكلة^(١) .

وتحدث الوسيط إلى توفيق باشا ابى الهدى رئيس الوزارة الاردنية في الموضوع نفسه ، فوافقه هذا في رأيه ، ووعد ببحثه مع الملك . وقال الكونت في مذكراته^(٢) انه استطاع ان يستنتج من حديثه مع الوزراء يومئذ ان الاردن ميال للتساهل في الموضوع^(٣) .

ولقد برّ هؤلاء بوعودهم . اذ كنا نرى ، في فترة من الزمن سيارات الجيش العربي تنقل الماء عبر حي الشيخ جراح العربي إلى المباني اليهودية القائمة على جبل الزيتون . وان كنا لا نستطيع ان نجزم فيما اذا كان رجال الجيش (غاوب ولاش) فعلوا ذلك من تلقاء انفسهم ، أو انهم حصلوا على اذن المليك .

موقف اليهود والمصريين من الهدنة

وقصارى القول فعل اليهود ، خلال فترة الهدنة ، كل ما في وسعهم ، ليس فقط لتقوية خطوط القتال في مناطقهم ، بل وللتسلل عبر المناطق التي كانت بيد العرب ، واحتلال المواقع الاستراتيجية المسيطرة على ما حولها ليقفزوا منها ، يوم تنتهي الهدنة ، إلى الامام .

(١) مذكرات برنادوت ، ص ١٤٢

(٢) مذكرات برنادوت ، ص ١٤٦

(٣) بعد هذا اقرأ ما كتبناه عن نسف محطة المياه في اللطرون بتاريخ ١١ اب ١٩٤٨

وكانت هذه النية ظاهرة في اعمالهم في الجبهتين الاردنية والمصرية . فقد ذكرنا في السطور المتقدمة ما فعلوه في قطاع القدس . ونود ان نذكر هنا ما فعلوه في الجبهة المصرية . حيث احتلوا ، في اليوم الاول للهدنة ، قرى عجدس ؛ وبيت داراس ، وجسير ، وجولس . هذا في الشمال . واما في الجنوب فقد احتلوا عصلوج الكائنة على الطريق من بئر السبع والعوجا وخضير . وراحوا يحصنون هذه القرى لثلاثيكر المصريون عليها ، فيحتلوها عندما تنتهي الهدنة .

ويقول جمال عبد الناصر في مذكراته التي نشرها بعد وقف القتال « ان هم القادة المصريين كان يومئذ منصرفاً إلى اعداد التقارير الضافية عما جرى من يوم بدأت المعركة إلى ان فرضت الهدنة ، ووصف حماس الجنود الذين كانوا كلما اقتحموا مستعمرة (؟) يهتفون بحياة قائدهم الاعلى صاحب الجلالة الملك فاروق . وهو ما لم يحدث بالقطع ... (١) »

محاولات الوسيط للتوفيق بين الفريقين

في ١٦ حزيران عقد في القاهرة اجتماع حضره الوسيط الدولي ، الكونت برنادوت ، ورئيس الوزارة المصرية محمود فهمي النقراشي باشا ، ورئيسا وزراء الاردن ولبنان ، والامين العام للجامعة العربية . فأكد الحاضرون للوسيط انهم لا ولن يقبلوا اي حل ينطوي على الاعتراف بتقسيم فلسطين ، وقيام دولة لليهود فيها . وطالبوه بايجاد حل يضمن للفريقين ان يعيشا بأمن وسلام في دولة فلسطينية موحدة ، وعلى اسس ديمقراطية ثابتة .

فقال الوسيط ، ان حلا كهذا وان كان يبدو قريباً إلى العقل والمنطق ، إلا انه غير قابل للتنفيذ : اولا لانه يخالف القرار الذي اصدرته هيئة الامم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ والذي يقضي بالتقسيم . ثانيا : لان اليهود انفسهم لن يقبلوه ، وهم قد اعلنوا دولتهم ، وقالوا انهم لن يقبلوا عنها بديلا .

(١) اقرأ العدد ١٠٤٦ من مجلة (اخر ساعة) بتاريخ ١٠ / ٣ / ١٩٥٥

الباخرة (الطالينا) والاسلحة التي هربها اليهود في فترة الهدنة

لم يتم الوسيط الدولي ، خلال فترة الهدنة ، بأي اجراء جدي لمنع اليهود من تهريب السلاح الى البلاد . فقد قام هؤلاء باستيراد الاسلحة في وضح النهار تارة وتهريباً في طي الخفاء اخرى . واليك الحادث التالي الذي اتوا بالسلاح فيه على مرأى ومسمع منه ومن مساعديه المراقبين الدوليين : -

ففي اليوم العشرين من شهر حزيران سنة ١٩٤٨ رست على شاطئ البحر في (كفار فيتكين) إلى الشمال من ناتانيا باخرة تدعى (الطالينا) حولتها اربعة آلاف طن يقودها (مونرو فاين) ، وكانت هذه الباخرة محملة اسلحة وذخائر ابتاعتها جماعة من المنظمة الارهابية المعروفة بـ (ارغون تسفاي ليومي) . وابتاعوها باموال حصلوا عليها من أثرياء اليهود في الولايات المتحدة . فاستقبلها على الشاطئ رئيس هذه المنظمة الارهابي المعروف مناحيم بيغن ، وجاء على الباخرة نفسها بيتر برغسون رئيس لجنة التحرير القومي العبري الذي تولى شحن تلك الاسلحة ، وكان في الباخرة تسعمئة متطوع من اليهود الاميركيين جاءوا ليقاتلوا في سبيل اسرائيل يقودهم الياهو لانكن من قيادة الارغون . واما الاسلحة التي حملتها الباخرة فكانت عبارة عن خمسة آلاف بندقية واربع ملايين طلقة انكليزية من عيار ٣٠٣ وثلاثمئة مدفع من المدافع الرشاشة من طراز برن ومئة وخمسون مدفعاً من طراز هوشكس وخمس دبابات مدرعة وعدد من السيارات وآلاف من القنابل المضادة للطائرات ومقادير اخرى من الآلات المعدة للقتال .

وتظاهر بن غوريون رئيس حكومة اسرائيل المؤقتة انه غير راض عن هذا العمل ، ذلك لان ادخال الاسلحة والمواد الحربية إلى البلاد والهدنة قائمة محظور بموجب اتفاقية الهدنة ، ذلك الاتفاق الذي تم على يد الوسيط الدولي الكونت برنادوت ، وكذلك قل عن ادخال المقاتلين : - فانذر بيغن طالباً منه أن يوقف التفريغ وأن يسلم الاسلحة التي افرغها إلى الحكومة وان يبقى المهاجرون في السفينة ، فاجابه بيغن بقوله : انا لم اقبل انذاراً كهذا من البريطانيين ، فكيف اقبله منك !!

وقيل ان الفريقين ، الارغون والهاغنا ، راحا يتبادلان النار !! وكان قد وصل إلى ذلك المكان عدد من المراقبين الدوليين فعاد رجال الارغون وفي طليعتهم بيغن الى الباخرة وكانت هذه تحمل على صاريها علم اسرائيل .

وفي اليوم الثاني (٢١ حزيران) وبعد ان كان الظلام ارخى سدوله (!) ابتعدت الباخرة عن الشاطئ وفي صباح اليوم الثالث (٢٢ حزيران) كان مركب صغير يؤم شطر الشاطئ حاملاً بعض الرشاشات وصناديق الذخيرة فأفرغ شحنته على مرأى من رجال الهاغنا ، ولم يحرك هؤلاء ساكناً . . . ولا اطلقوا عليه النار ، ولما جاء المركب الثاني ، وكان ساعتئذ قد وصل كبير المراقبين ، أصدر بن غوريون امره باطلاق النار على المركب ولا يعلم أحد فيما إذا كان أحد من الفريقين قد اصيب وان قال قائل ان عدد القتلى والجرحى بلغ يومئذ المئة . وسرى خبر هذا الاشتباك (؟) الى الجهة ، فراح المحاربون من رجال الارغون يفرون مولين وجوههم شطر البحر وقامت بين الفريقين معركة كان رجال الهاغنا يرمون من ورائها الى التخلص من منافسيهم رجال الارغون ، ليس الا ، وكانوا يخشون أن يستعمل هؤلاء الاسلحة ، التي اتوا بها ، فيضعوا ايديهم على الحكم .

واصطادوا في الوقت نفسه ، عصفوراً آخر ، فأفهموا المراقبين الدوليين الذين هرعوا الى مكان الحادث انهم (أي رجال حكومة اسرائيل المؤقتة) متمسكون (!!) الشروط الهدنة .

ولم يكن المراقبون الدوليون اقل اخلاصاً (؟) لواجبهم حيال الهدنة من رجال بن غوريون ، فقال قائل منهم وهو يرقب ما جرى من شرفة الفندق المسمى (كيتي دان) انه لا يستطيع أن يفعل شيئاً (؟) او ليس في الاوامر التي وجهها مجلس الأمن الى المراقبين الدوليين ما يخولهم حق التدخل في (حرب اهلية) كهذه !!!^(١) واما بيغن فيقول ان رجال الارغون حالوا دون وصول المراقبين الى الباخرة . لا ، ولا سمحوا لهم برؤية ما انزل من الاسلحة .

«١» اقرأ ما كتبه كنيث بيلي في كتابه « نجم جديد في الشرق الاوسط : ١١٩ - ١٢٥ » .

وبعد أن كان رجال الارغون قد انتهوا من مهمتهم وانزلوا ما في السفينة من سلاح ورجال امر بن غوريون باطلاق نار المدافع عليها ، فاطلقت وفي اقل من ساعة كانت النيران قد التهمتها ويقول بيغن أن الاسلحة التي تم انزالها من الباخرة قبل حرقها هي الفان من البنادق الحديثة ومثتان وخمسون مدفع برن وزهاء مليون طلقة فقط .

وذكر شاريت وزير خارجية اسرائيل ، في مؤتمر صحفي عقده في صبيحة اليوم التالي ، انه لا صلح بعد اليوم مع الأرغون !!! وقد حضر المؤتمر نفسه رئيس الاركان الكولونيل ييغال يادين ، وكتب المراقبون الدوليون الى مجلس الامن في ليك سكسس يقولون : -

« ان العسكريين المسؤولين من اليهود مخلصون (!) في اعمالهم وانهم قائمون بالتزاماتهم وتعهداتهم من حيث الهدنة ! ... وان الذين ادخلوا السلاح والعتاد والفتيان والفتيات في سن القتال - خلافاً لشروط الهدنة - هم رجال الارغون ! ... وليسوا برجال الهاغنا المسؤولين !! »

ولم يمض على هذه التمثيلية سوى يوم أو بعض يوم حتى عادت المياه الى مجاريها ، فعاد الوزيران اللذان كانا قد استقالا من الوزارة الى عملهما وهما الحاخام يهودا فيشمان المسؤول عن الشؤون الدينية (وقد سمي نفسه بعدئذ ميمون) وموشه شابيرو المسؤول عن شؤون الهجرة . واطلق سراح الموقوفين الذين قاموا بتهرب الاسلحة وكلهم من رجال الارغون ، منهم برغسون الذي ذكرناه في السطور المتقدمة ومونرو فاين ربان الباخرة وهو يهودي من شيكاغو . والاهم من هذا كله ان الاسلحة التي حملتها الباخرة وهي آلاف من البنادق والقنابل اليدوية والاسلحة الاوتوماتيكية وصناديق الذخيرة كانت قد استقرت في مخازن الاسلحة ، وقد استعملت ضد العرب فور استئناف القتال .

ومما يدلنا على أن الصدام الذي جرى بين الهاغنا والارغون في هذا الحادث كان مصطنعاً قول بيغن زعيم الارغون « ان بن غوريون وحكومته كانوا على علم سابق بامر الباخرة وانه كان قبل وصول الباخرة قد بحث مع اسرائيل غاليلي مساعد وزير الدفاع مسألة تقسيم السلاح الذي كانت تحمله بين افراد الجيش النظامي ورجال الارغون ، وان النزاع نشأ من جراء اصرار الجيش على ان تكون جميع الاسلحة

والذخائر في حوزته هو وحده . « (١) وفي موضع آخر من كتابه (٢) قال بيغن ان جماعة الارغون كانوا ينوون أن ترسو الباخرة على شاطئ تل أبيب ، ولكنهم عادوا فقررروا ان ترسو في (كفار فتكين) نزولا على رغبة وزارة الامن لتلا يراها المراقبون .

ليس هذا فحسب ، فقد اكد المراقبون الدوليون ان اليهود شرعوا في تهريب الاسلحة من اليوم الذي بدأت فيه الهدنة .

فقد قال الكونت برنادوت في مذكراته ما يلي : - في مساء اليوم الذي بدأت فيه الهدنة جاءني الكولونيل بوند ، الخبير العسكري الذي كان يرافقني وقص علي من انباء استعدادات اليهود العسكرية ما اكد لي مخاوفي السابقة ، وما جعلني أعتقد ان استئناف القتال سينتهي حتما بهزيمة العرب . «

وقال كنت بيبي الذي عالج مسألة الاسلحة التي هربها اليهود اكثر من غيره من الكتاب أن حكومة اسرائيل تولت بنفسها تهريب الاسلحة إلى اسرائيل عن طريق تشيكوسلوفاكيا ، وانها تابرت على عملها هذا طيلة مدة الهدنة ، ولما طلب الكولونيل بوند Tord Bonde مساعد الكونت برنادوت من الحكومة ان تسمح له بتفتيش الاسلحة التي تم انزالها في (كفار فيتكين) بطرق غير مشروعة رفضت هذه طلبه (٣) .

ولما ذكر الكونت برنادوت حادث الباخرة (الطالينا) في مذكراته قال (٤) : - « ان نبأ وصول هذه الباخرة الى شواطئ اسرائيل لم يكن بالنبأ المفاجيء للمراقبين الدوليين اذ انا كنا على علم سابق بها ، وكان ذلك عندما اخبرنا قبل اسبوع انها غادرت ثغر لوبوك Le Euc الافرنسي على مقربة من مارسيليا ، ولما القت مراسيها على مقربة من تل أبيب ، هرع المراقبون الى الشاطئ ولكن رجال الارغون الذين كانوا قد سبقوهم الى المكان حالوا دون اقترابهم . «

(١) اقرأ الصفحة ١٢٤ من الكتاب نفسه (نجم جديد في الشرق الاوسط) وكذلك الصفحة ١٧٢ من كتاب The Revolt لمناحيم بيغن

(٢) ص ١٥٨

(٣) ص ١١٤

(٤) ص ١١٥

الى ان قال : - « ان الذي قام بذلك العمل واتى بتلك الباخرة تحمل السلاح هم أفراد من عصابتي الارغون وشترن ، وأن الادون شريت وزير خارجية اسرائيل اكد له ان حكومته قد استاءت لعمل هاتين العصاباتين مع ان شريت هذا كان قبل ذلك ببضعة أيام قد اكد لي ان عصابتي الارغون وشترن قد حلنا ، وان أفرادهما قد انضموا إلى الهاغانا ، جيش اسرائيل النظامي » .

وفي موضع آخر من مذكراته قال الوسيط : - « ان السلاح والعتاد والرجال الذين أتت بهم منظمة الارغون بين الهدنة الأولى والثانية على ظهر الباخرة الطالينا ، قلب التوازن العسكري بين العرب واليهود ، في جميع ميادين القتال ، ولا سيما في مدينة القدس » .

هذا ما عرفناه من مختلف المصادر ، عن حادث الباخرة (الطالينا) ومن شاء المزيد عليه أن يقرأ الكتاب الذي وضعه بكل هذا الحادث (مناحيم بيغن) (١) وهو قائد منظمة الارغون الذي اعترف انه تكلم مع الرجال المسؤولين عن الحكم في حكومة بن غوريون عن هذه الباخرة والأسلحة التي تحملها قبل وصولها ، وانهم وافقوا على كل شيء وأشاروا بضرورة وصول الباخرة إلى الشاطئ وتفريغ اسلحتها باقصى ما يمكن من السرعة ، وان الفريقين (الهاغانا والارغون) اتفقا في أي مكان يجب ان ترسو الباخرة ، وكيف تفرغ شحنتها ، وكيف توزع ، وقال انه تم الاتفاق يومئذ على ارسال خمس الاسلحة إلى القدس ، وتوزيع الباقي على الكتائب المؤلفة من هاغانا وارغون في الجهات الاخرى .

وقال : ان تلك الاسلحة افادت اليهود في معارك اللد والرملة ، وهي التي قررت مصير هذين البلدين ، وان الطلقات التي حملتها أفادت ، ليس البرنات التي حملتها بل والتي كانت لديهم من قبل ولكن لم يستعملوها لنفاذ عتادها ؛ وان المحاربين الذين اقلتهم (٩٠٠) اشتركوا في جميع المعارك في البلاد بعدئذ : من ترشيحا الى العقبة ، وان السلاح الذي حملته الباخرة (الطالينا) انقذ يهود القدس من الفناء ، فقد كانت هذه (اي القدس) قبل ذلك ، منفصلة عن الجهات الاخرى ، ولم تكن سيطرة اليهود قد امتدت اليها . وكان الزعامة الرسمية (الصهيونية) ، بقبولها قرار التقسيم ، قد رضيت بتدويلها ، وكانت

(١) الصفحات ١٥٤ - ١٦٥ من كتابه The Revolt

القدس تئن تحت الحصار والضرب وتصرخ طالبة السلاح ، ولا سنيها بعد النكبة التي اصابت الهاغانا من الصميم في (الني دانيال) (١) والتي انتصر فيها العرب ، واستولوا على مقادير كبيرة من اسلحة اليهود .

الآن وقد انتهينا من ذكر جادث الباخرة الطالينا نود ان نلخص وضع اليهود من حيث السلاح بما يلي : -

كان سلاح اليهود لا في القدس وحدها ، بل وفي جميع ميادين القتال ، من حيث الكم والكيف ، يدعو للهزة والسخرية (٢) وما كان لديهم طائرات للقتال ، حتى ولا للنقل ، اما الآن وقد قبلت الهدنة وتبدل الوضع فقد استحضروا من السلاح مقادير كبيرة ، معظمه من تشيكوسلوفاكيا ، وراحت الطائرات تطير بانتظام بين براغ وعافر تحمل السلاح من جميع الانواع : بنادق ومدافع واعتدة ودبابات واتوا من الولايات المتحدة (٣) بالقلاع الطائرة ومن انكلترا بالطائرات المقاتلة من نوع Beaufort ومن سائر انحاء اوروبا بالصواريخ والقنابل الثقيلة والرشاشات الالمانية من طراز برن ، والمدافع القوسية (مورتر) من عيار ست بوصات ، والمدافع الاعتيادية من عيار ٧٥ ميليمتراً ، ومدافع الهاون من عيار ثلاث بوصات وسبعة اعشار البوصة ، ولم يشاءوا الانتظار حتى يتم صنع بعض الاسلحة التي اتوا بها من اوروبا ، فقد اتوا بها ناقصة ، وهنا اتوا نواقصها مستخدمين عدداً غير قليل من الخبراء المتخصصين في فن الطيران اغروهم بالمال .

(١) يعني معركة كفار عصيون والدهيشة

(٢) قال بن غوريون لاعضاء الكنيست في جلسة عقدت يوم الثلاثاء الموافق ٢ آب ١٩٤٩ انه لم يكن لدى اليهود في شهر أيار ١٩٤٨ نوع واحد من انواع الاسلحة التي اصبحت لديهم في غضون الهدنة والتي رآها الجمهور بعدئذ في يوم الجيش ، وقال « ارثور كوستلر » في كتابه « وعد ووفاء » ص ٢٤٢ نقلا عن « غرشون اغرونسكي » محرر جريدة «بالستين بوست» انه لم يكن لدى اليهود عند بدء القتال ، سوى اربعة مدافع مورتر من عيار بوصتين ، وكان رجال الهاغانا ينقلون هذه المدافع من مكان الى مكان يوهموا العرب أن مدافعهم كثيرة .

(٣) قال البريجادير كلايتون المندوب البريطاني للجامعة الى محسن البرازي وزير خارجية سورية عندما التقيا في فندق شبرد بالقاهرة في ٢٩ حزيران ١٩٤٨ ان ثلاث طائرات غادرت اميركا تحمل السلاح الى يهود فلسطين ، وقد وقعت احداها في البحر « العدد ٢٠٧٤ جريدة الحياة البيروتية بتاريخ ١٠ شباط ١٩٥٣ »

وقصارى القول ان الهدنة الاولى ما كادت تنتهي حتى كان لدى اليهود على ما قاله الكاتب اليهودي المعروف John Kimche في الصفحة ٢٥٠ من كتابه Leven F. R. جيش لا بأس به ، وكانت لهم قوة للطيران وان كانت صغيرة الا انها لا بأس بها ، وكانوا على استعداد للقتال .

ولقد قاموا اثناء الهدنة الاولى ، باعمال من شأنها ان تحسن موقفهم العسكري منها : - انهم قاموا بهجمات متكررة على كافة القطاعات للحصول على معلومات عن القطاعات العربية : مواضعها ومناعتها ، وكانت طائراتهم تقوم باستطلاعات مستمرة فوق هذه المواضع للغرض نفسه ، وتمكنوا في تصوير معظم هذه المواضع ، ومعرفة تفاصيلها بدقة .

وقاموا بتطهير جيوب المقاومة الكائنة ضمن مناطقهم ، فتمكنوا من طرد سكان بعض القرى العربية من منازلهم ، وبهذا امنوا سلامة مواصلاتهم ، ومن القرى التي احتلوها ودمروها بعد ان طردوا سكانها : جبع ، اكرم ، عين غزال ، فقد هاجموا هذه القرى في ١٦ حزيران ١٩٤٨ (اي اثناء الهدنة) واستمروا يقاتلون اهلها الى ان تغلبوا عليهم .

قال الكاتب السياسي لجريدة (التايمس) اللندنية ، في العدد ٢٧٣ و ٥١ الصادر بتاريخ ٧ يناير ١٩٤٩ ان وزارة الخارجية البريطانية كشفت الستار عن الاسلحة التي تمكنت اسرائيل من استيرادها بواسطة الحكومة التشيكوسلوفاكية رغم القرار الذي اصدره مجلس الامن في ١ ايار ١٩٤٨ والذي حضر فيه على الدول الاعضاء في هيئة الامم تصدير الاسلحة في الوقت الذي امتنعت فيه بريطانيا عن توريد اي نوع من الاسلحة الى الدول العربية رغم وجود اتفاقيات سابقة بينها وبين تلك الدول تقضي بتزويدها باسلحة بريطانية ، فبعد ان لم يكن لاسرائيل ، عند اعلان الهدنة الاولى في ١١ حزيران ١٩٤٨ اكثر من اربع طائرات مقاتلة اصبح لديها ، بعد انتهاء الهدنة وعندما استؤنف القتال ، اربعون طائرة من هذا الطراز ، وكذلك قل عن الطائرات الخفيفة فقد ارتفع عددها من ٤ الى ١٢ وطائرات النقل من ٣ الى ٢٢ وطائرات الجو الاعتيادية من ٤٠ الى ١٤ ، وان معظم هذه الطائرات من طراز مسرشميدت . وبعد ان لم يكن لديها اية

طائرة من قاذفات القنابل الثقيلة ، اصبحت تملك عشر طائرات من هذا الطراز ، بعضها ذو اربع محركات ، وكذلك قل عن المدافع والرشاشات والقنابل المحرقة والمتفجرات والاعتدة وادوات التعمير المختلفة والاسلحة الخفيفة الاوتوماتيكية ، فقد اصدرت تشيكوسلوفاكيا مقادير كبيرة منها الى اسرائيل ، رغم انها - أي تشيكوسلوفاكيا - عضو في هيئة الامم ، وقد وقعت على قرار الحظر الذي اصدرته تلك الهيئة .

ووضعت تشيكوسلوفاكيا تحت تصرف اسرائيل وعملائها مطاراً جويّاً اسمه (زاتيك) (Zatec) كانت الطائرات الاسرائيلية ترسو فيه ، وتطير منه الى اسرائيل وكانت تلك الطائرات تعرج في طريقها الى تل ابيب على مطارات يوغوسلافيا لتزود بالوقود وبعد أن تحلق فوق شاطئ البانيا واليونان والشاطئ الجنوبي لجزيرة كريت تصل الى هدفها المنشود .

وتؤكد المراجع التي استقينها منها هذه الاخبار ان بعض تلك الاسلحة وان كان مصدره شركات خصوصية الا ان معظمه من مصانع حكومية .

وارسلت اسرائيل الى تشيكوسلوفاكيا والى مدن اوربية اخرى عدداً من ابنائها ليتدربوا على استعمال الاسلحة وقيادة الطائرات ، وتطوع لهذا العمل عدد آخر من يهود تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وعدد من المسيحيين المقيمين في هذين القطرين استأجرتهم اسرائيل برواتب مغرية ، وكان بين هؤلاء المستأجرين عدد من الموظفين الفنيين ارسلتهم شركة (سكودا) الى اسرائيل ليساعدوها في تعمير طائراتها المدنية ونقلها الى طائرات حربية .

موقف العرب واليهود من الهدنة

وقصارى القول ان الهدنة الاولى ، التي بسطت جناحها على البلاد في ١١ حزيران ١٩٤٨ ، كانت وبالاً على العرب ونعمة من نعم الله على اليهود ، اذ توفرت لدى هؤلاء خلال فترة الهدنة ادوات القتال على جميع انواعها ، وازداد عدد رجالهم ، ومرنوا جندهم على الرماية ، وانقلبوا من طور الدفاع الى طور الهجوم .

والاهم من هذا كله انهم (اي اليهود) وحدوا صفوفهم ، واستنجدوا باخوانهم في الولايات المتحدة ، فأتتهم منهم اعانات مالية لا حد لها .

وانقلبت الآية ، بوجه عام ؛ فبعد ان كان اليهود ، قبل اعلان الهدنة ، هم الخائفين ، وقد نرح عن مدينة القدس منهم خلق كثير ، ناف عددهم عن الاربعين الفاً ، وبذلك هبط عددهم من مئة الف إلى ستين الفاً ؛ أصبح العرب ، بعد اعلانها ، هم الخائفين ، فرحل معظم العرب ، سكان القدس القديمة ، عن مدينتهم ؛ حتى انه لم يبق منهم فيها خلال الاسابيع الاولى للهدنة ، سوى عدد لا يزيد على الخمسة آلاف ، بعد أن كان عددهم خمسة وستين الفاً ، فريق منهم ، وهم الخلايلة ، رحلوا إلى منازلهم الاصلية في الخليل ، وفريق رحل الى شرق الاردن ، والباقون تبعثروا في المدن الفلسطينية الباقية بيد العرب ك نابلس وأريحا ورام الله وغزة والخليل ، ولم يبق في المدينة سوى الشيوخ والعجزة والفقراء غير القادرين على الرحيل . . . وأصبحت القدس خلال الهدنة في حالة رهيبية : مخازنها مغلقة ، ومعظم منازلها متهدمة ، وشوارعها مهجورة ، ووسائل النقل عزيزة ، والاجور غالية . ذلك لان البنزين مفقود ، وكذلك قل عن سائر انواع الوقود ، وبلغت اجرة السيارة من القدس إلى اريحا عشرين جنيهاً ، ومنها إلى عمان ثلاثين واربعين جنيهاً .

ومما يجدر ذكره أن الرحيل جرى من بابين من ابواب المدينة أحدهما باب الاسباط وقد مر منه النازحون إلى اريحا وشرقي الاردن ، والثاني باب الساهرة ، وقد مر منه النازحون إلى رام الله ونابلس ، واما ابواب المدينة القديمة الاخرى : (باب العمود ، وباب الخليل ، والباب الجديد ، وباب المغاربة ، وباب النبي داود) فانها كانت قد سدت سداً محكماً لاغراض جربية ، والانكى من هذا ان غلوب باشا أمر بجمع السلاح من المجاهدين بحجة وجود هدنة وخوفه من خرق المجاهدين لها ، وتعهده بارجاع اسلحتهم اليهم عندما تنتهي الهدنة ولكنه لم يرجعها ، وعبثاً حاول المناضلون أن يخلصوا على الاسلحة من هنا (١) وهناك ، فان النجاح في هذا المضمار ، كان عسيراً ، لعدم توفر

(١) حدثني أحد قادة الجهاد أنه سافر ، في غضون الهدنة ، إلى الشام . وقابل طه باشا الهاشمي طالباً اليه تزويد المجاهدين بالسلاح والعتاد ، مؤكداً له ولصحبه اعضاء اللجنة العسكرية انهم اذا لم يعطوا ما يطلبون فيصبحون عاجزين عن الدفاع فلم يعطه هذا سوى الف مشط افرنسي وثمانئة الماني ومئة قنبلة ملز .

الاسلحة في البلاد العربية .

ولم يقم الجيش العربي خلال فترة الهدنة بأي ترتيب جدي يدل على انه ينوي استئناف القتال ، او انه يتأهب لصد العدوان ، وما كان يبدو أنه آبه بالاستعداد الذي كان يجري في المعسكر اليهودي ، وكل ما رآه المقدسيون يومئذ أن الجيش العربي ولم يزد عدده عن أربعة آلاف مقاتل في جميع فلسطين ، أنشأ بعض الطرق الجديدة في بعض القرى ، واتى بعدد من البدو المسلحين ونصب على سطح القلعة بباب الخليل ، مدفعاً ليضرب به الاحياء اليهودية المقابلة له نصبه هناك بعد ان فك اجزاءه في خارج السور ، ونقلها على ظهر الجنود ، واما الاسلحة الاخرى فلم يستحضر منها الا النذر اليسير^(١) ذلك لان زمامه كان بيد غلوب باشا الانكليزي ، ولأن هذا كان يعتقد ان هيئة الامم كانت تريد استمرار الهدنة ، ولا تريد استئناف القتال .^(٢)

وكذلك قل عن الجيوش الحليفة الاخرى : فان الجيش المصري وان كان عدده قد ازداد خلال الهدنة الاولى ، فأصبح ١٨,٠٠٠ غير انه لم يتزود من الاسلحة الجديدة الا بعدد من المدافع البريطانية من عيار ٢٥ رطلا ، وآخر من مدافع المورتر من عيار اربع بوصات ونصف البوصة ، وبعده من الطائرات المعروفة بنافثات اللهب ، وابتاع مقادير كبيرة من الاسلحة الاخرى تبين بعد حين انها معطوبة واتهم عدد كبير من رجال مصر بسببها ، كما سنذكر ذلك في حينه .

(١) جاء في الصفحة ٢٥٠ من كتاب Leven Fallen Pillars لمؤلفه Jon Kimche ان الجيش العربي اتى خلال الهدنة الاولى بذخائر بريطانية جديدة وأن هذه الذخائر اتت في باخرتين بريطانيتين جاءتا عن طريق السويس والعقبة .

(٢) جاء في رسالة تنقيتها من غلوب باشا ، رئيس اركان الجيش العربي الاردني بتاريخ ١٥/٢/١٩٥٥ رقم ق / ٤٠ / ١ / ٦١٠ ما يلي :

« ما كنا نفكر أثناء الهدنة الاولى انه سيعاد القتال في آخرها ، وكان قرار الحكومات العربية بعدم تجديد الهدنة واستئناف القتال قراراً مفاجئاً لنا ... »
الى أن قال :

« غير اننا كنا عملنا كل اجتهاد لتقوية اهالي اللد والرملة اثناء فترة الهدنة الاولى ، وارسلنا جميعاً كثيراً من المناضلين والعربان ، وسدحناهم بالاسلحة الممكنة (?) حتى لم يبق لدينا تقريباً ولا بندقية واحدة .. »

ولم تف بريطانيا بتعهداتها لمصر ، رغم انها كانت قد تعهدت بتسليح الجيش المصري ولكنها لم تسلحه سوى بمقدار ضئيل ، وامتنعت عن تسليم الباقي بضغط من الولايات المتحدة ، وازداد عدد العراقيين المحاربين في فلسطين ، خلال الهدنة الأولى ، من ٥,٠٠٠ الى ١٥,٠٠٠ مقاتل ، وعدد السوريين واللبنانيين الى ٨,٠٠٠ واعيد تنظيم جيش التحرير ، وكان عدد رجاله الفين .

ويزعم Gon Kinche الذي اقتبسنا عنه هذه الارقام في الصفحة ٢٥٠ من كتابه S.F.P ان عدد المحاربين في الجيوش العربية السبعة ازداد ، في اثناء الهدنة الاولى ، من ٢٥,٠٠٠ الى ٤٧,٠٠٠ وليس لدينا ارقام رسمية من مصادر عربية تثبت مبلغ هذا القول من الصحة .

ولم يقم زعماء العرب في مختلف اقطارهم بازالة ما بينهم من اختلافات وشكوك لا بل ازادوا خلافا على خلافاتهم السابقة^(١) وراح معظم السكان يرحلون عن منازلهم وراح الدرور ينسلون من الحدود السورية واللبنانية لينضموا الى اليهود وينخرطوا في صفوف الهاغانا .

ولقد زاد في الطين بلة موقف البدو الاردنيين من المناضلين ومن المدنيين من سكان بيت المقدس ، اذ راحوا يعملون في البيوت والمنازل العربية بالشيخ جراح ووادي الجوز والاحياء العربية الاخرى يد النهب والسلب ... ولقد نهبوا وسلبوا ودمروا اكثر مما نهب الاعداء وسلبوا ودمروا ، وما كان احد من سكان بيت المقدس يستطيع الاعتراض على ما فعلوه ، اذ كانوا يتهمون سكان فلسطين كلهم لا المقدسين فقط بالجن والحيانة ، وما كان بمقدور واحد من رؤسائهم ضبط الجيش النظامي ،

(١) خذ لك مثلا على ذلك ما كان يجري في جبل الخليل خلال تلك الفترة العصيبة من الزمن ، فقد جمع المصريون عدداً من وجوه الخليل في ١٧ حزيران ١٩٤٨ وافهموه « ان ابراهيم بك حقي عين حاكماً عسكرياً على الجليل وبئر السبع وبيت لحم من قبل القيادة المصرية العامة . » وما كاد يتسلم منصبه ، حتى جاء في ٤ تموز ١٩٤٨ صالح بك المجالي ، وافهم الاهل انهم هو الحاكم العسكري لهذه المنطقة وانه سيتولى الاشراف عليها باسم الحكومة الاردنية ، وكان هناك حاكم يسمونه مصطفى الرفاعي ، وهو الذي كان يديرها منذ غادرها البريطانيون في ١٥ ايار .

وانقسم السكان الى شيع واحزاب ، هذا يؤيد المصريين ، وذاك يناصر الاردنيين ومصلحة البلاد ضاعت بين هؤلاء وهؤلاء ، وقل اهتمام الناس بها ، وكانت نتيجة ذلك ان سقطت (تل الصافي) بيد اليهود ثم اعقبها بيت جرين وغيرها من القرى ، وسنذكر ذلك في حينه .

أن يردعهم عن غيهم ؛ إذ كانوا يعتمدون انهم جاؤوا لينقذوا البلاد ؛ ومن كانت هذه مهمته ، وهي كما ترى مهمة شاقة وشريفة ، فيجوز له ما لا يجوز للآخرين ، هذا بالاضافة إلى ان جلهم - ان لم اقل كلهم - كانوا من الجهل على جانب عظيم ، حتى أن بعضهم كانوا يظنون - وبعض الظن اثم - ان الشيخ جراح ووادي الجوز وهما من الاحياء العربية الاسلامية المعروفة في القدس ، ليسا سوى أحياء يهودية ، اذاً فلينبوهما ما شاء النهب أن يكون ، كيف لا ؟ ... وفيهما من المنازل الضخمة والرياش الفاخرة ما لا يتيسر الا لليهود شعب الله المختار ! ...

ولقد حدثني من أثق بصدق حديثه أنه رأى شيخاً من مشايخ العربان الساكنين وراء الاردن في سيارة تحمل بعض المنهوبات التي غنمها من الاحياء العربية ، فيها واحد وعشرون صندوقاً من البضائع والاقمشة ، واربعون صينية من النحاس ، وست عشرة سجادة ، وليتهم كانوا - في نهبهم وتدميرهم - اكثر لباقة وتعقلا ، وعرفوا كيف يستعملون ما نهبوه فيما يعود عليهم بالخير والنفع ، بل انهم على النقيض من ذلك ، لم يستفيدوا من ذلك سوى بضع دربهات لا تسمن ولا تغني من جوع فقد كانوا يأخذون الشيء ويبيعونه في السوق بارخص الأثمان ، وما لم يقدروا على اقتلاعه من مكانه كسروه كسراً ، فأخذوا كسرة منه وابقوا الاخرى ، فتصبح كلاهما عادمة الجدوى ، ولئن نسيت فلن انسى انني رأيت في أيدي الباعة وبعض الجهال أوراقاً مقتلعة من كتاب (العقيد الفريد) نهبه الناهبون من مكتبة أديب فلسطين الكبير المرحوم اسعاف النشاشيبي ، راح الباعة يستعملون هذه الاوراق من اجل وضع الفواكه والخضار التي يبيعونها لزبائنهم ، ونهبت مكتبته كما نهبت اكثر المكاتب المقدسية ، وراح عدد كبير من الكتب العلمية والاسفار التاريخية والمجلدات الضخمة نهباً مقسماً بين البدو واليهود الآثمين^(١)

(١) من المكاتب العلمية التي غدت نهباً مقسماً في القدس خلال المعارك الاخيرة (١٩٤٨) مكتبة خليل بيدس ، والدكتور اسحق موسى الحسيني ، واحمد حلمي باشا ، وعبد الرحمن البستاني ، وعمر الصالح البرغوثي ، وعجاج نويهض ، وعادل جبر ، وهزري كتن ، وعبد الله مخلص - و خليل السكاكيني ، وغيرهم من رجالات القدس الذين بشار اليهم بالبنان .

وقصارى القول كانت القدس به مثد في حالة يرثى لها من الخراب والدمار ، فكنت ترى ، اينما حللت وحيثما سرت في أحيائها وشوارعها . الدور متهدمة ، والحيطان متداعية ، والأتربة والحجارة متراكمة ، والجثث تحت الانقاض ؛ الامر الذي جعل من العسير اجتياز الشوارع ، وكان الخراب ظاهراً للعيان في عمارة النوتردام ودير القربان وفي حي الشيخ جراح وحي المصرة والنبي داود وحي المنوننتفيري وشارع مأمّن الله وباب الخليل ، وكانت اكثر المنازل في هذه وغيرها من الاحياء خربة ومهجورة ينقع فوقها يوم الشؤم والخراب ، واكثر الدكاكين في الاسواق وفي حارة النصارى وسويقة علون وسوق البازار مغلقة ، والسوق الوحيدة التي كانت مفتوحة هي الممتدة من باب العمود حتى باب خان الزيت وسوق العطارين في داخل السور . فقد كانت هذه مليئة بالخضار والفواكه والخبز والبيض والالبان ، ولم يذق العرب سكان المدينة القديمة ألم الحرمان لا من الزاد ولا من الماء ، الا انهم حرموا من شيء اعز من هذا وذاك ، الا هو الزعيم فقد كانوا يبحثون عنه ولا يجدونه وكنت تسمعهم في كل صقع يتساءلون : اين الزعيم ؟ ...

العرب واليهود يلبون دعوة الوسيط ويسافرون الى رودس

لبى الفريقان ، العرب واليهود ، نداء الوسيط ، فذهبا الى رودس للتفاوض فيما يمكن عمله من اجل احلال السلام وكان بين العرب فلسطينيان هما المحامي هنري كتن والمحامي احمد الشقيري ، وصل هؤلاء في ٢١ حزيران ، وكان مؤلفاً من الدكتور ليثو قوهين Leo Kohn ورويفين شيلواح (Reuven Shiloah) .

وجرت المفاوضات بين الفريقين ، عن طريق الوسيط الدولي ، كل على انفراد ، وفيما كانا يتفاوضان اتت من فلسطين اخبار تقول ان الباخرة الطالينا وصلت الى تل ابيب ، تحمل عدداً كبيراً من المهاجرين بينهم مقاتلون ؛ ثم جاءت اخبار اخرى تقول ان الموقف في جنوب فلسطين قد تخرج بين اليهود والمصريين ، بسبب تموين المستعمرات اليهودية ، فتكهرب الجو ، وفشلت المفاوضات ، الا ان الوسيط ، كان خلال تلك المفاوضات قد جمع لديه من المعلومات والآراء ما حدا به الى صوغ مقترحاته التي قدمها للفريقين في ٢٧ حزيران .

تزويد المستعمرات اليهودية في جنوب فلسطين بالمؤن

وتخرج الموقف ، خلال فترة الهدنة ، بين اليهود والمصريين . وازداد حرجاً في ٢٦ حزيران ١٩٤٨ ، يوم أراد اليهود أن يموتوا مستعمراتهم الكائنة في قطاعي غزة وبئر السبع ، وعارضهم في ذلك المصريون قائلين ان ذلك مخالف لنصوص الهدنة (١) واعترض القائد المصري بالفعل سبيل قافلة يهودية تحمل الطعام في طريقها الى الجنوب ، اعترضها رغم انه كان على رأسها الكولونيل بوند ، من مراقبي هيئة الامم وبعد مخاضات جرت بين بوند هذا والوسيط الدولي في رودس وبين الوسيط (٢) والنقراشي باشا في القاهرة ، وافق النقراشي على طلب الوسيط ، وسمح للقافلة اليهودية بالمرور . ويقول الوسيط في مذكراته ان اليهود كانوا ينوون شق طريقهم بالسلاح لو لم يسمح لهم المصريون بامرار قافلتهم ، اذ ان مستعمراتهم في الجنوب كانت معرضة للموت جوعاً .

(البالمخ) تحاول استرداد الحي اليهودي

وأراد اليهود ، عند وصول اول شحنة من الاسلحة الجديدة اليهم ، ان يجسوا نبض العرب فراحوا يهاجمون العرب في ٣٠ حزيران وحاولوا اقتحام باب النبي داود واسترداد الحي اليهودي بالبلدة القديمة ، فامطروا حامية ذلك القطاع وابلا من رصاص بنادقهم وقنابل مدافعهم ، وظلوا يمطرونها من الساعة الثامنة مساء حتى الحادية عشرة ، فلم يجبههم رجال الحامية في بادىء الامر ، ودعوهم يقتربون ، ولما أصبحوا قاب قوسين او ادنى منهم قذفوهم بمئة واثني عشرة قنبلة من قنابلهم اليدوية من طراز ملز ثم اردفوا بنيران بنادقهم الاوتوماتيكية ، فارتد اليهود على اعقابهم ، تاركين وراءهم خمسة وثمانين قتيلاً ، والتقط رجال الجيش العربي رسالة لاسلكية بعث بها رجال البالمخ الذين قاموا بذلك الهجوم الى رؤسائهم في تل ابيب قالوا فيها :

« فشل هجومنا وخسرنا ٨٥ قتيلاً »

(١) كان من رأى المستشار القضائي المصري في الجيش ان الطعام يقوي اليهود ، وان نصوص الهدنة تمنع الفريقين من القيام بأي عمل من شأنه ان يقوى احدهما على الاخر في مدة الهدنة .

(٢) جاء في مذكراته التي نشرت بعد وفاته « انه ليس في مرور قافلة الطعام الى الجنوب ما يتعارض مع نصوص الهدنة » .

مقترحات للوسيط الدولي للتوفيق بين الفريقين

في ٢٧ حزيران ١٩٤٨ اجتمع الكونت برنادوت بممثلي الفريقين ، العرب واليهود ، كل على انفراد ؛ وبسط لهم مقترحاته الآتي ذكرها ، قائلاً انها ليس بالمقترحات النهائية ، وانما هي صالحة في اعتقاده لان تكون أساساً للبحث والمفاوضات التي اقترح اجراءها ، طالباً من كل فريق أن يرسل مندوبيه الى رودس لاستئناف المفاوضات ، قائلاً انه سيرفع الامر الى مجلس الامن فيما اذا رفضت .

وفيما يلي خلاصة المقترحات كما نشرت في ٤ تموز ١٩٤٨ ، وقد نشرت في القاهرة وتل أبيب ورودس وليك سكسس في آن واحد . قال : (١)

١ - تؤلف فلسطين بحدودها التي نص عايتها الانتداب في سنة ١٩٢٢ ، أي فلسطين وشرقي الاردن ، اتحاداً يضم وحدة عربية ، والاخرى يهودية .

٢ - تتعين الحدود بين الوحدة العربية والاخرى اليهودية بوساطة الوسيط ، وعلى أساس المقترحات التي يقدمها ، ومتى تم الاتفاق على ذلك ، تألفت لجنة فنية لوضع هذه الحدود .

٣ - تكون أغراض الاتحاد ترقية المصالح الاقتصادية بين الفريقين ، والاشتراك في ادارة المصالح المشتركة وبينها الجمارك والمكوس ، والمشاريع العامة ، مع تنسيق السياسة الخارجية والدفاع المشترك .

٤ - يشرف على شؤون الاتحاد مجلس مركزي ، وغير ذلك من المجالس الاخرى التي يقررها العرب واليهود .

٦ - يجوز لكل وحدة من الوحدتين أن تستقل بشؤون الهجرة الى أراضيها لمدة عامين ، وبعد مرور العامين يحق لكل فريق أن يسأل مجلس الاتحاد للوحدتين ، أن يعيد

(١) اقرأ الصفحات ١٢٦ - ١٣١ من مذكرات الكونت برنادوت .

النظر في سياسة الهجرة إلى أراضيه بما يتفق مع مصلحة الفريقين وإذا عجز مجلس اتحاد البلدين عن حل الخلاف بصدد الهجرة يجوز لأي فريق أن يرفع ذلك إلى هيئة الأمم .

٧ - يحافظ كل من الفريقين المتحددين على جميع الحقوق الدينية ، وحقوق الاقليات كما نص على ذلك في دستور هيئة الأمم .

٨ - يحافظ كل فريق على الاماكن المقدسة الواقعة في أراضيه .

٩ - الاعتراف بحق كل من اضطر إلى هجرة أراضيه وأملاكه ووطنه في خلال الصراع في فلسطين إلى العودة ، وارجاع أملاكه إليه .

وقال الكونت ، في صدد الفقرة الثانية من مقترحاته التي تشير إلى تعيين الحدود ، انه يرى اجراء بعض التغييرات في الحدود التي ورد ذكرها في قرار التقسيم^(١) بحيث تشمل هذه ، التعديلات التالية : -

- ١ - ضم النقب^(٢) كله او بعضه إلى العرب .
- ٢ - ضم الجليل الغربي كله او بعضه إلى اليهود .
- ٣ - ضم مدينة القدس إلى العرب (٣) مع اعطاء اليهود الاستقلال بشؤون البلدية ، ومع ضمان الوصول إلى الاماكن المقدسة .
- ٤ - النظر في وضعية يافا .
- ٥ - اقامة منطقة ميناء حر في حيفا ، مع ضم منطقة المصافي إلى هذه المنطقة .
- ٦ - اقامة منطقة طيران حرة في اللد .

وما كادت هذه المقترحات تصل إلى الفريقين حتى رفضها رفضاً باتاً ، وراحا

(١) جاء في مذكرات الكونت برنادوت التي نشرت بعد اغتياله ما يلي : « كان فكري منذ البداية منصّباً على ان الحل الذي وضعته هيئة الأمم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ على اساس مشروع التقسيم هو حل غير سعيد ، ولم اشك قط في ان ذلك الحل كان مفروضاً فيه أن يؤدي إلى الموقف المؤلم الذي تورطت فيه البلاد . »

(٢) جاء في المذكرات المتقدم ذكرها انه (اي الوسيط) اعتبر النقب همزة الوصل بين الاردن وفلسطين وبين مصر .

(٣) يعتقد المطلعون على بواطن الامور أن هذا الشرط وحده « اي اعطاء القدس للعرب » هو الذي اثار نائرة اليهود وجعلهم يفكرون في اغتياله ، وقد اغتالوه في ١٧ ايلول ١٩٤٨ كما سنذكر ذلك في حينه .

ينقدان الوسيط نقداً مريراً ، وكان الوسيط ، في الحقيقة ، يتوقع هذا الرفض. (١)

أما العرب فقد رفضوها ، لأنها ترمي الى قيام دولة اسرائيل وقد رفضوا ذلك الف مرة ومرة من قبل (٢) .

شرح الامين العام لجامعة الدول العربية الاسباب التي حدثت بتلك الدول لرفض مقترحات الكونت برنادوت ، في مذكرة ارسلها اليه ، وانا لنجتزىء منها قوله (٣) : -
« ان الدول العربية احترمت الهدنة وشروطها ، وأما اليهود فانهم لم يحترموها . فقد ادخلوا خلال الأيام التي انقضت منها المئات من المهاجرين في سن الجندية ، كما ادخلوا مقادير كبيرة من الاسلحة والذخائر والمؤن والمواد الحربية ، واستولوا على عدد من المواقع الاستراتيجية . ومونوا بعض قواهم المحاصرة ، ومنعوا السكان العرب من المناطق التي يحتلونها عن جمع محصولاتهم ؛ الامر الذي يخالف شروط وقف القتال مخالفة صريحة . »

ومما قاله :

« ان المقترحات الاخيرة ليست الا صورة للقاعدة التي قام عليها مشروع التقسيم ، ذلك المشروع الذي ادى الى النزاع الحالي المسلح ، ولا يؤدي الا الى تحقيق اماني فريق واحد ، هم اليهود الراغبون في انشاء دولة يهودية ، بينما هو يتجاهل اماني العرب اصحاب البلاد الاصليين . »

وقال :

« ان هذه المقترحات تعتبر أراضي مملكة شرق الاردن جزءاً من فلسطين ، الامر

(١) جاء في مذكراته التي نشرت بعد موته انه لجأ الى الغموض في مقترحاته خصيصاً ليقنع الفريقين المتنازعين بضرورة تمديد اجل الهدنة ، وكان يعلم اليقين انه لو وضع مقترحاته في اسلوب حاسم لاضطر الفريقين ؛ او احدهما في كل حال لرفضها وكان لا مناص ، في هذه الحال ، من استئناف القتال . وقد وقع الذي كان يخشاه .

(٢) يقول الكونت في مذكراته انه ما كان في استطاعته الا ان يعترف بقيام الدولة اليهودية ، تلك الدولة التي اقرها مشروع التقسيم ، وقد قامت بالفعل ، واعترف بها خمس عشرة دولة على رأسها اميركا وروسيا .

(٣) هذا موجز اقتبسناه عن اصله المثبت في الصفحة ١٧٥ من كتاب « كارثة فلسطين » لمحمود فهمي درويش السكرتير العام لجمعية انقاذ فلسطين ببغداد « ١٩٤٩ م » .

الذي يخالف الواقع ، وترفضه شرق الاردن حكومة وملكاً وشعباً ، اذ انها (اي المملكة الاردنية) دولة مستقلة ذات سيادة ، وهي لا ترضى ان تزج بالمشكلة الفلسطينية كما انها لا تسمح باقامة دولة يهودية في فلسطين ، وتعارض فكرة التقسيم (١) . «
وقصارى القول :

« ان مقترحات الكونت برنادوت جاءت مخيبة لآمال العرب فقد منحت اليهود اكثر مما منحهم مشروع التقسيم ، ولهذا فان اللجنة السياسية تصرح بكل اسف انها لا تستطيع قبولها كأساس مناسب للمحادثة . »

هذا ما قاله العرب ، واما اليهود فقد رفضوا المقترحات لاسباب عديدة ، منها واهمها انها تأخذ القدس منهم ، واليك ما قاله شاريت ، وزير خارجيتهم ، في مذكراته التي بعث بها الى الوسيط بتاريخ ٥ تموز ١٩٤٨ :

١ - دهشت حكومة اسرائيل المؤقتة حين لاحظت ان مقترحاتك تكاد تتجاهل قرار الجمعية العامة في ٢٩/١١/٤٧ ، وهو القرار الذي لا يزال قائماً على انه الحكم الدولي القاطع بشأن مستقبل الحكم في فلسطين وتأسف حكومة اسرائيل كذلك لانها تجد انك حين وضعت مقترحاتك ، لم تأخذ بعين الاعتبار الحقائق البارزة في الموقف الحاضر في فلسطين ، اي انك تتجاهل قيام دولة اسرائيل في حدود الاراضي التي خصصت لها في قرار التقسيم ، كما انك تتجاهل التغييرات الاخرى التي وقعت في احتلال الاراضي كنتيجة مباشرة لصدنا لهجوم الذي وقع على دولة اسرائيل من عرب فلسطين ، ومن الدول العربية المجاورة .

٢ - وحكومة اسرائيل ترجو أن تذكر هنا ان الشعب اليهودي قبل التسوية التي تضمنها قرار التقسيم برغم ما في ذلك من تضحيات عظيمة ، وبرغم ان ما خصص لاسرائيل من اراضي فلسطين كان اقل مما يتسع لاي تناقص ، وتحييف اكثر . وحكومة اسرائيل مقتنعة الآن بأن الوضعية في الاراضي التي تقع تحت نفوذها ، هي في حاجة الى تعديل ،

(١) هذه الفقرات اقتبست من بيان رسمي ادلى به رئيس وزراء شرق الاردن في الاجتماع الذي عقده هذه الغاية اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اقرأ الصفحة ١٨٩ من كتاب «كارثة فلسطين» .

وتنقيح بسبب الاخطار التي تكشف عنها غزوة الدول العربية لاسرائيل وبسبب اننا استطعنا ان نصد هذه الغزوة ، وأن نهزم القائمين بها . وبهذه المناسبة تود حكومة اسرائيل ان تلاحظ بأن قرار التقسيم نص على تقسيم فلسطين ، اي الجزء الغربي من الاردن ، بين اليهود ، وبين عرب فلسطين ، واذن فكل محاولة لضم القسم العربي من فلسطين الى أي دولة عربية مجاورة هو خروج على روح قرار التقسيم وعلى حرفيته .

٣ - والحكومة الاسرائيلية لن توافق على اي تعد ، او تحيف من سيادة دولة اسرائيل المستقلة ، وعلى أن سياسة اسرائيل هو قيام صلات سلمية ودية بينها وبين جاراتها ، الا أن الترتيبات الدولية التي يتوجب اتباعها في سبيل تنفيذ سياسة اسرائيل لا يمكن أن تفرض على اسرائيل فرضاً ، وانما هي توضع بوساطة التفاوض بين اسرائيل وبين الدول المختصة على أساس ان كل فريق من المتفاوضين هو دولة ذات سيادة ، ومستقلة بشؤونها .

٤ - اسرائيل على استعداد لقبول فكرة الاتحاد الاقتصادي الواردة في قرار التقسيم شرط ان تتحقق جميع مواد ، واسس هذه الفكرة ، واقترحك أنت بشأن الوحدة الاقتصادية لا نص فيه على هذا الشرط والدولة التي تطلب من اسرائيل ان تشترك معها في الوحدة الاقتصادية ، من الناحية السياسية ، ومن الناحية الجغرافية ليست بالدول العربية التي ذكرت في قرار التقسيم ، واذن من الحق أن يترك لاسرائيل وحدها ان تقرر ، وبمحض ارادتها ، وبما تملك من سيادة مستقلة لنفسها خطط صلاتها مع جارتها ، او جاراتها في شؤون الاقتصاد .

٥ - وحكومة اسرائيل تريد أن تؤكد انها ترفض بشدة اي تدخل في سيادتها بما يتعلق بالهجرة ، ان فكرة اليهود في انشاء دولتهم كانت ، ومنذ البداية قائمة على اساس حرية الهجرة ، والاعتراف بهذا الحق لليهود كان هو حجر الزاوية في اعتراف الدول بدولة اسرائيل ، وليس هناك حكومة اسرائيلية ترضى بأي مهانة في بحث اي تدخل اجنبي في شؤون الهجرة .

٦ - ان حكومة اسرائيل قد جرحها أشد الجرح في كرامتها انك اقترحت ما اقترحت بشأن القدس ، واليهود يعتبرون اقترحك هذا كارثة لهم .

وفكرتك في ضم القدس الى الحكم العربي تسوية سلمية ، انما هي فكرة من يتجاهل تاريخ ، وحقائق هذه القضية ، وحقائق تاريخ اليهود المتعلق بالقدس ومكانة القدس في تاريخ اليهود القديم ، وفي حياتهم الحاضرة واليهود كانوا دائماً اكثرية في القدس ، فلما هاجر العرب اصبحت يهودية بجميع سكانها ، اضيف الى هذا ان قرار التقسيم ينص على تدويل القدس لا على تعريبها .

وتريد حكومة اسرائيل ان تعلن لك انه لا الشعب اليهودي ، ولا حكومة اسرائيل ، ولا يهود القدس يقبلون ، بأي حال ، وضع القدس تحت الحكم العربي ، وسوف يقاومون اي فكرة كهذه .

ويؤسف حكومة اسرائيل ان تقول لك أن اقتراحك عن القدس ، وهو اقتراح يشجع العرب في امانيتهم ، ويجرح شعور اليهود ، سوف لا يعمل للسلام الذي تنشده وانما هو سيشجع على الاضطرابات .

٧ - ولا تجد حكومة اسرائيل حاجة الى ان تلاحظ على بقية ما ورد في مقترحاتك ، ففي هذا الذي ذكر ما يكفي لاقتناعك بوجوب مواجهة المشكلة بمقترحات اخرى .

وعندما ذكر الوسيط جواب اليهود هذا في مذكراته قال :

« تلك كانت محتويات الرد اليهودي ، ويعينني منها القسم المختص بالقدس فانا قدرت ان القدس محاطة بالعرب ، ففضلت ان تكون عربية ، ذلك ان تقسيم المدينة ليس بالحل السعيد كما تشهد بذلك برلين .

اما زعم اليهود عن الحكم العربي ، فالمعروف ان القدس ظلت ٦٠٠ سنة تحت الحكم الاسلامي في عهد الاتراك دون ان تثار قضية خلاف دينية واحدة ، بل ان مفاتيح القيامة هي بيد المسلمين ، والمسيحيون هم الذين اتفقوا على ذلك ، ولا يزال المسلمون هم حراس القيامة ، فلماذا يثور اليهود علي حين اضع ، وانا المسيحي ، مثل هذا الحل ؟

وقد رد الوسيط على شريت بجواب طويل اختص منه القدس بالفقرة التالية قال : تقع القدس في قلب منطقة لا مناص من اعتبارها عربية في اي تقسيم لفلسطين ، وان فصلها ، بالطرق السياسية او غيرها ، عن الاراضي التي تحيط بها من شأنه ان يحدث مصاعب جسيمة ، ان وضع القدس الخاص - سكانها اليهود الكثيرين وصلاتها الدينية -

يحتاج الى عناية خاصة ، وقد ترك الباب لبحث هذه المسائل مفتوحاً ، وان المقترحات (التي قدمتها) لا ترمي لايجاد سيطرة عربية على المصالح اليهودية المشروعة على المصالح الاخرى غير العربية ، وفي الوقت الذي اعترف فيه بأن مسألة القدس تهم الطائفة اليهودية بفلسطين لاسباب تاريخية وغيرها . الا انها (اي القدس) ما حسبت ابداً جزءاً من دولة اسرائيل . وان مصير القدس لن يؤثر على كيان دولة اسرائيل لابل يجب أن يكون وضع القدس منفصلاً عن كيان هذه الدولة وحدودها . ومقترحاتي تضمن المصالح التاريخية والدينية المعترف بوجودها في القدس في جميع انحاء العالم . »

مقترحات اخرى للوسيط الدولي

عندما أيقن الوسيط أن الفريقين رفضا مقترحاته الاولى ، تقدم اليهما (في ٥ تموز) باقتراح جديد يقضي بـ:

أ - مد أجل الهدنة .

ب - تجريد منطقة القدس من السلاح

ج - تجريد منطقة مصافي الزيت في حيفا من السلاح^(١)

وراح ، في الوقت نفسه ، يبحث مع المراقبين الدوليين عن ضمن الطرق لتموين القدس أن هي جردت من السلاح ، فاتفقوا على تموينها من حيفا وتل أبيب ، على ان يتولى قيادة قطارات السكة الحديدية للمؤن رجال من هيئة الامم .

أما الهدنة ، فقد تردد العرب طويلاً في قبول الاقتراح القائل بتمديدتها ، وانتهى الاجتماع الذي عقدته اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في ٦ تموز ١٩٤٨ دون ان تصل الى قرار حاسم .

(١) هاجم مندوبا روسيا وبولونيا هذا الاقتراح عندما بحثه مجلس الامن قائلين انه من وضع دول الاستعمار وهي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، ولم ينكر الكونت برنادوت هذا القول في دفاعه ، وان قال انه يشارك الدول الثلاث رأياً في صدده بسبب حاجة العالم الى الزيوت .

ولكنهم (اي العرب) عادوا في ٨ تموز فقررنا رفض الاقتراح القائل بتمديد الهدنة رفضاً باتاً ، كما رفضوا طلب الوسيط ان يؤجلوا استئناف القتال مدة ثلاثة ايام بعد انتهاء الهدنة لتمكين الوسيط من سحب المراقبين من الميادين .

وأما اليهود فد اجابوه في ٧ تموز قائلين انهم على استعداد لتمديد الهدنة مدة ٣٠ يوماً آخرين . وأما تجريد منطقة القدس من السلاح ، فقد رفض اليهود ان يعطوا جواباً قاطعاً في صددها ، وقالوا انهم وان كانوا يميلون من حيث المبدأ الى تجريد القدس من السلاح ، الا انهم - لعدم توفر الفرصة الكافية لديهم لدراسة هذه المسألة دراسة وافية - يوافقون على اعلان هدنة في القدس حتى ولو استؤنف القتال في الميادين الاخرى . وأشار الوسيط الى موقف اليهود من مقترحه هذا فقال انه بدا له انهم (اي اليهود) سيوافقون في النهاية على نزع السلاح من القدس شريطة ان يوافق العرب على ذلك .

وأما رد العرب حول تجريد القدس من السلاح ، فقد كان رداً غامضاً للغاية ، اذ جاء في مذكرات الكونت برنادوت ان عبد الرحمن عزام باشا الامين العام للجامعة العربية ، ابلغه ان الجامعة وان كانت فوضته بأن يتقل اليه ان الدول العربية وان كانت توافق على فكرته بشأن نزع السلاح من القدس الا ان هذه الدول تريد ان نحفظ برأيها في صدد بعض التفاصيل المتعلقة بتنفيذ هذه الفكرة ، وقد عينوا لجنة لتبحث مع الوسيط في هذا الامر .

واما حيفا ، فقال اليهود انهم لا يوافقون على تجريدها من السلاح ، وانما هم يوافقون على وضع منطقة المصافي والميناء فقط تحت اشراف رجال هيئة الامم حتى يعود جريان الزيوت كالمعتاد .

وقال العرب انهم يقبلون تجريد حيفا من السلاح شريطة ان لا تستعمل الميناء هناك لتفريغ مشحونات البواخر اليهودية ، سواء كانت تحمل جنداً ام عتاداً ام اي شيء آخر .

العباسية (١)

احتلتها اليهود في ٥ تموز ١٩٤٨ ، احتلوها والهدنة قائمة ، على سمع مراقبي الهدنة وبصرهم ، ونرى من الفائدة ان نقص عليك بعض الحوادث التي وقعت فيها ، قبل احتلالها ، فنقول :

لم يكن فيها ، عند صدور قرار التقسيم ، سوى ست بنادق انكليزية وثلاثة مدافع صغيرة من طراز ستن وعدد من المسدسات ، هذا مع انها قريبة من بتاح تيكفا (ملبس) (٢)

ولما تسلم الشيخ حسن سلامة قيادة القطاع الغربي اتخذها مركزاً لتموين ذلك القطاع الغربي وراح يحصنها. وتنادى اهل القرية فألفوا من مختيرهم ومن بعض اصحاب الجاه بينهم لجنة قومية قوامها :-

رئيس المجلس المحلي ومختار

مختار

»

١ - زكي محمد عبد الرحيم

٢ - علي محفوظ ابولاوي

٣ - خميس صالح الحججة

(١) قرية كبيرة من اعمال يافا تحيط بها « من الغرب » يافا وهي على بعد ١٤ كيلومترا و(من الشرق) مستعمرة ويليهما على بعد كيلومترين و « من الجنوب اللد وهي على بعد ٤ كيلو مترات . كان اسمها فيما مضى « اليهودية » وهي قديمة العهد ولا يعرف احد لماذا سميت كذلك ، وان قال قائل ان احداخوة يوسف يهوذا مدفون بها ، وفيها قبر بهذا الاسم ، يزوره اليهود في ايام السبت .

والفضل في تسميتها « العباسية » عائد للامتاذ مصطفى الطاهر الذي كان « ١٩٣٦ » مديراً لمدرستها ، ذلك لان فيها قبرا لولي يقول الشيوخ انه « العباس » .

انها من أغنى قرى فلسطين شوارعها معبدة اراضيها واسعة « ١٨٠٠٠٠ دونم » ، وهي خصبة ، نفوسها خمسة آلاف وثمانئة نسمة كلهم مزارعون فيها مئة وخمسون سيارة ومدرسة ابتدائية كاملة للذكور واخرى للاناث ، وفي المدرسة مكتبة فيها كتب قيمة ، نسبة المتعلمين من ابنائها عالية ، بينهم اربعون او يزيدون حملة الشهادات العالية .

وتقام فيها في احد ايام الاسبوع «السبت» سوق تضاوي في كثرة روادها سوق اللد « الاثنين » .

(٢) بلغ سكان ملبس في اواخر عهد الاحتلال اربعين الف نسمة . وهي من اكبر المستعمرات اليهودية بعد تل ابيب ، انها قائمة في موضع استراتيجي عند مفترق الطرق المؤدية الى يافا وحيفا واللد .

- ٤ - عبد الله الرشيد مختار
- ٥ - يونس رباح الحوراني »
- ٦ - سعيد عبد الله وجيه
- ٧ - محمد عبد الحفيظ »
- ٨ - سعيد جاد الله »
- ٩ - الشيخ مصطفى ابو سلبد »
- ١٠ - الشيخ خميس حماد »
- ١١ - اسماعيل الحنطي »

وقد انتخبت اللجنة هذا الاخير سكرتيراً لها .

وألف القوم من نساءهم لجنة قوامهم عائشة سحبان وظريفة مصطفى امين .

وعمل الجميع ، معاً ، فجمعوا الاعانات وفي قول انهم تمكنوا من جمع ما لا يقل عن عشرة آلاف جنيه ، انفقوها في سبيل الدفاع ، فشروا بها ما امكنهم شراؤه من الاسلحة ، وكان لديهم في شهر نيسان زهاء ثلاثمئة بندقية واربع برنات ، وقد كلفتهم البندقية الواحدة مئة جنيه ، والبرن الواحد مئتين وخمسين جنيهاً ، وبلغ عدد مناظليهم مئة وخمسين ، قام على تدريبهم ضابط عراقي (احمد جلال) .

ومن اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) الى اليوم الاخير الذي جلوا فيه عن قريتهم (١٥ تموز ١٩٤٨) لم ينقطعوا يوماً واحداً عن مناوئة أعدائهم ، ولو اردنا أن نذكر جميع المعارك التي قامت بين الفريقين لما وسعها هذا القرطاس ، ولكن لا بد لنا من ذكر الوقائع التالية :

١ - في يوم السبت الموافق ١٣ كانون الأول ١٩٤٧ اقتحم اليهود القرية في سيارتين كبيرتين تحملان زهاء عشرين رجلاً من مقاتليهم جاءوا من الشمال ، من ناحية ملبس يرتدون الثياب الرسمية كأنهم جنود بريطانيون ، ولما توسطت احدى السيارتين القرية وقفت كأنها تعمل على اصلاح خلل فيها ، ورابطت الثانية على بعد بضعة امتار من الأولى ، وما عثم شخص من اهل القرية ان رأى المقاتلين يزرعون لغماً كبيراً في المكان الذي وقفت سيارتهم فيه ، فنادى قومه : - حي على القتال !! وما هي الا طرفة عين

حتى وقف الفريقان وجهاً لوجه يتقاتلان ، هؤلاء (اي العرب) بينادقهم الاعتيادية .
واولئك (اي اليهود) بمدافعهم الرشاشة ، ومع ذلك فكان النصر حليف المناضلين ، ففر
اليهود بعد ساعتين تاركين وراءهم احدى السيارتين ، ومدفعاً من طراز برن وبعض القنابل .
وتدل آثار الدماء على انهم حملوا معهم ليس جرحاهم فحسب بل وقتلاهم ، ولاقى في
هذه المعركة ثمانية من سكان القرية حتفهم ، فسجلوا في قائمة الشهداء .

ومما يؤسف له ان اهل القرية لم يفتنوا الى الالغام التي زرعتها اليهود في ارض القرية
عندما وقفت سيارتهم ، اذ ما كادت المعركة تنجلي ، والسكان من مناضلين وغير
مناضلين ، يغشون ذلك المكان حتى تفجرت الالغام . فقتل ثمانية منهم نجبهم (١) وانقلب
فرحهم بالانتصار الى عزاء .

٢ - وفي اليوم الثاني من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ تصدى المقاتلون من
يهود ملبس إلى العمال العرب الذين جاءوا إلى البيارات يقطفون برتقالهم فاطلقوا عليهم
النار من رشاشاتهم وقابلهم العمال وحراسهم المسلحون بالمثل ، واستنجد الفريقان فأنجدا
وجاء الشيخ حسن سلامة بنفسه ليشرف على المعركة ، وكانت دفة العرب هي الراجحة
وكادوا ينتصرون لولا تدخل الجيش البريطاني الذي امر الفريقين ان يكفوا عن القتال .
وكانت خسارة اليهود في هذه المعركة التي دامت زهاء ثمان ساعات ، جسيمة وكذلك قل عن
العرب فان عدد جرحاهم كبير ولكن لم يستشهد منهم سوى اثنين (٢) ، وعندما اطل
شهر ايار كان الموقف قد تخرج بسبب انهيار يافا وسلمة ومعظم القرى المجاورة لها ،
فاصبحت العباسية عبارة عن خط الدفاع الاول . وقد اخليت من النساء والاطفال ، ولم
يبق فيها سوى خمسين مجاهداً .

وجاء اليهود في اليوم الخامس من ذلك الشهر يرومون احتلالها . فبدأوا يصبون
عليها نيران مدافعهم (المورتر) . وكانت هذه اول مرة يستعمل فيها اليهود ذلك النوع
من المدافع ، وراحوا بعدئذ يزحفون بمشاتهم ولما اقتربوا من القرية قابلهم المناضلون
وشب بين الفريقين قتال دام من الساعة السادسة صباحاً حتى الخامسة مساءً ، وكاد

(١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

(٢) اقرأ اسميها في الملحق التاسع .

اليهود يقتحمون القرية لولا خندق كان المناضلون قد حفروه حولها عمقه متران وعرضه ثلاثة امتار ، عندئذ اتى اليهود بدبابة ذات جنازير من طراز (شيرمان) فاقتحموا القرية وما كادوا يدخلونها حتى نسفوا عشرين منزلاً من منازلها ، وما لم يستطيعوا نسفه حرقوه بالنار وراحوا يتفرجون كما كان نيرون يتفرج على روما وهي تحترق وقتل ثلاثة من المناضلين في تلك المعركة .

٤ - انتشر سكان العباسية بعد سقوطها في البلاد المجاورة ولا سيما في بيت نبالا وويلهيلم ودير طريف واللد ، ولما اذيع ان الهدنة ستبدأ في اليوم الحادي عشر من شهر نيسان ١٩٤٨ راحوا يتنادون لعلهم يستطيعون استرداد قريتهم ، وما هي الا عشية او ضحاها حتى كان لهم ما يشاءون فقد هاجموا القرية في ساعة مبكرة (الرابعة) من اليوم العاشر من شهر حزيران ، واشترك في هذا الهجوم مئة من شبابهم المخلصين ، ودخلوها مهللين مكبرين ، وكانت هذه مباغته لم يتوقعها اليهود ، وكانوا نائمين وقبل ان يتمنطقوا سلاحهم ، كان المجاهدون قد دخلوا القرية ، واعملوا فيهم سيوفهم ، فقتل منهم خمسة وثلاثون ، وامرأتان وسلم العرب جثث القتلى الى مندوبي الصليب الاحمر الدولي ، واما العرب فلم يقتل منهم سوى ثلاثة وقد استولوا على عدد من المدافع الرشاشة (برن) ومدفع واحد قوسي (مورتر) وعشرين قذيفة ، ومقادير كبيرة من الاواني والمعلبات .

٥ - طوق اليهود في ٥ تموز ١٩٤٨ جميع المنطقة الممتدة من رأس العين في الشمال الى قوله في الشرق ، ومن بيت نبالا الى الرملة واللد في الجنوب ، ولما رأى سكان العباسية ان قريتهم اصبحت في داخل الكماشة . بدأ الخوف يتسرب الى قلوبهم ، واستنجدوا فلم ينجدهم احد ، استنجدوا بالقائد العراقي طاهر الزبيدي وكان الجيش العراقي يومئذ يرابط في رأس العين ، وبالقائد الاردني ادريس بك وكان الجيش الاردني يرابط في الرملة واللد . وبالقائد جيش الانقاذ فوزي القاوقجي وكان هذا يومئذ في رام الله .

ولما لم يتقدم احد لنجدتهم راحوا ينسحبون ، ولم ينج منهم سوى تسعة عشر شخصاً اذ كان الطوق محكماً ، ولا يعرف احد شيئاً عن مصير الباقين وعددهم اثنان وثلاثون (١) .

(١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

لا أستطيع أن امر بهذا الحادث المؤلم دون ان اشير الى قصة النجدات التي طلبها سكان العباسية في ذلك النهار ، إذ كان القاوقجي في منزلي برام الله عندما أتته من المناضلين برقية تنبىء بالخطر فرجاني ان ابرق اليهم قائلاً (ان النجدة في الطريق) . وفعلت كما قال ، وبعد ان غادر منزلي بساعة اتت منهم برقية اخرى تقول (النجدة لم تصل ، نحن على وشك الاستسلام) فبعثت بها اليه مع ولدي سمير ، وكان مقر القاوقجي يومئذ في جبج ، ولست ادري ان كان قد انجدهم ، او لم ينجدهم ، وانما اذكر ان شمس ذلك النهار ما كادت تغيب حتى كانت العباسية قد لاقت مصيرها المحتوم ، والله في خلقه شؤون .

اتفاقية الهداسا

ويظهر أن اليهود كانوا يعلنون ان الحرب ، اذا ما استؤنفت في هذه المرة ، لا بد وان يخسروا مبانيهم الواقعة على جبل المشارف (سكوبس)^(١) : كالجامعة العبرية^(٢) ومستشفى الهداسا^(٣) ، تلك المباني التي اتخذوها أوكاراً ، وراحوا يهتمون بها ويغزون

(١) Scopus كلمة يونانية الاصل معناها « إمتداد البصر و» الاشراف » . لازم هذا الاسم الحي الذي نحن في صدده ، وهو واقع شمالي المدينة والى الشمال الغربي من جبل الزيتون ، منذ عهد الفاتح المقدوني العظيم الاسكندر ، اذ انه اشرف على المدينة ، يوم مجيئه لاحتلالها ، من هنا . ومن هنا جاءت التسمية العربية - جبل المشارف - . ولقد عرف اليهود ما لهذا الجبل من قيمة استراتيجية ، فأنشأوا عليه مباني ضخمة ، واستعملوا هذه المباني لا حصوناً يهتمون بها ، فحسب ، بل قلاعاً يقنصون منها سكان الاحياء المجاورة لهم ، وكان يربط فيها زهاء اربعمئة شخص من مقاتليهم .

(٢) اول من فكر في تأسيس هذه الجامعة هو الدكتور « هرمان شابيرا » حوالي سنة ١٨٨٣ م . وتحمس لهذه الفكرة الدكتور وايزمن سنة ١٩٠١ وحاول هرتزول الحصول على فرمان من السلطان عبد الحميد بنائها سنة ١٩٠٢ الا انه فشل . وفي سنة ١٩١٦ اهدت الليدي جراي هل ارضها على جبل الزيتون لهذه الغاية ، فوضع الدكتور وايزمان اساس البناء سنة ١٩١٨ ، وتم البناء سنة ١٩٢٥ ، وهي الان من اكبر الجامعات في الشرق .

(٣) من اكبر المستشفيات في المدينة ، وهو لليهود ، اسمته « هيريتا زولد » زعيمة الجمعيات النسائية اليهودية في الولايات المتحدة ، وتعرف بـ « هداسا » ، وكان ذلك في اوائل الاحتلال البريطاني ، فيه مدرسة للممرضات ، ومعهد للطب ، واقسام للجراحة ، والولادة ، والامراض الجلدية ، والتناسلية ، وامراض العيون والاطفال ، ويشغل فيه عدد كبير من الاطباء الذين اتقوا دراستهم في المانيا ، ثم طردهم هتلر من بلاده .

منها الاحياء العربية كلما لاحت لهم فرصة ، وكان بإمكان الجيش العربي أن يطبق عليها عندما هبطت المدينة الكتيبة السادسة (١٩ ايار) والثالثة (٢٢ منه) الا انه أمر بالا يفعل ذلك ، وصدر الامر من عمان ، اثر ضغط شديد قامت به ، كل من انكلترا والولايات المتحدة .

ولما اقتربت الهدنة من نهايتها ، سعى اليهود لتجريد هذه المنطقة من السلاح ، ونجحوا في مسعاهم .

ولقد ساعدتهم مسعاهم هذا الكونت فولك برنادوت الوسيط الدولي ، الذي اعترف في مذكراته التي نشرت بعد وفاته انه سعى سعياً حثيثاً «لوضع اتفاق بين العرب واليهود بشأن جبل الزيتون حيث تقع الجامعة العبرية والهداسا .»

وقال الوسيط في موضع آخر من مذكراته انه يعتقد ان تجريد هذه المنطقة من السلاح ، قد يؤدي في النهاية الى تجريد المدينة كلها من السلاح .

اذ عقد الفريقان قبل انتهاء الهدنة بيوم واحد (٧ تموز) اتفاقاً وقعته عن الجانب اليهودي وباسم الحكومة المؤقتة لاسرائيل القائد العسكري شالتايل Shaltiel وعن الجانب العربي وباسم الجيش القائد العسكري Lash كما وقعه قنصل البلجيك في القدس نيو فان هويز J. Nieuveuhwys رئيس لجنة الهدنة القنصلية التابعة لهيئة الامم وكبير المراقبين الدوليين في قطاع القدس Nils Brunsson

وبنود الاتفاقية ستة تتلخص في نزع الصبغة العسكرية عن المنطقة التي تضم مستشفى الهداسا ، والجامعة العبرية ، والعمارة الالمانية المعروفة باوغستا فيكتوريا ، والقرية العربية المعروفة بالعيسوية ؛ على ان يسحب كلا من الفريقين المتحاربين ما لهما من هذه المنطقة من جنود وضباط وآلات قتال ؛ وان لا يستعملها قاعدة حربية لاية حركات عسكرية ، وأن لا يهاجمها ، او يدخلها بطرق غير مشروعة ؛ وان تظل المنطقة تحت حماية هيئة الامم الى ان تنقطع الاعمال العدائية ، او يصل الفريقان الى اتفاق جديد بشأنها .

ومن النقاط التي اتفقا عليها تحديد عدد المدنيين من رجال الشرطة من عرب ويهود . فتقرر ان لا يزيد عدد البوليس في القطاع اليهودي على ٨٥ مضافا اليهم ٣٣ شخصاً من المدنيين التابعين لهم ، واما رجال البوليس العربي في اوغستا فيكتوريا فيجب الا يجاوزوا الاربعين ، ولا يجوز زيادة سكان العيسوية الحاليين الا بموافقة الفريقين .

وعلى هيئة الامم ان تتخذ من التدابير ما تراه مناسباً لينال كلا الفريقين ما يحتاج اليه من ماء ومؤن .

واضيف إلى هذا الاتفاق في ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٨ ، بند ينحول اليهود استبدال رجالهم ، على ان يستبدل نصفهم مرة في كل اسبوعين ، وان يتم ذلك باشراف المراقبين التابعين لهيئة الامم .

وعهد يومئذ الى الكولونيل برونسون بمهمة الرقابة في تلك المنطقة (هداسا والجامعة العبرية ومستشفى المطلع) ، وفي معيته ثمانية رجال من بوليس هيئة الامم .

واستغرب القوم كيف ولماذا ابرمت هذه الاتفاقية ؟ وما هي الفوائد التي يجنيها العرب من ابرامها ؟ وزاد استغرابهم عندما رأوا الجيش العربي يتولى تزويد تلك المؤسسات اليهودية بالماء ، مع أن الاتفاقية نصت على ان تلك المهمة (اي تزويد المؤسسات اليهودية القائمة على جبل الزيتون بالماء) من اختصاص هيئة الامم .

وقد جاء في تقرير وضعه رئيس الوفد الاردني في لجنة الهدنة المشتركة ان الجيش العربي قام بتلك المهمة اربع سنوات صحاح : من اليوم الذي عقدت فيه الاتفاقية (٧ تموز) الى ان تولت هيئة الامم تلك المهمة في صيف عام ١٩٥٢ (١) .

الملك فاروق يزور ميادين القتال

وفي ٧ تموز زار الملك فاروق ميادين القتال في جنوب فلسطين ، وبعث بتحياته الى المصريين المرابطين في القطاع الجنوبي لمدينة القدس وراح يثير في صدور ضباطه وجنده روح الحماس والتضحية ، وهذا ما حدا بالفلسطينيين للاعتقاد ان الحرب ستسأنف من جديد .

ولقد اطلق اليهود المرابطون في مستعمرة (كفار داروم) قبالة دير البلح ، والى الشرق من الدرب ، على الملك النار ، ولكنه لم يصب بأذى ، فأصدر الملك فور وصوله الى غزة بمهاجمة تلك المستعمرة ، فهاجمها المصريون بمدافعهم ودكوها دكاً ، ثم احتلوها (في ١٠ تموز) ولكنهم لم يجدوا فيها يهودياً واحداً ، اذ كان سكانها قد انسحبوا منها ، في خنادق حفروها لهذه الغاية ، تحت جنح الظلام .

(١) اقرأ بعد هذا ما كتبناه عن مخالقات اليهود لهذه الاتفاقية في ٣١ آذار ١٩٥٣ .

هذا ولا بد لنا أن نذكر ، والشيء بالشيء يذكر ان هذه المستعمرة حصنها اليهود تحصيناً تاماً لوقوعها بين عدد كبير من القرى والعشائر العربية، وان المناضلين الفلسطينيين لم يستطيعوا احتلالها عند بدء القتال رغم انهم هاجموا سبع مرات ، وقتل منهم عدد كبير ولما لم ينجحوا في احتلالها حاصروها ، فراح اليهود يزودون سكانها بالطائرات . هذا قبل وصول الجيش المصري وكذلك قل عن الاخوان المسلمين فانهم لم ينجحوا في احتلالها رغم انهم هاجموا مرتين وقتل منهم اثنا عشر مقاتلا والجيش المصري نفسه الذي هاجمها عند اجتيازه الحدود في ١٥ ايار ، فانه لم يستطع احتلالها ، ولم يحتلها الا عندما هاجمت الملك فامر باحتلالها مها كلف ذلك من ثمن ، وقد احتلها بعد استئناف القتال بيوم واحد (١٠ تموز ١٩٤٨) .

وبنى اليهود ، بعد خروجهم ، من مستعمرة (كفار داروم) مستعمرة بالاسم نفسه على بعد ثلاثة كيلومترات منها الى الشرق .

اليهود يخرقون اتفاقية الهداسا

في ٣١ آذار ١٩٥٣ رفع السيد عزمي النشاشيبي ، رئيس الوفد الاردني في لجنة الهدنة المشتركة ، الى رؤساء الهيئات القنصلية بالقدس العربية والى كبير المراقبين الدوليين مذكرة عدد فيها المخالفات التي ارتكبتها اليهود ضد الاتفاقية المعروفة بـ (اتفاقية الهداسا) تلك الاتفاقية التي امضاها الفريقان من اليوم السابع من شهر تموز ١٩٤٨ (١) . وقد بلغت احدى وخمسين مخالفة ، منها اطلاق النار على العرب من سكان العيسوية والحي المعروف بالشيخ جراح ، وفي خمسة عشرة مرة استعمل اليهود الاسلحة الاوتوماتيكية . وفي احداها قتلوا اثنين من المدنيين .. هذا ولم ينقطع التخاطب بالاشارات وبالضوء الاحمر بين حراس المباني اليهودية القائمة على جبل الزيتون والقطاع اليهودي من مدينة القدس .

ولقد حضر اليهود الخنادق واقاموا الحصون حول هذه المباني من الخراسانة المسلحة ، الامر الذي يناقض الوصف الذي اعطي للمنطقة المجردة من السلاح .

(١) اقرأ ما كتبناه عنها في ٧ تموز ١٩٤٨

وحاول اليهود ، مرتين ، تهريب السلاح والذخيرة والمعدات الحربية الى تلك المنطقة : مرة في شهر حزيران ١٩٥٢ عندما اكتشف العرب ، مع القافلة اليهودية ، برميلا اراد اليهود امراره من بوابة مندلباوم ، واشتبه العرب به ، فطالب الجيش العربي بتفتيشه ، ولكن طلبهم هذا رفض من لدن كبير المراقبين الدوليين ، الجنرال ويليام رايلي ، الذي كان ضالعا مع اليهود الى ابعد الحدود ، فامر بارجاع البرميل الى اليهود ، قائلا انه فتشه (?) بنفسه ، ولم يجد فيها شيئا .

واخرى في شهر كانون الاول ١٩٥٢ عندما اكتشف الحراس العرب اسلحة حاول اليهود تهريبها الى مبانيهم المتقدم ذكرها عبر الوادي المعروف بـ (وادي ام العمدة) بين مدينة القدس وشعفاط منها الى الشمال .

ولم يخامر الناس ريب في ان تلك المحاولة كانت واحدة من محاولات عديدة سبقتها ولا بد ان يكون اليهود قد نجحوا في بعضها ، او فيها كلها ؛ وان كان الجيش العربي قد احبط محاولتهم الاخيرة هذه .

وطالبت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية الى سكرتير الامم المتحدة ، بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٥٢ ، تفتيش المباني اليهودية الكائنة فوق جبل الزيتون ، فأمر الجنرال رايلي بتفتيشها . وصدع هذا بالامر ، ففتشها برفقة الضابط اليهودي المسؤول عن القوة اليهودية المرابطة في تلك المباني ، وقضى ، كما يقول ، في تفتيشها ثلاثة ايام (٢٨ - ٣٠ نيسان ١٩٥٣) وجاء في التقرير الذي رفعه الى سكرتير الامم المتحدة انه « لم يعثر على أية اسلحة او أعتدة تزيد على الكمية المنصوص عليها في الاتفاقية » واضاف الى ذلك قوله انه « قام بتفتيش جميع الاماكن التي تحتاج الى تفتيش خلا (آ) المقبرة العسكرية البريطانية القريبة من تلك المباني و (ب) ستغرف واقعة في عمارة (راتنوف) . » اما المقبرة فقد قال رايلي انه لم يستطع تفتيشها ، لانها مزروعة بالالغام (!!) واما الغرف الستة المبحوث عنها فانه لم يكن باستطاعته الدخول اليها بسبب فقدان مفاتيحها (!!) .

وانه لمنطق في غاية السخف ، وهو الذي حدا برئيس الوفد الاردني في لجنة الهدنة الى المطالبة بالغاء تلك الاتفاقية قائلا « ان المادة الاولى منها تنص على بقاء هذه المنطقة تحت الحماية الدولية الى ان يقف القتال او تبرم اتفاقية جديدة بين الفريقين المتخاصمين . »

ولقد توقف القتال بالفعل ، كما ايرمت اتفاقية جديدة هي « اتفاقية رودس » وجاءت هذه بعد تلك بتسعة شهور . ولهذا اصبحت (اتفاقية الهدامسا) ملغاة .

وارادت (لجنة الهدنة المشتركة) ان تنظر ، على ضوء الحقائق المتقدم ذكرها ، في المخالفات التي بسطها الوفد الاردني ، الا ان الجنرال ويليام رايلي الذي اشتهر بميله لليهود ، زعم أن النظر في هذه المخالفات لا يدخل في نطاق الصلاحيات الممنوحة للجان الهدنة ، وانما هو عائد لكبير المراقبين الدوليين ، ذلك لان الاتفاق حول هذه المنطقة المجردة من السلاح قد تم بين قادة الفريقين العسكريين نتيجة لتدخل هيئة الامم .

ولما طلب اليه ان ينظر في هذه المخالفات قال ان النظر فيها من شأن (اللجنة الخاصة) التي ورد ذكرها في المادة الثامنة من اتفاقية الهدنة ، تلك اللجنة التي خولت - فيما خولته من صلاحيات - حق النظر في المؤسسات الانسانية والثقافية والبحث في حرية المرور اليها ، وهي (اي اللجنة) لم تجتمع منذ عام ١٩٥٠ ، ذلك لان اليهود يطمعون في الحصول على الكثير من الامتيازات في القدس وفي غيرها من الجهات عن طريق تلك المادة .

معركة جنين الثانية

بعد ان هزم اليهود امام العراقيين وأخلوا جنين (يوم الجمعة ٤ حزيران ١٩٤٨^(١)) تمركزوا في التل الكائن تجاهها من الشمال ، ويسميه السكان بالخروبة ، ويرمز اليه العراقيون بالرقم ١٥٢ . يبعد عن جنين ثلاثة كيلومترات . وراحوا يقصفون جنين بنيران مدافعهم التي نصبوها هناك . فكان لا بد من ابعادهم لئلا يهاجمون جنين مرة اخرى . فاتفق العراقيون وعلى رأسهم العقيد صالح زكي وهو كردي والمناضلون الفلسطينيون وفي طليعتهم فوزي جرار وهو عربي فلسطيني على ان يقوموا بغارة مشتركة على اليهود . وأن تتولى المدافع العراقية ضرب المواضع اليهودية ، بينما يزحف المشاة من الفلسطينيين الى الامام وهكذا كان .

بدأ الزحف عند منتصف الليل في ٩ تموز ١٩٤٨ ، اي في الساعة التي انتهت فيها الهدنة الاولى وكان عدد الزاحفين من المناضلين الفلسطينيين زهاء ثلاثمئة ، يقودهم الرئيس الاول بدر الدين علي من ضباط الفوج الثاني اللواء الخامس ، فاتجهوا نحو فقوعه ، ترافقهم سرية من المشاة من افراد الفوج الثاني من اللواء الرابع ، وما كادت الساعة

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذه المعركة في ٤ حزيران ١٩٤٨ .

تدق الثانية بعد ظهر ذلك اليوم (٩ تموز) حتى كان المناضلون ورفقاؤهم العراقيون قد استولوا على فقوعة ، وغنموا سيارة جيب وبعض الأسلحة ، وقتلوا من اليهود عدداً غير قليل ، بينهم ثلاث فتيات كن متحصنات في منزل من منازل القرية ، وكان على الفوج الثاني من اللواء الخامس في الوقت نفسه ان يزحف باتجاه صندلا ، ولكنه لم يزحف الا في صبيحة اليوم التالي (١٠ تموز) نصحبه سرية من المدرعات ، وقد تمكن من الاستيلاء على (تل الخروبة) . الا انه لم يتمكن من استئناف زحفه باتجاه صندلا بسبب المقاومة العنيفة التي لقيها من اليهود ، ويران المدافع الشديدة التي راح هؤلاء يطلقونها من حصون جلمه ، عندهذا غير الفوج وجهته ، فأمر عرانة ، واستولى عليها ، وما كادت الساعة تدق الثانية بعد ظهر ذلك اليوم (١٠ تموز) حتى كان الفوج قد وطد أقدامه على التلال القائمة غربي المزار . وارتد اليهود الى الورا . وما كادت الشمس تنجح إلى المغرب حتى كان العراقيون من ناحية والفلسطينيون من الناحية الاخرى قد طوقوا القطعات اليهودية المعسكرة في جلمه وصندلا .

وقام اليهود بثلاث هجمات معا كسة قاصدين صد العرب واعاقه زحفهم . الا انهم فشلوا ونجح العرب في تقدمهم ، فاستردوا صندلة وجلمه ، استردوها في الساعة الرابعة من صباح اليوم الحادي عشر من شهر تموز ١٩٤٨ ، وغنموا من اليهود ، عندما استردوا هاتين القريتين ، مقادير كبيرة من الغنائم ؛ بينها مدفعان من مدافع الهاون من عيار ٨١ ملم ومئة بندقية تشيكوسلوفاكية واربع رشاشات وثلاثة مدافع ذوات عقدتين واعتدة كثيرة .

وتقدم العرب ، بعد ذلك ، فاستردوا عدداً آخر من القرى التي احتلها اليهود في أوائل الشهر الفائت : - عرانة وعربونة ودير غزالة ومقبيلة (١) وفقوعة وكادت المزار تقع في ايديهم ، وفي تل المزار استولى العرب على جهاز لاسلكي ورشاشين من طراز برن وعشرين بندقية وأربعة رشاشات من طراز ستن وستين معظفاً وستين بطانية ومقادير كبيرة من الرمانات والالغام .

(١) عاد اليهود فاحتلوا مقبيلة ، كما احتلوا صندلا ، ومعظم اراضي جلمه باتفاقية رودس .

وبلغت خسائر اليهود في هذه الجولة مئة وخمسين قتيلًا ، وأما خسائر العرب فقد بلغت ثلاثين شهيداً : - سبعة عشر منهم فلسطينيون ، وثلاثة عشر عراقياً (١) . كلهم من السرية الثالثة من فوج عبد الاله ، ويطلق عليها سرية النور ، وأما الجرحى فعددهم واحد وأربعون : - ثمانية وعشرون عراقيون ، والباقون فلسطينيون ، وبين الجرحى جريح واحد برتبة ضابط .

ولقد دب الذعر في افئدة اليهود ، فارتدوا الى الوراء مذعورين . واحتلوا العفولة ، وفوله ، ونهلال ، كما اجتلوا مستعمراتهم المنتشرة في مرج بن عامر ، وراح الناس يرتقبون ان تنحدر قطعات الانقاذ المرابطة في الناصرة بقيادة فوزي القاوقجي الى السهل ، فتتصل القواتان وتقطع ما بين المستعمرات اليهودية المنتشرة في المرج المتقدم ذكره في وادي بيسان ، ولو تم ذلك لسقطت تلك المنطقة كلها بيد العرب .

ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ...

فبينما كان المناضلون الفلسطينيون يرسمون الخطط لاسترداد المزار وزرعين ، وتقدم زهاء اربعمئة مناضل منهم ، في مساء اليوم الحادي عشر من شهر تموز ١٩٤٨ ، حتى اصبحوا قاب قوسين او ادنى من زرعين ، وكان يقودهم فوزي الجرار . رأوا ، ويألهول ما رأوا ، ان العراقيين ينسحبون . ولما استطلعوا الخبر قيل لهم ان الامر يقضي بانسحابهم الى نابلس . سحب القائد العراقي قطعاته من جنين الى منطقة كفر قاسم ، سحبها غير عابئ برجاء من تقدم اليه بالرجاء من عيون البلاد وسكان جنين .

فوقف الفلسطينيون مشدوهين ، وراحوا ينظرون الى اخوانهم المنسحبين وفي قلوبهم حسرات وفي مآقيهم عبرات ... اما الذي امر بسحبهم فهو القائد العراقي نور الدين محمود باشا ، الذي وصل والمعركة قائمة واصدر اوامره بوقف القتال هناك .

ويحدثك الذين شهدوا تلك المعركة ، وهم كثيرون ، ان الجيش العراقي لو ثابر في زحفه يومئذ وفي تعصيدة للفلسطينيين لاحتل العرب العفولة وفرلة وسائر المستعمرات اليهودية الكائنة في مرج بن عامر ، ولقطعوا كل اتصال كان بين تلك المستعمرات

(١) جاء في اصابة وزارة الدفاع العراقية ان عدد الشهداء العراقيين في معارك جنين (ولعلمهم يقصدون المعركة الاولى في ٣ حزيران والثانية في ٩ تموز) بلغ الخمسين .

واخواتها المنتشرات في غور بيسان ، تلك المستعمرات التي دب الزعب في قلوب سكانها ،
فراحوا يرحلون صوب البحر زرافات ووحدانا .

عندما زرت بغداد في شهر كانون الاول ١٩٥٣ لتحقيق بعض النقاط الغامضة التي
ورد ذكرها في كتابي هذا ولها صلة بالجيش العراقي ، سألت العميد الركن نور الدين
محمود باشا (١٨/١٢/١٩٥٣) عن الاسباب التي ادت الى انسحاب القطعات العراقية
من قطاع جنين في وقت دب الذعر في افئدة اليهود ، وراحوا يتقهقرون ، وكان
باستطاعة الجيش العراقي يومئذ ان يحتل العفولة ونهلال وسائر المستعمرات اليهودية
الكائنة في مرج بن عامر ، كما كان باستطاعته أن يقطع ما بين هذه المستعمرات واخواتها
المنتشرة في وادي بيسان . فقال :

بعد ان احتلنا قرى جنين السبعة لم نستمر في تقدمنا للاسباب الآتية : -

أولاً - ان الغاية من زحفنا يومئذ كانت ابعاد الخطر عن جنين ، وطرد اليهود من
الراقم ١٥٢ (الخروبة) وقد حققنا هذه الغاية .

ثانياً - لم تكن لدينا قوة كافية لمتابعة الزحف في اتجاه العفولة ، ولا يجوز لنا في هذه
الحال أن نتقدم أكثر مما نستطيع .

ثالثاً - سقطت ، في تلك الاثناء ، اللد والرملة بيد الاعداء ، وبسقوطها انكشف
جناحنا الايسر ، وكان علينا أن نحمي ذلك الجناح . فأرسلنا إلى ذلك القطاع أكثر
القوات التي كانت لدينا في جنين .

اتصل بي أن هذه المعركة التي اسميتها (معركة جنين الثانية) والتي استرد فيها العرب
خمساً من قراهم ، قامت من غير علم القيادة العراقية ، وأن الذي أخذها على عاتقه هو
العقيد الركن صالح زكي توفيق ، وان هذا عوقب بعد انسحاب الجيش العراقي من
فلسطين على عمله ، وفي قول انه ادين .

انه من ابناء بغداد ، كردي اصل ولد سنة ١٩٠٨ ، وتخرج من الكلية العسكرية
برتبة ملازم ثان سنة ١٩٢٨ ودخل كلية الاركان سنة ١٩٣٤ حارب البارزانيين وعين
أمراً للواء المشاة الرابع في ١٥/١٢/١٩٤٧ واشترك في حرب فلسطين .
وهو الذي أخذ على عاتقه مهاجمة اليهود في معركة جنين الثانية قائلاً لابناء جنين الذين

راحوا يحثونه على مؤازرتهم : « اقسام بشرفي العسكري وبعرضي لاستعيدن قراكم . »
وقد استعاد جزءاً كبيراً منها ، وكان باستطاعته أن يستعيد القرى الاخرى لولا الاوامر
التي أعطيتها من لدن رؤسائه ! .. وبلغ عدد المناضلين الذين اشتركوا في المراحل الاخيرة
للقتال الفأ . وقد سقط منهم في هذه المعركة ثلاثون ، ومن العراقيين سبعة وعشرون .
وبقيت زرعين والمزار ونورس من قضاء جنين بيد اليهود .

حدثني من أثق بصدق حديثه من العراقيين أن مصطفى راغب باشا القائد العراقي المشهور
استقال من القيادة وعاد الى بغداد بعد معركة جنين هذه . وانه ابرق الي القائمين على
الامر في بغداد يقول ما معناه (ان معركة فلسطين على ما بدا لي عبارة عن رواية تمثيلية ،
ولما كنت لا ارغب ان اكون أحد الممثلين فالرجاء ان تقبلوا استقالتي) انه رجل وتقي ،
في حدود الستين من العمر .

قبل ان نختتم هذا الفصل عن معارك جنين نرى من الانصاف ان نذكر ان المناضلين
من أبناء جنين والقرى المجاورة لها قد ابلوا فيها بلاء حسناً ، ولئن نسينا فلا ولن ننسى
فوزي الجرار الذي قاد المناضلين ، وعبد الغني سنان الذي كان يتقدم الصفوف وينفق
على المناضلين من ماله الخاص ، وقد أطلعت على رسائل الثناء والتقدير التي ارسلها اليه
العقيد الركن طاهر باشا الزبيدي وفوزي القاوقجي ، وانا لذا كرون أيضاً من النساء
المجاهدات (ام محمد) من تلة الظهر وقد ذكرها صالح زكي في خطابه يوم دشن
العراقيون النصب الذي اقاموه للشهداء الفلسطينيين .

قبيل استئناف القتال

قال جون كمشي عندما اشار الى المساعي التي بذلها الوسيط من أجل الحيلولة دون
استئناف القتال في الصفحتين ٢٥١ و ٢٥٢ من كتابه seven Fallen pillars ان الانكليز
كانوا يميلون الى استئناف القتال ، وان وزير الدولة البريطاني Hector McNeil قال له
عندما بحثا هذا الموضوع أنه « لا بد من استئناف القتال وإراقة الدماء في فلسطين ليسلم
العرب بالامر الواقع ، ويعترفون بكيان دولة اسرائيل ، ولا بد من ذلك أيضاً ليذكر
انهم لا يستطيعون الاحتفاظ بجبهة طويلة كالجبهة التي خصصتها لهم هيئة الامم المتحدة . »
وكان من رأي هذا الوزير ، على رأي جون كمشي « ان العلاقات بين مصر وبريطانيا

ساعت الى حد كبير ، وان النقراشي أزعج الانكليز بمطالبتهم بالجلء ووحددة وادي النيل ، كما انه (أي النقراشي) راح يطالبهم بالأراضي التي يريد الانكليز أن تعطى للملك عبد الله . وختم الوزير البريطاني حديثه مع جون كمشي بقوله :

« حبذا لو يُضرب المصريون ضربة قوية في فلسطين ... »

وراح يتساءل : « لماذا لا تقصف الطائرات اليهودية القاهرة من الجو ؟ »

ولقد حدثني من أثق بصدق حديثه (المحامي عمر صالح البرغوثي) انه ، عندما لجأ الى مصر اجتمع بالنقراشي رئيس الوزراء . وجرهما الحديث إلى مسألة القتال في فلسطين

فقال له النقراشي ان الانكليز امتنعوا عن تسليم المصريين قسماً كبيراً من الاسلحة التي كان الفريقان قد اتفقا على تزويد الجيش المصري بها حتى انهم قبضوا ثمنها سلفاً . وانهم (أي الانكليز) اعتذروا عن عملهم هذا بأن أميركا هي التي ضغطت عليهم ، وانهم لا يستطيعون مخالفتها ، لانهم هم في حاجة لرضائها واسلحتها وما لها .

هذا كان قبل ان تعلن الهدنة الاولى ، ويقف القتال ، ولما راحت الدول العربية تتحضر لاستئناف القتال ، وكانت هذه تبحث عن السلاح ، تقدم الانكليز الى النقراشي بالتكليف التالي :

الانكليز على استعداد لتزويد المصريين بما يطلبون من سلاح ، وبردع اليهود عن غيهم شريطة ان يتخلى هؤلاء عن المطالبة بحقهم في السودان ، وان ينفذوا معاهدة ١٩٣٦ بعد ادخال تعديل بسيط عليها ، وان يمضي الفريقان اتفاقاً جديداً يرضيان فيه بمبدأ الدفاع المشترك .

ولما لم يرض النقراشي بهذا التكليف ، انقطعت المفاوضات . وهكذا استأنف الجيش المصري القتال دون ان يكون مزوداً بالسلاح الكافي لربح الحرب .

وقد يتبادر للذهن لأول وهلة ان الملك عبد الله ايضاً ، وهو المعروف بكونه حليف مخلص للانكليز ، كان يريد استئناف القتال ، ولكنني من القائلين بعكس ذلك . ولقد حدثني جلالته ، وكنا في احد ايام الشتاء (١٩٥٠) نتحدث عن موقف الجيش العربي من القتال ، ان الذي سائر اللجنة السياسية التابعة لمجلس الجامعة العربية في قرارها الرامي الى استئناف القتال هو توفيق ياشا ابو الهدى رئيس وزرائه في ذلك الحين ، وانه

دون استشارته ذلك لانه (أي الملك) كان خارج بلاده ، ولو كان هنا لما قبل بماقررته
الجامعة ، ولامر بتمديد الهدنة ووقف القتال .

هذا ما قاله لي الملك عبد الله . واليك ما قاله لي صادق البصام الذي كان يومئذ
وزيراً للدفاع في العراق . قال :

« كنت انا والباحه جي رئيس الوزراء من القائلين بوجوب استئناف القتال ، وقد
أبدينا رأينا هذا الى زملائنا ، ممثلي الدول العربية ، الذين كانوا يومئذ مجتمعين في القاهرة .

« وعدنا بعدئذ الى دمشق لنستشير شكري القوتلي رئيس الجمهورية ، فاصر هذا على
استئناف القتال : وقبل ان نغادر دمشق الى عمان أكد لنا القوتلي انه مستعد لان يضع
سوريا وجيشها وجميع امكانياتها تحت تصرف الملك عبد الله شريطة ان يتابع القتال . «
الى ان قال :

« ولما استؤنف القتال ، وسقطت ، اللد والرملة ، طرنا الى عمان ، وكان اول عمل قنابله
ان يمنا قصر رغدان ، وزرنا الملك عبد الله الذي اعتذر لعدم تمكنه من متابعة القتال
قائلاً : ان مصر اخذت منه عشرة آلاف طلقة مدفعية ، وانه لا قدرة للاردن على القتال
لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية المالية .

« فعرض عزام ، الامين العام للجامعة على الملك قنابل مدفعية . وابرق الى مصر ،
فارسلت القنابل المطلوبة بالطائرة .»

« وعرض البصام بطاريتين من البطاريات العراقية الرشاشة ارسلت هذه بالفعل
من بغداد .»

« واعد عزام شيكاً بمئة واربعين ألف دينار ليسلمه الى الملك عبد الله باسم الجامعة .
« ولما نودي على صالح صائب باشا ، رئيس اركان الجيش العراقي وكان يومئذ
قائداً عاماً للجيش العربية كلها ، واستشير في الامر قال : ليست الحكومات العربية
كلها بقادرة على متابعة القتال . وان فعلت ذلك فانها لا تملك من السلاح والعتاد ما
يكفل لها النصر . «

« فابتسم الملك ساعتد ابتسامة السخرية ، وانتفخت اوداجه بشكل يدل على
الانتصار فأيقنا انه لا يريد متابعة القتال . «

« عندئذ مزق عزام الشيك ، وخرجنا من قصر رغدان نجر اذيال الفشل . «

ولقد اتفق الانكليز والاميركيون ، في اثناء الهدنة الاولى ، على السياسة التي يجب أن يسيروا عليها فيما إذا استؤنف القتال ، ولم ينصح الفريقان لمشورتهم ، فاعتزم الانكليز ان يعترفوا بقيام دولة اسرائيل ، واعتزم الاميركيون أن يؤيدوا الانكليز في خطتهم الرامية الى بقاء النقب بيد العرب .

فشل الوسيط في مسعاه للحيولة دون استئناف القتال

عندما يئس الوسيط ، ورأى ان مساعيه من اجل التوفيق بين الفريقين ومن اجل تمديد اجل الهدنة لم تثمر ، أصدر اوامره الى المراقبين الدوليين كي ينسحبوا من جميع الميادين ، وأبلغ الفريقين انه سيقصر عمله على فكرة تجريد القدس من السلاح . وراح الفريقان يستعدان للقتال مرة اخرى .

وسافر الكونت من فوره من رودس الى ليك سكسس في ١٠ تموز ، ليبلغ مجلس الامن ما جرى ، وابرق ، وهو في الطريق ، الى الفريقين ؛ مناشداً اياها مرة اخرى ان يوافقا على تمديد الهدنة عشرة ايام اخر .

من الهدنة الاولى

الى ما قبل الهدنة الثانية

استئناف القتال

في الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الموافق ٩ تموز ١٩٤٨ استؤنف القتال وكان من المتوقع أن يبدأ في الثامنة . إلا ان الفريقين أجلاه ساعتين بناء على طلب الوسيط الدولي ليتمكن هو وصحبه المراقبون من الانسحاب .

وما كاد هؤلاء ينسحبون حتى راح كلا الفريقين ينقض على الآخر ، وكانت قوات الجيش العربي مرابطة في أطراف المدينة كما يلي : الكتيبة السادسة في مواقعها السابقة (بالبلدة القديمة وعلى الاسوار) والكتيبة الثالثة ايضاً في مواضعها السابقة (من باب العمود الى نخلات شمعون) . وانضم الى هذه الكتيبة سرية من سرايا الكتيبة الخامسة جاءت في آخر يوم من ايام الهدنة ، واشتركت في القتال عند استئنافه . وبعد يومين انسحبت ، بعد ان قتل اثنا عشر جندياً من جنودها . واما المناضلون المنتمون الى فرق الجهاد المقدس فقد زيد عددهم خلال الهدنة ، وبلغوا الفاً وتسعمئة : ٧٠٠ منهم في القدس نفسها و ٨٠٠ في قطاعها الجنوبي (بيت صفافا وبيت لحم) و ٤٠٠ في قطاعها الشمالي (عابود وبيير زيت) .

وحدثت بعد ذلك معارك شديدة في القطاعين الجنوبي والشمالي . ومعارك القطاع الشمالي كانت على اشدها بين سنهدريا والشيخ جراح .

نسف اليهود ، في ١٠ تموز ، جانباً من السور الملاصق لمدرسة الفرير عند الباب الجديد . وحاولوا اقتحام المدينة عبر الثغرة الواسعة التي احدثوها هناك . الا ان جنود الجيش العربي ، وكان منهم هناك يومئذ مئتان مقاتل ، وقد تعاون معهم الرهبان والمناضلون من ابناء بيت المقدس ، فتمكنوا من سد الثغرة . ثم راح الجنود برشاشاتهم يقاتلون ، فصدوهم .

وقذف اليهود الحرم ودرب الام والاحياء العربية الاخرى بوابل من نيران مدافعهم في ١٠ تموز . فسقطت بعض القذائف في وسط الحرم ، وبعضها في اطرافه (باب العتم والروضة وعقبة المفتي) وكان قصدهم هدم الحرم وتحطيم مقر قيادة الجيش العربي في الروضة ، وتخويف اللاجئين الذين كانوا قد التجأوا الى الحرم والى المباني الكائنة في اطرافه .

وقصفت المدافع العربية (١١ تموز) الحي اليهودي المذكور والاحياء اليهودية الاخرى قصفاً شديداً^(١) صفتها من وراء اكمة النبي صموئيل . فاصيب عدد كبير من المنازل اليهودية ، واصيبت النوتردام ، فاحترق جانب كبير منها . واصيبت محطة الهاغانا للاذاعة . واحتل العرب مركز البوليس القديم في حي مياشورم . كما اجتلوا ثلاث عمارات اخرى مجاورة له . وكانت الظواهر تدل على ان اليهود قد اتخذوا هذا الحي يومئذ مركزاً لتجمع قواتهم بقصد الاغارة على جبل سقوبس . واشتركت طائرات العدو الجديدة^(٢) في القتال . فتقطعت اسلاك الهاتف التابعة للجيش بفعل قنبلة القتها احداها . وفيما كانت هذه (اي الطائرات اليهودية) تبحث عن مواضع المدافع العربية الثقيلة في جبال بدو والنبي صموئيل ، كانت الطائرات المصرية (نافثات اللهب) تقذف حممها على تل ابيب .

وقيل ان عدد الطائرات اليهودية التي اشتركت يومئذ في القتال اثنان من نوع دا كوتا . وراحت مدافعهم الثقيلة ، وهذه ايضاً استحضروها في فترة الهدنة ، تقصف وادي ز والحرم والاحياء العربية الكائنة شرقي المدينة بشدة . وقصارى القول ان الضغط على الاحياء العربية وان كان شديداً ، الا ان اليهود لم يفوزوا منه بطائل . سوى انهم احتلوا قرية صوبا في (٧ / ١١) وعين كارم ١ / (٧ / ١١) . ووقف مشاتهم هناك ، فلم يستطيعوا ان يتقدموا . اذ ان حماة البيت من رجال الجيش ومن رجال الجهاد المقدس

(١) ادين بعض ضباط الجيش العربي من رجال المدفعية الملكية ، اثر هذا . . . قصفوا الاحياء اليهودية دون امر من رؤسائهم الانكليز . والبعض الاخر لانهم قذفوا عدداً كبيراً من مدد المقرر قذفه . ومن الذين ادينوا الملازم الاول غازي الحربي ، ومنهم ايضاً الملازم الار . عبد الله البيطار . اذ قذف هذا حي سنهدريا والبخار اليه . وقد فعل ذلك من غير امر من رؤسائه .

(٢) عندما بدأ القتال في القدس ورأى اليهود جة الى مطار - وكان المطار الوحيد القريب من القدس « قلندية » بيد العرب انشأوا مطارين : احد على طريق يافا في وادي الشيخ بدر عند مستعمرة التنك ، وقد خصصوه لنزول الطائرات الصغيرة . والاخر على طريق عين كارم بين روميا وجبعات شاؤول ؛ هو كبر من الاول . وقد اكتشف العرب هذا المطار وهو في حالة الانشاء . فضربوا بمدافعهم مراراً غير قليل من العمال . ولكن اليهود ، رغم ذلك ، اتموه في بحر اسبوعين .

كانوا واقفين بالمرصاد . كما كانت مدافع الجيش تجيب على النار بمثلها ، وكانت معنويات الجانب العربي قوية للغاية . ولم يخسر العرب في معارك اليومين الاخيزين (٩ و ١٠ تموز) سوى اربعة شهداء . احدهما اردني والثاني يمني والباقي مقدسيون . ومن يدري لعل اليهود قاموا يومئذ بتلك المظاهرة العسكرية في هذا القطاع لتغطية مراميهم الحربية في القطاعات الاخرى . اذ انه ، بينما كانت مدافع الفريقين تتبادل النيران بشدة في القدس جاءت الانباء مؤيدة لسقوط عين كارم من اعمال القدس . وسقوط تل الصافي من اعمال الخليل (١٠ تموز) والسوايمة وبيت جرين (١٢ تموز) . وتل المكخر من اعمال بئر السبع (١٢ تموز) وفشل المصريون في استرجاع بيت داراس . والاهم من هذه وتلك سقوط اللد (١١ تموز) والرملة (١٢ تموز)

معارك بيت داراس (١)

عندما استؤنف القتال بعد الهدنة الاولى عقد المصريون في رئاسة اللواء (المجدل ؟) وفي ٣٠ يونيو مؤتمراً حربياً قرروا فيه ، فيما قرروا ، ان تتقدم الكتيبة السابعة التي وصلت الى الميدان قبل اعلان الهدنة ، فتستولي - فور استئناف القتال - على بيت داراس . وان تتقدم بعدئذ الكتيبة السادسة (جمال عبد الناصر) فتستولي على الوافر الشرقية والوافر الغربية .

ولكن الكتيبة السابعة لم تتمكن من تحقيق اهدافها بسبب خطأ وقع هو انه كان على القوة السودانية ان تهاجم بيت داراس ليلاً وتحتل المواقع الامامية المعينة لها وكان عليها ان تطلق اشارة صوتية خضراء اذا نجحت . وحينئذ تتقدم الكتيبة السابعة فتحتل القرية . وكان عليها - اذا لم تنجح - ان تطلق اشارة ضوئية حمراء . ثم تبعد قليلاً عن بيت داراس لتطلق مدفعية الميدان الثقيلة نيرانها على بيت داراس .

ونجحت القوة السودانية . ولكن الجندي المكلف باطلاق الاشارة اخطأ فاستعمل اشارة الحمراء بدلاً من الخضراء . ولما ارتفعت اشارة الحمراء في الظلام راحت مدافع الميدان تطلق نيرانها على المواقع التي احتلتها القوة السودانية . فاضطرت القوة السودانية للانسحاب . ولما هدأت المدافع عاد اليهود فاحتلوا بيت داراس من جديد ، وهكذا فشلت المعركة .

(١) مذكرات جمال عبد الناصر المنشورة في مجلة « آخر ساعة » العدد ١٠٦٤ بتاريخ ١٠/٣/١٩٥٥

اللد والرملة

بلدان عربيان توأمان ، يبعد الواحد منها عن الآخر ميلا واحدا فقط . ويكاد المرء لا يميز بينهما من حيث الأهل والعمران والعادات والمزارع والسكان .

يعيش في الاولى (لد) ١٦,٧٨٠ نسمة : ١٤,٩١٠ منهم مسلمون والباقون مسيحيون وليس فيها سوى عشرين يهودياً . ويسكن في الثانية (الرملة) ١٥,١٦٠ نسمة : ١١,٩٠٠ منهم مسلمون والباقون مسيحيون . وليس فيها يهودي واحد . هكذا كان عدد السكان في عام ١٩٤٥ . وكانت مساحة اللد عامئذ ٣,٨٥٥ دونما . واما مساحة مدينة الرملة فقد كانت ١,٧٦٩ دونما ، ومساحة القرى التابعة لها ٣٨,٩٨٣ دونما . ليس فيها لليهود سوى ١٨٥ دونما .

ومعظم سكان هذين البلدين وقراها مزارعون . انهم حرب اقحاح .. امويون .. اما لد فانها اقدم من الرملة . كانت للنصارى وهم من ابناء الروم . وقد خربها صلاح الدين خشية ان تقع بيد الصليبيين . فيها قبور عدد من الصحابة نذكر منهم (سلمان الفارسي) .

اما الرملة فانها احدث عهداً من اختها (لد) . بناها سليمان بن عبد الملك عندما ولاه الخليفة (اخوه الوليد) جند فلسطين ، نزل سليمان بادية ذي بدء لد . ثم بنى الرملة . وبنى فيها مسجداً . وقد اتته الخلافة وهو فيها . ونقل الناس اليها من لد . وجعلها قسبة فلسطين ، أي عاصمتها .

سميت الرملة لغلبة الرمل عليها . كذا جاء في (الروض المعطار) واما العمري فقد قال في كتابه (مسالك الابصار) انها سميت بامرأة اسمها رملة ، وجدها سليمان بن عبد الملك هناك في بيت شعر حين نزل مكانها يريد بناءها . فاكرمه واحسنت نزله . فسألها عن اسمها فقالت : رملة . فبنى المدينة وسمها باسمها .

فيها قبور عدد كبير من الصحابة نذكر منهم ابا هريرة والفضل بن العباس احتلها الصليبيون عندما هبطوا فلسطين . وانقذها منهم صلاح الدين (٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م) . ثم عاد فخر بها (٥٨٧ هـ - ١١٩١ م) خشية ان يعود الافرنج فيستولون عليها .

بينها وبين القدس ثمانية عشر ميلا . وكذلك قل عن لد .

ولهذين البلدين في يومنا هذا اهمية كبرى من الناحية الاستراتيجية . وذلك لانهما واقعان في وسط فلسطين . فهناك مطاران : احدهما بالرملة ، وهو مطار عسكري صغير ؛ والثاني على مقربة من لد ، وهو مطار مدني كبير ويعتبر هذا المطار من اهم المطارات الجوية في الشرق الاوسط . وفي لد تلتقي السكتان الحديديتان الفلسطينيتان : (١) للقدس - يافا (٢) حيفا - القنطرة . وهناك في صرند ، وعلى مقربة من الرملة ، معسكر للجيش فيه عدد كبير من الثكنات والمباني العسكرية والمدنية .

وفي الرملة تقوم محطة للتلفونات الرئيسية في فلسطين وهي محطة عالمية .
فلا عجب اذاً اذا رأينا اليهود وقد شخصت ابصارهم نحو هذين البلدين يتغنون احتلالها فور صدور قرار التقسيم .

ولكن العجب هو الاهمال الفظيع الذي بدا من اللجنة العسكرية في دمشق حيال هاتين المدينتين القائمتين في اعظم موقع استراتيجي في وسط البلاد . فان واحداً من اعضاء تلك اللجنة لم يقم بزيارة لها ولم يتفقد احوالها وما كانتا في حاجة اليه من دفاع وتحصين . وكل ما رأيناه منها انها في ١٦ شباط ١٩٤٨ اصدرت اوامرها لسرية من المجاهدين بالزحف صوب قطاع لد والرملة . وقد اضافت اليها ، في الوقت نفسه ، فصيلاً من المتطوعين المصريين . والقصد من ذلك ، كما قال العميد الركن طه باشا الهاشمي في مذكراته ، ان تكون هذه القوة نواة للمجاهدين الذين يعملون في هذا القطاع بقيادة الشيخ حسن سلامة ، وقد اعترفت به اللجنة العسكرية قائداً لهذا القطاع . وكان ذلك بناء على اقتراح تقدم به المفتي .

وفي ٢٣ شباط ١٩٤٨ تحركت السرية المذكورة من دمشق الى قطاع لد والرملة ، يقودها الملازم الاول عبد الجبار العراقي .

ولقد حاول اليهود احتلال هاتين المدينتين مراراً قبل عقد الهدنة . الاولى الا ان المناضلين صمدوا لهم . فردوهم على اعقابهم . ولما عقدت الهدنة ، وتقوى اليهود بالنجادات والمعدات التي اتتهم من اوروبا والولايات المتحدة من رجال وسلاح وعتاد ولا سيما الاسلحة التي حملتهم اليهم الباخرة (الطالينا) ملكوا زمام المبادرة وتمكنوا من الاستيلاء عليها . اما لد فقد سقطت بيد اليهود في يوم الاحد الموافق ١٢ تموز ١٩٤٨

واما الرملة فقد بايديهم في اليوم التالي : الاثنين الموافق ١٢ تموز سنة ١٩٤٨ . واليك
تفصيل الخبر : -

لد

كان فيها عند بدء النضال زهاء خمسة وسبعون مقاتلا تابعون لفرق الجهاد المقدس
يقودهم الشيخ حسن سلامة وهو المسؤول عن ادارة دفعة القتال في ذلك القطاع ، و ٢٥٠
من رجال الحرس البلدي ، و ٣٥٠ بدو متطوعون ، وكان هنالك زهاء ٦٥٠ من ابناء
المدينة ينزلون الى الميدان كلما دعت الحاجة الى النجدة ، وفي غير نظام ؛ هذا كان قبل
زوال الانتداب . ولما زال الانتداب وخرج البريطانيون وتولى الجيش العربي مهمة
الدفاع عن البلاد اقام هذا في لد اربعين جندياً نظامياً . وما عرفنا ان هؤلاء قاموا بأي
تحصين للمدينة . ويحدثك ابناؤها انهم غادروا المدينة دون ان يشتركوا في قتال مع اليهود .
ولم يشترك في المعارك التي دارت حولها سوى حماة المدينة من ابنائها الذين ذكرناهم في
السطور المتقدمة . وكان هؤلاء مزودين بالاسلحة التالية : ١١ مصفحة ٣ مدافع مورتر
ومدفعان كبيران و ٤ مدافع مقاومة للدبابات ومدفعان صاروخيان و ٢٥ برن ٧ ستن
١٥٠ بندقية اعتيادية شروا معظمها باموالهم وبأثمان باهظة ٩ مسدسات ٤ هوشكس .
وكان لديهم ١٨٠ صندوق ذخيرة انكليزية وقليل من القنابل والالغام . وكثيراً ما
اشتبك المجاهدون في قتال مع اليهود . وكان النصر حليفهم . ولقد اسقط هؤلاء مرة
طائرة كانت تحلق في مطار لد . واستولوا مع اخوانهم المناضلين من ابناء الرملة وابناء
القرى المجاورة على المطار (١) والمحطة وعلى مخزن البنزين وعلى معسكرات الجيش في

(١) كان في مطار اللد ، عندما نشب القتال ، مئتان واربعة موظفون من العرب .
وكان فيه مثل هذا العدد او اكثر من الموظفين اليهود فجمعهم مدير المطار الانكليزي المستر ورد
بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٤٨ وقد حضر الاجتماع اثنان من كل فريق « الدكتور نمر والسيد مدني عن العرب
والاضون ليفي والاضون سيمون عن اليهود » فبحث المجتمعون الوسائل الكافية لصيانة الامن في المطار ريثما
تتسلمه السلطات القادمة فاكد العرب انه ليس في مطار اي عربي ينتمي الى المنظمات المسلحة . ورفض اليهود
اعطاء مثل هذا التأكيد .

وفي ٣٤ نيسان ١٩٤٨ اهتمت الهيئة العربية العليا بالمطار ومحطة السكة الحديدية في لد وبمعسكر صرفند
وتل لنفسكي فامرت الشيخ حسن سلامة كي يزيد عدد المسلحين الذين انيط بهم حراسة هذه الاماكن فزيدوا
الى ١٥٠٠ وخصصت المبالغ اللازمة لدفع رواتبهم ، وقد استولى العرب على تلك الاماكن . الا ان اليهود
عادوا فتغلبوا عليهم واخرجوهم منها .

صرفند ورأس العين وبيت نبالا ، غير انهم لم يحسنوا الافادة منها . أضف إلى ذلك ان هذا العدد العديد من المناضلين والمقادير الوافرة من الاسلحة والاعتدة ما كان ليجمدي في صد هجمات اليهود الى زمن طويل . ولا سيما عندما نزل هؤلاء الى الميدان خمسة آلاف مقاتل ، جلهم من رجال الصاعقة (البالمخ) وكانوا مزودين باحسن الاسلحة ، واقدر الرجال والخبراء العسكريين الذين استأجروهم واتوا بهم من روسيا والمانيا وتشيكوسلوفاكيا واميركا وغيرها من البلدان .

ولقد شن اليهود على لد هجومين : احدهما بدأ من خلدا فقريه القباب القائمة على طريق القدس - يا فا . واتجه شمالا نحو قرى عنابة وجمزو ودانيال ودير ابي سلامة والضحيرية . والثاني بدأ من ملبس الى رأس العين فجدل صادق فقولة فالمنزعة فدير طريف فبيت نبالا من الشمال .

والتقت القوتان اليهوديتان عند (بيت عريف) شرقي اللد وعلى بعد اربعة كيلومترات منها .

وبذلك طوقوا المدينتين لد والرملة وقد تم ذلك في اليوم الاول لاستئناف القتال (الجمعة ٩ تموز) .

عندئذ دب الرعب في افئدة السكان . وراحوا الى الحاكم العسكري الاردني ادريس بك وهو من الشراكسة - يستغيثون . فقال لهم انه تلقى برقية تقول (ان نهرا من الذهب يجري اليكم) ولكن لم تصلهم اية نجدة وان كان قد وصل الى دير طريف ثماني عشرة مصفحة اردنية . وفي مساء اليوم التاسع كانت هذه المصفحات ترابط في بيت نبالا . الا انها لم تستطع ان تخترق الطوق الذي اقامه اليهود حول لد .

واستمر الهجوم في ليلة السبت فتمكن اليهود في صباح اليوم التالي (١٠ تموز) من الاستيلاء على مطار لد . وبهذا تمكنوا من الاتصال بقواتهم الاخرى التي كانت في مستعمرة بن شيمن^(١) والمستعمرات الاخرى المجاورة لها .

وقبل الغروب اغارت الطائرات اليهودية^(٢) على مدينتي لد والرملة فقتلت وجرحت

(١) كان باستطاعة المدين ان يستولوا على هذه المستعمرة الكائنة في قلب القطاع العربي لولا حماقة بعض الرؤساء الذين لم يروا في بقائها ضيراً .

(٢) كان الطائرات اليهودية في معارك لد والرملة ذوات اربعة محركات . وهذه اول مرة بعد استئناف القتال تظهر فيها طائرات يهودية من هذا النوع .

كثيرين ، ودمرت بعض الاماكن . ان عدد القتلى من جراء هذه الغارة الجوية في مدينة اللد وحدها كان ٢٢ والجرحى ٦٠ .

وفي صبيحة اليوم التالي (الاحد ١١ تموز) القت تلك الطائرات نشرات تصور ملوك العرب وامراءهم ورؤساءهم كاحجار من الشطرنج يلعب بها (بيفن)^(١) كيف يشاء . وقد دعوا فيها المسلمين من اهالي لد والرملة الى التسليم ، قائلين ان المدينتين مطوقتان ، وانه لا فائدة ترجى من القتال ، وان على اهالي لد ان يرسلوا وفداً عنهم الى مقر القيادة اليهودية في قرية جمزو (شرقي لد) وعلى اهالي الرملة ان يرسلوا وفداهم الى مقر القيادة في قرية البرية (شرقي الرملة) .

كل هذا كان يجري والجيش العربي لم يحرك ساكناً . ولا اطلق طلقة واحدة لا من من مدرعاته ولا من مدافعه لا ولا تحركت المصفحات التي كانت مرابطة في بيت نبالا . ليس هذا فحسب . فقد حدثني عدد غير قليل من ابناء القرى المجاورة ان تجمع اليهود في خلدا والقياب كان يجري على مرأى من القطعات الاردنية التي كانت ترابط في اللطرون .

فاستغرب الناس هذا الجمود ، كما استغربوه من قبل وراحوا يتساءلون : لماذا ترك الجيش العربي مدينة لد والرملة من غير تحصين ، وكان بإمكانه أن يحصنها عند بدء النضال ، وان شئت فقل في أثناء الهدنة التي دامت اربعة اسابيع . وقد حصن اليهود ، خلال تلك الهدنة ، عدداً كبيراً من مواضعهم العسكرية .

وما كاد النهار ينتصف (الاحد ١١ تموز) حتى شن اليهود هجوماً مركزاً على مدينة لد . قاموا به من الناحية الشرقية عند قرية دانيال ، مستعملين مدافع المورتر والهاون كما انهم استعملوا الطائرات وراجمات الالغام . واستطاع المجاهدون من ابناء المدينة ان يردوا هذا الهجوم بعد معركة دامت زهاء ساعة ونصف الساعة . وقتل من اليهود في هذه المعركة ستون . ولقد عاد المجاهدون الى المدينة . وما كان يجوز لهم ان يعودوا لولا ان نفذ عتادهم . وكانت تنقصهم الخبرة في استعمال السلاح الذي كان بايديهم وتعميره . كما كان ينقصهم التنظيم . وما كان بينهم قائد خبير يقودهم .

(١) وزير خارجية بريطانيا في ذلك الحين .

وما كادوا يعودون حتى شن اليهود هجوماً آخر ، قام به رجال الساعة (البالمخ)
فدخلوا المدينة وكانت الساعة قد دقت الرابعة . دخلوها من ناحية بن شيمون بالمصفحات
وهيارات الجيب المحملة بالرشاشات ، بينما راح مشاتهم يزحفون من ناحية جزو مجتازين
للشارع العام ، مطلقين الرصاص من نوع دمدم على الاهلين من غير وعي . وقد قتلوا
كل من وجدوه في الشارع ، وهكذا سقطت لدني يد الاعداء . ولقد تم ذلك في مساء
يوم الاحد الموافق ١١ تموز . وبقي اللديون في مدينتهم فلم يرحوها . وحدث في صباح
اليوم التالي (الاثنين ١٢ تموز) ان تمكنت ثلاث مدرعات من مدرعات الجيش العربي
المرابطة في بيت نبالا من دخول المدينة . ولقد اختلفت الاقوال في تعيين الهدف الذي
كانت ترمي اليه هذه المدرعات . فمن قائل انها اتت لانقاذ الاهلين واسترداد المدينة .
ومن قائل انها جاءت لانقاذ الحاكم العسكري ادريس بك ، وان هذا قد انسحب من
ناحية اخرى قبل وصولها . ومهما كان الامر فقد تشجع اللديون عند مجيئها ، وراحوا
يهاجمون اليهود في كل مكان ولا سيما في الناحية الشمالية حيث دخلت المدرعات الاردنية .
فساد اليهود ذعر شديد ، وراحوا يفرون . وقتل عدد منهم . ولكن لم يمض سوى وقت
قصير حتى انسحبت المدرعات الثلاث تاركة المناضلين مشتبكين مع اليهود الذين كانوا
قد تكاثروا وتغلبوا على المدينة . وتمكنوا من سكانها .

فقتلوا ٤٢٦ شخصاً منهم ١٧٦ قتلوا في المسجد . وبهذا بلغت خسائر اللدين منذ
بدء النضال ، الفا وثلاثمئة شخص : ٨٠٠ منهم استشهدوا في ميادين القتال . واما
الآخرون فقد ماتوا اما قتلا في منازلهم أو جوعاً وعطشاً بعد خروجهم .

ولقد اخرجهم اليهود بعد احتلالهم المدينة ، قسراً ، وبلغ عدد الذين خرجوا منها
يومئذ (الثلاثاء ١٣ تموز) خمسين الفاً (أي من لم يمت من سكانها الاصليين والذين لجأوا
اليها في اثناء القتال من سكان القرى المجاورة .) اجبرهم اليهود على الرحيل ولم يستثنوا
من أوامرهم شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً . ولم يسمح لليهود لاحد من الراحلين أن يحمل
معة شيئاً من نقوده أو متاعه . وقد جرد النساء من حليهن وعين اليهود لهذه الالوف من
من الخلائق طريقاً وعرة للمرور منها بين جزو ونعلين .

ومن هناك جاءوا الى رام الله . وكان الحريومئذ شديداً . فمات منهم في الطريق خلال
الايام الثلاثة الاولى ثلاثمئة وخمسة وثلاثون شخصاً . مات اكثرهم عطشاً .

الرملة

ما كادت لد تسقط في يد اليهود حتى تداعت الرملة ، ومالت الى الانهيار . وكان ذلك في يوم الاحد الموافق ١١ تموز . وكانت فيها سرية من سرايا الجيش العربي الاردني يقودها الرئيس اديب القاسم . فغادرها هذا مع سرية في تمام الساعة الثامنة والرابع من مساء ذلك اليوم . واما المناضلون من سكان الرملة فقد غادروها بعد نصف الليل بساعة اي في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي (الاثنين ١٢ تموز) . وما كاد هؤلاء يرحلون عنها حتى جاء اليهود واحتلوها .

واليك تفصيل الخبر : -

كان في الرملة ، في اوائل عهد النضال ، زهاء ثلاثمئة مناضل من ابنائها : خمسون منهم تابعون لفرقة الجهاد المقدس يأترون بأوامر الشيخ حسن سلامة ؛ والباقيون اما من رجال الحرس البلدي ، أو مناضلون متنقلون ، وكان هؤلاء مسلحين بالبنادق الاعتيادية : انكليزية والمانية ، نهبوا معظمها (٤٠٠ بندقية) من مخزن البوليس بالرملة في ١٢/١٢/٤٧ وما كان لديهم سوى بضع رشاشات من طراز برن ، وفيكرز واحد ، وثلاث مدافع من نوع هوشكس ، ومدفع واحد مضاد للمصفحات وهذا المدفع اهداهم اياه الجيش العربي في ٢ ايار ١٩٤٨ كما اهداهم مدفعين من طراز لويس . وفي قول انه كان لديهم اربع مصفحات .

وما كان هذا القدر من السلاح بكاف لدرء الخطر عن الرملة . لا ، ولا افلحت اللجنة القومية التي الفها الشيخ حسن ابو السعود في جمع الشمل . بل انها اخفقت اخفاقاً تاماً . وراح الناس يتهمونها في بعثرة المبالغ التي جمعتها من الاهلين . وقد قدروها بسبعة وعشرين الف جنيه . فانقسم سكان الرملة الى قسمين : قسم يعمل بارشاد رئيس البلدية السيد محمود علاء الدين . وآخر يآتمر بأوامر الشيخ مصطفى الحيري ، سلفه في الرئاسة . وما كان للشيخ حسن سلامه القائد الذي كان يدير ذلك القطاع باسم فرق الجهاد المقدس اي نفوذ على اي من الفريقين . ومع ذلك كان النصر حليف هؤلاء المناضلين في المعارك التي اشتبكوا مع اليهود فيها غداة اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) واعترف اليهود بعد سقوط الرملة ، انهم كانوا يظنون ان حماها يربون على الآلاف .

وتقوت شكيمتهم عندما انضم اليهم مئتان وخمسون من البدو المتطوعين يقودهم الشيخ فيصل بن شهوان والشيخ جمال المجالي من مشايخ الكرك . وكان ذلك في اوائل شهر شباط ١٩٤٨ . ولكن هؤلاء المتطوعين انسحبوا من الميدان في اليوم الثاني والعشرين من شهر ايار سنة ١٩٤٨ ، دون ان يقوموا بأي عمل يذكر .

حاصر الرملة سرية من رجال الارغون بعد انسحاب الانكليز منها في ١٤ ايار . حاصرتها بطلب من قيادة الهاغانا . ولكنها صدت بعد ان تكبدت خسائر فادحة . هذا بالرغم من انها كانت مسلحة وكان لدى اليهود يومئذ مدافع قوسية (مورتر) من عيار ثلاث بوصات . وقد امطروا الرملة بوابل من قنابلهم ، ولكن المجاهدين العرب كانوا عنداً .

ويقول مناحيم بيغن الذي نقلنا عنه هذا الخبر (١) انه لو تيسر لليهود احتلال الرملة ، لتمكنوا بعدها من احتلال اللطرون . ولو تم ذلك لتغير الوضع ، لا في قطاع القدس وحده ولكن في جميع انحاء فلسطين .

ولما جد الجدد وتسلم الجيش العربي الاردني هذا القطاع انجد الرملة بسرية من المصفحات يقودها ضابط بريطاني برتبة ملازم ، يدعى بروميج يساعده ضابط عربي برتبة ملازم ايضاً اسمه نايف الحديد . مجموع رجال هذه السرية اربعين وفي قول مئة ، مزودين بثلاث مصفحات ومدفعين من عيار ستة ارطال . جاء هؤلاء في ٢ حزيران سنة ١٩٤٨ فسلموا طريق يافا ، من الرملة حتى سكة فانوس . وما كادوا يحتلون مراكزهم حتى شاهدتهم اليهود من (ملجأ الرجاء) فقفوهم بمدافع المورتر . وقتلوا اثنين منهم وجرحوا ثلاثة . عندئذ ثارت نائرة الجنود فراحوا يضربون الملجأ . وقذفوه بخمس وعشرين قنبلة . ثم زحفوا صوبه مع فريق من المناضلين الفلسطينيين ، واحتلوه . ولكنهم ما عتموا ان انسحبوا منه ، فجاء اليهود واحتلوه ثانية .

وما كان ينقضي يوم واحد من اليوم الثاني من شهر حزيران الى أن اعلنت الهدنة الا وكان الفريقان يشتبكان في قتال من الساعة الثامنة صباحاً حتى الساعة العاشرة مساء .

(١) اقرأ الصفحة ١٥٤ من كتابه The Revolt

وكانت اعنف المعارك هي التي وقعت في الليلة التي سبقت الهدنة . فقد اصطرع الفريقان في تلك الليلة بالمشاة والمصفحات ومدافع المورتر والرشاشات . وكان العرب هم المدافعين . وفي خلال ذلك الاضطراع كان حماة الرملة من ابنائها يقظين ساهرين ، يستعدون لدرء الخطر عن مدينتهم .

وتمكن جنود الجيش العربي ، بمساعدة المناضلين ، من احتلال مستعمرة جيزر الواقعة على مقربة من قرية (البرية) العربية . واسروا ستة عشر يهوديا . وسبع عشرة يهودية من المحاربات فارسلوا الاسرى من الرجال الى عمان . وسلموا الفتيات الى مستعمرة ابن شيمن اليهودية .

ورجع اهل البرية الى قريتهم ، ولكنهم عادوا فأخرجوا منها ومن جيزر في الهدنة (١٥ حزيران) وكذلك قل عن القباب ، فانها سقطت بيد اليهود في أثناء الهدنة . ولم يحرك المراقبون الدوليون ساكناً .

وفي غضون الهدنة وبعد مضي اسبوعين على اعلانها انسحبت من الرملة سرية المصفحات المتقدم ذكرها (١) . واحتلت مكانها سرية المشاة (٢) . قوامها مئة وخمسة

(١) حدثني السيد محمود علاء الدين رئيس بلدية الرملة انه كان في بيت نبالا في ٩ تموز اثنان وعشرون مصفحة عربية مصفحة يقودها ضابط انكليزي من ضباط الجيش العربي ، وانه وجه نظر ذلك الضابط الى ضرورة استعمال هذه المصفحات ، الا انه رفض قائلاً ان لا فائدة من استعمالها ! .

(٢) انها من سرايا اللواء الثالث الذي كان مرابطاً بباب الواد يقوده الكولونيل اشتون .

حدثني آمر اللواء نجيب ياشا الربيعي امر جحفل اللواء العراقي الذي كان يومئذ مرابطاً في قطاع « رأس العين » ان هذه السرية وصلت قبل سقوط لد والرملة بثلاثة ايام فقط ، وان مجيئها كان بناء على الحاح منه ومن زملائه القواد العراقيين الذين طلبوا من القيادة الاردنية ان تحشد في لد والرملة قوة تكفي لتأمين الاتصال هناك من بين القوات الاردنية والعراقية ، ولم يكن فيها يومئذ سوى محطة لاساكية وضابط واحد في المطار . وان المحادثة بين العراقيين والاردنيين حول هذا الموضوع جرت قبل سقوط لد والرملة باحد عشر يوماً « اي من اليوم الاول من شهر تموز ١٩٤٨ » ويؤكد اللواء الربيعي ان لاش بك قائد الفرقة الاردنية الاولى اعتذر ، في بادىء الامر لعدم وجود قوات كافة لديه . ثم عاد فارسل السرية المتقدم ذكرها .

وعشرون رجلاً . يقودهم الرئيس اديب القاسم . وقد قسم هذا سريره بين لد والرملة . فوضع في لد خمسين جندياً . وابقى في الرملة خمسة وسبعين . وهكذا أصبح عدد المدافعين عن الرملة قبل احتلالها من لدن اليهود ، عبارة عن خمسمئة مقاتل .

وكان مع رجال الجيش اربعة مدافع من طراز فيات ، وبنادق من نوع تومي وستن . كما كان معهم مدافع رشاشة (رشاس واحد مع كل خمس بنادق) . واما عتادهم فقد كانوا يشترونه يوماً فيوماً ، اما من الاهالي أو من البلدية . وقد حدثني صديق اثق بصدق حديثه ان الجيش استعار من اهل الرملة قبل سقوط الرملة بيومين ستة صناديق من الفشك . وقد استعار مثل هذا المقدار من بلدية لد .

ولم يقم رجال هذه السرية بأي عمل يذكر لا في الرملة ، ولا فيما حولها من بقاع . ولم ينشئوا حولها الاستحكامات . وانما وضعوا حول المقر اكياساً من الرمل . ليس هذا فحسب . فانهم رفضوا العمل بنصائح اهل المدينة وقادة الرملة بها . وتركوا المناضلين يعملون كما يشاءون . فراح كل فريق يعمل على حدته ولم يكن هناك تعاون عسكري لا بين الفرقاء المحليين ولا بينهم وبين القيادة وفي ذلك ما فيه من خطأ لا يغتفر من الناحية العسكرية . وبدأت نتائج الوخيمة في المعركة التي قامت بعد قليل ، وادت الى سقوط المدينة بيد اليهود .

فقد بدأت تلك المعركة بعيد سقوط لد بساعتين الا ربع . فقد سقطت لد في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر الاحد الموافق ١١ تموز . وبدأت معركة الرملة في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة . بدأت امام قسم البوليس الكائن بين البلدين .

اذ قام زهاء خمسمئة من المشاة اليهود بهجوم على المدينة ، توازهم فيه اربع مصفحات من حاملات البرن ، وسيارة جيب تقل القائد وآلة اللاسلكي .

وحاول رجال الجيش العربي الذين كانوا يرابطون في عمارة البوليس صدهم . وكان في تلك العمارة ساعتان خمسون مقاتلاً نصفهم من رجال الجيش والنصف الاخر من رجال الشرطة . وقد انضم اليهم والمعركة قائمة مثل هذا العدد من المناضلين المحليين . فقامت بين الفريقين معركة حامية امتدت الى (بشر الزئبق) و (كرم عبد الرحمن التاجي) وانتهت تلك المعركة باندهار اليهود الى الورا . وحرقت اربع مصفحات من مصفحاتهم

وقد خسروا عدداً من مشاتهم . ومن ظل على قيد الحياة منهم انسحب الى المواقع التي احتلوها امس في لد .

واتت اليهود في اليوم التالي (١٢ تموز) نجدة كبيرة . وكانت فئات كبيرة منهم قد تركزت في القباب ، وكانوا - كما سبق وقلنا - قد احتلوها في غضون الهدنة . فتقدمت هذه الفئات صوب الكنيسة فعنابة ، فجمزرو ، ودانيال . وسيطرت على القطاع الكائن الى الشرق من الرملة .

وجاء فيلق آخر من ملبس الواقعة الى الشمال من الرملة فاحتل هذا قرأتي قوله والمزيرة وتقدمت القوة اليهودية المتركرة في مستعمرة بن شيمون (تلك المستعمرة التي لم يشأ اهالي لد ان يصيبوها بأذى عملاً بحق الجوار ... !) فتمت عملية التطويق .

وفيما كانت عملية التطويق تجري على هذا الشكل كان رجال السرية المتقدم ذكرها ينسحبون من المدينة . وفي قول انهم انسحبوا من هناك فور سقوط لد .

وهكذا سقطت الرملة ايضاً بيد اليهود . وقد تم ذلك في ساعة مبكرة من صباح يوم الاثنين الموافق ١٢ تموز سنة ١٩٤٨ .

حدثني الشيخ مصطفى الخيري انه تم الاتفاق مع اليهود عند احتلالهم للرملة ان
١٠ منازلهم .

ولكنهم عادوا فاعتقلوا زهاء ثلاثة آلاف شاب في سن القتال . وأمعنوا في الباقيين من السكان نهياً وسلباً وقتلاً وتخريباً . ثم اجبروهم على الرحيل (٤٨/٧/١٤) فرحلوا عن طريق القباب وسبت ومنها الى رام الله . ولم يبق فيها سوى اربعمئة نسمة .

ولقد قتل في المعارك التي قامت حول الرملة ثمانية عشر مناضلاً عربياً وقتل مثل هذا العدد يوم الاحتلال . وما كاد يمر على احتلالها عام واحد حتى غير اليهود معالمها . سكنها منهم زهاء ثلاثين الف يهودي .

وكنت تسمع الناس حينما حللت يتساءلون : لماذا لم يهتم الجيش العربي بالرملة ، ولم يحصنها ؟ ولماذا سحب مدافعه منها خلال الهدنة ؟ واذا كان ينوي الاحتفاظ بها فلماذا اخذ من المناضلين عتادهم (عشرين صندوقاً) ؟ اخذه منهم قبل انسحابه بوضع ساعات قائلاً : انه يتولى بالنيابة عنهم الدفاع عن مدينتهم . بيد انه لم يدافع عنها .

ولقد سمع الناس الفريق كلوب باشا رئيس اركان الجيش العربي يقول « انه هو المسؤول الاول عن اخلاء لد والرملة ، بعد أن فقد الجيش العربي ثلث قواته في ميادين القتال ؛ وان خطوط مواصلاته لم تكن لتسمح له بأن يتغلغل اكثر من هذا التغلغل في جبهة مترامية الاطراف ؛ وان الجيوش العربية الاخرى لم تشد ازره ، ولم تحم جناحه ؛ فالجيش العراقي كان جامداً حيث هو ، بينما انقلب الجيش المصري الى الخليل وبيت لحم بدلا من ان يهاجم تل ابيب ... اضيف الى ذلك ان العتاد والذخيرة كانا ينقصانه ؛ وقد صادرت الحكومة المصرية في المياه المصرية شحنة من الاسلحة الانكليزية ارسلت الى الاردن الى ان قال : - ان هذه الاسباب مجتمعة جعلت الدفاع عن لد والرملة متعذراً . »

وهكذا أضاع العرب لد والرملة ، وهما من المواضع الاستراتيجية الهامة . وضاع بضياعهما الامل في ربح الحرب . وما كانوا ليضيعوهما لولا ان حماتهما ، وكانوا كثيرين ، كانوا يعملون بلا نظام ، ومن غير معرفة باساليب القتال ، ولولا أن سلاحهم ، وكان كثيراً ، كان بلا ذخيرة . فقد كانت مدافعهم بلا قنابل ، ومصفحاتهم بدون سلاح . ولم يكن بين الحاميات المحلية اي انسجام او ارتباط ولم يتخذ الجيش العربي اي تدبير جدي لصيانتهما ، لا بل انه لم يأت اليهما الا في اوائل شهر حزيران ١٩٤٨ ، وذهب كثيرون الى حد الاعتقاد بانه (اي الجيش العربي وان شئت فقل رئيس اركانه غلوب باشا ، وهو انكليزي) امر بالانسحاب منها خصيصاً لترك جناح الجيش المصري هنا مفتوحاً للاعداء . ولم يكن بين الجيوش العربية المتجاورة (الاردني والعراقي والمصري) اي لون من الوان التعاون . ، وكم كان المنا شديداً عندما كنا نشاهد المعارك قائمة في لد والرملة ، دون ان نسمع طلقة واحدة تطلق ؛ لا من الجيش العراقي الذي كان على يمين الميدان عند رأس العين ، ولا من الجيش المصري الذي كان على يساره في قطاع غزة .

(١) قال محمود فهمي درويش السكرتير العام لجمعية انقاذ فلسطين ببغداد في الصفحة ٨٦ من كتابه (كارثة فلسطين ان الجيش العراقي الذي كان لا يبعد عن لد والرملة اكثر من ٢٥ كيلو متراً والذي طلب اليه ينجد المدينتين رفض انجاهما . ليس هذا فحسب . بل انه انسحب ، والمركة قائمة ، من مواضعه . وحدثني سليمان بك طوقان رئيس بلدية نابلس في اثناء القتال ان العراقيين انسحبوا من رأس العين عندما شرع اليهود بمهاجمة لد والرملة وقد انسحبوا يومئذ الى مجدل يابا ، ولما سقط مطار اللد انسحبوا من مجدل يابا الى كفر قاسم . ولما سقطت اللد انسحبوا من كفر قاسم مسافة كيلو مترين او اكثر الى الورا . ويقتضي الانصاف ان اذكر ما قاله لي العقيد الركن علي غالب عزيز من مقاديم الجيش العراقي في اثناء معارك لد والرملة ان القوة العراقية التي كانت يومئذ ترابط في قطاع رأس العين عبارة عن سرية واحدة ، وان بقية سرايا التابعة لفوجه كانت مبعثرة في الطيرة وقليلية وكفر قاسم ، وان هذه السرايا قامت بواجبها فكانت تضرب بمدافعها ورشاشاتها القطعات اليهودية الزاحفة صوب لد والرملة من ملابس وكفار سركين .

وكانت ثلاثة الاثاني في مأساة لد والرملة ، ان القائد الذي هاجمها وكان يقود القطعات اليهودية كان امثرايئلياً بريطانياً ، وان اتصلاً لاسلكياً بينه وبين الكولونيل لاش الذي كان يقود القطعات الاردنية ، قد جرى والمعركة قائمة ، وقد اتفقا على سحب القوات العربية ؛ فسحبت هذه رغم ارادة الضباط العرب . (١)

وقع انباء اللد والرملة على القدس

فانقضت هذه الانباء على اهل القدس ، وعلى حماها المجاهدين الذين كانوا يذبون عن الحمى داخل الاسوار وخارجها ، انقضا الصاعقة . وانصرفت الهمم ، على اثر ذلك ، لانقاذ اللاجئين ، بدلا من انصرافها لكسب الحرب في الميادين .

وكانت الطرق في اللد والرملة الى رام الله والقدس واريحا ونابلس تعج بالآلاف اللاجئين من رجال ونساء وشيوخ واطفال . جلهم ان لم اقل كلهم ، ارغموا على الرحيل من لدن اليهود ، وقسروا على ذلك قسرا . فراحوا يهيمون على وجوههم في الفضاء . بعضهم يفترش الارض ويلتحف السماء . والبعض الاخر يستظل بالاشجار ، وبالعرش المنصوبة وراء الجدران . بعضهم يمتطي ظهور الحمير والبغال وسائر انواع الدواب ، والبعض الاخر يضرب الارض بقدميه . هذا يتسلق الجبال ، وذاك يهبط الوديان . والجميع يسرون على غير هدى : تارة الى اليمين ، وطوراً الى اليسار . ولقد خيل الي وانا انظر اليهم انهم سكارى ، وما هم بسكارى . ولكن الدهر اصابهم في الصميم . فزق شملهم ، وشتت اذهانهم . فامسوا ، كما امسوا ، طريدين . لا يعلمون شيئاً عن المصير الذي خبأه لهم هذا الدهر الخثون : وتذكرت في تلك اللحظة الرهيبة قوله تعالى : الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق ، إلا أن يقولوا ربنا الله ؛ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً . . .

« سورة الحج الآية ٤٠ »

(١) هذا ما قرأته في الصفحة ١٣٨ من كتاب (الاخوان المسلمون في حرب فلسطين) لمؤلفه كامل اسماعيل الشريف ، نقلا عن الزعيم منير ابي فاضل من كبار رجال البوليس ومصلحة الاستخبارات في عهد الانتداب بفلسطين . وقال قائل ان مأمور اللاسلكي الاردني في مركز لد شهد بالانصال الذي جرى بين القائدين .

ولقد هاج سكان بيت المقدس عندما اتاهم الخبر اليقين . وخشوا ان يحمل بهم ما
حل باخوانهم . وازدادوا خوفاً عندما وقعت انظارهم على تلك الجموع الزاهرة من
اللاجئين : وراحوا ينددون بالجيش العربي لاعتقادهم بانه قصر في الدفاع عن اللد
والرملة ، وبالانكليز الذين بيدهم مقاليد هذا الجيش . . . ينددون بهؤلاء واولئك في
السر والجهر . . في الطرق والاسواق . في المنازل والمقاهي . . وفي كل مكان . كما
راحوا ينددون بملوك العرب وامرائهم ورجال جامعتهم الذين قالوا اكثر مما فعلوا . . .
وذكروا ، بهذه المناسبة ، مصر والعراق اكثر من اي قطر آخر . لان الجيش المصري
لم يقم بأية حركة عسكرية من اليسار حينما كان القتال ناشباً في هذا القطاع . مع ان
الطائرات المصرية كانت قبل معركة اللد والرملة تظهز في الجو ، وكثيراً ما ضربت
تل اييب عند بدء القتال . وها هو الجيش المصري نفسه يتعرض للخطر اذ ان جناحه
الايمن قد انكشف بسقوط اللد والرملة . كما لم يقم الجيش العراقي باية حركة من اليمين
بل انه (اي الجيش العراقي) انسحب ومعركة اللد والرملة قائمة من رأس العين
ومجدل يابا وكفر قاسم . وكان له في هذه المواضع مدافع . وكان باستطاعته ان
يحطم الجناح الايسر القوة اليهودية المهاجمة .

وبسقوط اللد والرملة انكشف جناح الجيش المصري ، فتعرض هذا لخطر الالتفاف ،
كما انكشف جناح الجيش العراقي الايسر . وراح اليهود يهددونه . وسار اليهود في تقدمهم
فاحتلوا اليهودية (العباسية) . ويلهلما (من قرى يافا) جمزو . عنابة . قولة . المزيرعة
(من قرى اللد) . وغيرها من القرى التي كانت في حماية الجيش العربي . واحتل اليهود
عرون فاضحي المصريون المرابطون في بيت جبرين في خطر . والاهم من هذا كله انه
اصبح في مقدور اليهود بعد اجتلالهم محطة اللد ومطارها ان يزودوا مستعمراتهم الكائنة
في جنوب فلسطين بالزاد والعتاد . . . ولقد ملأ اللاجئون من ابناء اللد والرملة واللاجئات
من بنات هاتين المدينتين ومن القرى المجاورة السهل والوعر . وكنت ترى مناظر تفتت
الاكباد من الكتل البشرية على طول الطريق الممتدة من قطاع اللد والرملة الى قطاع
رام الله . وكنت يومئذ مسؤولاً عن ادارة هذا القطاع . فدعوت الناس المقيمين فيه ،
ولا سيما في مدينتي رام الله والبيزة ، الى مديد العون لهؤلاء اللاجئين ؛ وهم اخوانهم في

الوطن والدين . فهدوها . ورحنا ننقل اللاجئين بالعربات والسيارات وبما تيسر لدينا من وسائل للنقل . وكلما وصل فريق ، انزلناه في مكان يقيه شر الحر والتعب . ولم يبق في هاتين المدينتين وفيما حولهما من آكام موضع لقدم ، إلا وآوي اليه اللاجئين ؛ سواء من ذلك الدور والمنازل الخصوصية التي يقيم بها السكان الاصليون ، او المتاجر والحانات والمصانع والمقاهي والاسطبلات والمدارس والمعاهد والكنائس والمساجد ؛ حتى والمغاور والكهوف .

وراح الناس في مكل مكان يتحدثون عن النكبة ، وينتقدون الملوك والامراء والحكام والزعماء .

وساد الاعتقاد ان هناك خطة مدبرة^(١) لقبول مشروع التقسيم . وما كان يجدي اي قول لاقناع الناس كي يعدلوا عن رأيهم هذا ، وكانت تحوم حوله شائعات مختلفة من قبل .

فكتبت ، على اثر ذلك ، الرسالة التالية ، وبعثت بها الى الملك عبد الله . وكان ذلك في ١٤ تموز ١٩٤٨ . قلت :

جلالة الملك المعظم ،

« ارجو ان يسمح لي سيدي ومولاي المليك المعظم برفع مطالعاتي التالية ، مؤكداً لجلالتكم انه ليس ثمة ما يحدوني اليها سوى حي لبلادي واخلصي لعرشكم المفدى . »

« لقد ساءت الحال ، يا مولاي ، في هذه الديار بسبب الوضع الحربي الحالي . وازدادت اليوم سوءا عندما تواردت الانباء مؤكدة لسقوط اللد والرملة ، ووقوع عدد كبير من الضحايا بين قتيل وجريح . فساد الذعر ، وتواصل الهرب ، واشتد السخط فعم جميع طبقات الشعب ، وراح الناس يتقولون مختلف الاقاويل : فمنهم من يتهم قواد الوحدات المحاربة - وجلهم ان لم اقل كلهم من الانكليز - بعدم الكفاءة وقصر النظر ، ومنهم من يتهمهم بسوء القصد . والحالة بوجه عام سيئة للغاية . ولقد باءت جميع المساعي التي بذلت لتهدئة الخواطر بالفشل . وليس يجدي في هذه الآونة الخطيرة الا

(١) اعترف عبد الله التل انه كانت هناك فؤامرة مدبرة لسقوط اللد والرملة ، وان غلوب باشا كان يهدف الى كشف ميمنة الجيش المصري .

القيام بعمل حاسم يؤدي الى نصر سريع ، يعيد الى النفوس طمأنينتها . فان الناس كانوا ولا يزالون يعتقدون ان هناك خطة مدبرة ترمي في النهاية الى قبول التقسيم . ويزيد في تلبيل البال واضطراب الافكار هذا السيل المنهمر من اللاجئين الذين ملأوا السهل والوعر ، واكثرهم حفاة عراة ، وليس في ايديهم ما يدفع عنهم غائلة الجوع والحرمان .

« وأرى من مصلحة البلاد ومصلحة جلالتم ومصصلحة القضية بوجه عام ان تسحبوا بوجه السرعة القائد (١) الذي يقود القطعات المحاربة ، وان تستبدلوه بقائد اقدر على القتال واخلص للقضية . وحبذا لو عهدتم جلالتم بهذه المهمة لرجل من ابناء امتنا المخلصين . »

« واني اقترح ان يُمد هؤلاء اللاجئين بالمأوى والغذاء والمؤون اما من شرقي الاردن اذا كان ذلك في مقدورها ، او من مجلس الجامعة . ولا يعدم جلالتم الوسيلة لايضاح حقيقة الموقف الى المجلس الموما اليه . وجلالتم القائد الاعلى (٢) والقادر على تصريف الامور . »

« والله تعالى أسأل أن يمن على جلالتم بالصحة والعمر الطويل . وان يسدد خطاكم اينما حلتم وحيثما سرتم ، وليثق مولاي المليك اني لعرشه المفدي من المخلصين . »
فخاطبني جلالته في اليوم التالي (١٥ تموز) وقال لي عن طريق الهاتف :

« اخذت رسالتك . اسفت لما حدث . واسفت ايضاً للذعر الذي جعل الموقف يتطور الى تسليم ، بينما كان المنتظر ان يقف الناس ، وان يشبتوا . وكان من المنتظر ان تقوم النجدات من كل النواحي العسكرية والوطنية بواجبها . انا حزين لما وقع والجيش الاردني الذي هو من ابتداء الفاجعة الى اليوم يقوم بتضحيات ويحافظ ما امكن على المقدسات يجب ان يشكر ... والمنتظر منكم ان تفهموا العالم باننا لا نستطيع ان نغلب العدو اليهودي ونحن في بلاد تضج وتنهزم ، ثم ترمينا بما ليس فينا ، بلغوا العامة سلامي وحزني . واطلبوا اليهم ان يشبتوا في اوطانهم . فالثبات والايمان رأس كل شيء . »

(١) اعنى به لاش بك الانكليزي قائد الفرقة الاولى .

(٣) كانت الدول العربية في هذه الفترة من التاريخ قد اتفقت على جعل الملك عبدالله القائد الاعلى للجيش المعاربة بفلسطين .

وجاء بعد قليل (٢ آب ١٩٤٨) الوسيط الدولي ، الكونت فولك برنادوت ،
يتفقد اللاجئين ويرى بعينه ما حل بهم . فاستقبلته في مطار قلندية . وكان ذلك بأمر
من الملك عبد الله ورافقته الى حيث يقم اللاجئون . فراح هؤلاء يصفون ما اصابهم من
بؤس وكرب ، وكان الوسيط يومئذ مقتنعاً ، ان هؤلاء اللاجئيين قد اخطأوا ، اذ غادروا
منازلهم بمحض اختيارهم ، رغم ان اليهود طلبوا اليهم البقاء حيث كانوا . هذا ما
قاله لي الوسيط يومئذ . وهو بالطبع ما قاله له اليهود . فاكدت له ان اليهود كاذبون ،
وان ما قالوه له ليس الا افقاً وبهتاناً ، وان هؤلاء اللاجئيين لم يغادروا منازلهم برضاهم ،
وانما هم اكرهوا على مغادرتها . وقد زودته ببيان مشفوع باليمين وقع عليهم مئة من
كبار اللاجئيين ، في طليعتهم رئيسا بلديتي اللد والرملة ، واعضاء المجالس واللجان المحلية ،
ورؤساء الطوائف المسيحية على اختلاف مذاهبهم من روم وبروتستانت ولاتين ،
وعدد كبير من المختارين وعيون البلاد التي احتلتها اليهود .

فاقتنع الوسيط عندئذ ان اللاجئيين اخرجوا من ديارهم قسراً . فراح يقنع اليهود
كي يسمحوا برجوع اللاجئيين الى ديارهم . ولما رفض هؤلاء الانصياع الى طلبه ، رفع
الامر الى مجلس الامن طالباً اتخاذ التدابير اللازمة لارجاعهم . والى ان يتم رجوعهم
طلب الى هيئة الامم ان تخصص الاموال اللازمة لاعاشتهم الامر الذي فصلناه تفصيلاً
في الفصل الذي خصصناه لمشكلة اللاجئيين بوجه عام في موضع آخر من هذا الكتاب .

وما اود ان اقله هنا هو ان سقوط اللد والرملة بيد اليهود يعتبر كارثة من اهم
الكوارث التي حلت بفلسطين ، وانني - بعد هذا الحادث - اصبت بياس شديد .

بعد ان وقف القتال وهدأت الاعصاب سألت الفريق كلوب باشا بوصفه رئيس
اركان حرب الجيش العربي الاردني السؤال التالي :

« المعروف ان القوة الاردنية في لد والرملة قبل سقوطها كانت عبارة عن سرية
واحدة . فهل هذا صحيح ؟ وهل كان مع القوات الاردنية مصفحات ومدافع ؟ ولماذا
لم يحصن الجيش العربي هاتين المدينتين قبل سقوطهما ؟ »

فاجابني في كتابه المؤرخ ١٥/٢/١٩٥٥ رقم ق ٤٠/١/٦١٠ كما يلي :

« كانت قوة الجيش الاردني المقاتلة ، عند بدء القتال في شهر مايس ١٩٤٨ .

جبارة عن ٤٥٠٠ جندي ؛ بينما كان عدد اليهود المسلحين والمدربين ٦٥,٠٠٠ سبق معظمهم لمقاتلة الجيش الاردني في قطاعي القدس والطررون . ذلك لانهم (اي اليهود) كانوا يريدون فتح طريق باب الواد من اجل انقاذ القدس .

« وكانت هناك ، في تلك الفترة ، معركتان قائمتان بيننا وبين اليهود : احدهما في مدينة القدس حيث كانت لنا كتيبتان ، والثانية في اللطرون حيث كانت لنا كتيبتان اخريان . ولم تكن لدينا بين هذين القطاعين سوى سرية واحدة هي التي وضعناها في منطقة الرادار لتسد الطريق بين قرية ابي غوش وقرية بدو ورام الله . »

« ومن حسن حظنا انا تمكنا من صد اليهود الذين لم ينفكوا ليلة واحد ، خلال عشرين يوماً ، عن مهاجمة قطعائنا المرابطة في قطاع اللطرون . ولو تغلبوا علينا في ذلك القطاع ، لاجتازوا باب الواد في طريقهم الى القدس ؛ ولاصبح في امكانهم ايضاً ان يجتازوا طريق بيت سيرا - بيت عور - فرام الله ، وفي هذه الحالة تصبح نابلس ايضاً في خطر ؛ حتى وعمان ... »

« ولما لم تكن لدينا قوات احتياطية خلف الكتائب المتقدم ذكرها ، ولم يكن بإمكاننا ان نستغني عن اي جزء من الجنود المرابطين في اللطرون فقد اجتمعنا بالحكومة واتفقنا على انه ليس بالامكان ارسال قوات الى لد والرملة . »

« عندما تأكدنا في اتمام عقد الهدنة الاولى فكرنا ان الحرب ستنتهي عند هذا الحد لذلك وقبل ابتداء الهدنة باربوع وعشرين ساعة ارسلنا سرية الى لد والرملة . وكنا نهدف من وراء ذلك الى غايتين : اولاهما ان نثبت حقنا في تلك المنطقة العربية ، لئلا يدعى اليهود انها منطقة محايدة ، ذلك لان كلتا الحكومتين لم تكن قد وضعت يديها . والثانية ان نحفظ الامن الداخلي فيها . اذ لم يكن هناك حكومة تسيطر على الامن . وكان السكان قد شكوا كثرة السرقات . »

« ولما بحثنا مع الحكومة تعيين حكام عسكريين لبعض المناطق لم يجد توفيق باشا ابو الهدى من الحكمة تعيين حاكم عسكري لمنطقة اللد والرملة . لانه قدر عدم امكانية الدفاع عن تلك المنطقة . فلو هوجمت وسقطت وكان فيها حاكم عسكري اردني ، لاعتبر ذلك انكساراً للحكومة الاردنية . »

الى ان قال :

« لم تكن نفكر اثناء الهدنة الاولى ان القتال سيعود مرة اخرى . ولما فوجئنا بقرار الدول العربية بعدم تجديد الهدنة واستؤنف القتال ، بدأ اليهود هجومهم على اللطرون ، واستمرت هجماتهم الشديدة حتى بدأت الهدنة الثانية في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم الثامن عشر من شهر تموز ١٩٤٨ . فما كان باستطاعتنا ان نسحب من هناك اي جزء من قواتنا . ولو انسحبنا من اللطرون لتمكن اليهود من فتح الطريق الى القدس . . . الى رام الله . . . ولتغلغوا في الاردن . »

مياه (رأس العين)

اسفرت معارك اللد والرملة ، تلك المعارك التي انتصر فيها اليهود وخذل العرب ، عن نتائج خطيرة منها واهمها سقوط (رأس العين) بيد اليهود . هذا النبع الغزير الذي كانت القدس تشرب من مياهه ، وتعيش عليه . فما كاد العراقيون ينسحبون من هناك حتى جاء اليهود واستولوا عليه . وكان ذلك في ١١ تموز ١٩٤٨ .

ولكن الاحياء اليهود القائمة غربي المدينة بالرغم من ذلك لم تذق طعم الماء من هذا النبع بسبب الانايب التي حطمها المناضلون في عدة مواضع وبسبب سيطرة العرب في قطاع باب الواد ، الا بعد سنتين عندما تمكن اليهود من انشاء خط فرعي لتلك الانايب يمر باتجاه آخر . وقد تم ذلك في شهر حزيران ١٩٥٠ وقد ذكرنا ذلك في موضع آخر من الكتاب .

القتال في القدس بين الهدنتين

ولم تقف رحي الحرب في القدس في الايام التي انقضت بعد ان استؤنف القتال ، لا ، ولا انقطع قصف المدافع من الناحيتين - العربية واليهودية . فقد قصف العرب بمدافعهم الاحياء اليهودية في ١١ تموز ، ودمروا جانباً كبيراً من النوتردام وقصف اليهود المدينة القديمة بقنابلهم من مدافع المورتر في ١١ تموز فقتل اربعة من رجال الجيش العربي كما قتل مقدسي من دير ابي طور ، وسقطت احدى القنابل اليهودية في ساحة الحرم (في ١٢ تموز) ، فقتلت ثمانية عشر عربياً وجرحت عشرين ممن كانوا ينصتون الى ناطق من الجيش العربي يحمل اليهم من عمارة الروضة انباء القتال في الجبهات الاخرى .

ودفن المقتولون في مقابرهم في اليوم التالي (١٣ تموز) ولاقى حتفهم في ١٢ تموز ستة من العرب - اثنان منهم يمانيان وواحد من جنين وواحد من سنجل وواحد من الجيش العربي والسادس مقدسي . ذلك اثر معركة مريرة دارت رحاها بين الفريقين ودامت طيلة ذلك النهار لم تسلم من اذاها القدس ، ولاضواحيها . وفي ١٣ تموز قتل مسيحي ومسيحية في حارة النصارى .

ودام تبادل نيران المدافع بين الفريقين في الليل ١٣ - ١٤ تموز .

وقصفت المدافع العربية الاحياء اليهودية بشدة في ١٤ تموز وسقطت قرب منتصف الليل بعض قنابل المورتر اليهودية في ساحة كنيسة القيامة وفي ساحة الحرام ، ولكنها لم تحدث ضرراً .

وقامت طائرات اليهود بغارة جوية على القدس قرب منتصف الليل في الخامس عشر من شهر تموز ١٩٤٨ . وفي صبيحة اليوم التالي (١٥ منه) قتل تسعة اشخاص من العرب عند باب السيدة مريم . واتت الاخبار مؤيدة قيام الطائرات اليهودية ، او الطائرات الاميركية والتشييكوسلوفاكية التي تعمل لحساب اليهود ، بغازات جوية على القاهرة . وتكررت هذه الغارات على القاهرة في اليوم الخامس عشر والسابع عشر حتى وفي العشرين ، والثاني والعشرين من شهر تموز ١٩٤٨ اى بعد إقرار الهدنة الثانية ببضعة ايام .

وفي ١٥ تموز كان القتال شديداً . وقتل من الطرفين خلق كثير . اما قتلى اليهود فلا نعرف عنهم الا النذر اليسير . اذ كان اليهود يتقاون قتلاهم قبل طلوع الفجر . واما العرب فقد خسروا احد عشر شهيدا - اثنان منهم من السواحره . واثنان من الخليل وواحد من لفتا . والباقون من ابناء بيت المقدس .

واستعمل اليهود في قتالهم هذه المرة مدافع ثقيلة وسقطت قنابلهم حول ارض الحرم وعند باب الاسباط وفي راس العمود . وتمكنوا من عرقلة وسائل النقل العربية بين القدس واريحا عند المكان المعروف براس العمود .

وكان السلاح متوفراً لدى اليهود اكثر من ذي قبل . وقد خصصوا ٢٠٪ من السلاح الذي حملته اليهم الباخرة (الطالينا) لاجل القتال في مدينة القدس . لان موقفهم فيها كان ، قبل الهدنة الاولى ، سيئاً للغاية .

المراقبون الدوليون

اقام الوسيط الدولي في خطوط القتال بالقدس ، اثر فشل مساعيه لتجريدها من السلاح ، ثلاثة وسبعين مراقباً دولياً : ٣١ منهم أمروا بالعمل في الخطوط العربية و ٣٥ في الخطوط اليهودية و ٧ في المنطقة الدولية على جبل الزيتون . فاعتقد العرب ان جل هؤلاء المراقبين ان لم يكونوا كلهم جواسيس لليهود من ناحية ، وللدول التي ينتمون اليها من الناحية الاخرى . وقال اليهود عنهم انهم جواسيس للعرب .

معركة جولس بعد استئناف القتال

في ٩ يوليو صدر الامر الى الكتيبة السادسة (جمال عبد الناصر) ان تسلم مواقعها الى الكتيبة الخامسة المتقدمة من غزة ، وان تتقدم هي (اي السادسة) فتستولي على جولس في ساعة مبكرة من صباح ١٠ يوليو . وقال جمال عبد الناصر الذي تلقى الامر (١) ان هذا الامر وقع عليه وعلى رفاقه الضباط وقع الصاعقة . اذ انهم وجهوا الى معركة لم يعددوا انفسهم لها (! . . .) والى بلد لا يعرفون عنها وعن مواقعها ، وهن قوة العدو المرابط فيها شيئاً . . . ولهذا احتج ولكن . . . اين من يسمع ؟

حاول هو ورفاقه ان يقوموا بعملية استكشاف . وقد اقتربوا من جواس حتى اصبحوا على بعد كيلو متر واحد منها . ولكن العدو احس بوجودهم ، فراح يطلق عليهم قنابل الهاون . فعادوا ادراجهم . . .

وفي الميعاد المحدد وقعت المعركة . وقامت الكتيبة بالهجوم . ولكنها فشلت . لان اليهود كانوا لها بالمرصاد . وقتل في هذه المعركة اسماعيل محي الدين .

خلاف وقع بين قائد الكتيبة السادسة واركانها (جمال عبد الناصر) .

جمال رسم خطة . لم يرض عنها القائد ، قائلاً :

« وحياتك يا اخويا بلاش الكلام بتاع كلية اركان حرب ده ! » وترك القائد مقر القيادة (حيث كان بامكانه ان يوجه المدافع والطائرات) ونزل هو والركن الى حيث

(١) مذكرات جمال عبد الناصر في العدد ١٠٦٤ من مجلة (آخر ساعة) بتاريخ ١٠ - ٣ - ١٩٥٥ .

كان الجنود المشاة . وفي الطريق غرزت سيارتها . فلاحم وصلوا الى حيث الجنود المشاة
ولابقوا في مقر القيادة يوجهون المدافع والطائرات .

وعبثاً حـ اول قادة السرايا الاتصال بالقائد : وكان هؤلاء يرسلون الاشارات
المختلفة باللاسلكي : واحدة تقول . « وصلنا الى الغرض . ماهي اوامركم ؟ » وثانية تقول
« نحتاج الى » ذخيرة . وثالثة تقول : « ارسلو حمالات لنقل الجرحى . . . »

ولكن ليس ثمة من يجيب . وبعد لأي صدرت الأوامر الى السرايا المبعثرة بالانسحاب
وأمر قائد الكتيبة السادسة بالتوجه الى القاهرة . وقد سلمها الى قائد جديد . وهذا
ايضاً أمر باحتلال جولس الا انه تردد في تنفيذ الامر . وذلك لان جمال عبد الناصر
اقنعه كما اقنع القيادة العامة بان احتلال جولس مستحيل والجنود على مهام هليه من
روح معنوية مفقودة ! . والضباط لا يعرفون عن جولس وموقعها وطبيعتها اراضيها
لاولا عن عدد العدو واسلحته شيئاً ! . . .

معارك الشجرة

(الشجرة) قرية عربية من اعمال طبريا . يسكنها ، حسب الاحصاء الرسمي الذي
اجرته حكومة فلسطين عام ١٩٤٥ سبعمئة وسبعون نسمة معظمهم مسلمون . والباقون
(٤٨) مسيحيون .

ويقوم الى جانبها مستعمرة يهودية باسم (سجرة) بلغ عدد سكانها في السنة نفسها
٢٤١ . ثم كبرت واتسعت وحصنتها اليهود ، لوقوعها بين مجموعة من القرى العربية
هي : الشجرة ، ولوبية ، وطرعان ، وكفركنا ، وعين ما هل ، وهرب الصبيح ،
والدباحين . وكان يقوم على مقربة من هذه القرى هدد من المستعمرات ، واما كن
الاحتشاد اليهودية الاخرى ؛ كمسحة ، وسارونا ، والشعارة ، وبيت كيشيت ، ومدرسة
خاضوري ، وكفار طابور .

وكثيراً ما حدث اصدام بين هاتين المجموعتين من القرى والمستعمرات الواقعة بين
قطاعي الجليل الادنى والاعلى . وكانت معظم الاشتباكات تقع بين قرية (الشجرة)
العربية ومستعمرة (سجرة) اليهودية .

وكان الصراع عنيفاً . كاف كلا الفريقين زهاء الف قتيل ، والف جريح . وقد

استشهد في احدي المعارك التي قامت في هذا القطاع الشاعر الفلسطيني المجاهد المرحوم عبد الرحيم محمود وسنأتي على ذكره عند ذكرنا للمعركة التي استشهد فيها . ونال الشهادة ، في المعركة نفسها ، المجاهد محمود سليم الصالح الملقب بابي عاطف . وهو من قرية عموقة من اعمال صفد .

ومن قادة النضال الذين ابلوا في معارك الشجرة بلاءً يستحق الذكر ابو ابراهيم الصغير وعبد اللطيف قاسم القاهوم . وقد اعترف اليهود ببطولة المناضلين الفلسطينيين اذ جاء في (المجلة العسكرية اليهودية) بقلم قائد اشترك في القتال :

« القروي العربي الجليلي صلب العود . محارب عنيد وجريء . ولقد احسنا في منطقة شرق الناصرة بحركة قتال منظم . ولمسنا فيه اليد المحركة الخبيرة في قيادة العصابات

هذا عن المناضلين الفلسطينيين . واما القوات النظامية ، فكان يقودها فوزي القاوقجي وكانت هذه مزودة بمدافع الميدان من عيار ٧٥ ملمترا والمدافع الرشاشة من طراز هوشكس والمدافع القوية (مورتر) من عيار بوصتين والمصفحات . ولم يكن اليهود اقل تسلحا من العرب ، بل كانوا مثلهم او اكثر . وكانت لديهم مدافع قوسية (مورتر) من عيار ثلاث بوصات . وكثيرا ما اشتركت الطائرات من الطرفين في القتال .

والسبب الذي حدا بكلا الفريقين للاهتمام بهذا القطاع والسيطرة عليه هو وقوعه في موضع استراتيجي هام . من سيطر عليه نال النصر لا في منطقة الجليل فحسب ، بل في الجزء الشمالي من فلسطين . ولطالما تذكرت موقعة (حطين) التي تغلب فيها صلاح الدين على الصليبيين (٢٥ ربيع الثاني ٥٠٣ هـ - ١١٨٧ م) وانا اتتبع معارك الشجرة التي قامت بين العرب واليهود في صيف عام ١٩٤٨ . بلى وربك انها كحطين . وكما مهدت حماين الطريق لجيش المسلمين في ذلك الحين فسيطروا على البلاد وفتحوا بيت المقدس (٢٧ رجب ٥٨٣ هـ - ١١٨٧ م) فان انتصار اليهود في الشجرة وما حولها من بقاع مهد لهم السبيل لا ، لاحتلال الناصرة فحسب ، وانما لاحتلال الجليل كله .

بدأت المناوشات بين العرب واليهود في هذا القطاع في شهر شباط ١٩٤٨ ، يوم راح العرب يقطعون طرق المواصلات اليهودية . واما الاشتباكات الجدية بين الطرفين فلم تبدأ الا في شهر آذار . واتسع القتال في شهر نيسان . وبلغ اشده في شهر ايار . وكانت المعارك التي وقعت بين اليوم السادس من شهر ايار ، والثامن عشر من شهر

تموز هي الفاصلة ، ولقد خسر الفريقان في هذه المعارك عددا كبيرا من القتلى والجرحى ففي المعركة التي قامت في ٦ ايار فشل اليهود في احتلال الشجرة . ولكن سكن هذه القرية اخلوها لوقوعها في ساحة القتال . وكذلك قل عن سكان قرى عولم ، وسعدو وحدثا وما الى ذلك من القرى التابعة لطبريا ، وسيرين من قرى بيسان القريبة من ساحة القتال واما قرية (كفر كما) الشركسية فان سكانها لم ينزحوا عنها . اذا اعلنوا للفريقين انهم سيقون على الحياض . واشتد القتال في اواسط شهر ايار ، وحاول اليهود احتلال (لوبية) الا انهم فشلوا . وارتدوا الى الورا تاركين عددا كبيرا من القتلى . وتقدم العرب نحو مستعمرة (سجرة) وكادوا يحماتها . لولا الهدنة الاولى التي اعلنت في ١١ حزيران ١٩٤٨ وكانت مواضع الفريقين ، عند اعلان الهدنة لا يبعد بعضها عن البعض الآخر اكثر من مئة وخمسين الى ثلاثمئة مترا .

راح الفريقان يقويان تحصيناتها خلال فترة الهدنة ولكن اليهود كانوا اسبق في هذا المضمار . فقد اتتهم نجدات كثيرة ، ومقادير كثيرة من السلاح والعتاد ، هذا بالاضافة الى الخنادق التي حفرها حول المستعمرة ، والالغام التي زرعوها .

فما كادت الهدنة تنتهي ، والقتال ينشب من جديد (٩ تموز) حتى التحم الفريقان . وقامت بينها معارك حامية . وكان زمام المبادرة تارة بيد العرب وطورا بيد اليهود ؛ وكثيراً ما تبادلت الأيدي بعض المشارف والتلال . ولكن الغلبة كانت في معظم الحوادث بجانب اليهود . اذ كانوا ، كما قد منا ، قد تقووا بالنجدات والاسلحة الجديدة التي اتواها خلال فترة الهدنة منها عدد من مدافع الميدان . فتمكن اليهود من احتلال كفر سبت في ١١ تموز وهي قرية عربية من اعمال طبريا ، وسيرة العجل ؛ وهي خربة عربية اخلاها العرب في الليل . وقتل في هذه المعركة القائد اليهودي (فريتس يوردن) .

ودام القتال في اليومين التاليين . وكان فيها اعنف من اية مرة سبقت . اذ قام العرب بهجمات متتالية على اليهود اكثر من مرة واحدة . وكان عدد المحاربين في كل مرة يتراوح بين السبعين والمئة . ولكن اليهود تمكنوا من صد هذه الهجمات ، بفضل مدافع الميدان الجديدة والنجدات الكثيرة التي كانت قد وصلت الى الميدان . ولا سيما الطائرات التي ظهرت في سماء المعركة والتي رفعت معنويات اليهود بعد ان كانت قبل الهدنة قد هبطت الى الخضيف . وانكسرت معنويات العرب عندما اتتهم انباء اللد

والرملة وسقوطها بيد اليهود ، وكان عدد مقاتليهم في قطاع الناصرة قد انخفض ونفذت ذخائرهم وعبثا حاولوا طلب النجدة من مقر القيادة العامة ورغم الكرات العنيفة التي قاموا بها ضد اليهود في المعركة التي قامت في ١٣ تموز غلبوا على امرهم . ولقد اعدوا الكرة في اليوم التالي (١٤) تموز فطوقوا المستعمرة . وتخطوا منطقة الألغام . ووصلوا الى نقطة تقع على مرمى القنابل اليدوية من متاريس المستعمرة واستحككاتها ، إلا انهم لم يتمكنوا من احتلالها . فانسحبوا من امامها . واتي اليهود على اثر ذلك ، فاحتلوا الشجرة في ١٥ تموز ، ودبوريا في ١٦ . وانقطعت حركة المواصلات العربية على طريق الناصرة انقطاعا تاما . وعزلت الناصره عن القطاعات العربية المجاورة لها . فلم تلبث ان سقطت بيد اليهود . وقد فصلنا ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب . وسقطت بعد الناصرة ، قرى طرعان ولوبية ونمرين في ١٨ تموز ، وعين ماهل في ١٩ منه .

لانستطيع ان نختم هذا الفصل قبل ان نأتي على نبذة من تاريخ حياة بطلين من ابطال الجهاد في هذا القطاع . احدهما قد لبي نداء ربه وهو يؤدي واجبه ، والثاني كتب له البقاء بعد ان ابلى في ميدان القتال بلاء يستحق التقدير . اما الثاني فانه عبد اللطيف قاسم الفاهوم .

واما الأول فهو الشاعر الفلسطيني الطيب الذكر عبدالرحيم محمود ويكنى بابي الطيب . اصابته رصاصة في المعركة التي دارت رحاها امام الشجرة في ١٣ تموز فقضت على حياته وكان قبل ان يلفظ النفس الأخير وهو محمول في محفة على اكتاف اصدقائه الذين نقلوه الى مستشفى الميدان يتمم هذه الكلمات : -

احملوني احملوني واجذروا ان تتركوني
وخذوني لاتخافوا واذا مت ادفنوني

واستمرت شفاته تدمدمان ، الى ان تلاشى صوته ، وطارت روحه الى بارئها راضية مرضية .

كان رحمه الله معلما في كلية النجاح الوطنية بنابلس وكان يدرس تاريخ الأدب العربي في تلك الكلية . كان يكره الاستعمار والمستعمرين . ويحب وطنه حبا لامزيد عليه . التحق بالثورة التي قامت في فلسطين عام ١٩٣٦ ، فقاد احد الفصائل وجرح في احدى المعارك التي شنها الثوار على الجنود البريطانيين . ولما خبت نار تلك الثورة طارده السلطة ، ففر الى العراق (١٩٣٩) .

ولما صدر قرار التقسيم ، وقامت الحرب بين العرب واليهود في فلسطين (١٩٤٨)
نزل الى الميدان وكانت اول قصيدة نظمها في هذا الباب ، قال فيها :

فطار لفرط فرحته فؤادي
أليس عليّ ان أفدى بلادي
وما حملتها الاعتادي
أتفرق من مجاهدة العوادي
وتجن عن مصاولة الاعادي
وحسبك خسة هذا التهادي
يكيلون الدمار لاي حادي
اشاوس في ميادين الجلادي
معاويناً اذا نادى المنادي

دعا الوطن الذبيح الى الجهاد
وسابقت النسيم ولا افتخار
حملت على يدي روعي وقلبي
وقلت لمن يخاف المنايا
أتقعد والحمى يرجوك عونا
فدوتك خدر امك فافتحمه
فللاوطان اجناد شداد
يلاقون الصعاب ولا تشاكي
تراهم في الوغى اسدا غضابا

اخر على ربي ارض الميعاد
ابي لا يقيم على اضطهاد
ومن الاكم قدح الزناد
تعب على العدى في كل وادي
عن الجلى وموطنه ينادي
فما بعد التعسف من رقاد
حديدا لا يؤول الى انفراد
ولا تنهوا اذا ثارت بوادي
لكم وتكاتفوا في كل نادي
على قيد الحياة ففي اعتقادي
وأخطأ سعيهم نهج الرشاد

بني وطني دنا يوم الضحايا
فن كبش الفداء سوى شباب
ومن للحرب ان هاجت لظاها
فسيروا للنضال الحق نارا
فليس احط من شعب قعيد
بني وطني افيقوا من رقاد
قفوا في وجه اي كان صفاء
ولا تجموا اذا اربدت سماء
ولا تقفوا اذا الدنيا تصدت
اذا ضاعت فلسطين وانتم
بان بني عروبتنا استكانوا

فسافر في منتصف شهر كانون الثاني ١٩٤٨ الى بيروت ومنها الى الشام . وبعد ان
تدرب في معسكر (قطنا) على القتال التحق بجيش الأنقاذ . فنزل (بلعا) واشترك في

معركة (بيار عدس) مع سرية من سرايا فوج حطين . كما اشترك في معركة قامت في (راس العين) على مقربة من مستعمرة ملبس اليهودية . وفي شهر نيسان ١٩٤٨ عين آمراً للانضباط في مدينة طول كرم .

وكان يدون مشاهداته في مذكرات دأب على تدوينها يوماً فيوماً . وكان فيها ، كما في غيرها من الحالات ، صريحاً للغابة . وكان تقياً . وكثيراً ما وجه سهام لومه وتقريره الى الرؤساء الذين شغلوا انفسهم بالقشور اكثر من اللباب . وكثيراً ما عبر عن المـهـ لبعده عن ميادين القتال . من ذلك ما انتاه ابن عمه عنه في هذا الصدد . اذ قال له ابن العم :

واحيلى الموت في نيل المعالي
حاذر الرمية تسلم في النضال
وقعيد مات في غير نضال
في سبيل الحق والرأي المثالي

آه ما أعذب ايام النضال
لا تقل لي وانا اغشى الوغى
رب ساع لم يمت في سعيه
ما جمال العيش الاوقعة

فاجابه بقوله : -

فابو الطيب لا يخشى العوالي
مجرم يقعد عن شأو المعالي
في مجالى العلم او ساح النضال
زف للهور وولى وهو عالي

كشري ماشئت ياسود الليالي
ان تقاعست عن الحرب فاني
غايتي القى المنايا عاجلا
فابسمي يا ام عبد إنه

وقد اشترك بعد ذلك في النضال الذي قام حول الرملة . وفي قطاع الناصرة ، وكان قد رقي الى رتبة (ملازم اول) وكان مساعداً لآمر الفوج المسئول عن الناصرة وعندما اشتدت معارك الشجرة ، أمتها ليساهم في درء الردى عنها . أمها ولسانه يقول :

والقى بها في مهاوي الردى
واما حياة تغيط العدا
ورود المنايا ونبل المنى
وإني أغـذ اليه الخطى
ودون بلادي هو المبتغى

ساحل روحى على راحتي
فاما ممات يسر الصديق
ونفس الشريف لها غايتان
لعمرك ها قد دنا مصرعي
ارى مقتلي دون حق السليب

وظل يناضل مع اخوانه المجاهدين نضالاً منبعثاً من صميم النفس ، الى ان اصابته شظية من شظايا قنبلة قذف بها اليهود وهي من النوع المعروف بالسلبند . فاصابته في عنقه وذقنه واسفل وجهه فمخر صريعاً .

رحمه الله واسكنه فسيح جناته .



سقوط الناصرة

وما كاد الناس يفتقون من سكرتهم ، اثر سقوط اللد والرمله ، حتي اتاهم نبأ (الناصره) ، وسقط عليها بيد اليهود ، وتبعثر قوات جيش الانقاذ في تلك الجبهة . فاعتبروها ثالثة الاثافي بعد اللد والرمله . وتبددت آمالهم في النصر .

سقطت الناصرة بيد اليهود في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم السادس عشر من شهر تموز ١٩٤٨ . سقطت من غير قتال . اذ كان جيش الانقاذ قد انسحب منها قبيل سقوطها .

وكان فيها قبل سقوطها ٩٣ مقاتلاً عربياً ٦٥ منهم تابعون لجيش الانقاذ يؤلفون فوج حطين ، وكانوا بقيادة اثنين من العراقيين هما الرئيس مدلول عباس والرئيس (١) عامر ، و ٢٨ من رجال الجهاد المقدس يقودهم توفيق ابراهيم الملقب بابي ابراهيم الصغير ، وهو من قرية اندور من اعمال الناصرة (٢) ، ومن ١٠٠ مناضل من سكان الناصرة وقراها بقيادة عبد اللطيف بن الشيخ قاسم الفاهوم مفتي الناصرة . وهذه القوى كلها (جهاد وانقاذ) كانت تأتمر بأوامر القاوقجي قائد جيش الانقاذ .

(١) كان آمر الحامية مدلول وانسحب مدلول من الناصرة قبل سقوطها بثلاث ايام ولما جرح هذا في معركة الشجرة تولى قيادة تلك المنطقة عامر حسك .

[٢] قال ابو ابراهيم الصغير في تقريره الذي رفعه الى العميد الركن طه باشا الهاشمي عندما اجتمع به في دمشق بتاريخ ٣١ اذار ١٩٤٨ أن قوته في الناصرة كانت يومئذ عبارة عن ٢١٠ مجاهدين ، اكثرهم من مسرحي قوة الحدود الفلسطينية ؛ وان لديه اربعة من الضباط احدهم الماني . وان معظم سلاحه انكليزي وبعضه افرنسي وايطالي وان لديه خمسة رشاشات من طراز برن ، ومدفعاً واحداً من طراز هاون . ولكن ليس لديه من قنابل الهاون اكثر من خمس قنابل

وكان رجال جيش الانتقاذ قد اتوا اليها من لبنان قبل اعلان الهدنة الاولى بيوم واحد (١٠ حزيران) .

ولقد قدر الخبراء عدد اليهود الذين هاجموا الناصرة واحتلوها بخمسمئة من المشاة ، مزودين بثلاث عشرة دبابة وخمسين سيارة جيب وبعدهد من المدافع الثقيلة . وحلقت في سماء الناصرة ، ساعة احتلالها ، ثلاث طائرات يهودية : واحدة من الطراز الخفيف واثنان من راجمات الالغام . وكانت القوات اليهودية هذه بقيادة اميركي مسيحي برتبة زعيم .

زحفت القوات اليهودية على الناصرة من ثلاث جهات : من صفوريا (في شمالها الغربي) ومن كفارها حوريش على طريق حيفا (الى الغرب من الناصرة) ومن مرج بن عامر (الى جنوبها) . والقوات التي اتت من ناحية صفورية هي التي احتلتها او من تلك الناحية قام اليهود بهجومهم الرئيسي .

وكان الجنود اليهود الذين دخلوا مدينة الناصرة يرتدون ثياباً عربية . ولما رأهم الأهليون فرحوا . اذ ظنوا انهم عرب جاؤا لانقاذ الناصرة . فراحوا يزغردون ، ويصفقون . وزغردت احدي السيدات (١) مرحبة بابناء العروبة (؟) قائلة : « حاج امين ! يا منصور ! » فقتلها اليهود .

وقتل من العرب في حركات الناصرة ٨٣ رجلا بعضهم من المدنيين والبعض الاخر من الجنود والمناضلين . وغادر المدينة ، قبل احتلالها ، الف من سكانها المسلمين ، ونفر قليل من المسيحيين . وكان عدد سكانها (عام ١٩٤٥) ١٤,٢٠٠ منهم ٦٠٠ مسلمون و ٨,٦٠٠ مسيحيون .

ويعزو الخبراء العسكريون انهيار الدفاع في الجليل الى اسباب عديدة ، منها ان الجيش العراقي الذي كان يربط في قطاع جنين لم يقم باي عمل يذكر لينسند جناح القوى المقاتلة في الجليل عندما كانت المعركة قائمة هناك . ووجد اليهود في الناصرة ، بعد احتلالها ، اربعة الاف بندقية . وبسقوط الناصرة تبعثر جيش الانتقاذ ، بعد أن تكبد خسائر فادحة .

[١] انها راضية المهدي المكناة يام فؤاد العلوطي . وولدها هذا فؤاد من المجاهدين الذين اشتركوا في الجهاد وابلوا في الدفاع عن الناصرة بلاء حسناً .

حدثني الشيخ سعد الدين افندي العلمي المقدسي ، وكان في فترة القتال قاضيا في
الناصره ، انه كان للناصره حاميتان : احدهما تابعة لجيش الانقاذ يقودها مدلول عباس
والثانية للهيئة العربية العليا ويقودها ابو ابراهيم الصغير وان قائد جيش الانقاذ فوزي
القاقجي لم يدخل الناصرة الا في اليوم الحادي عشر من حزيران . وكان يومئذ يرافقه
الامير مجيد ارسلان وقد مكثا فيها ثلاثة ايام . وان جيش الانقاذ لم يدخل في اية معركة
مع اليهود في الناصرة ، وان كان قد خاض معارك الشجرة ، وقد غلب فيها .

وان قائدي الحاميتين غادرا المدينة قبل وصول اليهود اليها وقد غادراها بعد أن أيقنا
انه لا فائدة ترجى من الدفاع وان القوة التي جاءت لانقاذ المدينة ، وكانت
عبارة عن ست مصفحات ومدفعين وصلت متأخرة ووقفت هذه النجدة على الهضبة
المطلية على الناصرة من ناحيتها الشرقية . وعلى مقربة من قرية المشهد وكان اليهود قد
باشروا زحفهم من ناحية صفورية^(١) بعد ان كانوا قد احتلوا تلك القرية . وقاومهم
سكانها ببنادقهم الاعتيادية . إلا ان رصاص هذه البنادق ما كان ليخترق السيارات
اليهودية المصفحة بالفولاذ .

واشتبك الفريقان في معركة لانستطيع ان نصفها بالحامية ، اذ ان اليهود كانوا من
السرعة بحيث تمكنوا من احتلال هضبات اعلى من الهضبة التي احتلها العرب الذين
جاءوا للنجدة ، وكانوا اكثر عددا وسلاحا واقوي معنوية . والانكى من هذا ان المدافع
والمصفحات العربية كانت ترابط في شارع ضيق بعضها لاصق بالبعض الاخر .
المدفعان في المقدمة ومن الخلف المصفحات . الامر الذي نتج عنه خسائر في الارواح
والمعدات . اذ ما كاد الفريقان يشرعان في تبادل النار ، حتى اخترقت رصاصه يهودية

(١) قرية تقع الى الشمال الشرقي من الناصرة فيها ٤٣٢٠ من السكان ، كلهم مسلمون . وكان فيها
اثناء القتال زهاء ثلاثمائة من المناضلين وتابعين للجهاد المقدس دربوا على القتال . لكن سلاحهم كان عبارة
عن بنادق اعتيادية ، ينقصها العتاد . وقد هاجمها اليهود بمصفحاتهم ، بعد ان قذفوها بقنابل طائرة من طائراتهم
وماكادت الساعة تدق الواحدة بعد منتصف الليل حتى كانت القرية قد سقطت بايديهم (١٦ تموز ١٩٤٨)
وكذلك قل هن قرية (الهيدل) التي احتلها اليهود قبل سقوط الناصرة في ايديهم ببضع ساعات وهي
واقعة على بعد ثمانية كيلومترات من الناصرة الى الغرب . وقد قتلوا حاميتها عن بكرة ابيها ، وكانت هذه
مؤلفة من اربعين مقاتلا . واما شفا عمرو فقد سقطت قبل ذلك بيوم ، اي في ١٥ تموز .

احدى المصفحات وهي الثانية ، فاصابت مخزن وقودها فغطتها وانفجرت (ذخيرتها .
ولم تستطع المصفحة الاولى التي كانت امام المصفحة المحترقة ؛ لا ، ولا المدفعان اللذان
كانا في المقدمة ان ينسحبا . فكانت خسارة العرب في ذلك الاشتباك القصير عبارة
عن مصفحتين ومدفعين وجنديين احدهما احترق في المصفحة ، والثاني استشهد وهو
يقاتل على الهضبة .

وواعل اليهود زحفهم الى ان احتلوا الهضبة المطلة على الناصرة من ناحيتها الشرقية
على طريق طبريا ثم احتلوا ، من الجهة الثانية ، عمارة البوليس (تيجارت) على طريق
حيفا . ثم احتلوا دار الحكومة الواقعة في وسط المدينة .

وحاقت في سماء الناصرة في الوقت نفسه ثلاث من طائراتهم . ولما لم يروا مقاومة
اوقفوا النار . وارسلوا رسالهم الى رجالات المدينة يطلبون منهم الحضور فحضر كل
من يوسف محمد على الفاهوم رئيس البلدية ، وابراهيم الفاهوم رئيس اللجنة القومية ،
وحسين الزعبي نائب الرئيس ، ونخلة بشارة وعدد من رؤساء الطوائف المسيحية
(خورة الروم واللاتين) .

وفي تمام الساعة التاسعة من مساء اليوم المذكور (الجمعة ١٦ تموز سنة ١٩٤٨)
فرض التنازل اليهودي شروط التسليم ، وقد كتبت باللغة العربية . فامضاهم الحاضرون
وخلا رجال الدين . وقد تم ذلك في منزل شفيق الجسر من اهالى الناصرة . وكان
تعطيه يومئذ قاضي الناصرة الشيخ سعد الدين العلمي .

ويقول الاستاذ العلمي ان شروط التسليم تقضي بتسليم المدينة دون قيد او شرط وتعهدت
اسرائيل بالمحافظة على الاهالي وكنائسهم واديرتهم . ولم تذكر المساجد في الاتفاقية .
وفيا كانت مفاوضات التسليم تجري على الشكل المتقدم ذكره كان اليهود يحتلون .
في الجهة الثانية ، عمارة البوليس (تجارت) على طريق حيفا ، ودار الحكومة في وسط
المدينة وما كاد الليل يجن حتى كانوا قد احتلوا المدينة كلها .

ولقد دخل الجنود الاسرائيليون ، رغم هذا التعهد ، دير يسوع ، فنزعوا الصليبان
والصور التي كانت فيه ، وداسوها باقدامهم . وقد فعلوا ذلك على مرأى من رئيس
الدير . كان ذلك في ١٧ تموز ولما جاء وزير الاديان الاضون فيشان ، وسأل رؤساء
الطوائف عما يبتغون ، جامله بعض هؤلاء الرؤساء فقالوا له انه لم يجز اي اعتداء على
كنائسهم وقد وقعوا على عريضة كتبت بهذا المعنى .

واعتقل اليهود ثلاثة من افراد جيش الانقاذ ، عراقي وسوريين ، ظلوا في المدينة ، ولم يغادروها . قتلوهم بالرصاص . ولم يحجم الجنود الاسرائيليون عن اقتحام المنازل بحجة البحث عن السلاح . وكثيراً ما سرقوا ونهبوا اموال الناس ومصاغهم بتلك الحججة وفي غضون ذلك فرضوا (نظام منع التجول) ففنع الناس عن مغادرة منازلهم خلال ساعتين من النهار . ودامت الحما على هذا المنوال اربعة ايام .

ويؤكد الاستاذ العلمي ان اليهود صادروا ما ينوف عن اربعة آلاف بندقية كانت بحياسة السكان . ويعتقد السيد عبد اللطيف الفاهوم ان هذا العدد لم يزد عن الالف . يدخل في ذلك البنادق التي صادرها اليهود من الناصرة وقرأها معاً .

وما كادت الناصرة تسقط بيد اليهود حتى سقطت القرى القريبة منها ، سيما تلك التي تقع بينها وبين طبريا وبينها وبين حيفا نذكر منها : الرنية . كفر كنا . طرعان . لوبية الشجرة . دبورية . اكسال . عين ماهل . وكثير من القرى الأخرى التابعة للناصره . ومن القرى التي سقطت بايديهم (عياوط) وهي قرية عربية واقعة على طريق حيفا يسكنها ٨٠٠ من السكان كلهم مسلمون . وما كاد اليهود يحتلون لها حتى جمعوا سكانها كلهم في ساحة المسجد واختاروا منهم عشرين شاباً . صفوهم على حائط المسجد واطلقوا عليهم الرصاص ، فقتلوهم على مرأى من اهلهم وذويهم ، وامروا باقي السكان بمغادرة القرية ، فغادروها فوراً دون ان يتمكنوا من دفن موتاهم ، او العودة الى منازلهم ليأخذوا ثيابهم .

وكان اكثر الضغط موجهها الى المسلمين سواء في ذلك مدينة الناصرة وقرأها . حتى ان احد الجنود اليهود البولنديين اكد للشيوخ سعد الدين وقاد ظن انسه مسيحي انه لاخوف على المسحيين ، وان اليهود انما يكرهون المسلمين وانهم سيعملون على سحقهم وتثريدتهم .

ولقد دب الرعب في قلوب السكان ، اثر سقوط الناصرة ، فراح الناس ينهزمون من قراهم ميممين شطر لبنان القريب منهم . وحاولت حكومة لبنان ، باديء ذي بدء ، ان تصدهم . ولكنها عادت ففتحت لهم ابوابها . وكان الرعب قد دب في قلوب سكان القرى اللبنانية القائمة على الحدود . فرحوا عن منازلهم الى الداخل . ولو تابع اليهود يومئذ تقدمهم لوصلوا (صور) دون مقاومة . وقال بعضهم : لاحتلوا لبنان باسره .

موقف العالم المسيحي من الكارثة

ومما يدعو للأسف ان العالم المسيحي لم يتألم لهذه الكارثة كارثة الناصرة . . مدينة يسوع الناصري . . ، ولا استنكر الاعمال التي قام بها اليهود ، والتي ادت الى خراب الأماكن المسيحية المقدسة ، والتي لم يسلم من اذائها حتى كنيسة القيامة . وفيما يلي اسماء الكنائس الاديرة والمؤسسات المسيحية الكائنة في مدينة القدس والتي احتلها اليهود (١٩٤٨) :

- ١ - دير القديس سمعان في حي القطمون .
- ٢ - دير القديس شارل في الحي الالماني .
- ٣ - دير القدس اندرز في الحي الماني .
- ٤ - دير راهبات القديسة كلير
- ٥ - دير ابي ثور للروم الارثوذكس في حي ابي ثور .
- ٦ - دير الاباء الكابوشين .
- ٧ - هو سبيس الالمان الكاثوليك .
- ٨ - دير الراهبات الفرنسيات .
- ١٠ - كنيسة نياحة العذراء (دورميثيون) على جبل صهيون .
- ١٢ - كنيسة الحبش خارج السور الى الشمال الغربي من المسكوبية .
- ١٣ - دير وكلية القديس يوسف
- ١٤ - دار الايتام الكاثوليك .
- ١٥ - دير النوتردام للأباء الانتماليين امام الباب الجديد وفيه كنيسة كنيسة
- ١٦ - دار الايتام السورية (شنلر) في حي الشيخ بدر الى الشمال المغربي من المدينة
- ١٧ - مستشفى القديس يوحنا للعيون على طريق محطة السكة الحديدية .
- ١٨ - المستشفى الالماني في حي الشيخ عكاشة .
- ١٩ - المستشفى الإيطالي في القسم العلوي من حي المصراة وكذلك قل عن المدرسة الإيطالية والكنيسة الإيطالية .
- ٢٠ - المستشفى الانكليزي في حي عكاشة .
- ٢١ - جمعية الشبان المسيحيين شمالي حي الطالبية .

- ٢٢ - جمعية الرفق بالحيوان عند بركة السلطان .
- ٢٣ - مدرسة صهيون على جبل صهيون .
- ٢٤ - مدرسة الراتربون لراهبات صهيون غربي المدينة وعلى مقربة من ماملا .
- ٢٥ - الارسالية الاكلركية الروسية .
- ٢٦ - كلية البنات الانكليزية .
- ٢٧ - مقابر المسيحيين البروتستانت الكاثوليك والروم الارثوذكس والاقباط والسريان والاحباش والارمن على جبل صهيون .
- ٢٨ - مدرسة (طاليتا فومي) غربي المدينة والى الجنوب من طريق يافا .
- ٢٩ - مدرسة ترازيا الالمانية الى الغربى من بركة ماملا .
- ٣٠ - كلية شميت الالمانية للبنات الى الشمال من مقبرة ماملا .
- ٣١ - دير القديس شارل برومبوسى للاخوات الالمانيات ، الى الغرب من مقبرة ماملا .
- ٣٢ - مستشفى الجزام للألمان الى الجنوب من حي الطالبية .
- ٣٣ - دير مارتوما للسريان في شارع صهيون الى الغرب من القلعة .
- ٣٤ - دير المصابة للروم غربي المدينة على بعد خمسة كيلومترات من مقبرة ماملا .
- ٣٥ - (دير مار الياس) للروم ، قبلي المدينة على طريق بيت لحم .
- ٣٦ - كنيسة (مارفنسيس) للأباء الفرنسيسيين الى الشمال من مقام النبي داود .
- ٣٧ - (دير الأباء الكرملين) قبلي مقبرة ماملا .
- ٣٨ - المستشفى الافرنسي (مستشفى القديس بولس) ملاصق للسور في شمال المدينة وعلى مقربة من الباب الجديد .
- ٣٩ - مدرسة ثانوية وميتم باسم (راهبات ماريوسف .)
- ٤٠ - دير (الراهبات الوردية) على جبل المكبر .
- ٤١ - دير (راهبات المحبة) على طريق ماملا .
- ٤٢ - دير راهبات القربان ، ملاصق للسور من الشمال وتجاه المستشفى الافرنسي .
- ٤٣ - دير الأباء العازرين جنوبي مقبرة ماملا .
- ٤٤ - دير الراهبات الساليزيات في حي المصراة .

٤٥ - دير راهبات ايفريا ، في حي الطالبة .

٤٦ - (دير الاباء اليسوعيين) في حي النيقوفورية الى الشمال الشرقي من دار جمعية الشبان المسيحيين .

الطراد فاروق يغرق في بحر غزة

ولا ذلك على مبالغ احترام اليهود لاتفاقية الهدنة أود ان اسوق اليك ، ايها القارىء الكريم ، الخبر التالي : -

كان يرسو على مقربة من شاطيء غزة قبيل اعلان الهدنة الثانية طرادان مصريان يحمل احدهما اسم فاروق والثاني فريدة . فاقتربت منهما في ١٦ تموز (يوليو) سنة ١٩٤٨ وبعد اعلان نباء الهدنة بساعة واحدة اربع سفن يهودية حربية . وعندما دخلت المياه الاقليمية احس قائد الطراد فاروق بالخطر ، فاتصل بالقاهرة ، وطلب ان يعطى الأمر بضربها ولكن التيادة العليا بالقاهرة رفضت اعطاء مثل هذا الأمر . ثم كرر طلبه مرة ثانية ، فثالثة . مؤكداً للمسؤولين في القاهرة ان باستطاعته أن يدرأ عنه الشر بمدافعه . (١) فقبل له : -

« لا تضرب ، الا بعد ان يضرب اليهود . » وكان اولئك المسؤولون يخشون خرق الهدنة في ساعاتها الأولى .

وفسما كان المصريون في تردد وحيرة من امرهم : - أ يضربون ، أم لا يضربون انطلقت نساقتان يهوديتان احدهما باتجاه الطراد المصري فاروق والأخرى باتجاه فريدة واصابت الأولى فاروق في مقدمته ، فشطرته شطرين وماهي اللحظة حتى غاب عن الانظار ، فاستقر في قعر اليم . واما الطراد الثاني فلم يصب بأذى .

حدثني مفتش الميناء محمود احمد دباش الغزي (٢) انه غرق مع الطراد احد عشر نفر من بحارته ، وان خمسة وسبعين منهم قد نجوا ، وان الفضل في انقاذهم يعود للبحارة من ابناء غزة واللاجئين الذين هبوا للنجدة من كل صوب .

(١) اكد لي الخبراء انه كان في الطراد مدافع تصيب الهدف عن مسافة بعيدة قدرها بعضهم خمسة عشر كيلو مترا

(٢) كان هذا ، ساعة وقوع الحادث ، مرابطا في ميناء غزة وهو الذي انبأ البكباشي عادل الجمعي من رجال القيادة المصرية بغزه عما جرى

معارك نقبا واسدود بيروت اسحق

هاجم المصريون قبل بدء الهدنة الثانية ببضعة ايام مستعمرة (نقبا) . هاجموها بالمشاة من افراد الكتيبة التاسعة . انها من كتائب اللواء الثاني . وقد اتبعت من اجل اغراض هذه المعركة باللواء الرابع . ورغم ان هذه الكتيبة انجذت بعد قليل بالكتيبة الثالثة التي كانت يومئذ تحرس مدينة غزة - حتى ان غزة عاشت بضعة ايام من غير حماية - الا انها لم تنجح في اقتحام المستعمرة . ذلك لانها (اي المستعمرة) كانت محصنة تحصيناً تاماً .

فقد اشتبك الفريقان ، بايدي ذي بدء ، عند تقاطع الطرق على مقربة من (عراق سويدان) . وكان الوقت ليلاً . اشتبكا بالاسلح الابيض والقنابل اليدوية . وفي اثناء ذلك الاشتباك جرح الركن جمال عبد الناصر . وارتد العدو الى داخل المستعمرة . ولحق به المصريون حتى الاسلاك الشائكة . ولكن لم يستطيعوا التقدم اكثر من ذلك . لان المستعمرة - كما سبق وقلنا - كانت محصنة . ولم يكن لدى المصريين مدرعات تؤازر المشاة . وكانت هناك سرايا مشتبكة في قتال مع اليهود على مقربة من اسدود . وكذلك قل عن الوضع امام مستعمرة (بيروت اسحق) . وفي جميع هذه المعارك كان المصريون يحاربون بلا دروع . ورغم انهم ربحوا المعركة الاخيرة ودخلوا المستعمرة (بيروت اسحق) ، تلك المستعمرة القريبة من غزة والواقعة على الطريق بينها وبين بئر السبع ، الا انهم عادوا فاخلوها بسبب النجذات الكثيرة التي ارسلها اليهود . وخسر المصريون عدداً كبيراً من جنودهم وضباطهم .

ولما رأوا انه لا فائدة ترجى من النصر في القتال انسحبوا من الميدان : امام نقبا ، وبيروت اسحق ، واسدود .

معركة خراب اللحم

لما كانت طريق رام الله - اللطرون من الطرق الرئيسية ذات الاهمية الاستراتيجية ، وكان الجيش العربي يمر منها ليلاً ونهاراً في طريقه الى باب الواد ، فكر اليهود في قطعها ، وراحوا بعد ان استؤنف القتال يرسمون الخطط لاحتلال التلال المرتفعة المطلة عليها . ولكنهم لم ينجحوا . فصعدوا في المعركة الاولى التي قاموا بها في هذا السبيل . وقد

وقعت هذه في اليوم السابع عشر من شهر تموز (يوليو) عندما قامت في ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم (وقبل الموعد المضروب لبدء الهدنة الثانية) سرية مؤلفة من سبعة وستين يهودياً ويهوديتين . جاءت من ناحية مستعمرة الخمس (١) ، وراحت تزحف نحو الطريق المتقدم ذكرها . فتصدى لها أولاً عدد من المناضلين من (بيت عنان) قدر عددهم بعشرين . فتغلبت عليهم ، وقتلت منهم اثنين . ثم راحت تتقدم . ولما وصلت إلى الحرب المعروفة بـ (خرب اللحم) من اراضي قطنة وهي واقعة بين بيت عنان وقطنة من اعمال القدس ، تصدى لها المناضلون من قطنة والقيبية وبيت دقو يقودهم المناضل فخري اسماعيل ، وعددهم ثلاثون ، وعدد من جنود الكتيبة السابعة يقودهم القائد خالد الصحن . واشتبك الفريقان في قتال عنيف . ورغم التفاوت الموجود في اسلحة الفريقين - اذ كان لدى اليهود بالاضافة الى البنادق الاعتيادية عدد كبير من القنابل اليدوية وخمسة رشاشات من طراز هوشكس ، ولم يكن بيد العرب سوى بنادق اعتيادية وهوشكس واحد (٢) - فقد كان النصر في هذه المعركة حليف العرب . فقتلوا اليهود كلهم . ولم يقتل من العرب سوى مناضل واحد وجرح ثلاثة .

جيش الانقاذ في معاركه الاخيرة

ألت بجيش الانقاذ كوارث عديدة بعد سقوط الناصرة . وقد لا يخلو من فائدة ان نقص عليك في السطور التالية بعض هذه الكوارث .

قلنا في موضع آخر من هذا الكتاب ، ان جيش الانقاذ انسحب من فلسطين عندما دخلتها الجيوش العربية في ١٥ ايار . وانه عاد يومئذ الى دمشق لينظم نفسه من جديد .

ولقد اعيد تشكيله في اثناء الهدنة الاولى (١١ حزيران ٩ - تموز ١٩٤٨) . فاصبح مؤلفاً من ثلاثة ألوية هي : -

١ - لواء اليرموك الاول - يقوده المقدم صفا .

«١» سميت كذلك نسبة الى اليهود الخمسة الاولين الذين قتلوا في هذا الموضع حوالي عام ١٩٣٦ عندما جاءوا لوضع الحجر الاساسي للمستعمرة .

«٢» غنم العرب من اليهود في المعركة التي قامت بين الفريقين في جبل الرادار في ١ حزيران «يونيو» ١٩٤٨ .

٢ - لواء اليرموك الثاني - يقوده العقيد مهدي العاني .

٣ - لواء اليرموك الثالث - يقوده المقدم اديب الشيشكلي .

ووضعت هذه الالوية الثلاثة تحت قيادة القاوقجي فارسلها إلى قطاع الجليل؟ وجعل مقرها في (عيترون) من اعمال لبنان . وانضم اليها ، في الوقت نفسه ، المقدم شوكت شقير ، والمقدم عامر كطابطي ركن للقاوقجي ؛ فاضحت قوة منظمة . ولكن اليهود كانوا اسرع في العمل . فاقاموا تجاهها قوة اكبر عدداً وامضى سلاحاً .

اما لواء اليرموك الأول فلم يدخل ، فور تكوينه ، اية معركة . واما اللواءان الثاني والثالث فقد دخلا ، فور تكوينهما ، معارك الشجرة ، كما دخلا سلسلة من المعارك الاخرى التي قامت في الجليل : في المالكية ومجد الكروم وغيرها . وكانت معارك الشجرة ادقها تنظيمًا واكثرها تضحية . اذ كانت خسائر جيش الانقاذ فيها الفأ بين قتيل وجريح . وقد فصلنا تلك المعارك في موضع آخر من الكتاب .

وعندما سقطت الشجرة والناصره انسحبت قطعات الانقاذ التي كانت هناك نحو الشمال . وأمر لواء اليرموك الاول ، فاحتل من جديد قطاع (مجد الكروم) و (سخنين) و (عيلبون) و (فرادة) وكان ذلك قبل الهدنة الثانية بيوم (١٧ تموز ١٩٤٨) .

ورابطت في ترشيحا خلال الهدنة الثانية فئة يقودها العقيد مهدي؟ وفي (الجش) اخرى يقودها الرئيس غسان شديد (علوي) . وبقيت تلك القرى كلها في يد العرب ، حتى شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ يوم قام اليهود بهجوم شديد على قطعات جيش الانقاذ التي كانت ترابط فيها . فانسحبت هذه . وبانسحابها يكون جيش الانقاذ قد انسحب من قطاع الجليل كله . فاستولى عليه اليهود . وقد تم ذلك في غضون الهدنة الثانية . وفي الحقيقة لم يكن اي أثر للهدنة في ذلك القطاع .

حدثني صديق اثق بصدق حديثه ، وقد رافق جيش الانقاذ ، في حركاته الأخيرة ان هذا الجيش مُني ، وهو ينسحب ، بنخسائر فادحة في الرجال والسلاح . وانه ريثما كان ينسحب ، ارسل الجيش السوري فوجاً من رجاله ، قدر عددهم بخمسة مقاتل يقودهم المقدم علم الدين قواص^(١) ؛ وان هذا الفوج الذي كان عليه ان يحفظ (خط

«١» انه من رجال الانقلاب السوري الذي تم على يد الزعيم سامي الحناوي .

الرجعة) ويحافظ على الطريق التي تصل (سعسع) بالغراوية ، تقدم دون ان يتخذ الاحتياطات اللازمة لدرء شر الأعداء عنه (كأن يرسل طلائعه بقصد الكشف ومعرفة مواضع الأعداء ، ولما استمر في تقدمه بعد (سعسع) باغته اليهود عند موضع يقع الى الجنوب من قرية (الصنصاف) . فقتلوا عدداً غير قليل (قدر بمئتين) من رجاله ، وفر الباقون . ومن لم يستطع الفرار وقع في الاسر ، وقدر عدد الاسرى بخمسة عشر رجلاً . واستولى اليهود على جميع سيارات الفوج ومدافعه وعتاده .

وبانسحاب جيش الانقاذ من الجليل انسحب فوزين القاوقجي من الميدان . والحقت البقية الباقية من رجاله بالجيش السوري ، فاسميت (لواء اليرموك) وعندما قام الزعيم حسني الزعيم بانقلابه المشهور جل هذا اللواء ايضاً وطويت صفحة من الصفحات الاخرى التي طواها الدهر .

للقدس قبيل الهدنة الثانية

في ١٦ تموز ١٩٤٨ كانت القدس كلها من اولها الى آخرها في جحيم مستعر ودام القصف ليلاً . وكان العرب يقصفون الاحياء اليهودية في المدينة الجديدة بمدافعهم^(١) ويقومون بالعملية المدفعية المعروفة بـ (الكنس التنظيف) من ميشورم حتى دار الوكالة اليهودية وطريق المحطة ، وقتل في ساحة المسكوبية امام دير السريان ما لا يقل عن اربعمئة يهودي . واستعمل العرب في هذه المعركة الطائرات لأول مرة . وبدأت غارتهم على الاحياء اليهودية من الجو بعد الساعة الواحدة بعد منتصف الليل (١٥/١٦ تموز) . ولم يكن لدى اليهود مدافع مضادة للطائرات . بيد انهم راحوا يقصفون المدينة

«١» فئتان من البطارية الثانية من بطاريات الميدان التابعة لكتيبة المدفعية الملكية قائدها الميجر هرست . فئة كانت تضرب الاحياء اليهودية في القدس الجديدة مدافعها اربع من عيار ٢٥ رطل ، واربعة من طراز هاويزر ، وثمانية من عيار ١٦ رطل وعدد كبير من النوع المعروف بالمورتر . وفيما كانت هذه تضرب القدس كانت الفئة الثانية تقصف مستعمرة الخمس والمستعمرات اليهودية الاخرى خارج القدس .

القديمة والأحياء العربية في المدينة الجديدة بمدافعهم^(١) واستعمل اليهود في هذه المرة من الاسلحة الخفيفة والثقيلة ما لا عهد للقدس بمثلها من قبل . وكانت قنابل هذه المدافع وتلك تتساقط في قلب المدينة وأطرافها على غير هدى ... هنا وهناك ... فالفريقان كانا يعلمان العلم اليقين أن التمثال سيقف ، وان الهدنة ستعلن لا في القدس وحدها بل في جميع أنحاء فلسطين . اذاً فليفرغوا ما في جعبتهما من قنابل ليربحا أكثر ربح مستطاع . وعندما جن الليل قام اليهود بهجوم شديد على باب الخليل وباب النبي داود والباب الجديد . فكان الباب الاول من نصيب عصابة شترن والثاني الهاغانا والثالث الارغون . الا أن العرب تمكنوا من صد الهجوم وقتل في تلك الليلة أربعة من قادة الارغون .

حدثني طارق بك الافريقي الذي شهد تلك المعركة وكان يدير دفعة القتال في جانب من القطاع الجنوبي أن عدد المناضلين من رجاله كان يومئذ ٥٢١ ورجال الجهاد المقدس يتراوحون من ٥٠٠ الى ٦٠٠ مقاتل ، هذا طبعاً بالاضافة إلى الجيش العربي المؤلف من كتيبتين ومجموع رجالهما يبلغ الالفين . واما في الجزء اليهودي فقد كان يتولى الدفاع عشرة آلاف مقاتل ، بعضهم من يهود البلاد ، والبعض الآخر من المتطوعين الأجانب بعضهم رجال والبعض الآخر نساء .

قال مناحيم بيغن ، قائد منظمة الارغون^(٢) ان القطعات اليهودية التي اشتركت في

«١» كانت المدافع اليهودية منصوبة في قطاع شنلر الى الشمال الغربي من المدينة ، وكانت هذه من عيار ١٧ وطلا ، ضربوا بها الاحياء العربية الواقعة الى الشمال من المدينة . واستعملوا بضعة مدافع افرنسية من عيار ٧٥ ملمتر . بعضها كان منصوباً بالقرب من جيبعات شاؤول غربي المدينة ، والبعض الاخر كان يحمل في سيارة وينقل من مكان الى مكان . ورأى احد الرهبان بعض المدافع اليهودية منصوبة على تل صهيون ، وعند فندق الملك داود . ورآها بعضهم منصوبة وراء النوتردام وفي صاحة المسكوبية هذا بالاضافة الى مدافع المورتر وراجمات الالغام التي ما أنفكوا عن استعمالها منذ بدأ القتال في المدينة ، وكان بعضها من عيار ست بوصات . وكان لليهود مدفع هاووزر من عيار ثلاث بوصات وسبعة اعشار البوصة في مكان ما عند جيبعات شاؤول . وسقطت احد عشر قنبلة من القنابل الجديدة على مسجد النبي صموئيل الى الشمال من المدينة فهدمت جانباً منه . ولكن سرعان ما اكتشف العرب موضعه فقصفوه من قرية الحبيب بمدفع من عيار خمسة وعشرين وطلا واعطبوه ، فسكت ولم يقذف اليهود بعدئذ اية قنبلة من ذلك العيار .

The revolt P. 162 «٢»

معارك القدس هذه كانت يومئذ عبارة عن ثمانين سرايا : اربع من الهاغانا وثلاث من الارغون وسرية من (المناضلين عن حرية اسرائيل) وقد اشار اليهم بهذه الاحرف الثلاثة F . F . I . وان هذه السرايا كانت تستهدف استرجاع الحي اليهودي بالبلدة القديمة وان احدى هذه السرايا كانت قد عادت من (المألجة) بعد أن احتلتها وخسرت ١٨ رجلا من مقاتليها ؛ وانه رغم الجهود الجبارة التي بذلها اليهود يومئذ من اجل الوصول الى اهدافهم فقد باءوا بفشل عظيم اذ انهم عجزوا عن اقتحام السور ، لا ولا استطاعوا ان يفتحوا ثغرة واحدة فيه . »

وقذف اليهود المدينة القديمة ، في اليوم المذكور ، بما لا يقل عن ثمانمائة وخمسين قذيفة من قذائفهم ومن راجمات الالغام ، وقيل ان عدد القذائف اليهودية في ذلك اليوم بلغ ألفاً ومئة وسبع عشرة قذيفة أصابت بعض هذه القذائف^(١) مسجد الصخرة والاقصى وقبة المعراج ومواضع اخرى من الحرم ، كما اصابت كنيسة القيامة^(٢) والدباغة وبعض الاديار وقتل بعض الرهبان . وتجدم جانب من دار الايتام الاسلامية ، تلك الدار التي كان نصيبها من العدد المتقدم ذكره ثمان وأربعون قذيفة من راجمات الالغام . وكان اكثر الأحياء العربية تعرض لقنابل اليهود باب الخليل وحرارة الارمن والباب الجديد ودرب الآلام .

فقد جاء في يوميات الآباء البيض الذين يقيمون في ديرهم (الصلاحية) على مقربة من الأسباط انه في اليوم الذي اعلنت فيه الهدنة الثانية ووقف القتال (١٨ تموز) بلغ عدد قنابل المورتر اليهودية التي سقطت في هذا الجزء من المدينة (الحرم المقدس و درب الآلام) حداً لا يحصى ، وان أربعاً من هذه القنابل سقطت على مقربة من المدرسة

«١» حدثني حراس الحرم ان نصيب الحرم من القذائف اليهودية في تلك الليلة كان خمساً وخمسين قنبلة . وقال اخرون انها ستون . وكان اليهود يتصفون من كنائسهم في الحي اليهودي ، ومن جبل صهيون ، ومن النونردام .

«٢» القبة الحجرية للكنيسة المعروفة بـ (نصف الدنيا) ونفذت القنبلة فيها زهاء خمسين سانتترا . ولكنها لم تنفجر وكانت من عيار ست بوصات وسقطت قنبلة مثلها بجانب القبة فانفجرت ودمرت الجدار الشمالي وجزءاً من الجدار الغربي .

الصلاحية نفسها تسع عشرة قبلة عند المرحلة الرابعة من مراحل السيد المسيح في درب الآلام على مقربة من دير الارمن الكاثوليك ، وما ينوف عن الخمسين في ساحة الحرم وعلى قبتي الصخرة والأقصى ، وعدداً آخر كبيراً عند مستشفى الهوسبيس حتى ان عدداً كبيراً من المرضى الذين كانوا في هذا المستشفى قتلوا ، وآخرين جرحوا ، وحرقت الامبولانس .

ولولا متانة المدينة وابنيته المتراصة وقبابها الضخمة وقناطرها المعقودة لاضحت بسبب تلك التي شاب من هوها الولدان قاعاً صنفصفا . ولسوء الحظ لم يكن في مدينة القدس يومئذ اي نوع من انواع الملاجىء يلجأ اليها السكان في مثل هذه الغارات . ولكن المناضلين كانوا يركضون لاسعاف الجرحى .

زرت القدس في صبيحة اليوم التالي ؛ وغشيت ساحة الحرم لأرى بعيني مطارح القنابل التي اصابته ، وفيما كنت أجتاز بابه الشمالي عند درج الغوانمة سمعت المؤذن ينادي الناس من على المئذنة الى الصلاة قائلاً : الله اكبر ، فسررت لأن صوت المؤذن ما برح يدوي في بيت المقدس ، وحرزنت لاني لم ار في ساحة المسجد سوى بضعة رجال من المصلين الطاعنين في السن . وخشيت ان يضيع المسجد الاقصى من ايدينا ؟ وقلت في نفسي : ترى اتبقى هذه المآذن في القدس ويبقى فيها مسلمون ومؤذنون ينادونهم الى الصلاة كلما حان وقت الصلاة ؟ وهل تظل كلمة الله اكبر تدوي في سماء هذه المدينة المرتبط تاريخها بتاريخ العرب والاسلام ، ام يستولي عليها اليهود - لا قدر الله - فيهودونها ، ويخفتون من على مآذنها وبين جدرانها الكلمة التي تعتبر بحق رمز العروبة والاسلام : الله اكبر ... ورحت ابحت عن عدد العرب الذين استشهدوا في تلك المعركة ، فقبل لي انهم اثنان وسبعون : منهم ثمانية عشر من جنود الجيش العربي واربعة وعشرون من المناضلين الفلسطينيين وثلاثون من المدنيين ؛ وجرح اربعون . ولم تكن خسائر اليهود في احيائهم باقل من خسائر العرب . لا بل انها اكثر بكثير قدرها بعضهم بخمسة آلاف قتيل وجريح^(١) وكان بين الجرحى قائدان كبيران احدهما روسي اشترك

« ١ » هذا ما قاله المسيو لافوزيه مندوب الصليب الاحمر الدولي الذي قدر خسائر اليهود من مقاتلين ومدنيين بما لا يقل عن خمسة آلاف نسمة بين قتيل وجريح ، وزعم اليهود ان الجيوش العربية خسرت خلال الايام التسعة التي انقضت بعد استئناف القتال ، مثل هذا العدد (اي ٥٠٠٠) بين قتيل وجريح .

في معركة ستالنغراد في الحرب الكونية الثانية وقد كسرت ساق فخذه في هذه المعركة .
والثاني اميركي جرح في رأسه .

ودام قصف المدافع العربية من الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم حتى الساعة
الرابعة من صباح اليوم التالي (١٧ تموز ١٩٤٨) وشاهد الناس زهاء خمس وعشرين
حريقاً نشب في الاحياء اليهودية وكانت مهمة رجال المدفعية شاقة للغاية . اذ كان عليهم
ان يميزوا بين المواقع الحربية وبين المستشفيات والقنصليات ودور العبادة . وعلينا ان
لا ننسى ان بعض الناس ولا سيما في الجانب اليهودي كانوا يرفعون اعلام الصليب
الاحمر الدولي وبعض الدول المحايدة خصيصاً لئلا تتعرض منازلهم لقصف المدافع . وكان
اليهود ينصبون مدافعهم في مواضع ملاصقة للمستشفيات . كما جري لمستشفى المسكوبية .
اذ كان اليهود واضعين مدافع المورتر فوق قصر العدل الملاصق للمستشفى المذكور .

حدثني احد قادة الجهاد المقدس في بيت المقدس ان العرب قذفوا الاحياء اليهودية
يومئذ بما لا يقل عن ١٧٠٠ قذيفة ، اشترك في قذفها رجال المدفعية الملكية في الجيش
العربي الاردني . وكانوا يقذفونها من شعفاط والنبي صمويل ؛ ورجال المدفعية العراقية (١)
من الجيب ، ورجال المدفعية المصرية من بيت جالا وطباليا (٢) ولهذا لم تر الاحياء
اليهودية يوماً اسوداً منذ بدء النضال الحالي مثل ذلك اليوم ، والليل الذي تلاه (١٧/١٨
تموز) . ولقد سمع الناس ، عندما وقف قصف المدافع ، من محطة الاذاعة اللاسلكية في
القدس تذييع قراراً اصدرته السلطات اليهودية (رقم ١٣) جاء فيه انهم (اي اليهود)
يعتبرون رجال المدفعية العربية الذين اشتركوا في قصف الاحياء اليهودية (مجرمي حرب)
وان هؤلاء الرجال سيساقون الى المحكمة بعد انتهاء القتال ، وسيعاقبون بالموت . وقد
ساقوا الى المحكمة رجال مدفعتهم ، وزجوا بعضهم في السجون لانهم تباطأوا في عملهم
وأخروا الرمي ربع ساعة عن الوقت المضروب .

«١» كان للعراقيين في هذا القطاع يومئذ مدفعان من طراز هاوزر عيار ٦ عقد (بوصات) يقودهما الرئيس
فوزى جميل العراقي وقد قذفت يومئذ مئة وتسع قنابل سقطت معظمها في سنهدريا وروميما .

«٢» كانت اهداف المدافع المصرية تل بيوت ومعسكر العلمين والاحياء التي كان اليهود قد احتلوها في
القطاع الجنوبي .

ومهما كان الامر فان التاريخ سيخلد ، ولا ريب ، ذكرى المجاهدين الابطال من ابناء عرب الذين ضحوا في هذه المعركة بما ضحوا من نفوس طاهرة ودماء زكية في سبيل الذود عن الحمى في هذه المدينة المقدسة ، والذين ابلوا في الدفاع عما فيها من مقدسات واعراض بلاء حسناً . ولئن اردنا ان نأتي بالامثلة المؤيدة لقولنا هذا لما ومع ذلك القرطاسي ولنقد المداد قبل ان نبليغ المراد . ولكن لا بد لنا من الاشارة الى ذلك الفتى البطل (كاظم صالح) (١) الذي انخرط في فرقة التدمير العربية المقدسية ؛ فقاتل اليهود في عدة مواضع ، وكان دائماً مع المجاهدين في الطليعة . فلقد قام هذا الفتى وحده بنسف دار بندلبوم في مياشورم ، ودار غوشه التي كان يتحصن بها اليهود . ولما رفعت انقاض هاتين الدارين وجدوا تحت الاولى أربعاً وسبعين جثة من جيش اليهود المقاتلين وتحت الثانية احدى وأربعين . ولقد قذف هذا البطل الصغير ، في اليوم نفسه ، اليهود بلغم اصاب احد عشر شخصاً من مقاتليهم ، فقتلهم ، وهو يناديهم « انا كاظم ايها اللثام ... » وكذلك قل عن الفتى جمال بازيان (٢) الذي اشترك في معارك الشيخ جراح ورام الله ومياشورم وابلى في المعركة المتقدم ذكرها بلاء حسناً .

واستشهد في المعركة نفسها فتى سوري في الرابعة عشرة من عمره اسمه (صباح الدين عبد الغني القحف) (٣) استشهد عندما كان هو وفريق من اترابه المجاهدين ينسفون

«١» شاب من القدس في السادسة عشرة من عمره . ابلى في هذه المعركة بلاء امارح المقدسيون يذكرونه بالتقدير . وقد انعم عليه الملك عبد الله بوسام ذهبي تقديراً لبطلته .

«٢» نابلسي الاصل في الثانية عشرة من عمره . وحيداً . مات ابوه في ثورة ١٩٣٦ اعجب به وبشجاعته الامير عبد الاله فاخذه معه الى بغداد وادخله الكلية الحربية .

«٣» انه من الشام جاء الى فلسطين مع ابيه عبد الغني الحاج سليم القحف احد قادة جيش الانقاذ في شمال فلسطين وشقيقه الاكبر محمد سليم عبد الغني والاصغر صلاح . فحارب ابوه واخوته في انحاء عديدة من جهات فلسطين ، وانخرط هو في فرقة التدمير المقدسية وابلى بالاشتراك مع شباب هذه الفرقة البلاء الحسن في معارك القطمون والقسطل والحى اليهودي والشيخ جراح ومياشورم والنبي داود . عندما كانت رحى القتال دائرة في مياشورم كانت هذه واقفة في حي النبي داود . الامر الذي حدا بصباح لمغادرة ذلك الحي والانتقال الى ميدان القتال . فتقدم الصفوف ، وكان شجاعاً . ونسف ثلاثة منازل يهودية ، وكاد ينسف الرابع . وكان هذا عبارة عن عمارة مؤلفة من طابقين . فصعد الى طابقها العلوي وكان اليهود يرابطون في طابقها السفلي . وفيما كان يحاول اشعال فتيل اللغم الذي كان ممسكاً به لينسف العمارة بمن فيها وهو مدرك ادراكاً تاماً لما في ذلك من خطر على حياته - صوب الاعداء مدفعهم الرشاش من طراز برن ، فاصابوه في بطنه وفخذه قبل ان يشتعل اللغم . وتمكن رفيقه جمال بازيان من جره الى منطقة الامان . ومنها نقل الى عمان حيث قضى نحبه مأسوفاً على شبابه . وما كاد يراه ابوه حتى راح يحمد الله على هذه النعمة . وعاد لامتثاق الحسام بعد ان تنحى عن الميدان بسبب الشيخوخة وقد اشترك قبل ذلك في الثورة السورية - وكذلك قل عن ابنه الثاني صلاح . هو اصغر من اخيه صباح .

العمارتين المتقدم ذكرهما . ولقد صدق في هذا او ذاك وفي غيرهما من المجاهدين الابطال الذين ذبوا عن الحمى في بيت المقدس وفي غير بيت المقدس من انحاء البلاد قوله تعالى : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ، واولئك هم الفائزون ، ان الله عنده اجر عظيم » سورة التوبة : الآيات ٢٠ - ٢٢

وفيما كانت المدافع العربية تقصف اليهود بشدة تقدم المناضلون الفلسطينيون يرافقتهم ثلة من الجيش العربي من رجال الكتيبة الثالثة فاحتلوا عمارة الاوقاف الكبيرة والمباني المجاورة لها ووصل بعضهم الى الحمى المعروف بشنلر . وكادوا يحتلون النوتردام والعمارات المجاورة لها . وتغلغلوا في مياشورم وبعض الاحياء اليهودية ، وسمع العرب اليهود وهم يستنجدون بولاية الامور في تل ابيب . سمعوهم على امواج الاثير يقولون (اذا لم تنجدونا حالا وتنقدونا اضطررنا الى التسليم) . فأجابهم هؤلاء (ان اصبروا فالنجدة السياسية آتية) وكانوا طبعاً يعنون (الهدنة) ... وبالفعل اعلنت الهدنة بعد ذلك ببضع ساعات .

حدثني جورج نقولا حنايا الذي كان يشرف على ادارة مستشفى المسكوبية ، وكان هذا المستشفى لا يزال بيد العرب - وشاهد بعينه ما جرى في تلك البقعة من اليوم الذي تسلم العرب فيه ادارة المستشفى (٢٤ نيسان ١٩٤٨) حتى غادروه (١٩ نوفمبر) حدثني فقال : انه لولا الهدنة الثانية لسقطت النوتردام والبنيات المجاورة لها بيد العرب ، اذ اضطر اليهود لاخلاء هذه البنيات بسبب نفاذ ذخائرهم « ولقد نفذت هذه عندما سقطت احدى القنابل المحرقة التي قذفها العرب على الاحياء اليهودية ، فأنت على مستودع ذخائرهم المركزي الكائن بالقرب من بنك انجلو - فلسطين الى الغرب من المسكوبية وكان في هذا المستودع مقادير كبيرة من الأسلحة والذخائر والأعتدة الحربية واحد عشر سيارة من سيارات الميدان ، فخسروا ذلك كله . عندئذ انسحبوا من النوتردام ومن جميع المباني والمرتفعات التي كانوا يحتلونها في تلك البقعة وتحصنوا في المسكوبية . وكان ذلك قبل اعلان الهدنة بيوم واحد . ثم عادوا فانسحبوا من المسكوبية ايضاً ، تاركين في فنائها مقادير غير قليلة من الأعتدة والذخائر وادوات الميدان . وكان ذلك في اليوم الذي اعلنت فيه الهدنة ، وقبل اعلانها بثماني ساعات . ويؤكد السيد جورج حنايا الذي شاهد انسحاب اليهود بعينه ، ان اليهود في هذا القطاع تنفسوا الصعداء عندما اعلنت الهدنة ، ووقف القتال . ولولا ذلك لغير التاريخ مجراه في هذه المدينة المقدسة .

من المرحلة الثانية

الى ما قبل اتفاقية رودس ووقف القتال

مجلس الامن يبحث الموقف بعد استئناف القتال

عقد مجلس الامن في ١١ تموز جلسة ترأسها المستر مانولسكي Manuilsky مندوب اوكرانيا . ومثل الوسيط امام المجلس فقال : ان العرب هو الذين رفضوا تمديد الهدنة وطلب من المجلس أن يتدخل في الامر تدخلاً حازماً ، وان يأمر بوقف القتال في الحال ، وأن يصدر امراً قاطعاً بوجوب نزع السلاح عن القدس . وبعد جدل عنيف اشترك فيه ممثلوا الدول الاربع الكبرى اعتبر المجلس الحالة في القدس ، وفي فلسطين مهددة للسلام ؛ مستنداً في ذلك على الصلاحية المخولة له بموجب المادة ٣٩ من ميثاق هيئة الامم (١) ولهذا استعمل الصلاحية التي خولته اياها المادة ٤٠ من الميثاق المتقدم ذكره (٢) . وافر (في ١٥ تموز) الاقتراح الذي قدمه المستر جيسوب رئيس الوفد الاميركي . اقره باغلبية سبعة اصوات وامتناع ثلاثة عن التصويت . وهو كما يلي : -

« يأمر مجلس الأمن جميع حكومات الفريقين بالامتناع عن اي عمل حربي ، وان يأمر بوقف اطلاق النار الى جميع قواتهم في الميادين في خلال ٢٤ ساعة من بدء الموافقة على هذا القرار . ويكلف الوسيط بالسير في عملية نزع السلاح عن القدس . على ان لا يؤثر ذلك في وضع القدس من الناحية السياسية في المستقبل . كذلك يكلف الوسيط بالسير في فرض الهدنة . ومراقبتها ، وبيان من يخالف شروطها . وتظل الهدنة قائمة الى ان توضع تسوية سلمية لفلسطين . »

ولقد انذر المجلس الموما اليه الفريق الذي لا ينصاع لامره باتخاذ الاجراءات الوارد ذكرها في الفصل السابع من الميثاق . واصدر تعليماته الى الوسيط الدولي كي يبذل جهده لتجريد مدينة القدس من السلاح دون ان يكون لذلك اثر في المركز السياسي لهذه المدينة في المستقبل ولنضمان حماية الاماكن المقدسة والابنية والمواقع الدينية في فلسطين . كما امره بالاشراف على تنفيذ الهدنة واتخاذ الاجراءات اللازمة لمعالجة الحوادث التي

«١٥» نص هذه المادة على ان لمجلس الامن ان يقرر وجود حالة تهدد السلم اولا ، وايضاً ان يقرر الاجراءات الواجب اتخاذها للمحافظة على السلم واقترارة .

«٢٥» نص هذه المادة على ان للمجلس ، اذا ما اراد ان يحول دون ازدياد خطورة الموقف ، ان يدعو الطرفين الى تنفيذ التدابير التي يراها لازمة .

تخرق فيها الهدنة ، وابلأغه عن الاجراءات التي ينخذها في هذا الصدد .

وما كاد هذا القرار يبلغ الى الفريقين في اليوم السادس عشر من شهر تموز ١٩٤٨ حتى ابرق اليهود الى الوسيط يقولون انهم يقبلون الهدنة . واما العرب فقد قصر واقتولهم ، بادىء ذي بدء ، على الهدنة في القدس . ولم يقبلوها في الميادين الاخرى ، ثم عادوا ، فابرقوا للوسيط (١٧ تموز) يقولون انهم يقبلونها في جميع الجبهات .

وكانت تلك الفترة من الزمن اخطر فترة اجتازها العرب ، وتلك الازمة اشد ازمة عرفوها ، منذ نشوب القتال في فلسطين .

وفيما يلي موجز المذكرة التي ارسلها الامين العام عبد الرحمن عزام ، الى المستر تريجنفي لي السكرتير العام للامم المتحدة جواباً على قرار مجلس الامن بتاريخ ١٥ تموز ١٩٤٨ : -

« ان الحكومات العربية لتستغرب موقف مجلس الامن وتهديده اياها بفرض العقوبات ، اذا هي لم تقبل من جديد وقف القتال في فلسطين . اذ لولا تدخل الدول العربية عسكرياً في اليوم الذي تخلت فيه بريطانيا عن الانتداب (١٥ ايار) وانتشرت الفوضى في البلاد ؛ لازدادت الحالة تفاقماً ، واختل الامن في الشرق الاوسط كله .

« وانه لقلب للاوضاع الطبيعية ان يُسمى المنقذ معتدياً . وان الحكومات العربية لا ترى تعليلاً لموقف مجلس الامن منها الا انه رغبة لبعض الدول الكبرى في تمكين اليهود من فلسطين على حساب العرب .

« فان الجرائم الوحشية التي اقترفها اليهود من تقتيل وتعذيب وتشريد وسلب ونهب ، والتي تحاكي جرائم النازي في اوروبا ؛ كان من نتائجها ان اخرج مئات الالوف من عرب فلسطين من ديارهم ، وهاموا على وجوههم مشردين . وحل محلهم مهاجرون اجانب من اليهود . ومن الظلم في هذا الحال اتهام العرب بالعدوان والخروج على احكام ميثاق الامم المتحدة .

« ان اليهود لم يراعوا الهدنة اطلاقاً . بل نقضوها من الساعة الاولى . واستمروا في نقضها . فاستولوا على اماكن وقرى عربية حققت لهم ميزات عسكرية واستراتيجية . ولقد اعترف بذلك الوسيط نفسه امام مجلس الامن . ولم يقم المراقبون الدوليون بأي

عمل مجد في هذا المضمار . ولم يكن في مقدور الدول للعربية ، بعد هذه التجربة القاسية وبعد ان لمست مبلغ الضرر الذي لحق بها وبالعرب فلسطين من جراء هدنة الاربعة اسابيع ، ان تقبل تمديدتها .

« ومع ذلك فهي لم تقفل الباب في وجه الوسيط ، وما يبذله من جهود لايجاد حل سلمي عادل . فكيف يمكن اعتبار هذه الدول اذن خارجة على الميثاق .

« وترى الدول لزاماً عليها ان تعلن الآن انه يجب الحيلولة دون ما وقع اثناء الاربعة اسابيع التي وقف فيها القتال ، فيحال دون هجرة اليهود الى فلسطين ، ويسعى لاعادة اللاجئين العرب الى منازلهم ، وقد ناف عدددهم على الثلاثمئة الف .

« ولا يسع الدول العربية الا ان تبدي استغرابها لما جاء في قرار مجلس الامن من وصف العصابات الصهيونية بالحكومة المؤقتة . فان في هذا الوصف خروجاً على الحياد المفروض في مجلس الامن ، وهو مناقض لما جاء في قراره الصادر بتاريخ ٢٩ ايار حيث نص على عدم الاخلال بحقوق ومركز الجانبين .

« وازاء اصرار مجلس الامن على اعتبار مواصلة القتال تكديراً للسلم الدولي ، وتهديده بتوقيع الجزاءات على الدول العربية اذا هي رفضت وقف القتال ، لا يسع الحكومات العربية الا ان تنزل على قرار مجلس الامن الخاص بوقف القتال مرة اخرى في فلسطين . وهي تعلن على الملأ ان وقف القتال في فلسطين لن يعيد السلام الحقيقي الى تلك الربوع . بل ستظل النفوس قلقة الى أن يوجد الحل العادل لقضية فلسطين . وهي ما زالت عند رأيها ان اقتطاع جزء من فلسطين لانشاء دولة يهودية فيه بالقوة وبالرغم من العرب سكان فلسطين لن يدنينا من الحل العادل المنشود . . . »

وقف القتال في القدس وفي سائر انحاء فلسطين

وفي ١٧ تموز ١٩٤٨ أوقف العرب القتال ، عملاً بقرار اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية التي قبلت قرار مجلس الامن ، بوقف القتال في مدينة القدس . واصدرت قيادة الجيش العربي في عمان اوامرها الى الكتائب المرابطة في القدس ، فوقف القتال اعتباراً من الساعة الثانية من صباح ذلك اليوم . وفي ١٨ تموز قررت اللجنة قبول قرار المجلس نفسه (اي مجلس الامن) بوقف القتال في جميع أنحاء فلسطين . كانت اللجنة

يومئذ مجتمعة في بيروت ، وكانت مؤلفة من جميل مردم رئيس الوزارة السورية ،
ورياض الصلح رئيس الوزارة اللبنانية ، وتوفيق أبو الهدى رئيس الوزارة الاردنية ،
ومزاحم الباجه جي رئيس الوزارة العراقية ، ومحمود فهمي النقراشي رئيس الوزارة
المصرية ، وغيرهم من ممثلي الدول العربية الاخرى ، وكان قرارها بالاكثرية ، لا بالاجماع
فان مندوبي سوريا ولبنان صوتا ضد الهدنة واما مندوبا الاردن ومصر فقد صوتا
مؤيدين . وكان العراق في بادىء الامر يريد استئناف القتال ، الا انه عاد فاعتذر بسبب
موقف الاردن . ورفض النقراشي رجاء سوريا بان تحذو مصر حذوها . وفيما يلي نص
القرار الذي أصدرته في هذا الصدد :

« تلقت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قرار مجلس الأمن الصادر بتاريخ
١٥ تموز بفرض وقف اطلاق النار في مدينة القدس وفي سائر فلسطين الى ان يوجد حل
سلمي لمشكلتها .

« ولقد سبق لهذه اللجنة أن بادرت فلبت دعوة ذلك المجلس الى هدنة أربعة اسابيع
امتدت من يوم ١١ حزيران الى يوم ٩ تموز . فوقف العرب القتال في ساعة كانت
جيوشهم تملك ناصية الامر في جميع الميادين اثباتاً لرغبتهم في السلم ، واملأ منهم في
الوصول في ظله إلى حل عادل لقضية فلسطين ، واحترم العرب احكام تلك الهدنة
احتراماً كلياً ، ووفوا بالعهد الذي قطعوه برغم الانتهاك المستمر الذي انتهكه اليهود
لتلك الاحكام .

« والعرب يؤمنون أن السلام الذي وجد من أجله مجلس الامن والذي هو مطلب
الشعوب كلها لا يمكن أن يقوم وتثبت دعائمه إلا على الحق والعدا ، .. إن حكومات
الدول العربية التي تعتبر تحرير فلسطين قضية قومية تقتضي كل التضحيات واحتمال كل
الآلام مهما تنوعت وطال بها الأمد لا تهاب في سبيلها المصاعب والمتاعب التي يكبدها
إياها أي قرار ظالم تتخذها أية هيئة كانت . ولكن الحكومات العربية - لاعتبارها
هيئة اقليمية أخذت على نفسها مسؤولية المشاركة في حفظ السلم العالمي ، رأت وقف
القتال دحضاً لحجة مجلس الأمن .

« وان اللجنة لتدرك تمام الادراك ، وهي تتخذ هذا القرار ، ما فيه من مرارة وألم ،

وما يكلف الأمة العربية من احتمال وصبر ، ولكنها واثقة بان ذلك لن ينال من ايمانها بالنصر النهائي والفوز المحقق . »

هذا هو قرار اللجنة . ولقد وقف القتال بالفعل في تمام الساعة الخامسة من بعد الظهر ذلك اليوم (١٨) تموز) .

وفيما كانت الطائرات المصرية تحلق في الجو عائدة الى حظائرهما في مطار غزة عملاً بقرار مجلس الامن ، هاجمتها ثلاث طائرات يهودية فاسقطت اثنتين منها ، فهوت احداهما الى الأرض وصرع طيارها . ونجت الثانية ولقد جرى هذا بعد الموعد المحدد لوقف القتال . وجرى مثل ذلك في الجهات الاخرى حيث اهتبل اليهود الفرصة وتقدموا ولو بضع خطوات قبل ان يتمكن المراقبون الدوليون من السيطرة على الموقف .

فعل ممثلو الدول العربية ما فعلوا ونزلوا عند ارادة مجلس الأمن لسببين رئيسيين : اولهما ضغط دول الغرب . وفي طليعتها أميركا وببيدها مصانع السلاح والمال والمقام الأكبر في العالم الدولي ، وانكلترا التي تسير مع الولايات المتحدة جنباً إلى جنب . وقد هددت هذه (أي انكلترا) مصر وشرقي الادرن والعراق بالامتناع عن مدها بالسلاح ، إذا رفض العرب الهدنة ، الأمر الذي كان له وقعته عند هذه الدول ولا سيما الحكومة الاردنية ، وكانت هذه مرتبطة ببريطانيا ارتباطاً لا محيد عنه . وكانت بينهما معاهدة لا انتصام لها . وما كانت الحكومة الاردنية لتملك من الامر شيئاً . حتى أن ممثلها في اللجنة السياسية ، توفيق أبا الهدى ، أندر بقوله أن الهدنة إذا لم تقبل اضطرت حكومته لسحب جيشها من فلسطين . . . والسبب الثاني وهو ادراك الدول العربية أن اليهود أقوياء بالمال والعلم والرجال والتضحية والتنظيم . وانها (أي الدول العربية) غير قادرة على قهرهم وهي على ما هي عليه من تخاذل وعدم انسجام وعدم استعداد .

حدثني الاستاذ يوسف العيد منشىء (الوحدة العربية) في الأرجنتين انه عندما تحدث الى عبد الرحمن باشا عزام الامين للجامعة حول الهدنة ، قال له هذا « ان الجامعة قبلتها عملاً بنصيحة ممثلي الدول العربية في هيئة الامم . » وعندما نقل الاستاذ العيد قول عزام هذا إلى فارس بك الخوري ، ممثل سوريا في تلك الهيئة ، انكره كل الانكار ، وقال « انه وزملاءه ممثلي الدول العربية في هيئة الامم نصحوا رجال الجامعة ألا يقبلوا الهدنة ، وان يمضوا في القتال الى النهاية . »

وقع الهدنة الثانية في البلاد العربية وفي فلسطين

ما كادت الهدنة الثانية تذاع في ١٨ تموز سنة ١٩٤٨ حتى ساد السخط بلاد العرب فقامت مظاهرات في الشام وبغداد ، وبيروت والقاهرة وعمان . ونادى المتظاهرون بسقوط الهدنة وسقوط مجلس الامن الذي امر بها ، واللجنة السياسية لجامعة الدول العربية التي قبلتها . وتذكر الناس قوله تعالى (١) « قل من كان في الضلالة ، فليمدد له الرحمن مدا . حتى اذا رأوا ما يوعدون ، اما العذاب واما الساعة ، فسيعملون من هو شر مكاناً واضعف جنداً . » راح الناس ينتقدون ملوك العرب وامراءهم وقادتهم ورؤسائهم نقداً مريراً . لأنهم لم يعملوا عملاً مجدياً من اجل انقاذ فلسطين . لا ، ولا من اجل درء الخطر عن بلادهم . فلقد سافروا كثيراً ، واجتمعوا طويلاً ، واصدروا البيانات بشتى الأساليب وشتى الفرص ومن غير حساب ، قائلين انهم انما يبتغون وجه الله وانقاذ فلسطين . من ذلك ما فعلوه في مؤتمر (انشاص) (٢) . ذلك المؤتمر الذي عقد في ٢٨ أيار ١٩٤٦ اثر صدور تقرير لجنة التحقيق الانكليزية الاميركية بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٤٦ . وكان الداعي اليه هو الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان . وقد حضره الملك عبد الله بن الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية ، والامير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية ، وشكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، والشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية ، والامير عبد الاله الوصي على عرش العراق ، والامير سيف الاسلام عبد الله نجل الامام يحيى ملك اليمن ؛ واتخذ المجتمعون بالاجماع قراراً (٣) اعلنوا فيه تضامنهم ، واعتزامهم على دفع الخطر الذي يهدد فلسطين .

ومنه المؤتمر الذي عقده بعد ذلك بقليل (٨ حزيران ١٩٤٦) في (بلودان) (٤) وقد حضره ممثلو الدول العربية في مجلس الجامعة . وقد اصدروا فيه قرارات جملة ، كلها في مصلحة فلسطين . ورفعوا فور ارفضاضه إلى الحكومة البريطانية مذكرة

(١) سورة مريم : الاية ٧٥

(٢) مزرعة من المزارع الملكية الخاصة بمصر ، على مقربة من القاهرة .

(٣) في الملحق الثاني تجد نص البيان الذي اصدره ملوك العرب ورؤسائهم في انشاص .

(٤) مدينة من المدن السورية المرتفعة على مقربة من الشام .

(١٥ حزيران ١٩٤٦) جاء فيها انهم يرفضون كل التواصي التي تتعلق بفلسطين ، إلا إذا كانت تؤيد حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم . وفي هذا الاجتماع قرروا تأليف هيئة فلسطينية عربية عليا يعتمدها مجلس الجامعة . ودعوا الحكومة البريطانية للتفاوض معهم من اجل عقد اتفاق ينهي الحالة الراهنة في فلسطين . وقبلت الحكومة البريطانية الطلب (في ١ آب ١٩٤٦) واجتمع الفريقان في لندن (١٠ أيلول) . وكان كل ما فعلوه ممثلو الدول العربية أن قدموا إلى الحكومة البريطانية مذكرة (١) لم تخرج ، في معناها واسلوبها عن المذكرات التي اعتاد سكان البلاد تقديمها منذ بدء الانتداب، وهي : -

« استقلال فلسطين استقلالا تاماً . وقف الهجرة اليهودية . حماية الاراضي العربية . »
وكثيراً ما قال زعماء العرب بالسنتهم ما ليس في قلوبهم . فغشوا شعوبهم . وخدروا أعصابها . وبينما كانوا يصرحون على ملأ من الاشهاد انهم متفقون ، كانوا يأتون باعمال تم عن اختلاف في العقيدة (٢) والوسيلة والهدف . ولم يوحّدوا قيادة الجيوش . فكانت كل قيادة تعمل على انفراد ، دون أن يكون لها هدف مبيّن او خطة مرسومة (٣) .
وحدث ، في بعض الحالات ، أنه بينما كان الجيش الواحد يحارب العدو في جبهة من الجبهات كانت الجيوش الأخرى تقف صامته كأن الأمر لا يعنيه هذا رغم أنهم

(١) في الملحق الثالث تجد القرارات التي اصدرها المؤتمر في بلودان .

(٢) جاء في الصفحة ٦٩ من مذكرات الوسيط الدولي ، الكونت برنادوت ، التي نشرت بعد وفاته انه « أي الكونت » عندما قابل الملك فاروق ، في ٧ حزيران ١٩٤٨ ، فهم من حديثه ، ان هناك تنافسا بينه وبين الملك عبد الله من حيث قيادة العالم العربي . وان الملك فاروق قال له انه تلقى من الحكومة الاردنية ومن قيادة الجيش العربي شكوى مفادها « ان العلم المصري المرفوع في ميادين القتال اكبر من العلم الاردني بعشرة مائتمرات ! ... »

(٣) قال « اسرائيل جاليلي » قائد جيش الهاغانا في بداية الحرب ، في حديث له مع جريدة « البالستين بوست » بتاريخ ١٧ أيار ١٩٤٩ ما يلي : عندما اقتحمت الجيوش العربية حدود فلسطين اعتقدنا انها تسير ضمن خطة عسكرية موحدة ، وان العرب متحدون . ولكن عندما بدأ القتال ، تبين لنا ان العرب لم يكونوا متفقين ولم تكن لهم خطة موحدة وهذا ما اتاح لنا جمع قواتنا بين الحين والآخر ، في الجبهات المختلفة . وما كان لنستطيع جمعها لولا تفرق كلمة العرب .

مسلمون . وقد أمرهم الله بالقتال صفاً واحداً (١) . نعم . لقد كانت الجيوش العربية متباينة الأهداف ، مختلفة الغايات ، يسيرها القادة والزعماء كما يشاءون . ولئن دخل بعض هؤلاء القادة والزعماء الحرب بنية خالصة ، قاصدين انقاذ فلسطين ، الا أنهم جاؤوا متأخرين . . وقد دخلها بعضهم خشية العتب ، وبعضهم جاء لينفذ خطة وضعها له الاجنبي . فلم يتعداها خطوة واحدة . وما كان في مقدوره ان يفعل غير ما فعل . إذ أن بقاءه وبقاء جيشه وملكه وتاجه وعرشه منوط بارادة ذلك الأجنبي الذي يمدّه بالسلاح والمال . (٢)

والمخلصون الفاهمون لحقائق الأمور أيضاً قصروا في واجبهم . إذ اقتحموا الميدان قبل أن يعدوا للامر عدته . وكان عتادهم قليلاً (٣) وما فكروا في شراء الاسلحة من

١ / قال الله في كتابه العزيز « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً ، كأنهم بنيان مرصوص » . سورة الصف : الاية ٤ ، وقال : واطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، ان الله مع الصابرين . سورة الانفال : الاية ٤٦ ، وقال : ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، واولئك لهم عذاب عظيم . سورة آل عمران : الاية ١٠٥ .

٢ (تدفع الخزينة البريطانية نفقات الجيش العربي ورواتب الجنود والضباط شهراً فشهراً . وليس في

امتطاعة الملكة الاردنية ان تعيش على مواردها الضئيلة وكان غلوب باشا الانكليزي المسيطر الوحيد على مصير الجيش العربي في القتال .

٣ (حدثني القائم احمد صدقي بك الجندي رئيس الوفد الاردني في مفاوضات رودس فقال انه حضر اجتماعاً عسكرياً عقد في مصر قبل ان تدخل الجيوش العربية في مفاوضات مع اليهود لعقد اتفاقيات الهدنة الدائمة في رودس ببضعة أسابيع . وقد حضر الاجتماع المذكور عدد من الرجال العسكريين يمثلون الدول العربية الخمسة مصر وسوريا ولبنان والاردن والمملكة العربية السعودية . ولقد بحث المجتمعون الوضع العسكري في فلسطين على ضوء الحوادث التي جرت فيها ، وكان رائدهم الصراحة التامة فتبين لهم ان ليس للجيوش العربية قدرة على القتال اما الهجوم فهذا امر مفروغ منه وهو محال . واما الدفاع فباستطاعة الجيش المصري ان يقوم بهذه المهمة لمدة لا تزيد عن عشرة ايام واما الجيش الاردني فلا يستطيع الدفاع اكثر من سبعة ايام واما الجيش العراقي فخمسة وكذلك قل عن الجيش السوري . واما لبنان فلا يستطيع ان يصمد اكثر من بضع ساعات . وثبت للمجتمعين ايضاً ان استخبارات الحكومات العربية كانت ضعيفة . وانها - اي الحكومات العربية - ما كانت تعرف عن اليهود وعن مقدرتهم الحربية الا النذر اليسير .

اوروبا وتجار الأسلحة فيها كثيرون وكانوا على استعداد لبيع ما يصنعون الى العرب وغير العرب (١) . وكذلك قل عن ما لهم . ولهذا لم يقووا على القيام بأي عمل مجد من أجل قهر العدو وكسب الحرب . فلا درسوا الموقف دراسة فنية ، ولا فرضوا على شعوبهم ضرائب جديدة ، ولا عبأوا مرافق البلاد ، ولا استغلوا مواردها ، ولا سنوا من الأنظمة ما يكفل لهم معالجة الشئون ومجابهة الاحوال الطارئة . وكانوا ، في معظم امورهم وقراراتهم ، يخبطون خبط عشواء .

وما كنت لترى ، إذا ما حللت في أي قطر من الأقطار العربية ، ما يدللك على أن البلاد كانت في حالة حرب . فالناس ماضون في حياتهم التي تعودوها من قبل ، كان لم

(١) اتهم الميجر رالف نيومان من ضباط الجيش البريطاني الذي كان في أواخر عهد الانتداب ، مرابطاً بفلسطين انه باع صفقة من اسلحة الجيش الى اليهود ، ولما مثل أمام إحدى المحاكم البريطانية اترف بالتهمة التي وجهت اليه قائلاً : انه في ربيع عام ١٩٤٨ كان الضابط المشرف على مخزن الاسلحة رقم ٦١٤ الكائن على مقربة من حيفا .. وانه باع لليهود مقداراً كبيراً من الاسلحة التي كانت في عهده لقاء مبلغ من المال قبض منه في حيفا سبعة آلاف جنيه ومن لندن ثمانية عشر ألفاً .. وان هذه الصفقة تمت بوساطة اخوين من عمال الهاغانا : احدهما يدعى « سيلفر » وكان يقيم في حيفا ، والثاني « برنارد » وكان يقيم في لندن .

ومما قاله الميجر نيومان في مذكراته التي نشرها اثر صدور الحكم بسجنه (اقرأ هذه المذكرات في الاعداد ٤٨٢٢ و٤٨٢٣ و٤٨٢٤ من جريدة « الدفاع » للصادرة بتاريخ ٨ و ٩ و ١٠ كانون ثاني ١٩٥٢) انه حاول في بادىء الامر ، ان يبيع للعرب جميع الاسلحة التي كانت في المخزن المتقدم ذكره وهي - كما يقول - أربعة آلاف بندقية من طراز اينفلد وثلاثة الاف مدفع من طراز ستن والـف وخمسة مائة مدفع من طراز برن وتسعمائة مسدس اوتوماتيكي وعشرون مدفعاً من طراز فيكرز .. وانه اتفق مع العرب أن يقوموا هم بمهاجمة القافلة التي ستتولى نقل السلاح من مكان الى مكان ، وأن يقاومهم رجال القافلة - وكان يقودهم الجاويش جريف وكان هذا مطلعاً على المؤامرة - مقاومة مصطنعة ، فيستولي العرب على الاسلحة ، ويعلن موت الميجر نيومان ، فيقبض هذا المبلغ المتفق عليه وقدره مئتان وخمسون ألفاً من الجنيهات ، ويعيش في سوريا عيشة الثراء والهناء ...

وكادت الصفقة ، عل هذا الوجه ، تتم ، بعد مفاوضات طويلة اشترك فيها القاوقجي قائد جيش الانقاذ واسماعيل صفوت باشا القائد العام لجيش التحرير وسير ذو الفقار باشا من كبار رجالات مصر وعبد الرحمن عزام باشا الامين العام لجامعة الدول العربية ، لو لا ان اسر اليه احد الضباط الانكليز الذين كانوا يعملون في معسكر القاوقجي ان القوم « أي العرب » ينوون اغتياله بعد ان نصح الاسلحة في حوزتهم .

فعدل ، وولى وجهه شطر اليهود ..

يكن على الباب عدو يتربص بهم الدوائر . لا اثر للتقتير والتوفير في أكلهم وشربهم
وكسائهم ومنازلهم ؛ لا ، ولا في مآدبهم وملاهيهم .

ولم يكن رجال الجامعة العربية ، مع ذلك لبقيين في سياستهم . لا ولا كانوا بعيني
النظر في صلاتهم مع الدول الاخرى . فقد ظنوا انهم يستطيعون ان يغيروا دفة السياسة
الدولية بكلمة تخرج من افواههم ، فهاجموا الدول كلها في وقت واحد . وحاولوا حل
جميع المشاكل العربية القائمة في وقت واحد . وكان من الحكمة أن يمحسروا جهودهم -
في كل مرة - في حل هذه المشاكل كل على حدة ؛ ومتى نجحوا في حل واحدة منها
انتقلوا إلى المشكلة التي تأتي بالدرجة الثانية من حيث الأهمية . وعملوا على حلها بما
تتطلبه المصلحة القومية والظروف الدولية القائمة .

واما هم فقد عادوا الدول كلها في آن واحد . فراح المصريون يطالبون بوحدة
وادي النيل ، وجلاء الانكليز التام عن مصر والسودان . وخذوا العراقيون حذوهم ،
فرفضوا معاهدة بورتسموث ، وهوجمت أسبانيا من أجل سياستها في مراكش .
وفرنسا من أجل سياستها في تونس والجزائر . والبلجيك من أجل القونجو ، وايطاليامن
أجل ليبيا والصومال ومستعمراتها الاخرى في افريقيا .

ليس هذا فحسب . بل أن الجامعة العربية ، التي لم يكن في مقدورها اصلاح شؤونها
الداخلية ، راحت تعمل على انقاذ أندونيسيا من الهولنديين . كما راحت تناصر الباكستان
ضد الهند ، ولم تتردد في ايداء روسيا السوفياتية باظهار عدائها الصريح لأحزاب اليسار
اينا وجدت هذه في بلادها .

ولم تكن لدى العرب ، دولا وشعوباً ، الوسائل الكافية للاستطلاع وجمع الأخبار
فما قدروا عدوهم حق قدرهم . لا بل ظنوا انهم سيقضون عليه في اقل من لمح البصر ،
وانه لن ينقضي يوم أو بعض يوم على اجتياز الجيوش العربية للحدود الفلسطينية حتى
تكون مستعمراته كلها قد دكت ويكون هو قد القى سلاحه ووضع نفسه تحت رحمتهم .
ذلك لأن الصورة التي عرفوها عن اليهود الجبناء الأقدمين الذين ضربت عليهم انذلة
والمسكنة ما تزال منطبعة في أدمغتهم . وما عرفوا أن اليهود تغيروا مع الزمن ، وانهم
تعلموا الشيء الكثير من الغرب الذي عاشوا بين ظهرانيه أحقاباً طوالاً ، وأن يهود

اليوم ليسوا يهود الأمس . وانهم اليوم مسلحون باحدث آلات القرن العشرين . من علم ومال وحنكة وصناعة وتضحية وتدبير وتنظيم . أضف إلى ذلك أن الغاية ، في نظرهم ، تبرر الوسطة ، فجاءوا وقلوبهم طافحة بالحق والغيظ لا على العرب فحسب ، بل على الكون كله . وقوم هذه طباعهم لا يمكن صددهم إلا بمثل السلاح الذي يتمنطقون به : العلم والمال والحنكة والصناعة والتضحية والتدبير والتنظيم . ولم يكن لدى العرب من هذا كله سوى النذر اليسير . لا ، بل كانت تسودهم عوامل كثيرة بعضها اسوأ من بعض . فالجهل والفقر والمرض وضعف الوعي القومي والشعور الوطني والجمود والرجعية والتعصب والانانية وحب الذات وكره الخير ، والنزوع إلى الشر ، والاتكال والارتجال والتردد والتمسك بالخيالات والترهات ، وما إلى ذلك من الصفات ، كانت متغلغلة بين الصفوف بشكل مخيف ؛ فلا غرو إذاً ان حقت علينا كلمة الاله القائل : « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . » (١)

والآنكى من هذا كله انهم - أي الملوك والامراء - لم يحاولوا الاستفادة من ابناء فلسطين . لا بل انهم اساءوا اليهم كل الاساءة ؛ فشتتوا شملهم ، وحلوا منظماتهم ، وصادروا أسلحتهم ، وأبعدوهم عن الميدان ، وراحوا يجرحون كرامتهم في الصميم . فاتهموهم بالجبن (٢) واللؤم وخيانة الوطن والتجسس وبيع الأراضي (٣) . مع أنهم (أي الفلسطينيين) اخلص لقضيتهم واعرف بحاجات بلادهم

(١) سورة الرعد : الاية ١١ .

(٢) مع انهم اي الفلسطينيين حاربوا الانكليز واليهود ثلاثين عاماً فلم يجبنوا ، ولم يهنوا ، وقد صمدوا للجيش البريطاني . فكسروا كتابه الاولى التي جاءت تحاربهم بقيادة الجنرال ديل ١٩٣٧ والثانية بقيادة الجنرال ويفل ١٩٣٨ والثالثة بقيادة الجنرال هاينغ ١٩٣٩ .

(٣) يظن الكثيرون - وبعض الظن اثم - ان الفلسطينيين كلهم ساسرة ، وانهم باعوا اراضيهم الى اليهود ، وان اليهود تملكوا عن هذه الطريق معظم اراضي فلسطين . والحقيقة هي كما يلي : -

ان مجموع مساحة فلسطين ٢٦,٤٠٥,٢٦٦ دونماً الدونم الف متر مربع . بلغ مجموع ما استولى عليه اليهود عند انتهاء الانتداب نحواً من مليوني دونم « ١,٩٩٧,٠٠٠ » اي سبعة في المئة تقريباً « ٧ / ٠ » . لم يبيع عرب فلسطين منها سوى ربع مليون دونم « ٢٥٠,٠٠٠ » . وما كانوا ليبيعوا هذه الدونمات لولا السياسة التي اتبعتها الدولة المنتدبة لاقفارهم . اذ كان صك الانتداب يقضي عليها أن تضع البلاد في حالة

وأقدر على القتال والتفصحية في سبيلها من غيرهم ، شريطة أن تتوفر لديهم وسائل القتال .
نقول هذا رغم اعترافنا بانهم - هم أيضاً - أخطأوا بان استسلموا للوهم ، فظنوا -

تساعد على تأسيس الوطن القومي اليهودي فيها . ومنحت حكومة الانتداب البريطاني اليهود نصف مليون
دونم « ٥٠٠.٠٠٠ » من املاك الدولة : ثلاث اخماس ذلك بلا مقابل والخمسان الباقيان لقاء اجرة اسمية .
والباقي وقدره ١,٢٤٧,٠٠٠ دونماً شروه « أي اليهود » من اصحاب الاراضي والاقطاعات الواسعة من خارج
فلسطين وجلبهم - ان لم نقل كلهم - لبنانيون وسويون : كآل سرسق « بيروت » الذين باعوا ٤٠٠,٠٠٠
دونماً من أراضيهم الواقعة في مرج بن عامر . . وآل سلام « بيروت » الذين باعوا ١٦٥,٠٠٠ دونماً من
اراضيهم الواقعة في الحولة . « لال سلام امتياز في هذه الاراضي هو الذي باعوه لليهود . وأما الاراضي
نفسها فانها لاهل الجديدة وهم الذين باعوها « وال التيان والقباني « بيروت » الذين باعوا ٣٩,١٢٤ دونماً من
أراضيهم في وادي الحوادث .

« وادي الحوادث » أرض واسعة مساحتها ٨٢٦ : ٣٠ دونماً . وفي قول انه ٣٩,٢٤ دونماً كان فيها مضي
بيد عائلة عربية من لبنان وظل كذلك حتى عام ١٨٢٢ حيث شعر اصحابه بالفقر والحاجة فرهنوه . رهنوه
عند رجل افرنسي . وعجز اصحابه عن فك الرهن في التاريخ المحدد . فتقاضى الفريقان . ولعبت الرشوة
دورها ، فصدر الحكم لصالح المرتهن . فاشتراها اليهود . اشترتها جمعية رأس المال القومي اليهودي المعروفة
« كرون فايت » . وقد تم البيع في ٢٧ ايار ١٩٢٩ . واخرج من الارض زهاء ١٢٠٠ عربي امروا باخلائها .
وقد اخلوها قسراً .

وال الصباغ والتويني « بيروت » الذين باعوا أراضيهم الكائنة في السهل الساحلي بين عكا وحيفا « لا
نعلم كم هي ؟ » وان كنا نعلم أن ال التويني باعوا قرى الهريج والدار البيضاء والانشراح ونهاريا
وكذلك قل عن الجزائرلي « سوريا » وشمة والقوتلي « سوريا » الذين باعوا اراضي المنشية وال مارديني
« سوريون » الذين باعوا قدس من أراضي صفد .

وغيرهم كثيرون ممن باعوا أراضيهم الكائنة على الحدود الشمالية لفلسطين . وكان اليهود قد استولوا على
ما يقرب من نصف مليون دونم من الاراضي في عهد الحكومة العثمانية وفي مدد طويلة .
قال الدكتور روبين من رجال الوكالة اليهودية في القدس - في شهادة أداها أمام لجنة التحقيق - أن
تسعة أعشار الاراضي التي اشتراها اليهود حتى عام ١٩٢٩ اشترت من ملاكين غير فلسطينيين يعيشون
خارج فلسطين . .

وبهمنا أن نذكر : والشيء بالشيء يذكر ، ان اليهود انشأوا فوق الاراضي التي اشتروها من ال
سرسق وحدها ، وهي واقعة على طول السكة الحديدية بين حيفا وبيسان ستا وخمسين مستعمرة . أنشأوها
على أطلال خمسة عشرة قرية عربية كانت هناك . واليك أسماءها من الغرب الى الشرق -

١ . الياجور ٢ . شيخ بريك ٣ جيدة ٤ . طبعون ٥ . تل الشام ٦ . الورقاني (كفار باروخ)
٧ . مملول (نهلال) ٨ . خنيفس ٩ . جباتا (كفار داويد) ١٠ . جنجا (ترانسلفانيا) ١١ . تل
العدس (بلفروريا) ١٢ . الفرله ١٣ . عفولة (مرحاقيا) ١٤ . الجالود (عين حارود) ١٥ . تل الغر .

وبعض الظن اثم - أن الجيوش العربية وحدها تستطيع درء الشر عن بلادهم . ففترت همتهم . ولم يضيع أغنياؤهم التضحية الكافية لانقاذ وطنهم . وكان بإمكانهم - لو شاءوا أن يفتدوه باموالهم وبنبيهم .

ولقد انشطر الرأي العام العربي في فلسطين إلى شطرين . شطر ندد بالهدنة معتبراً اياها ضارة بمصالح العرب ، ونادى بوجوب استئناف القتال . وكان من رأي هذا الشطر أن الدول العربية كما قلنا ما حاربت كما يجب أن تحارب ، ولا ضحت بما يجب أن تضحي . وأنها نزلت على ارادة دول الغرب اكثر من اللزوم . وانها لو استعدت وشاربت بجد، ووحدت قيادة جيوشها لما جرى ما جرى . وكان من سكان القدس انفسهم كثيرون يعتنقون هذا الرأي ويقولون القول نفسه .

ليس هذا فحسب فان القائد عبد الله التل ، الذي قاد الكتيبة السادسة في معارك القدس ، حدثني أحاديث جمة تؤيد الرأي المتقدم . وهو من القائلين انه كان باستطاعة الجيش العربي ، أن يحتل القدس كلها لو كان قائده عربياً . وكذلك قال الكثيرون من رجال هذا الجيش العرب ، واني لأشهد ان الجيش العربي نفسه لا عيب فيه . انه بجنوده وضباطه مثال التربية والنظام والدربة والشجاعة . والحق يقال أن رجاله ما كانوا ليقبلوا غيرة ووطنية واخلصاً عن أي رجل آخر من أبناء البلاد غير أن العيب جله - وان شئت فقل كله - في قيادته وأكثرتهم من أبناء التايمس . ولقد شرحنا سياستهم وسياسة حكومتهم في موضع آخر من هذا الكتاب .

انهم كانوا يسيرون الجيش كما يشاؤون ، لا كما تشاء مصلحة العرب . وبكلمة اخرى كانوا يعملون بوحي من مصلحة امهم الحنون : بريطانيا العظمى . ومصلحتها في هذا الجزء التعس من الشرق فوق كل شيء ...

فلقد حدثني عدد كبير من ضباط هذا الجيش ، العرب الخالص ، ان الذخائر كانت توزع على الجنود بقدر معلوم ووفقاً لخطة مرسومة . ولكم سئل الضباط وعوقبوا وسيقوا إلى القضاء ، وادينوا من لدن رؤسائهم الانكليز ، لا لذنوب اقترفوه . وانما لأنهم في احدي المعارك حاربوا أو حاولوا أن يحاربوا دون أمر من قائدهم ، أو لأنهم تقدموا

إلى ما وراء الحد المقرر لهم ، أو لأنهم أطلقوا من قنابل مدافعهم عدداً أكبر من العدد المقرر لهم ، وكثيراً ما أمروا بالوقوف عند حدهم . مع أنهم كانوا يتحرقون شوقاً إلى الهجوم ، والزحف إلى الأمام ... هذا فضلاً عن أن الوضع الحربي نفسه كان يومئذ ، ولا سيما في القدس ، في صالح العرب . ولم يكن في صالح اليهود . ولقد أكد لي ضابط خبير في شؤون القتال ^(١) أن أسلحة العرب كانت احسن نوعاً وأشد مضاء من اسلحة اليهود . وانه كان لدى الجيش العربي مقادير كافية من الاعتدة والذخائر ، ولكن هذه كانت تعطى للمحاربين على جرعات كما يعطى المريض العلاج ، وكان مفتاحها بيد الانكاز الذين كانوا يسيرون القتال كما يشاؤون . أفضى القائد الاردني المعروف عبد الله التل ^(٢) إلى الكاتب المعروف محمد البيبي بحديث ^(٣) جاء فيه ما يلي :

« دخل الجيش العربي الاردني فلسطين ، ولم يكن مزوداً بخطة عسكرية ذات هدف واضح . وكذلك قل عن الجيوش العربية الاخرى ، فانها لم تكن مزودة بخطة عسكرية معينة تسير على هداها . وكان كل جيش يسير حسب خطته الخاصة به .

« وفي ٧ حزيران ١٩٤٨ اتصلت بي معلومات سرية وعثرت على وثائق هامة ، كشفت لي الستار عن الخطة التي رسمها البريغادير غلوب باشا للجيش الاردني وكان هو قائده الاعلى وخطته تلك ترمي إلى غرضين :

أحدهما : الحيلولة دون احتلال الجيش الاردني أو أي جيش عربي آخر للقدس .
والثاني : الحيلولة دون الاشتباك مع اليهود في حرب حقيقية في فلسطين .
« ولقد حاولت ايضاح الحقيقة في تقرير رفعته إلى الجهات المختصة ^(٤) مشيراً إلى ضرورة العناية بالقدس ، وتعزيز الجيش ، ووضع خطة عسكرية واضحة تضمن التعارن مع الجيوش الاخرى ، ولا سيما الجيش المصري الذي كان يزحف صوب القدس ، وكانت المصلحة تقضي بدعم جناحه الايمن .

(١) عبد الله التل قائد الكتيبة السادسة من كتائب الجيش العربي التي كانت ترابط في بيت المقدس عندما اعلنت الهدتان : الاولى والثانية .

(٢) انظر الى ما كتبناه عن هذا القائد عندما دخلت كتيبته (السادسة) القدس في ١٩ ايار ١٩٤٨

(٣) اقرأ العدد الصادر بتاريخ كانون الثاني ١٩٥٠ من مجلة (آخر ساعة) المصرية .

(٤) يقصد الملك ووزرائه .

« ولو كان رجال الجيش الاردني صادقين في نياتهم لسقطت القدس كلها بايدينا ولانتقلت خطوطنا الامامية الى اللد والرملة ، وهما من المواقع الاستراتيجية الهامة . ولو تم ذلك ، لما حدثت مأساة اللد والرملة (وان شئت فقل عنها مؤامرة) ولا استطاع الجيشان الاردني والمصري ان يلتقيا عند ابواب تل ابيب قبل الهدنة الاولى ... »

هذا ما قاله عبد الله التل لولاية الامور . وهذا ما ذهب اليه الكثيرون من ابناء البلاد المخلصين . ولكنهم لم يأبهوا لقوله (١) . ولا لقول الآخرين .

حدثني القائد حابس المجالي : - انه « سمع رؤساءه يقولون أن لدى الجيش العربي من السلاح والعتاد ما يكفي لمنازلة اكبر جيش لمدة سنة واحدة . وهذا كان قبل ان يتحرك الجيش من قاعدته بالمفرق . ولما دخل هذا فلسطين ، وراحت السياسة تلعب دورها ، واحتج بقلة الذخائر في تبرير الخضوع للامر الواقع راح الرؤساء يقولون : ان العرب من رجال الجيش هم السبب في ذلك . لأنهم اسرفوا الاسراف كله في استعمال الذخائر من رصاص وقنابل . »

والحقيقة انه لم تكن هناك نية حسنة . بل كانت نية سوداء . وكانت نتائجها ما وصفناه لك في هذا الفصل من مأس لم يذكر التاريخ لها مثيلا من قبل .

ويظهر أن اليهود أدركوا حقيقة الحال في البلاد العربية . فاستغلوا الموقف لصالحهم وراحوا يذيعون من محطاتهم اللاسلكية انهم اشتروا من اوروبا وأميركا مقادير كبيرة من المصفحات والمدافع والطائرات . وانهم استأجروا عدداً كبيراً من الطيارين والمدفعيين والمهندسين الخبيرين في شؤون الاسلحة والقتال من ايطاليا وانكلترا وأميركا ومن تشيكوسلوفاكيا وروسيا . وكانوا في أقوالهم هذه مبالغين .

وقام رجال الطابور الخامس بتمثيل الدور الذي عهد اليهم به على أحسن وجه . فراحوا يبشون الذعر في صفوف الامة العربية ويوسعون شقة الخلاف ، بين افرادها ، وبين هؤلاء وزعمائهم . مؤكدين أن هؤلاء الزعماء قد خانوها . ومن لم يخنها منهم عن

(١) لم يكتب غلوب باشا بان ضرب بقول المثل هذا عرض الحائط ، بل اعتبر ذلك تدخلا في الشؤون السياسية . وكان السبب في نقله الى عمان . واستقال التل على اثر ذلك ، لا من الجيش فحسب ، بل من الاعمال الحكومية كلها . وها هو حر طليق ، يتحدثنا عما جرى .

قصد فقد قصر في واجبه . والتقصير في هذه الامور جنائية لا تغتفر . وذكروا - على سبيل المثال - المبالغ التي تبرعت بها المملكة العربية السعودية من اجل انقاذ فلسطين وقدرها أربعة ملايين ريال سعودي ، وتلك التي تبرع بها العراق للغاية نفسها وقدرها مئة الف دينار عراقي ، والحكومة المصرية وقدرها ثلاثمئة وعشرون الف جنيه مصري ، وما تبرعت به سوريا ولبنان والبلاد العربية الاخرى . فراحوا يتساءلون عما فعل الزمان بهذه الأموال ؟ وأين صرفت ؟ وكيف صرفت ؟ وراح بعضهم يورد الأدلة على أن بعض رجالات العرب الذين انتدبوا لشراء الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا وايطاليا قد خانوا الأمانة وأساءوا التصرف في الأموال التي قبضوها (١) . فلم يشتروا إلا النذر اليسير وما اشتروه من هذه الاسلحة حسبوه على الامة بمبالغ اضخم من المبالغ التي دفعوها بالفعل .

ووصل آخرون ، في هذا المضمار ، إلى حد ابعد من ذلك فراحوا يذيعون أن الامة العربية لا تصلح ابدأ للحياة وان تاريخها مليء بالمشاغبات الدالة على سوء الخلق وانعدام الأهلية للحكم وللحياة معاً . ومن هناك دلفوا إلى القول : أليس ، إذاً ، من الأفضل ان نرضى بالأمر الواقع ، فنسلم اليهود الجزء الذي افتتحوه من فلسطين ، سواء كان هذا الفتح بقوة السيف أو بضغط الدول المشايعة للصهيونية ، وان يلحق الجزء الباقي بيد العرب بمصر ، او بسورية ، أو بالمملكة الاردنية الهاشمية . ولم تقم الصحف العربية ، سواء أكانت فلسطينية ام غير فلسطينية ، بواجبها في هذا المضمار بل راحت تغش الشعب ، وتخفي عنه الحقائق ، وتنشر في كل يوم أخباراً ما انزل الله لها من سلطان ...

ومن الانصاف ان نقول : كان هناك فريق من الناس يعتقدون ان الهدنة الثانية جاءت في وقتها ، وانها في صالح العرب اكثر مما هي في صالح اليهود . ولا سيما اولئك الذين يعيشون في مناطق متاخمة لخوط القتال عند باب الواد .

فقد حدثني وكيل القائد عزت حسن ، من رجال المدفعية في الجيش العربي ، وكان مرابطاً في الهدنة الأولى والثانية مع كتيبته عند باب الواد ، وحضر اكثر المعارك التي قامت هناك . حدثني فقال : «أما الهدنة الأولى فاني لا أعتبرها خطأ فحسب ، بل وجنائية

(١) اقرأ ما كتبناه عن شراء الاسلحة في الفصل الذي خصصناه للجيش المصري .

لا تغتفر ، وما كان على العرب ان يقبلوها أبداً . لأنهم كانوا يومئذ الغالبين . وكانت القدس على وشك السقوط في أيديهم ، وأما الهدنة الثانية فالقول فيها غير القول في الاولى . اذ ان الوضع يومئذ كان قد تبدل . وكانت قوتنا عند باب الواد لا تزيد عن الف ومئتي مقاتل . وأما اليهود فقد كانوا اكثر منا عدداً وعدة ولقد تقدموا من خلفنا فاحتلوا البرج وبئر ام معين ووصلوا الى نقطة تقرب من بيت سيرا (١) وجاءت فرقة من ناحية المستعمرة المعروفة بـ (معلي خاشه) ونزلوا الى الطريق . وكادوا يلتقون بالأولين . ولو التقوا لتمكنوا من قطع خط الرجوع علينا ووقعنا في اسرهم . لولا ان الهدنة الثانية حلت ، فانقذتنا ... هذا بالاضافة الى انه لم يكن للجيش العربي هدف واحد ولا كانت تسير على خطط مبينة او في قيادة واحدة . ولهذا كان اليهود في أكثر المعارك يملكون زمام المبادرة وينزلون ضريرتهم متى شاءوا وانى شاءوا . « ومن القائلين بهذا القول حابس المجالي قائد الكتيبة الرابعة التي رابطت الوقت كله عند باب الواد .

ويظهر أن شعور الناس ، لم يكن يومئذ في مستوى واحد . وان هذا التباين في الرأي نشأ عن مبلغ القوة والضعف في كل جبهة من الجبهات . فالجبهة التي كان العرب فيها أقوىاء كانت توحى لسكانها السخط والاستياء على الهدنة وعلى من قال بها . والجبهة التي كانوا فيها ضعفاء كانت تحدث في نفوس سكانها الرضا والارتياح . ولا سيما اولئك الذين الم بهم الذعر أثر سقوط اللد والرملة . فقطعوا كل امل ورجاء في النصر الذي كانوا يبتغون .

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله انا قلتم الى الارض . أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ، ويستبدل قوماً غيركم ، ولا تضره شيئاً ، والله على كل شيء قدير . (٢) »

(١) كسرت في هذه المعركة سرية المشاة الاردنية التي كان يقودها الميجور لوكت وكانت سريته مؤلفة من ١٨٥ رجلاً يسندها سرية مدرعات عددها اثنتا عشرة في كل مدرعة منها مدفع من عيار رطابن ورشاش من طراز براوننغ واربعة مدافع ثقيلة من عيار ستة ارجال . ويسندها ايضاً اربعة مدافع ثقيلة من عيار ٢٥ رطل . كانت تقذف اليهود من جبال بيت لقيبا . وجرح قائد المدرعات الملازم حمدان البلوي .

(٢) سورة التوبة : ٣٨ ، ٣٩ .

اختلاف الزعماء

وراح الناس ، في اليوم التالي لوقف القتال (١٩ تموز) ينقدون ، اكثر من أي وقت مضى ، الزعماء . فانه مهما كانت الأسباب التي أدت الى نكبتنا وضياع الفردوس المفقود بين ايدينا ، فان لاختلاف الزعماء المقام الا كبر بين هذه الاسباب . بلى وربك ! ان اختلاف الزعماء كان من اهم الأسباب التي أدت إلى هذه النكبة :

« .. ولا تنازعوا ، فتفشلوا ، وتذهب ريحكم ... » (١)

لم يكن بين الدول العربية السبع التي يتألف منها مجلس الجامعة وهي مصر والمملكة العربية السعودية وسورية ولبنان والاردن واليمن والعراق دولتان على قلب واحد وخطوة واحدة وهدف واحد . لا بل كانت كل دولة منها تخشى الاخرى ، وتحسب حساباً لمطامعها . وما كانت الواحدة منهن لتعرف عن الاخرى شيئاً ؛ لا ، ولا عن جيشها ، واسلحتها ، وخططها .

وقد انقسمت الدول العربية إلى كتلتين متعاديتين : كتلة يتزعمها الهاشم ، وهي مؤلفة من الاردن والعراق ، وكتلة يتزعمها الملك فاروق ، وهي مؤلفة من مصر وسورية والمملكة العربية السعودية . ووقفت كل واحدة تناوياً الاخرى .

فالملك عبد الله الذي يتزعم الهاشم كان يرنو ببصره إلى بر الشام ليحقق حلماً طالما راوده من اجل انشاء (سورية الكبرى) ولم ينقطع ، حتى في اثناء القتال ، عن ترنيم هذه الانشودة ولو لحظة واحدة . حتى انه بعث إلى شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، رسولا من قبله هو محمد باشا الشريفى وزير خارجيته . طالباً اليه ان ينضم الى لوائه . فرفض هذا قائلاً (ما معناه) : « إذا كان لا بد من الانضمام ، فلينضم الاردن ، وهو فرع إلى سورية ، وهي الأم . ولنسير معاً على نظام الحكم الجمهوري المستقل ، لا الملكية المرتكزة على حراب الانكليز ... »

وخشى السوريون أن يزحف الملك عبد الله بجيشه نحو سوريا ، وكان هذا (اي الجيش الاردني) يومئذ قادراً على الزحف . فليجأ رئيسهم القوتلي الى ابن السعود . وكان ابن السعود يخشى ان يفكر عبد الله في استرداد الحجاز منه ، إذا ما نجح في تحقيق

(١) سورة الانفال : الآية ٢٦ .

فكرته (سورية الكبرى) واتسع سلطانه . فشجع السوريون على مقاومته ووعدهم بالتأييد إذا ما حدثت عبد الله نفسه أن يهاجم بلادهم . ومما قاله لمحسن البرازي وزير خارجيتهم : « إذا هاجمكم عبد الله حاربوه ولو لعشرة ايام ، واصمدوا ، حتى آتياكم بجيلى ورجلي . »

وراح ابن السعود في الوقت نفسه يجس نبض الانكليز والاميركيين ، طالباً اليهم وقف عبد الله عند حده .

وكذلك قل عن الفاروق ملك مصر . فانه كان يكره الملك عبد الله ، ولا يؤمن به . وسعى للتكتل ضده مع ابن السعود والقوتلي . وكان هؤلاء جميعاً عند حد الاعتقاد الجازم ان عبد الله دخل الحرب وهو عازم ان يقف عند حدود التقسيم ؛ وانه يميل الى عقد الصلح ، ولو منفرداً مع اليهود ؛ وانه ينوي ان يضم الجزء العربي من القدس ومن فلسطين الى مملكته ؛ وان الانكليز حلفاءه يؤيدونه في هذه الخطة .

وسارت الحكومة العراقية (نقول الحكومة العراقية ولا نقول الشعب العراقي) في ركب الاردن وعاهله الى أبعد الحدود . وكانت بين ملكيها صلة قربي ، كما كانت بينهما معاهدة تقضي أن يسيرا معاً في الخير والشر ، الامر الذي زاد في شكوك مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية .

وراح كلا الفريقين يكيّد للآخر ، ويدس له من الدسائس ، ما شاء الدس ان يكون هذا بدلا من ان يتناسوا أحقادهم ولو في فترة القتال . وكان من الطبيعي ان لا يتفقوا في مسألة القيادة .

ان رجال الحكم في هذه الدول وان عهدوا بالقيادة العامة إلى احدهم ، وهو الملك عبد الله ملك الاردن ، إلا أن هذه القيادة كانت صورية بحتة . فلا هم وثقوا به ، ولا هو وثق بهم . انهم كانوا مرتابين من صدق نواياه . واكثر ارتياهم كان موجهاً لقائد جيشه ورئيس أركان حربه غلوب باشا وكان هذا يدافع عن مصلحة بلاده انكثرا اكثر مما يدافع عن فلسطين ، ويطلب نفع قومه الانكليز اكثر مما يطلب نفع البلاد التي تجنس بجنسيته وراح يزعم انه من رعاياها . وكثيراً ما كان الملك يتردد في فعاله . فبينما تراه في بعض الاحايين على استعداد لتلبية نداء قومه ، لا تلبث ان تسمع فجأة انه انقلب

على عقبه ، متبعاً ، نصائح اصدقائه الانكليز . وما كان له أن يفعل غير ذلك . لأن بقاءه في كرسي الحكم وبقاء جيشه في الميدان متوقفان على رضائهم وعلى المال الذي كانوا ينفقونه . وكذلك قل عن ابن اخيه الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق ، وعن نوري باشا السعيد رئيس وزراء ذلك القطر الشقيق ، وعن كثيرين من رجال العرب البارزين . ومنهم ابن السعود فقد كانوا ضالعين الى أبعد الحدود مع الانكليز . وثبت في النهاية أن هؤلاء (اي الانكليز) كانوا مصدر الشر .

هذا عن رجال الحكم في بلاد العرب بوجه عام . وقد ذكرنا شيئاً منه في الفصل المتقدم^(١) . وأما عن الرجال الذين انيط بهم أمر القتال بفلسطين ، فنقول : -
كان هناك ، كما قلنا في غير هذا المكان ، هيئتان مسؤولتان عن ادارة دفعة القتال ؛ هما :

(آ) . اللجنة العسكرية ، ومقرها في دمشق .

(ب) . الهيئة العربية العليا ، وكان مقرها بادىء ذىء في القدس . ثم نقلته الى القاهرة ، وكان لها فروع في القدس وبيروت ودمشق .

ولم يكن بين هاتين الهيئتين اتصال متين ، ولا كان بينهما توافق وانسجام تام . لا ، بل كان بينهما - ويا للأسف - شيء كثير من التنافر والتباعد .

وبلغ هذا التنافر حداً جعل اللجنة العسكرية تعارض في تسليم الهيئة العربية السلاح . جاء في بيان نشرته جريدة (الحياة) البيروتية (العدد ٢١٠٠ بتاريخ ١٣ آذار ١٩٥٣) لمحمد منيف الحسيني ، على لسان المفتي الحاج أمين ، أن الحكومة المصرية قررت ، أثر صدور قرار التقسيم ، تزويد المجاهدين الفلسطينيين بالفي بندقية ومثي مسدس وأن اللجنة العسكرية ارسلت اثر صدور هذا القرار ، مندوبها الى مصر طالبة عدم تسليم أي مقدار من السلاح إلى الفلسطينيين . وذهب مندوب آخر (هو محسن البرازي) إلى الحجاز ونجد ليطلب من الملك عبد العزيز آل سعود الطلب نفسه . وكانت مصر قد سلمت الهيئة العربية ١١٠٧ بندق . فارسلت الباقي وقدره ٨٩٣ بندقية و٢٠٠ مسدس الى دمشق . ارسلتها بالطائرات .

(١) اقرأ ما كتبناه عنهم أيضاً في حوادث اليوم الثالث والعشرون من شهر تشرين الأول ١٩٤٨

ويقول البيان ان الهيئة العربية أرسلت البنادق التي تسلمتها من مصر (١١٠٧) مع ١٩٦ بندقية كانت ابتاعتها من جهات اخرى الى المجاهدين الفلسطينيين . ارسلتها بالقطار إلى العريش . ومنها شحنت الى فلسطين باشراف محافظ سينا في ذلك الحين الميرآلاي ذكي عبد الحميد وقد تم ذلك بتاريخ كانون الثاني ١٩٤٨ .

كان رجال اللجنة العسكرية يعتقدون ان المفتي يجب ان يظل بعيداً عن شؤون القتال . وكان بعض رجال الجامعة ايضاً يميلون للاخذ بهذا الرأي . وقد ازداد الخلاف بين المفتي والنقراشي عندما التقيا في قصر عابدين وجرى البحث في مشكلة فلسطين والطريقة التي يجب ان تتبع من اجل انقاذها .

ثم عادا فاختلفا عندما تكونت في غزة (حكومة عموم فلسطين ^(١)) . إذ كان رأي النقراشي ان لا يشترك المفتي في اعمال تلك الحكومة . ولكن المفتي رفض الانصياع لرأيه فذهب الى غزة . وترأس جميع الأعمال التي أدت إلى قيام تلك الحكومة . الامر الذي حدا بالنقراشي لاستدعائه . فعاد الى مصر مخفوراً في طائرة عسكرية .

ولم تكن علاقة المفتي بالقواقجي ايضاً حسنة ، فقد ساءت هذه عندما التقى الرجلان في المانيا (١٩٤٥) وازدادت سوءاً عندما اعلن التقسيم ، ورشح القواقجي للقيادة . فقد كان المفتي عند جد الاعتقاد ان هذا لا يصلح للقيادة . وكان هذا يعتقد انه كفاء لها . ولقد أدى هذا الكره والتشاد الى ذلك الجمود الذي شهده الناس ، بين القارقجي وعبد القادر الحسيني زميله في القتال ، عندما كانت رحى المعارك تدور في فلسطين . وكان كلاهما يدير قطاعاً مجاوراً لقطاع الآخر . هذا بالرغم من الحقيقة التي يدركها كل ذي علم بفنون القتال وهي ان مصيراي من هذين القطاعين له تأثيره على مصير القطاع الآخر .

وسرى هذا الخلاف بين القادة الى رجال المنظمين : جيش الانقاذ والجهاد المقدس . فان رجال الانقاذ كانوا يعتقدون ان الفلسطينيين لا يصلحون للدفاع عن بلادهم ، وانهم منقسمون الى شيع واجزاب ، وان معظمهم انحطوا خلقياً إلى درجة انهم اصبحوا جبناء ، وسماسرة ، واما رجال الجهاد المقدس فكانوا يقولون انهم اولى بالدفاع عن وطنهم واقدر على ذلك شريطة ان يزودوا بالسلاح والعتاد والمال .

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذه الحكومة في ١ تشرين الاول ١٩٤٨ .

وفي الميادين الاخرى كان المناضلون فرقاً لا يجمعها جامع . وكانت كل فرقة من هذه الفرق تعمل وحدها ، وتسير منفردة حسب مصلحتها . وقليلاً ما كانت الواحدة منها تعرف عن اختها المجاورة لها شيئاً . غير ان اختلاف هذه الفرق الصغيرة لم يكن عن كره او تنابذ - كما جاء في السطور المتقدمة - وانما عن جهل بفنون القتال ، وفقدان القيادة العامة .

وقصارى القول انقسم الفلسطينيون على انفسهم تارة بسبب وطوراً من غير سبب . وازدادوا انقساماً عندما راحوا يبحثون : من منهم يتولى زمام الامور . فريق منهم لا يريد أن تتولاه الهيئة العربية العليا . لأن رئيسها ومعظم اعضائها من الحسينيين . وفريق ينادي بتناسي الاحقاد ، والعمل على جمع الشمل . لأن الخصم واقف على الباب . وهو قوي يدعمه الغرب ، وتدعمه قوى الشر والطغيان . وعبثاً حاول هذا الفريق ان يجد حلاً وسطاً . اذ راحت الشكاوى تنهال من الفريق الاول على دار الامانة العامة لجامعة الدول العربية قائلة ان الهيئة العربية حزبية وليست ذات صبغة شعبية ، وانها حسينية بحتة ، وان المفتي رئيسها - اذا ما توفر له المال والسلاح - استعملها لقهر منافسيه من ابناء العائلات والاحزاب الاخرى كما فعل في الثورة الفلسطينية الاخيرة (١٩٣٦ - ١٩٣٨) . وراحوا يعيدون إلى الأذهان اسماء الأشخاص الذين اغتيلوا في تلك الثورة . واستغل رجال الطابور الخامس هذه الفرصة ، وهي كما ترى فرصة ذهبية لمن لا يريد الخير للعرب ، فراحوا يزيدون النار ضرماً . الأمر الذي خلق جواً من الشك وعدم الاطمئنان وفقدان الثقة ، مما كان له تأثيره على سير القتال .

والهيئة العربية نفسها ، وهي المتهمه بالحزبية والعائلية ، لم تخلص من شر الخلاف والانقسام . فقد كان بين رئيسها المفتي وابن عمه جمال شيء من التشاد . وكان هذا من ابرز اعضاء الهيئة . فقد لمع نجمه في الأوساط الشعبية . وكان من رأيه قبول التقسيم . وما كان المفتي ليقره في ذلك الرأي . لا بل وجد المفتي حوله من يقول له : انك إذا ما سلمت الامر لجمال ، عاد الامر عليك بالوبال . وقال محسن البرازي وزير خارجية سوريا في مذكراته التي نشرت بعد وفاته ان جمال الحسيني وافق على ما قاله البرازي من السلاح والمال الى اللجنة الفنية ، وليس للمفتي (١) .

(١) اقرا المدد ٢٠٦٨ من جريدة (الحياة) البيروتية بتاريخ ٣ شباط ١٩٥٣ .

ولترك جمالا الذي انسحب بعد قليل من الميدان ، لنبعث كيف كانت صلوات
عبد القادر الحسيني بابن عمه المفتي وبصحبه الذين كانوا من حوله كاسحق درويش
ومنيف الحسيني والشيخ ابي السعود وغيرهم . فقد حدثني من أثق بصدق حديثه ان
عبد القادر عندما ذهب إلى دمشق ، قبل استشهادة في معركة القسطل ، ليحصل على
المال والسلاح اللازم للقتال ، راجع ، قبل أي انسان آخر ، اعضاء الهيئة . ولكن هؤلاء
لم يلبوا طلبه . فما اعطوه مالا ، ولا سلاحاً . فمن قائل انه ما كان لديهم مال ولا سلاح .
ومن قائل أن ثقتهم به كانت ضعيفة ، وكانوا يخشون شره وقيامهم كانوا يؤثرون
عليه الشيخ حسن سلامه ، ويفضلون أن يكون الشيخ هو القائد .

هذا ما رواه لي رجل رافق الحاج أمين في حله وترحاله عدداً من السنين . وقد
أكد لي محدثي أن عبد القادر كان يكره رجال الحاج امين و صحبه الذين كانوا يحيطون
به احاطة السوار بالمعصم . وانه كان يعتقد اعتقاداً جازماً انهم هم سبب الفوضى التي
كثيراً ما كان يذر قرنبا في اعماله . حتى انه في المرة الأخيرة التي لاقاهم فيها بدمشق
لعنهم ونوى الشر لهم ... هذا قل من كثر من الخلاف الذي كان قائماً بين الرجال
المسؤولين عن ادارة حركة القتال بـفلسطين ... فهل من عجب بعد هذا ان نرى ان
قتالنا مع اليهود قد انتهى الى فشل ؟ « ان الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بانفسهم
وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال . » (١)

هذا وقد ذكرنا في مواضع اخرى من هذا الكتاب كيف ان الحكومة الاردنية
راحت ، بعد اعلان الهدنة الثانية وقبل التوقيع على اتفاقية رودس ، تطارد قوات
(الجهاد المقدس) تلك القوات المؤلفة من أبناء فلسطين والتي كانت تجاهد عن عقيدة
واخلاص . وكيف انها حاصرت (في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٩) مقر أعمالها ، فاعتقلت
عدداً من رجالها ، وصادرت اسلحتها .

كما ذكرنا كيف أن حكومة النقراشي في مصر حلت (جماعة الاخوان المسلمين)
وراحت تطارد رجالها ، وتصادر اسلحتها .

وعلينا ألا ننسى ، ونحن نعالج مسائل الاختلاف الذي كان قائماً بين مختلف الهيئات
الوطنية في البلاد ، ما فعله رجال الطابور الخامس من يهود وأجانب من اجل اثاره
النعرات الحزبية والعائلية والطائفية . الأمر الذي جعل النار تزيد ضراماً .

الوسيط الدولي يبحث الوضع في فلسطين

مع عزام باشا ومع الحكومة اللبنانية

في ٢٤ تموز زار الوسيط الدولي بيروت . واجتمع مع عزام باشا ، وتحدث اليه عن المشاكل القائمة في فلسطين والحلول التي يقترحها العرب لحل تلك المشاكل . وكان عزام قد رفع احتجاج العرب الى مجلس الامن للطريقة التي اتبعها في معالجة المشكلة الفلسطينية ، قائلاً انهم (اي العرب) لن يقبلوا هدنة غير محددة ، وانهم يصرون على وقف الهجرة بجميع انواعها اثناء الهدنة القائمة .

ودار الحديث بين الوسيط الدولي والامين العام للجامعة حول تجريد القدس من السلاح . وكانت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قد بحثت هذه المسألة في اجتماعها الذي عقده في بيروت ، وخولت عزاماً كي يبحثها مع الوسيط . وكان عزام يومئذ ، على ما قال الوسيط في مذكراته ، متعباً ، ترتسم على وجهه علامات اليأس والانفعال . وكان منظره يدل على أن مستقبلاً مظلماً ينتظره ، وينتظر أعضاء الجامعة الآخرين .

وبذل الوسيط في ذلك الاجتماع جهده ليقنع عزاماً انه لا فائدة ترجى من استئناف القتال . لأن ذلك يثير غضب هيئة الأمم ، ويسوقها الى استعمال العقوبات التي نص عليها ميثاقها ضد العرب . لا بل ان استئناف القتال سيؤدي حتماً الى هزيمة العرب في الميدانين الحربي والسياسي ، كما سيؤدي الى وقوع ثورات داخلية في البلاد العربية ، وسقوط الجامعة نفسها .

ودوام الهدنة أيضاً فيه ضرر للعرب . لأن اليهود سيستغلونها كما استغلوها من قبل وسيقوون صفوفهم بالرجال والسلاح . إذاً لا مناص من الاعتراف باسرائيل الامر الذي سيضطر العرب اليه بحكم الواقع ، ان عاجلاً أو آجلاً . ومن العبث ان يعتقد المرء ان هيئة الامم ستعدل في يوم من الأيام عن القرار الذي اصدرته في ٢٩ تشرين ثاني ١٩٤٧ .

هذا ما قاله الوسيط . وقد اعترف عزام بخطورة الموقف . ومما قاله ان العرب ، اذا ما خيروا بين هذا الامر ، أو ذاك ، فانهم لاشك يؤثرون القتال على الاستسلام . ومع ذلك فقد قبلوا الهدنة عملاً بقرار مجلس الأمن خشية أن يتعرضوا للعقوبات التي نص عليها ميثاق هيئة الامم . انهم قبلوا بها مكرهين . وقد اشترطوا لقبولها شروطاً منها تحديد الهجرة اليهودية ، وعودة اللاجئين العرب الى منازلهم ، على ان يتم ذلك خلال فترة الهدنة .

ووصف عزام للوسيط الحالة في بلاد العرب بانها ليست في صالح انكلترا واميركا . وان المظاهرات قائمة على قدم وساق ضد هاتين الدولتين . وانه يخشى من اتساع رقعة الخلاف الى درجة تسهل انتشار الشيوعية في البلاد العربية .

وبحث عزام مع الوسيط مسألة القدس فقال له ان الجامعة العربية اذنته ان يقول له انها توافق على الاقتراح القائل بتجريد القدس من السلاح « ومع ذلك فانها ترغب في ابداء بعض الشروط ليكون الاقتراح قابل التنفيذ . وقد الفت لجنة فرعية لتبحث مع الوسيط في تلك الشروط » .

وتباحث الوسيط بعدئذ ، مع رئيس الجمهورية اللبنانية ومع رئيس الوزراء رياض الصلح ، ووزير الخارجية ، فبدا له من حديثهم ^(١) « ان البلاد العربية امست مقتنعة من انه لا مناص من الاعتراف بوجود دولة يهودية مستقلة في فلسطين » وان رجالات لبنان لا يشاطرون عزاما رأيه . حتى أن الرجال الثلاثة المتقدم ذكرهم قالوا له انه يحسن صنعاً لو يتخذ قراراً عاجلاً في هذا الموضوع . و اضافوا إلى ذلك قولهم انهم يعترفون بان قراراً كهذا سيؤدي حتماً الى نتائج وخيمة ، وان العرب في جميع اقطارهم سيقاطعون اسرائيل من الناحيتين ، السياسية والاقتصادية ، وان فلسطين لن تنعم ابداً بسلم دائم . وان الحرب النارية ستعقبها (حرب باردة) لا ولن تكون في مصلحة ، اليهود ولا العرب .

الملك عبد الله يدعو الوسيط الدولي لمقابلته

ولكن الوسيط يؤثر مقابلة اليهود اولا

وفي ٢٥ تموز تلقى الوسيط من الملك عبد الله برقية يدعوه فيها لزيارته في عمان ، على ان يقوم بعدئذ بزيارات مماثلة للعواصم العربية الاخرى فاعتذر الوسيط عمن تلبية هذه الدعوة قائلاً انه مضطر لتأجيلها ريثما تحين له فرصة مناسبة لزيارة القاهرة . ورأى أن يزور من فوره تل ابيب ليتصل بالحكومة اليهودية المؤقتة وليرقب الحالة هناك عن

(١) مذكرات برنادوت . ص ١٨٦

كتب . ذلك لأن اليهود كانوا على حـد تعبـيره (١) قد انتفخت أوداجهم بسبب الانتصارات التي نالوها خلال الأيام العشرة التي اعقبت الهدنة الأولى . وما كانوا لينالوها لولا انسحاب القطعات التي كانت تحتل اللد والرملة باسم الجيش العربي، ولولا أنهم تمكنوا خلال تلك الهدنة من تهريب مقادير وافرة من الأسلحة والذخائر .

وقال الوسيط ان اليهود تمكنوا ، عن هذه الطريق التي لجأوا إليها والتي تعد خرقاً فاضحاً لشروط الهدنة ، من ربح المعركة . وراحوا بعد ذلك يقومون بأعمال ويتفوهون بتصريحات من شأنها ان تزيد النار ضرماً . وهذا ما حدا بالوسيط للاسراع في زيارة تل ابيب .

الوسيط الدولي يتقابل شرتوك

وفي ٢٦ تموز قابل الوسيط شرتوك . قابله في تل ابيب . فرفض هذا وساطته مصراً على التفاوض مع العرب حول مائدة مستديرة ، شريطة أن يقبل هؤلاء اسرائيل دولة مستقلة تقوم إلى جانبهم على قدم المساواة .

وامتنع شرتوك عن ابداء رأيه في المشروع القائل بنزع السلاح عن القدس . كما رفض اجابة الوسيط إلى طلبه من حيث عودة اللاجئين العرب الى ديارهم . واستنتج الوسيط من كلام شرتوك أن اليهود ليسوا بقانعين بالجزء الذي منحتهم اياه هيئة الامم في قرارها الصادر في ٢٩ تشرين ثاني ١٩٤٧ ، وانهم يعتقدون بأن القدس يجب أن تكون ، بأي حال من الاحوال ، جزءاً من الدولة اليهودية .

وأقام اليهود على القدس حاكماً عسكرياً يدير شؤونها . وكانوا يومئذ مسيطرين على الشطر الاكبر من المدينة الجديدة . ولم يكن بيد العرب سوى المدينة القديمة والجانب المحاذي للسور من المدينة الجديدة ، وهذا يتكون من حي باب الساهرة وباب الأسباط ووادي الجوز والشيخ جراح وجزء من سعد وسعيد والمصرارة .

وأراد اليهود أن يثبتوا انهم قادرون على تنفيذ أهدافهم ، فهاجموا في ٢٩ تموز خطوط القتال العربية من باب الخليل إلى دار الحكومة الواقعة على جبل المكبر . فاراد المناضلون المرابطون في ذلك القطاع أن يقابلوهم بالمثل ولكن القيادة الاردنية

منعتهم^(١) وقتل في هذا الحادث اربعة اجدهم ارمني والثاني اردني والثالث يميني والرابع فلسطيني ، وسقطت في اليوم التالي (٣٠ تموز) قنبلة من قنابل المورتر اليهودية بالقرب من باب الاسباط ، فاصابت رجلا من الخليل واحد عشر شخصاً من افراد أسرته ؛ فقتل منهم تسعة في الحال .

اميركا تحجم عن تزويد الوسيط بالمراقبين من ابنائها وعبثاً حاول الوسيط أن يقنع الولايات المتحدة كي تزوده بعدد من الضباط الاميركيين ، ليعملوا معه كمراقبين ، مهمتهم أن يتأكدوا من أن الفريقين : العرب واليهود ، ينفذون شروط الهدنة باخلاص . فقال قائل ان اميركا تفعل ذلك عن قصد ، ليتمكن اصدقائها اليهود من خرق الهدنة ، دون أن يكون ثمة من يحاسبهم من اجلها ، وفي ذلك ما فيه من مصلحة لهم . ومن قائل انها (اي اميركا) كانت تقصد الا تتدخل في اعمال المراقبة لتجنب الاصطدام مع موسكو ، وما كان بين المراقبين أحد من الروس . كما انها كانت تخشى ان يقتل احد من رجالها وهو يقوم بمهمته في فلسطين ، فينتج عن قتله استياء في الولايات المتحدة ، الامر الذي يؤثر ولا شك على الانتخابات التي ستجري في نوفمبر من اجل الرياسة .

الوسيط الدولي يطلب تزويده بستة آلاف سلاح

ليتمكن من نزع السلاح عن القدس

وكم كان استغرابه شديدا ، عندما تلقى ، في ٣٠ تموز ١٩٤٨ ، برقية من وزير الدولة في واشنطن يقول له فيها^(٢) انه على يقين بانه ليس من الصعب ان يتم نزع السلاح عن القدس بوساطة قوة من البوليس مؤلفة من العرب واليهود معاً .

فضحك الوسيط لهذا النوع من التفكير الذي اعتبره سخيفاً ، وابرق من فوره الى الجنرال مارشال يقول ان في القدس عدداً كبيراً من المناضلين العرب ، وان عدد رجال الارغون فيها قد ارتفع إلى اربعة آلاف ، وانه في حاجة لقوة لا تقل عن ستة آلاف رجل مسلح تسليحاً تاماً ، ليتمكن من تنفيذ الفكرة . ونزع السلاح عن القدس . وإلا فلتعدل هيئة الأمم عن هذه الفكرة . لأن الفشل في تنفيذها معناه فشل لها ، وسقوط لاعتبارها في فلسطين بوجه عام ، وفي القدس بوجه خاص .

(١) هذا ما حدثني به طارق الافريقي فائد المناضلين التابعين للحاج امين في ذلك الحين .

(٢) مذكرات برنادوت . ص ١٩٤

الوسيط الدولي يقابل الملك عبد الله

وفي ١ آب زار الوسيط عمان « وكان قد سمع بالمظاهرات التي قامت فيها ، اثر وقوف القتال ، ضد الملك عبد الله وضد الانكليز وضد الاجانب معاً ، ولما هبطها سره ما رآه فيها من كرم وحفاوة في الاوساط الشعبية والحكومية . ولما تحدث الى رئيس الوزراء ، توفيق باشا أبي الهدى وإلى وزير الخارجية في نفس المواضيع التي أشار اليها في حديثه مع عزام ومع رجال الحكومة اللبنانية (أي الاعتراف بالامر الواقع ، وباسرائيل حكومة مستقلة في فلسطين) ؛ وجد انها يشاطرانه الرأي وانها يعتقدان انه لا مناص من الاعتراف بالحقيقة الواقعة وهي أن الدولة اليهودية وجدت ، وانها ستبقى قائمة في حيز الوجود . » .

هذا ما قاله الكونت برنادوت في الصفحة ١٩٦ من مذكراته . وأضاف الى ذلك قوله ان اهتمام الوزيرين قد انصب يومئذ على معرفة ما سينتهي اليه مصير الجزء الباقي من فلسطين بيد العرب ، طالبين الاسراع في حل مشكلة فلسطين ، مؤكداً ان الاردن على استعداد تام للموافقة على اي قرار تصدره هيئة الامم في هذا الصدد .

والشيء الوحيد الذي قالوا انها لا يقبلان به هو الجلوس مع ممثلي اسرائيل في مجلس واحد . فكبرت ، عندئذ ، آمال الوسيط ؛ وأيقن ان الحرب في فلسطين صائرة لا محالة الى الختام .

وقابل الوسيط ، في اليوم نفسه ، الملك عبد الله ، فلاحظ من حديثه انه اطلم على ما جرى بينه وبين الوزيرين ، وانه هو ايضاً (أي الملك) يشاطر الوسيط رأيه .

اليهود يتحدون العرب ، ورجال الدين المسيحي

يطلبون تجريد القدس من السلاح

في ٢ آب زار الوسيط الدولي القدس . ورأى بام عينه ان الوضع فيها دقيق للغاية وفيه شيء من الخطووة ؛ فقابل في الجزء العربي من المدينة غلوب باشا وعبد الله التل ، وظهر له من حديثهما^(١) ان اليهود اخذوا في الأيام الاخيرة ، يتحدون العرب . وانهم في كل

(١) مذكرات برنادوت . ص ١٩٧

يوم يقومون بافعال يرمون من ورائها إلى أن يثيروا حفيظة العرب ، ليستأنف القتال .
ويكونوا - المرة هذه - هم البادئون .

واتاه المراقبون يخبرونه عن شائعات سمعوها بان رجال الارغون يحفرون تحت الارض نفقاً يصل المدينة الجديدة بالمدينة القديمة ، وقد وضعوا فيه لغماً القصد منه نسف المدينة ومنازلها على من فيها متى جد الجد واستؤنف القتال مرة اخرى . انهم صنعوا لغماً كبيراً زنته ثلاثة أطنان ونصف الطن ، ووضعوه في حا كورة المسكوب على بعد مئتي من السور إلى الشمال بين باب العمود وعمارة النوتردام . وكانوا يهدفون إلى هدم السور واحداث الذعر والبلبلة في صفوف العرب ؛ هذا إذا تقووا ، وفكروا في الاغارة على المدينة القديمة ، والا فانهم يفجرونه ، إذا ما تقوى العرب وهاجموهم .
واتاه في ذلك اليوم ، وقد مؤلف من عيون الطوائف المسيحية المختلفة قائلين ان العالم المسيحي با كمله يرغب اليه ان يبذل قصارى جهده من اجل نزع السلاح عن المدينة .

التفاهم مع اليهود امر عسير

في ٣ آب انتقل الوسيط الدولي من الجزء العربي في المدينة إلى الجزء اليهودي . وقابل في دار الوكالة اليهودية حاكم القدس العسكري الدكتور جوزيف . فبدا له ان هذا كان رجلاً عنوداً للغاية ، وانه لم يكن على استعداد للتفاهم معه ، ولا مع غيره من الناس ، وقد رفض كل اقتراح وجه اليه ، مثله في ذلك مثل زميله شرتوك ، وزير الخارجية ، الذي اجتمع به بعد ذلك ببضعة ايام . فايقن الوسيط عندئذ ان مرؤوسيه المراقبين الدوليين كانوا على حق عندما اخبروه بان التفاهم مع اليهود امر عسير .

فاجتمع الوسيط ، على اثر ذلك ، باعضاء لجنة الهدنة القنصلية ، وقرروا زيادة عدد المراقبين الدوليين في مدينة القدس .

مستقبل الجزء للعربي من فلسطين

في ٣ آب سافر الوسيط الدولي الى مصر . واجتمع برئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا . وجرى بين الاثنين حديث طويل لم يخرج عن نطاق الحديث الذي جرى له مع عزام ورجال لبنان في ٢٤ تموز ، ومع رجال عمان في ١ آب . فاعترف

النقراشي^(١) بان امل العرب في الحيلولة دون قيام دولة يهودية مستقلة قد خاب . ولكنه قال انه ليس ثمة دولة عربية واحدة تستطيع أن تقبل دولة كهذه . وان العرب ينوون ان يتجاهلوا وجودها تجاهلاً تاماً ، بحيث انهم لن يتعاملوا معها بحال من الأحوال .

وقال النقراشي للوسيط أن الخطة المثلى هي الاحتفاظ بالجزء الباقي من فلسطين عربياً ، على أن تنشأ فيه دولة مستقلة ، تعضدها الجامعة العربية ، قائلاً ان ضم هذا الجزء من فلسطين إلى المملكة الاردنية ، من شأنه أن يفسد التوازن القائم بين الاقطار العربية . لا ، ولا يجوز - في عرف النقراشي - اقتسام هذا الجزء من فلسطين بين الدول العربية المجاورة . لأن حلاً كهذا يفسح المجال لأعداء العرب ، كي يشنوها غارة شعواء ، على الدول العربية : بانها ما خاضت الحرب الفلسطينية الا لتجر الغنم اليها .

وختم النقراشي حديثه بقوله ان العرب سينظرون إلى فلسطين دائماً وابدأً بانها ملك للعرب ، وان اليهود ليسوا الا عصاة يجب تأديبهم .

وقال الوسيط . عند اشارته إلى هذا الحديث ، ان عرب فلسطين ما كانوا يومئذ في وضع يمكنهم من ابداء رأيهم بصراحة في الوضع الذي يراد لهم والمستقبل الذي ينتظرهم .

الملك عبد الله وموقفه من الوضع القائم في البلاد

في ٤ آب ١٩٤٨

ورأى الملك عبد الله ، بعد هذه المقابلات التي تمت بين الوسيط وبين مختلف رجالات الأمة العربية ، ان يتحدث الى رياض الصلح رئيس وزراء لبنان ، وكان يومئذ من اكبر الشخصيات التي لها شأنها في السياسة العربية . فطلب اليه ان يقابله في عمان . وقد لبى رياض الطلب . فسافر الى عمان في ٤ آب . وقابل الملك . ودار البحث بينهما حول الوضع الحاضر . وبعث رياض بعد عودته من عمان (في ١٤ آب) إلى مزاحم الباججي رئيس وزراء العراق مذكرة سرية^(٢) قال فيها : -

(١) مذكرات برنادوت . ص ٢٠١

(٢) نشرت جريدة الحياة البيروتية لصاحبها كامل مروه هذه المذكرة في عددها ١٨٩٨ الصادر بتاريخ ١٦ تموز ١٩٥٢ نشرتها بمناسبة الذكرى السنوية الاولى لاستشهاد رياض . وقد ذكرنا نبأ اغتياله في عمان في موضع آخر من هذا الكتاب .

أخي الكريم :

طلب إلي جلالة الملك عبد الله ان اقبله في عمان وكرر الطلب وأراد ان يكون هذا الاجتماع قبل العيد ، فرأيت من واجبي ان الي رغبته وذهبت الى عمان يوم الاربعاء في ٤ آب (١٩٤٨) . واجتمعت اليه اجتماعاً طويلاً لم يحضره غير دولة توفيق ابو الهدى رئيس وزراء شرق الاردن ، الذي كان خلال الاجتماع حكيماً كعادته موفور الكياسة واللباقة ، كعهده دائماً . فدار الحديث اولاً حول تقصير الجامعة العربية نحو مملكة شرق الاردن ، وعدم برها بوعودها لجلالته بدفع ما كانت قررت دفعه لتجنيد جنود يقاتلون إلى جانب الجيش الاردني ولابتياح الاسلحة . وطلب الي بهذه المناسبة ان اسهل له اوصول اسلحة تعاقد مع بعضهم على ابتياحها . وشكا جلالته شكاية مرة من استيلاء مصر على الذخيرة التي كانت واردة اليه على احدي البواخر اثناء مرورها بالمياه المصرية . وقد اجبت جلالته قائلاً : اني احد الموقعين على القرار المعهود بدفع المبلغ الذي عين له وان تنفيذ ذلك القرار علق على شرطين رئيسيين هما :

اولاً - عدم دفع البريطانيين للاعانة المعلومة .

ثانياً - متابعة القتال .

وقلت : ومع ذلك فانا على استعداد لمعاونة جلالته لدى الجامعة ، اذا ما تحققت انه ينوي استئناف القتال . واضفت الى ذلك قائلاً : ان الصراحة قد اصبحت ضرورية جداً ، فان سمعة الملك عبد الله تأثرت كثيراً عند وقف القتال .

وذكرت له ان ممثلي شرق الاردن بلغونا قبل قرار مجلس الامن وعند الاجتماع في عاليه ، ان شرق الاردن لا يمكنه ان يرفض قرار هذا المجلس حتى ولو رفضته جميع الدول العربية .

ثم قلت له انه افضل لجلالته ان كان لا يمكنه استئناف القتال واخراج الضباط الانكليز من جيشه ان يصارح البلاد العربية بذلك تمام المصارحة . ومصارحتها بذلك اكرم له وافضل بكثير واحفظ للمصلحة ، من ان تبقى الحالة الحاضرة كما هي من الابهام والغموض . وان الدول العربية عند ذلك تقيم حسابها على اساس آخر ، فتخرج منه شرق الاردن وان شاءت ان تستأنف القتال استأنفته على هذا الأساس .

أما إذا بقيت هذه الحالة وبقي هذا الاتهام وعدنا الى عدم المصارحة فان مسؤولية جلالته تكون اخطر كثيراً . وقد عدت فالححت كثيراً على جلالته ان جوابه لي قاطعاً فاصلاً ، وان لا يترك يكون في ما يقوله لي احتمالاً لأي شك او تأويل .

وقد اجابني جلالته بأن شرق الاردن لا يمكنه استئناف القتال الا اذا اخرجت الامة العربية جميع قواها والقت ثقلها كله في الميدان ، وانه لا يمكنه اخراج القواد الانكليز من جيشه .

وججته في عدم استئناف القتال ان ذلك يحتاج الى اسلحة وذخيرة واستعداد كاف . واما في عدم اخراج اولئك فقد اورد لي عدة حجج .

اولها انه لم يلحظ عليهم اية خيانة ، والثانية انه لا يمكنه تغيير سرج فرسه اثناء المعركة . والثالثة انه ليس بين ضباط جيشه العرب من له الكفاءة ليحل محل اولئك الضباط الانكليز .

وهناك حجة رابعة لها مغزاها اوردها جلالته ، وهي انه حريص على ان يظل الروح العسكري سائداً في جيشه . فان تبديل الضباط الانكليز بضغط التدمير الذي ابدي ضدهم ، والنقد الذي وجه اليهم يفسد ذلك الروح ، وهو لا يريد ان يجعل جيش شرق الاردن كجيش العراق يتدخل في الشؤون السياسية ، وإذا انتفض اليوم على ضباطه الانكليز فانه غداً ينتفض على الملك عبد الله نفسه . وقد ضرب جلالته المثل على هذا بكر صدقي في العراق . والمع بعد ذلك إلى ظروف شرق الاردن السياسية وارتباطاتها الخارجية المعلومة .

وبعد هذا سألت جلالته : ألا يمكن تسليم جيشه برمته الى الجيش العراقي فيتولى كل شؤونه كأنه جزء من جيش العراق ؟

فاجاب جلالته بان سمو الوصي كان قد عرض عليه مثل هذا العرض ، ولكنه لم ير تحقيق ذلك الاقتراح ممكناً لاسباب عديدة . ولقد بلغني بعد ان غادرت شرق الاردن انه يفكر في هذا الموضوع . ولكنني ارى ان التطبيق العملي لهذا المشروع صعب المنال . وبعد فلقد خرجت من تلك المقابلة وبعدها سمعت من أحاديث جلالته وانا مقتنع تمام الاقتناع ان شرق الاردن لا يمكن ان يستأنف القتال ، او يشترك مع بقية الدول

العربية إذا هي قدمت على مثل هذا . وإني انصافاً للحقيقة أقول اني لم اشعر ان جلاله الملك عبد الله يقدم على هذه الخطة وهو راغب فيها ؛ ولكنه يتصرف تصرف الرجل المضطر الذي ليس في يده حيلة اكثر مما فيها ، فاني لا اعتقد انه من الطبيعي والمعقول ان الرجل الذي بلغ في خلال اسابيع من السمعة الطيبة في جميع البلاد العربية ما بلغه جلالته ، يهون عليه ان يخسر ذلك ويضيعه عن رضى .

أما وهذا هو حال شرق الاردن ، فعلى الحكومات العربية ان تضع سياسة جديدة على ضوء هذه الحقيقة ، وان تعيد النظر في حساب قواتها وفي تنظيم خططها .

ان في موقف شرق الاردن هذا بقطع النظر عن اسبابه ما يؤلم الأمة العربية أشد الألم . ولكن في جلاء هذه الحقيقة بعض العزاء في نظري ، لانه يفسح المجال لمعرفة قوانا الحقيقية التي يمكننا الاعتماد عليها كل الاعتماد ويخرجنا من حالة الشك الخطرة التي مررنا فيها من قبل .

وفي اعتقادي ان البلاد العربية عائدة حتما الى استئناف القتال ، بل قد يكون ذلك اقرب مما نتوقع لاسباب عديدة . وإذا لم تكن هذه العودة بارادتنا ، فقد تقع بارادة اليهود انفسهم ، وهم الذين تشجعهم اوضاعنا المختلفة وتأييدات الدول ، وتدفعهم مطامعهم وغرورهم الى عدم الوقوف عند حد .

ان مرابطة الجيوش العربية في مواقعها بفلسطين ، بل موالاة العراق وارسال المدد والنجادات لقواته حكم لا يقبل الشك بأن القتال واقع حتما . وما دام الأمر سيقع فالأفضل ان يكون باسرع ما يمكن . تلك هي ارادة الشعوب العربية وذلك هو حكم المصلحة العربية فان التأخر يفيد اليهود ، كما ان الهدنة اصلا تفيدهم اكثر مما تفيد العرب .

ثم ان اخشى ما اخشاه ان تستولي على الأمة العربية إذا خذلها حكامها بعدم استئناف القتال ما استولى على اهل فلسطين انفسهم من روح التخاذل والانزمام وعدم الثقة في النفس ، وهو شر ما يصيب الشعوب من ضروب الضعف والوهن .

ومن المؤسف حقاً ان يكون الوضع الحربي عند وقف القتال قد اظهر الامور على غير حقيقتها ، فان بعض الحوادث التي وقعت بسوء التدبير او لأسباب اخرى قد اظهرت العرب بحالة من الضعف ليست صحيحة ، كما اظهرت اليهود بحالة قوة ليست

حقيقية أيضاً . ولقد كان وما يزال الخطأ المبالغة بتقوية اليهود . واليوم هم اضعف مما يظن الكثيرون منا ، ليس من الناحية العسكرية فحسب ، بل من الناحية الاقتصادية ، ومن عدة نواح اخرى أيضاً . واني اقول هذا بناء على المعلومات التي تردنا عن احوال اليهود الداخلية من مختلف المصادر .

هذا فضلا عن أن القوى العربية لم تلتحم الا التحاماً محدوداً في القتال ضد قوى اليهود ، كما انه لوحظ ايضاً أن شكوانا اجمالاً من قلة العتاد كانت لا تخلو من مبالغة . على أن الحرب لا يجب أن تعني الهجوم الخاطف ومحو العدو والاستيلاء على معقله حالاً . ولكن الحرب تؤدي الى تحقيق اغراض العرب لمجرد وقوعها واستمرارها ، وان طالت شيئاً من الزمن ، دون ان تعرضها لمخاطر كبيرة ، ودون ان تكلفها خسائر ضخمة في النفوس أو العتاد ، خصوصاً وان الجيش العراقي في مواقعه الحاضرة أصبح في حصن يصونه من المفاجئات والأخطار .

وأما الحججة لاستئناف القتال فلن نعدمها ، وهؤلاء هم اليهود يقدمون لنا كل يوم بخرقهم الهدنة حجة جديدة وسبباً مبرراً لاستئنافه ، واني لا استبعد ان نفاجأ في يوم قريب بحدث يعرض القدس للخطر والضيق الفت اليه نظركم منذ الآن .

كما اني أرى ان وضعنا السياسي اليوم قد أصبح أفضل مما كان عليه قبل الهدنة . وقد أفادتنا قضية اللاجئين من هذه الناحية ، فانكم تعلمون أن قضايا اللاجئين المشابهة في اوروبا قد اوجدت استعداداً في العالم للتحسس بمثل هذه الامور . وقد بنى اليهود حتى يومنا جانباً من قضيتهم على مسألة المشردين ، واستدروا عطف العالم على قضيتهم عن هذا السبيل . وبوسعنا استغلال هذه الحالة استغلالاً كبيراً إذا احسنا العمل فيها واحكمنا عرضها على انظار العالم . وقد بدأنا نحن نشعر بشيء من العطف في بعض الأوساط الدولية يمكن ان يعتبر مشجعاً .

انه من البديهي ان اول ما علينا القيام به استعداداً لاستئناف القتال سريعاً هو سد الثغرة التي تحدث بانسحاب شرقي الاردن من الميدان تحت الضغط السياسي الواقع عليه .

ان وقف القتال هذه المرة لم يكن كما تعلمون في الحقيقة خوفاً من مجلس الامن وعقوباته ، ولم يكن كذلك خوفاً من تسليح اليهود ، فهم يتسلحون سرّاً وعلناً ؛ قبل

الهدنة وبعدها ، وفي حالة الحظر او رفعه ؛ ولكن وقف القتال كان لان حكومة شرق الاردن أعلنت قبيل قرار مجلس الأمن انه لا يمكنها متابعة القتال لعدم وجود عتاد لديها ، ولا اعتقد ان اعادة جميع العتاد الذي استولت عليه مصر الى شرق الاردن يمكن أن تعيد شرق الاردن إلى القتال . ولقد أعلنت القيادة العراقية عندئذ ان الجيش العراقي في حالة انسحاب الجيش الاردني ينسحب هو ايضاً من الميدان دون ريب . ولما بلغ هذا الحكومة المصرية اثار قلقها الشديد ، فبادرت إلى ايفاد معالي عزام باشا لعمان لعله يتدارك الامر .

وقد اجتمعنا هناك وناقشنا الموضوع من جميع نواحيه ، واجتمعنا بحضرة صاحب السمو الملكي الوصي قبل مغادرتنا عمان ، ثم بذلنا الجهد لاقتناع القيادة العراقية بان تبذل ما في وسعها لاستعادة اللد والرملة . وقد ساعدنا سمو الوصي كثيراً في هذا الموضوع حتى انه وعد حفظه الله بالذهاب بنفسه إلى الجبهة لعله يتوصل إلى تحقيق هذا الغرض الخطير .

وأظن انه نقل اليكم اصرار القائدين نور الدين محمود باشا وصالح صائب باشا على عدم الاستمرار في القتال ، وكان ذلك بحضور سمو الوصي كما نقل اليكم اصرار القائد صائب باشا في حضرة جلالة الملك عبد الله ، على عدم القتال ونصيحته بقبول الهدنة بسبب الحالة التي نشأت عن موقف شرق الاردن . وعلى هذا لم يتم شيء لاسترداد الرملة وإللد كما تعلمون .

المهم ان ايقاف القتال في المرة الأخيرة تقرر امره اذا في تلك الاجتماعات في عمان ولم يكن قرارنا في عاليه الا النتيجة الطبيعية لما استقر الامر في عمان .

ولقد بلغني ان حكومة مصر كانت متأثرة بهذا الوضع عندما أعلنت قبولها لمجلس الأمن ، وان جلالة ملك مصر تلقى بتأثر شديد نبأ موقف الاردن ، والمحضر الذي وضع في عمان حول هذا الموضوع ، ولم يكن يكفي يومئذ ان نقول عن ممثلي العراق وسوريا ولبنان اننا نرفض وقف القتال لنستمر فيه جميعاً ، بينما كان يكفي ان يعلن مندوب شرق الاردن انه لن يرفض قرار مجلس الأمن لكي نضطر للتوقف جميعاً ، ذلك ان وقف القتال يكون معلقاً على قرار دولة من الدول .

وكنتم أتمنى لو لم يعلن بعد هذا عندكم أن العراق رفض قرار مجلس الأمن ، وان كان ميالا في اثناء المناقشات ميلا صريحاً الى عدم القبول كما كان ميلي ومييل جميل بك (مردم) وعزام باشا . ولم يخف عليكم ما كان لهذا الاعلان من اثر غير مستحب في مصر ، اذ اظهرها ذلك بمظهر المنفردة في ارادة الكف عن القتال وصورها بصورة المتوانية المتخاذلة دون سواها من شقيقاتها اعضاء الجامعة . والحقيقة انها لم تكن هي السبب في قبول قرار وقف القتال . وهذا فضلا عن العبرة في القرارات نفسها لا بالمناقشات التي تسبقها .

واما الاثر الذي تركته هذه الأمور في مصر فشديد عميق على ما عرفت ، وانتم ادرى بما بذلت مصر سلماً وحرباً في سبيل فلسطين ، وانتم اعلم باخلاصها وتجردها في ما بذلت . كما انكم تعلمون اهمية نصيبها في هذا الجهاد في الماضي والمستقبل وخطورة منزلتها في كل ما تباشره الجامعة من الشؤون العربية القومية المشتركة الشاملة وما لجلالة مليكها من مكانة عظيمة وضعها في خدمة هذه الشؤون .

ولقد كان بإمكانني ان اتبع اثر العراق لاني لم اقبل وقف القتال الا بعد غيري . ولكنني اردت ان لا تبقى مصر منفردة في هذا المظهر الذي يخالف حقيقة الواقع المستورة .

والآن بعد ما ذكرت من موقف شرق الاردن والوضع العسكري بفلسطين وحالة الامة العربية اعود فاقول مرة ثانية انه لا مناص من القتال ، ان لم يكن لاسترداد ما استولى عليه اليهود في مرحلة القتال الثانية والا لمجابهة الموقف المقبل ونحن اكثر تضامناً واكثر قوة في الواقع وبعد ان ابدى العراق عرشاً وحكومة وشعباً من الحماسة البالغة ومن التصميم على استمرار الجهاد في سبيل فلسطين ما يثلج صدر كل عربي ، لا بد من ان يكون للعراق خطة محكمة وتدابير تهيأ لها ، ولاجل تحقيق هذا يهمننا ان نقف عليها ليدرك كل منا قسطه ونصيبه في المرحلة المقبلة القريبة .

كما وانه لا بد من توحيد القيادة . وقد زال السبب الذي كان يحول دون تحقيقها توحيداً صحيحاً كاملاً ، بحيث توضع جميع الجيوش والاسلحة والاعتدة فضلاً عن الخطط تحت امرة قائد واحد ، يتصرف فيها حسبما ترتأي القيادة ، وحسب ما تقتضي غاية تأمين الظفر للعرب .

واسمحوا لي ان اقول لكم ان مفتاح القضية اصبح الآن في يد العراق ، بعد ان كان في بدء القتال في يد شرق الاردن ، وبعد ان انتقل منها الى يد مصر عند قبولها الهدنة الاولى في اجتماع اللجنة السياسية في عمان . واني ارى ان الخطوة الاولى هي ما ذكرته من تبادل الرأي والمعلومات بيننا وبين العراق ، وبعدها نخبر مصر ، ثم نجتمع ونبحث واما قبل ذلك ، فلا ارى من داع يستحق دعوة اللجنة السياسية للاجتماع .

واما الثغرة التي يتركها شرق الاردن بانسحابه فاولى من يسدها العراق لاسباب عديدة :

فاولا بالنظر الى الصلات الخاصة التي بين المملكتين ، يكون ايسر عليهما كليهما ان يأخذ الواحد منهما عن الآخر ما كان على عاتقه وان يحل محله .

وثانياً - ان الوضع العسكري قد جعل طريق العراق الى فلسطين ، شرق الاردن ، وهو مركز تموينه ومواصلاته مع ميادين القتال . على انه من الضروري على كل حال ان تبقى جيوش شرق الاردن مرابطة في مراكزها للدفاع مع خروجها من الميدان كقوة مهاجمة ، وتلك هي نية الملك عبد الله فانه عندما كان يطلب ان يحصل على السلاح والعتاد ، واعترضت بانه لا حاجة به الى ذلك لأنه لم يستأنف القتال ، اجاب بانه لا بد له من الدفاع فان اليهود لا يبعد ان يتقدموا من احدى الثغرات يفتحونها الى اقتحام شرق الاردن ، وكان دائماً هدفاً لهم يريدون الاستيلاء عليه .

وثالثاً - ان من حق العراق ان يكون مطمئناً ليستأنف القتال ، وهكذا بتوليئه سد الثغرة بنفسه وبقوات تتألف تحت اشرافه واشراف الجامعة من مناضلين فلسطينيين واردنيين خصوصاً كما سبق له ان فعل في جنين ، يكون العراق قد حصل ايضاً على الاطمئنان التام ، فضلاً عن ان جيشه اقدر الجيوش على هذا العمل . على انه يجيل الي ان هذا الامر يحتاج الى الاحتياجات الدقيقة حتى يتم باحكام ، كما انه يجب ان يتم بروح من الالفة والمودة المطلقة لأن وجود جنود غير مقاتلين الى جانب جنود مقاتلين يحتاج الى كثير من الدقة وحكمتهم كفيلاً بمثل هذا الامر .

هذا ما رأيت ان اكتبه اليكم بعد مقابلي لجلالة الملك عبد الله في الموضوع الذي يتوقف عليه مصير فلسطين فحسب بل مصير العرب جميعاً والذي هو بلا ريب شغلکم

الشاغل ، رأيت أن أضمنه رأبي الشخصي فيه وأخاطبكم فيه بتهام الكتمان : وقد كتبت اليكم ما كتبت ، وأنا سعيد بأن يكون على رأس الحكم في العراق رجل يقدر هذه الشؤون حق قدرها ويوفيقها حقها من الاهتمام ، كما اني سعيد بأنكم تسترشدون بالروح الوطنية العالية والحكمة الكاملة وصفات الاقدام والعزم التي تحلى بها سمو الوصي المعظم والتي تجلت بأجلى مظاهرها . واني أنتظر ردكم السريع لتبادر كل حكومة الى اتخاذ التدابير والخطوات المناسبة . وفقكم الله والهمنا جميعاً لما فيه خير الامة العربية وفلاحها والسلام عليكم .

رياض الصلح

بيروت في ١٤ آب ١٩٤٨

وخرج الناس ، عند تلاوتهم هذا الكتاب ، بالقناعة التالية : « ان الملك عبد الله ليس براغب في القتال ، وأنه لا يريد ان يتخلى عن الانكيز ، وأن رياضاً راغب في استئناف القتال ، وإذا كان لا بد من هذا فلنكن نحن العرب البادئين . وليس حتماً ما يقال عن قوة اليهود . فالوضع الحاضر في صالح العرب . وعليهم ان يستغلوا قضية اللاجئين . والشكوى من قلة السلاح مبالغ فيها ، إذا فلنستعد لاستئناف القتال . ولنسد الثغرة التي تحدث بانسحاب شرق الأردن . وليس ثمة من هو أفضل لهذا السد من العراق . فان مفتاح القضية الآن بيده ، بعد ان كان عند بدء القتال بيد الأردن . وعلينا قبل كل شيء أن نوحّد القيادة العامة .

القتال من اجل الماء في القدس

في ٥ آب ١٩٤٨ رفض العرب الطلب الذي قدمه اليهم الوسيط الدولي ، الكونت فولك برنادوت ، كي يأذنوا بوصول مياه رأس العين الى الأحياء اليهودية بالقدس . وكان مئة الف يهودي يومئذ على وشك الهلاك من العطش . واستند العرب في رفضهم هذا على ثلاثة اسباب ... اولها أن اليهود نكثوا العهد وكسروا الهدنة ، والثاني انهم رفضوا رجوع اللاجئين إلى ديارهم . والثالث انهم رفضوا نزع السلاح في المدينة المقدسة . وقديماً قيل : الشر بالشر ، والباديء اظلم ...

ويظهر ان المراقبين الدوليين اعتموا أن يسمحوا لليهود بتعمير الأنايب التي نسفها العرب . وازداد اليهود حماساً لا يصلح مياه رأس العين الى القدس بعد ان انسحب العراقيون من رأس العين والأردنيون من اللد والرملة . وفي اليوم الذي قرر هؤلاء

المراقبون أن يسافروا فيه لأجل الكشف على خط المياه وكانوا قد اصطحبوا عدداً من المهندسين اليهود . نسف العرب (١٢ آب) محطة المياه في اللطرون .

فاحتج اليهود على هذا العمل ، وعدوه خرقاً للهدنة . وتضعضعت أمالهم في تزويد بني قومهم العطاش بالماء . فراحوا يفكرون في الوصول الى ابار الحرم القدسي ليستعيضوا بمائها عن ماء رأس العين . وهذا لا يكون إلا باحتلال المدينة القديمة .

ولهذا قاموا في مساء اليوم نفسه (أي ١٢ آب) باعنف هجوم شنوه منذ اعلنت الهدنة الأخيرة ، على قطاع النبي داود وحي الثوري . ولكن العرب ردوهم على أعقابهم بعد أن كبدهم مئة وخمسين قتيلاً . وأما خسارة العرب فلم تتعد في ذلك اليوم قتيلاً واحداً . وخسروا في اليوم الذي تلاه شهيدين . وفي ١٤ آب خسروا شهيدين آخرين .

ولما يشس اليهود من الوصول الى آبار الحرم . راحوا يفكرون في الوصول الى عين فاره . فشنوا في ١٥ آب ١٩٤٨ ، هجوماً مركزاً على حي الشيخ جراج ورأس المشارف وراحوا يزحفون في اتجاه الخطوط العربية ، وكانت الساعة قد دقت الثالثة ؛ وكان الفجر على وشك بزوغ . ولم يرتب أحد في انهم يبغون ، من وراء هجومهم هذا ، الوصول الى (عين فاره) حيث المياه الغزيرة ، وأنهم جنحوا الى هذه الخطة بعد الفشل الذي اصابهم في (ا) تعمير انايب راس العين وفي (٢) الوصول الى آبار الحرم وكثيراً ما حاول اليهود تدمير حوض الماء الكائن على رأس التل الافرنسي ذلك الحوض الذي تتجمع فيه مياه عين فاره ومنه تسيل الى المدينة - وامطروه بوابل من قنابل المورتر كانوا يقذفونها من سنهدريا ، ومن الهداسا . الا أنهم لم يصيبوه بضرر كبير . وظل الماء يجري إلى الأجزاء العربية من المدينة . ولكن الجيش العربي الذي كان يربط في تلك البقعة من الارض صدهم عما يبتغون ، وكان يسند جناحه الأيمن ثمانون مقاتلاً من متطوعي قرية شعفاط . فارتد اليهود الى مواضعهم ، بعد أن تكبدوا خسائر فادحة ، وخسر العرب في هذه المعركة شهيدين .

ولقد اعاد اليهود الكرة ، بعد ذلك بيومين ، فقاموا بهجوم شديد على المدينة . وجاءني في ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم مسيو قروازيه ، مندوب الصليب الاحمر قائلاً - انه لا يشك قط في ان القدس باتت في خطر ، وأنها لامحالة ساقطة في يد اليهود شئنا ام أبينا ؟ . ومتي سقطت القدس ، تبعثها رام الله . وأنه يرى من المصلحة حصر

النساء والأطفال في ساحة مدرسة الفرنديز وضمن الجدران ، وهذه في امان اذ يرفرف عليها علم الصليب الأحمر . و اضاف الى ذلك قوله انه ينصح بخزن مقادير كبيرة من الدقيق والتمر والسكر والارز في عنابر المدرسة لطعام النساء والأطفال في حالة الحصار . لا انكر اني شعرت يومئذ بشيء كثير من القلق على مصير القدس . وفي الوقت الذي رجوته فيه الا يذكر شيئاً من هذا للناس رأيت من المصلحة ان اخذ برأيه وان اتبع نصحه ، وبعد ان اجتمعت الى فئة من اهل الرأي وتشاورنا في الأمر ، قررنا ان نخزن في عنابر المدرسة ، وعلى سبيل الحيلة ، مقادير كبيرة من الدقيق والتمر . ورحنا الى القرى القريبة من القدس ورام الله نحث ابناءها المناضلين على امتشاق السلاح استعداداً للطوارئ فلبوا النداء . وزحفوا باتجاه القدس . وهناك انضموا الى حماة المدينة . ولما رأى اليهود انه لا قبل لهم بهذا الجمع المتكاثر ، رجعوا على اعقابهم . وهكذا فشل اليهود في الحصول على ينابيع الماء وباتوا يقاسون العطش الشديد .

ولقد بلغ الأمر باليهود ، قبل الهدنة الأولى ، الى حد انهم شربوا المياه العذبة التي كانت في المستنقعات كبيرة ماملا وبركة السلطان . وتزح معظم سكان المدينة الى القرى المجاورة كلفتا وعين كارم حيث ينابيع . ولم تكن حالتهم من حيث الطعام باحسن من حالتهم من حيث الماء . الأمر الذي حدا بهم للقيام بمظاهرات طالبين التسليم للجيش العربي .

ولكن زعمائهم لم ييأسوا فرسموا خطة لانشاء خط فرعي ينفصل عن الخط الأصلي على مقربة من اللد والرملة ويستفيدوا من مياه خلدا وعافر . الا ان هذا المشروع لم يأت بالثمرة المطلوبة . وبقوا طيلة عام ١٩٤٩ يقاسون الامرين من العطش . فلا يستطيعون الحصول على الماء اكثر من مرة في كل اسبوعين .

وأما العرب فقد سدوا حاجتهم من الماء من الآبار الكائنة في الحرم وفي منازل المدينة القديمة ومن عين فاره . وعجزوا في وقت ما عن اسالة ماء هذه العين بسبب قلة المال وفقدان الزيت والعطب الذي لم يبعث الالات . حتى ان صفيحة الماء وصل ثمنها في بعض الأحيان الى أربعة قروش . ولكن هذا العجز لم يدم اكثر من ثلاثة شهور (أيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني ١٩٤٨) اذ تمكن العرب بعد قليل من اصلاح العطب وايجاد المال وشراء الزيت اللازم . واصبح في مقدور السلطات البلدية ان توزع الماء ، ليس على الأهلين فحسب ، وانما على الجيش ايضاً بجميع وحداته المرابطة في المدينة او

في خارجها ، وكذلك قل عن دوائر الحكومة وعن المدارس ومكاتب هيئة الأمم الواقعة على جبل المكبر ومخيمات اللاجئين . واستطاعت تلك السلطات ان تمد مدينتي رام الله والبيرة ايضاً بالماء .

وظل يهود القدس في عطش شديد الى أن تمكنوا في عام ١٩٥٠ من انشاء خط فرعى لأنابيب رأس العين ، قطرها ٢٤ سانتيمتراً . وسار الخط الجديد بمحاذاة السكة الحديدية . وكلفهم المشروع زهاء نصف جنيه . ووصلت مياة رأس العين الى احيائهم في حزيران ١٩٥٠ بعد ان ظلت منقطة عامين كاملين .

اليهود يديرون ظهورهم للوسيط

في ٥ آب زار الوسيط الدولي تل أبيب ، وتحدث الى وزير الخارجية شرتوك . وجرى بين الاثنين حديث حول عدة نقاط منها : مسألة تزويد القدس بالمؤن فقال شرتوك للوسيط : « ما شأنك وتموين القدس ، ولا سيما بعد ان تحسن وضع اليهود العسكري فيها ، بعد الهدنة الأولى . فالقدس اليوم حرة ، تستطيع ان تمرن نفسها كما تشاء . ولا يجوز بعد اليوم اعتبارها مدينة محصورة . »

ليس هذا فحسب ، فان من حق اليهود - على رأي شرتوك - ان يأثروا للقدس بالمقادير التي يريدونها من الأسلحة ومعدات القتال . فان التنقل ضمن منطقة واقعة تحت النفوذ اليهودي مسألة داخلية بحتة ، لا شأن لهيئة الامم بها .

فاعترض الوسيط على هذا الرأي قائلاً ان العرب ايضاً ، في هذه الحالة ، يستطيعون الادعاء بان الهدنة لا تربطهم . ولهذا فانهم غير مسؤولين عن تزويد القدس بالماء . وإذا حال العرب دون وصول الماء للقدس مات اليهود عطشاً . ولا يجوز عندئذ اتهامهم بانهم خرخوا الهدنة .

وبحث الاثنان ، برنادوت وشرتوك ، مسألة نزع السلاح عن القدس . فحاول شرتوك في بادىء الأمر التملص من هذا البحث . ولكنه بعد لأي وافق على الرأي التالي : يجب أن لا تزج القدس في أية أعمال عسكرية ، إذا ما نشبت الحرب من جديد في فلسطين . وأما اللاجئون العرب فلم يستطع الوسيط ان يزحزح شرتوك عن موقفه تجاههم أنه لا يوافق على عودتهم إلى ديارهم . واكتفى بالقول أن اليهود على استعداد للدخول في مفاوضات للصلح مع العرب ، على أن يبحث الفريقان معاً جميع المشاكل المرتبطة بمستقبل فلسطين .

المشروع العربي لتجريد القدس من السلاح

احتتمح الوسيط السدولي ، في ٦ آب ، بقائد الجيش العربي غلوب باشا ، وبحث الأثنان الخطوات الواجب اتخاذها لانتهاء الوضع القائم في القدس ، وهو وضع لا يسر أبداً . وقال القائد للوسيط ان الجيش العربي لا يعارض في نزع السلاح عن القدس . وكان هذا (اي الجيش) قد أعد مشروعاً اعتبره الوسيط عملياً للغاية من أجل الوصول الى الهدف المنشود .

والمشروع العربي يتلخص فيما يلي : -

- ١) أن التسوية المتصودة من نزع السلاح تسوية مؤقتة ، لا تؤثر على التسوية النهائية لمستقبل القدس . ومصير القدس يتوقف على التسوية النهائية لمشكلة فلسطين بوجه عام .
- ٢) إن حدود المنطقة المنزوع سلاحها في القدس ، لأسباب تتعلق بالامن ولصيانة الأماكن المقدسة ، يجب أن تشمل سن الأراضي ، مساحة أكبر من المساحة التي تتألف منها منطقة البلدية أو منطقة تنظيم المدينة ، كأن يدخل في هذه المنطقة شعفاط من الشمال والعيسوية والعيزرية من الشرق ؛ وبيت لحم وبيت جالا من الجنوب ، ولفتا من الغرب
- ٣) يسمح بتزويد اليهود بالضرورات والمواد اللاعسكرية ، شريطة ان يتم ذلك تحت اشراف لجنة مختلطة من رجال هيئة الأمم ، ومن العرب واليهود .
- ٤) يدير العرب مناطقهم ، وكذلك يفعل اليهود ، يتولى رجال هيئة الأمم إدارة المصالح العامة كتزويد المدينة بالكهرباء ، والماء ، والمجاري ، والتلفون .
- ٥) يتولى رجال البوليس من عرب ويهود حفظ الأمن كل في منطقتهم باعداد متساوية . ويزود كل منهما بقدر متساو من الاسلحة البوليسية المعتادة . ويتولى الحراس الدوليون حراسة التخوم الكائنة بين المنطقتين .
- ٦) يجب أن يفهم ان (التجريد من السلاح) معناه العودة بقدر الامكان الى الحياة العادية . أي أنه يجب أن يسمح للعرب واليهود ان يستعيدوا منازلهم .
- ٧) بالرغم مما تقدم يجب تخطيط الحدود بين الفريقين بشكل يتناسب والوضع الذي هي عليه ممتلكات الفريقين .

٨) على أصحاب المباني ؛ الذين ليسوا بعرب ولا يهود ، ان يختاروا المنطقة التي يرغبون في الانتفاء اليها .

٩) تبقى المباني الحكومية مؤقتاً في حوزة المراقبين الدوليين .

١٠) تعاد الأموال المنقولة المغتصبة إلى اصحابها ، أو يدفع لهم تعويض لقاءها ، ولا سيما في المناطق التي احتلت من غير قتال خلاقاً للهدنة التي كانت في ١٤ - ١٥ أيار .

١١) يسمح بزيارة الأماكن المقدسة اليهودية في أوقات وأعداد معينة ، وفي حراسة

حراس من هيئة الأمم .

١٢) يجب احصاء الأملاك العربية التي بيد اليهود في أقرب وقت ممكن لئلا يعمل

اليهود على تخریبها .

هذا هو المشروع الذي اقترحه قائد الجيش العربي لنزع السلاح عن مدينة القدس .

نشرت الصحف يومئذ ملخص . وقد اطلعت على نصه الكامل في الصفحة ٢٠٦ من

مذكرات الوسيط .

وفي الذيل تفسير للمعنى المقصود من (تجريد السلاح) وهو (١) إزالة جميع المؤسسات

ذات الصبغة العسكرية ، وأعمال الدفاع من أي نوع كان ، سواء اكانت هذه مؤقتة ام

دائمة . (٢) سحب الأسلحة جميعها من المنطقة المجردة . (٣) اخراج جميع أفراد القوات

المقاتلة من المنطقة ، سواء في ذلك النظاميون وغير النظاميين . (٤) عدم السماح للمقدسین

المسرحين ، الذين يريدون الرجوع الى اشغالهم المدنية ، بدخول المنطقة قبل الوصول

الى حل نهائي أو يعقد اتفاق بين الفريقين .

ولما عرض الوسيط ، في اليوم التالي ، هذا المشروع على الدكتور جوزيف ، الحاكم

العسكري اليهودي لمدينة القدس ، رفضه . ولم يشأ ان يتقدم بأي مشروع اخر من شأنه

تجنيب القدس ويلات الحرب فيما إذا استؤنفت .

وكذلك فعل شرتوك وزير خارجية اسرائيل ، الذي قال للوسيط ، عندما بحثا

مشروع نزع السلاح عن القدس ، ما يلي : -

« طالما ان موقف اليهود الحربي في القدس قد تحسن ؛ فليس ثمة ما يدعو الى اعتبار

المدينة منطقة محاصرة . وبالتالي فليس ثمة ما يدعو الى تقييد المواد الغذائية (التي ترسل

اليها . واني أرى انه يجب رفع كل حظر على تصدير الأسلحة الى القدس . وأما مسألة

المواصلات مع القدس ، فانها مسألة يهودية محلية ، لاشأن لأحد بها . وللقدس ان تتلقى

بعد اليوم ما تشاء من غذاء وأسلحة دون تقييد .»

فقال له الوسيط : « اذن فمن حق العرب ان يمنعوا عن القدس اليهودية الماء . »
وهكذا فشلت المفاوضات التي تولاها الوسيط الدولي من اجل تجريد القدس من
السلح ، بسبب رفض اليهود لها .
ويقول الكونت برنادوت في مذكراته ان إسرائيل لا تنطوي على حسن النية ، وان
طلبات اليهود عبارة عن سلسلة لا أول لها ولا آخر ، وأنه صرح شرتوك في معتقده هذا
واعترف الكونت في مذكراته هذه ان العرب قدموا كل مساعدة ممكنة ، لا سيما
بعد الهدنة الثانية .

حوادث خرق الهدنة

وفي ٩ آب دام تبادل النار بين العرب واليهود بباب الخليل وحي النبي داود تسع
ساعات . ولكن لم يقتل من جرائه سوى جندي من جنود الجيش العربي . وكذلك قل
عن الحال في اليومين التاليين ، إذ قتل في ١٠ آب عربي من سلوان وقتل في ١١ آب
شخص آخر من القرية نفسها .

العرب ينسفون مضخة المياه في محطة اللطرون : -

ُنسفت مضخة المياه في محطة اللطرون . نسفها مناضلون ينتمون الى فرقة الجهاد
المقدس^(١) من العرب وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر آب ويقول الوسيط
الدولي أن هذا العمل ما كان ليقع لو كانت هيئة الأمم لبت نداءه وزودته بالعدد الذي
طلبه (٤٠) من البوليس الدولي المسلح . هذا كان جواب العرب على المساعي التي كان
يبدؤها الوسيط الدولي من اجل تعميم خط المياه بين رأس العين والقدس ، وتزويد اليهود
بالماء ، وكانت محطة اللطرون قد وضعت تحت اشراف هيئة الأمم ، وكان الوسيط قد
زارها قبل ذلك ببضعة أيام ، وتفقد الأعمال التي كانت قائمة فيها ، وكان يرافقه في
تلك الزيارة الجنرال لاندرستروم Lohdström السويدي كبير المراقبين الدوليين في
قطاع القدس .

(١) حدثني من اثق بصدق حديثه من رجال الجهاد المقدس أنه اشترك في عملية النسف هذه زهاء مئة
وخمسين مناضلا من المناضلين الذين ينتمون الى فرق الجهاد المقدس ، وأنه استشار الملك عبد الله قبل الاقدام
على هذا العمل ، فابدى ارتياحه لذلك .

اما المحطة فانها داخله في المنطقة الحرام ، واما الماكنت والادوات التي كانت في داخلها فما كان ينقصها الاقليل من العناية لتصبح في وضع يمكن تشغيلها . وكان على المهندسين اليهود الذين استخدمهم المراقبون الدوليون ان يبدأوا العمل هناك بعد ظهر ذلك اليوم .

وكان رئيس الجزء اليهودي من بلدية القدس قد افهم الوسيط ان اليهود في خطر متزايد من جراء قلة الماء ، وان المصلحة تقضي بالاسراع في تعمير الخط ، اذا ما اريد انقاذ السكان من العطش .

وتعاقب بعد ذلك تبادل النيران بين الفريقين على طول جبهات القتال في القدس . واما في الجبهات الفلسطينية الأخرى فلم يحدث شيء ، سوى أن اليهود راحوا يجدون في استقدام المهاجرين من ابناء جلدتهم ، ليكونوا على استعداد للقتال اذا ما جد الجد . وقد هبط فلسطين من هؤلاء ما لا يقل عن ثلاثة آلاف شاب في سن القتال خلال المدة التي انقضت بين الهدنة الثانية و ١٢ آب .

تجدد القتال في باب النبي داود

وفي وقت متأخر من مساء اليوم التاسع عشر من شهر آب زحف المناضلون الفلسطينيون من باب العمود الى باب المغاربة . ومنه الى باب النبي داود . وهناك اشتركوا مع سرية من سرايا الجيش العربي في قتال اليهود . وكان يقود المناضلين القائد منيب اللبان . واما جنود الجيش فكان يقودهم الوكيل ياسر يعيش . واستعمل الفريقان ، العرب واليهود ، في هذه المعركة مدافع الهاون والمورتر . كما استعملوا رصاص البنادق وقنابل الملمز والقنابل المحرقة . وراجمات الالغام . وكانت المسافة بين خطوط الفريقين لا تزيد على مئتي متر . وكان بين المقاتلين اليهود عدد من النساء المقاتلات . ودامت المعركة حتى مطلع الفجر .

ولم يخسر العرب في ذلك اليوم سوى جندي من جنود الجيش العربي . وكذلك كان الحال في اليوم التالي (٣٠ آب) فقد خسر العرب شهيدا من مناضلي القدس .

اليهود يقصفون بمدافعهم الحرم القدسي

وفي ٢٢ آب ١٩٤٨ سقطت قنبلتان من عيار ست بوصات على ارض الحرم ،

واحدة عند البراق على مقربة من حارة المغاربة ، والثانية على سطح المسجد الأقصى . ولكنها لم تحدثا ضررا . سوى أن مناضلا واحداً من حلحول قد لاقى حتفه .

ولقد اعاد اليهود الكرة في اليوم التالي (٢٣ آب) فضربوا البلدة القديمة بمدافع الهاون ، فسقطت احدى القنابل على سطح الصخرة من الناحية الشرقية ، وانفجرت ولكنها لم تصب احدا . وسقطت ثانية على مقربة من اختها ، الى الشمال الشرقي من الصخرة ولكنها لم تنفجر بالمرّة . وسقطت ثالثة على مقربة من سلوان فقتلت مناضلا من ابنائهم - ا .

تجدد القتال في قطاع النبي داود

وفي ٢٧ آب ١٩٤٨ قتل اليهود النائب امين السيد علي المصري الذي ارسله قائد السرية احمد الظاهر الديك من دير ابي سعيد لتفقد الحراس في الاستحكامات الامامية كما قتلوا الجندي عليان علي الذي ارسله هذا لسحب جثة اخيه . فتمكن الجنود من سحب جثة الجندي القليل ولكنهم لم يتمكنوا من سحب جثة النائب التي ظلت مطروحة امام دار القاصد الرسولي في القطاع المذكور الى ان قذفها اليهود بالقنابل المحرقة . وظلوا يقذفونها حتى اصبحت رمادا . الأمر الذي حدا بالعرب الى الانتقام والاخذ بالثأر . فجاءت حظيرة من الحظائر المنخرطة في فرقة التدمير . جاءت حاملة الألغام ودمرت دار القاصد الرسولي على من فيها كما دمرت بعض المنازل العربية المجاورة لها . انها فعلت ذلك كارهة . وما كانت لتفعله لولا ان اليهود المقاتلين كانوا متحصنين فيها . بدليل انهم عثروا - تحت الردم - على خمسين جثة من جيش اليهود الذين كانوا هناك يقاتلون . وبلغ القتال في ١ أيلول ١٩٤٨ أشده . فانسحب اليهود من حي النبي داود وجاء العرب فاحتلوه كما احتلوا الكنيسة الالمانية المعروفة ب (الدور ميشيون) . وصعدوا الى برجها . وراحوا من هناك يسيطرون على الخطوط اليهودية في الجبهات الاخرى . وكافهم هذا النصر خمسة شهداء : واحد من الجيش العربي واربعة من المناضلين الفلسطينيين . وجرح ثلاثة .

إلا ان المراقبين الدوليين جاءوا في مساء اليوم نفسه فاخرجوهم منه . والغريب ان هؤلاء المراقبين لم يستطيعوا اخراج اليهود من اية بقعة احتلوها في غضون الهدنة .

ولذلك ساد الاعتقاد بين السكان بان جل هؤلاء المراقبين يهود . ومن لم يكن منهم يهوديا بالاصل فانه باخ ضميره لليهود تلقاء المبالغ الطائلة التي قبضها منهم . واليهود اقدر الناس طرا في هذا المضمار .

وقد لاقى حتفه في اليومين الاخيرين (٢٦ و ٢٧ آب) مناضل من حارة السعدية ، وآخر من وادي موسى ، وثالث من قبلان ، ورابع من العيزرية .

اليهود يعاودون قصف الحرم

وفي ٣٠ آب ١٩٤٨ سقطت قنبلة من عيار بوصتين على سطح الصخرة ، على مقربة من غرفة اللاسلكي ، ولكنها لم تحدث ضرراً . وأصابت قنبلة أخرى رجلاً من عرب السواحرة فقتلته .

وأوقف اثنان من المسلحين ، بعد ظهر ذلك اليوم ، قنصل ايطاليا في العقبة الكائنة الى الشرق من باب الاسباط ؛ وسلبوه حقيبتة . اذ ظنوه جاسوسا لليهود . وفي ٢ ايلول قتل مناضل من سلوان .

وفي ٤ ايلول ١٩٤٧ عاد الفريقان ، فتبادلا اطلاق النار في حي النبي داود . وما كانت المسافة بينهما تزيد على خمسين متراً . حتى كان كلاهما يسمع كلام الآخر . وما كان كلاهما ليخرج عن دائرة السب والشتم . وظلا على تلك الحالة حتى مطلع الفجر .

معارك (تل المكخر) في قطاع بير السبع

في ٩ سبتمبر ١٩٤٨ عقد المصريون في مقر قيادتهم بالمجدل مؤتمراً عسكرياً كان من جملة قراراته ان تتسلم الكتيبة التاسعة الخط الممتد بين عراق المنشية وبيت جبرين . الطريق الرئيسي الذي يفصل الشمال عن النقب . وتمتد من المجدل حتى الخليل . وكان يقوم على مقربة من هذا الخط عدد من المستعمرات اليهودية نذكر منها (غات) على مقربة من عراق المنشية و (نقبا) على مقربة من عراق سويدان و (رخاته) على مقربة من الحمامة و (غان بينا) و (بيار تعيبا) على مقربة من أسدود .

فاتثلت الكتيبة الأمر الذي أعطى لها من القيادة . فاحتلت اهم المواضع الكائنة على هذا الخط . وبهذا تبعثرت بعثرة لم يكن ابدأ في صالحها . لا ، ولا هو في صالح القرى الواقعة في نطاقها . وفيما كان رجال هذه الكتيبة يحفرون الخنادق ويستطلعون اخبار

العدو الرابض من حولهم ، تلقوا أمراً من رئاسة اللواء الرابع بالزحف صوب (المكخر) الذي استتاه اليهود ، وراحوا يتحصنون فيه .

فغادرت عراق المنشية قوة مصرية مؤلفة من فصلين من المشاة قوامهما سبعون جندياً معهم سيارتان مدرعتان وست حمالات وفتة من المدافع المعروفة بفيكرز . وهاجمت تلك القوة تل المكخر في تمام الساعة الرابعة من بعد الظهر (؟) المشاة من يسار التل والحمالات من اليمين . وانضم اليهم اثناء الهجوم عدد غير قليل من المناضلين الفلسطينيين . وما كادت الساعة تدق السادسة والرابع حتى كان التل (تل المكخر) قد سقط بيد العرب . فدخلوها مهللين مكبرين . وغادرها المصريون . وبقي فيها المناضلون . وجاءها اليهود في اليوم التالي بقوات كبيرة ، فاحتلوها . عندئذ أصدرت رئاسة اللواء امرها الى الكتيبة التاسعة نفسها باحتلالها . ولكنها عادت ، فالغت أمرها هذا . وأمرت الكتيبة الاولى التي كانت يومئذ مرابطة في الفالوجة باسترداد (المكخر) . فصدعت هذه للامر . وقاد الهجوم زكريا محي الدين . واستعان هذا بفصيحة الحمالات من الكتيبة السادسة . تلك الفصيحة التي قادها الجاويش عبد الفتاح في معركة المكخر قبل يومين . وتمكنت الكتيبة الاولى من احتلال المكخر ثانية . ولكنها ما كادت تمكث فيها ساعة أو بعض الساعة حتى ساق اليهود إليها قوات كبيرة ، فاخرجوا المصريين منها . أخرجوا الكتيبة الاولى قبل ان يكون قائدها زكريا محي الدين قد وصل إليها .

وبعد ثلاثة أيام صدرت الأوامر بهجوم جديد ، قاده قائد اللواء نفسه . وقد جمع حوله مجموعة هائلة من القوات ، فيها عدد من المدرعات . ولكن هذه القوات سُحبت قبل ان تقوم بمهمتها . سحبت الى ميادين اخرى كان القتال دائراً فيها .

موقف الجيوش العربية في ٢١ ايلول سنة ١٩٤٨

جاء في تقرير رفعه الفريق الركن صالح صائب رئيس اركان الجيش العراقي الى وزير الدفاع العراقي بتاريخ ٢١ / ٩ / ٤٨ عدد ١٢٥ / د أن موقف الجيوش العربية بفلسطين يمكن تلخيصه كما يلي : -

١ - الجيش اللبناني يرابط في الناقورة داخل حدوده . لم يتمكن من القيام بأي عمل بسبب قلة عدده وسلاحه وفقدان تدريبه والنقص في قيادته .

٢ - الجيش السوري يربط في منطقة جسر بنات يعقوب ، لم يتم بعمل يذكر الى الآن سوى احتلاله مستعمرة مشارها يردن على الحدود ، وليس في استطاعته التغلغل في الأراضي الفلسطينية .

٣ - الجيش العراقي يربط في قطاع السامرة ، وهو في حاجة الى بعض انواع الاعتدة ، والى قوة جوية واسعة .

٤ - الجيش الاردني يعمل في مدينة القدس وفي قطاع اللطرون وباب الواد . وحداته موزعة . ليس لديه الاحتياط المطلوب للتعرض الناجح . يفتقر الى بعض انواع الاعتدة

٥ - الجيش المصري ، اكبر الجيوش العربية عدة وعددا . له قوة جوية كافية ، الا انه لم يشترك منه سوى قطعات قليلة . يربط في منطقة النقب . وقواته الامامية في بيت لحم والخليل وبيت جبرين واسدود . لا يفكر في استئناف القتال . لن يتعاون مع الجيوش العربية الاخرى في الحركات المقبلة .

٦ - في فلسطين ثلاثة انواع من المجاهدين :

الاول : جيش الانقاذ ، يقوده القاوقجي ، ويعمل في الجليل .

الثاني : الجهاد المقدس . يسير باشارة من الحاج امين : فريق من افراده يربطون في دير نظام ويعملون مع العراقيين ، وفريق في قطاع القدس يعملون مع الاردنيين ، وآخرون في بيت لحم وحواليها يعملون مع المصريين .

٧ - ليس بين الدول العربية صراحة ولا انسجام .

٨ - الموقف بوجه عام في صالح العدو .

موقف الفريقين من الهدنة

كان العرب اكثر احتراماً للهدنة وشروطها من اعدائهم اليهود . وقال قائل ان احترام العرب لها عاد عليهم بالوبال . واما اليهود فقد نالوا بسبب خرقهم لها ما يبتغون .

ونود ان نلقي في السطور التالية نظرة على ما جرى بين الفريقين بعد ان أعلنت

الهدنة الثانية :

فقد اعلن المستر فيشر ، الملحق الصحفي التابع لهيئة الوساطة الدولية في مؤتمر

صحفي عقده في القدس بتاريخ ١١ تشرين الأول ١٩٤٨ ، ان كبير المراقبين الدوليين كان رفع الى مجلس الامن تقريراً جاء فيه أنه « عقد اجتماعاً في مدرسة المنظران بتاريخ ٧ آب سنة ١٩٤٨ حضره الفريقان وعدد من المراقبين . وما ان خرج الضباط اليهود من مكان الاجتماع حتى اطلقت عليه وعلى من فيه من الضباط العرب ومن مراقبي الهدنة نيران المدافع الرشاشة من الخطوط اليهودية واسفر ذلك عن جرح ضابط عربي هو الملازم الأول عبد الله المجلي ، وجرح شخص مدني كان يعمل في القنصلية الأميركية بينما كان واقفاً بجانب سيارة القنصل وكانت ترفع العلم الأميركي . وينطوي هذا الحادث على خرق صارخ للهدنة . » ولقد انتهى كبير المراقبين تقريره بقوله « حدث في القدس اربعة حوادث تعمد اليهود فيها اطلاق النار على المراقبين . ووصفها بانها انتهاك فاضح للهدنة . »

ولقد اضطر العرب ، في بعض الحالات ، لمقابلة اعمال اليهود بمثلها . فكانت النتيجة ان جرت في القدس ، خلال المدة الواقعة بين اليوم الاول من شهر تشرين الاول ١٩٤٨ والرابع عشر منه ، مئة وسبع وثلاثون مخالفة . ولما اشار الكونت برنادوت الى مخالفات الهدنة في تقريره الذي رفعه الى مجلس الامن ، قال : - « ان اليهود كانوا في الهدنة اكثر عدواناً من العرب . » وما كان اليهود ليجرأوا على خرق الهدنة لولا تهاون المراقبين الدوليين من ناحية ، وضعف هيئة الأمم من الناحية الاخرى . وكان ، في الوقت نفسه ، عدد الارهابيين اليهود في القدس قد ازداد فاصبح فيها اربعة الاف ارهابي معظمهم ينتمون الى عصابة الارغون . وما كان يجدي لردع مثل هذا العدد من الارهابيين وجود عدد ضئيل من البوليس الدولي المسلح بالمسدسات فقط . الامر الذي جعل الوسيط الدولي ؛ الكونت برنادوت ، يلجأ الى مجلس الأمن طالباً قوة عسكرية منظمة لا تقل عن ستة آلاف جندي نظامي . هذا اذا كان ذلك المجلس يريد حقاً الاحتفاظ بقرارات الهيئة ووقف حركة الارهاب وخرق الهدنة .

ولكن المجلس لا يريد . وبعبارة اخرى اميركا لا تريد . فان في خرق الهدنة نفعاً لليهود . وهذا هو السبب في الحوادث التي وقعت بعد اعلان الهدنة ، والتي تفاقم امرها في شهر تشرين الأول ، وفي الشهور التي تلتها . واليك نتفاً من اخبارها :

ففي ٤ تشرين الأول قتل اثنان من المناضلين في دير ابي ثور .

وفي ٦ تشرين الأول شن اليهود هجوماً على المواضع العربية من النوتردام الى المصراة ، ممهدين لهجومهم هذا بوابل من قنابلهم ومن راجمات الالغام . ثم راحوا يزحفون بمشاتهم ، الى ان وصلوا الى مقهى النابلسي على مقربة من باب العمود . ولقد قاموا بعملهم هذا على مرأى من مراقبي الهدنة . ولم يكن في هذا القطاع يومئذ سوى نفر قليل من المناضلين . لا ، ولا من جنود الجيش العربي . إذ أنهم كانوا مقتنعين أن اليهود لن يقدموا على عمل كهذا بسبب الهدنة ، ووجود عدد كبير من المراقبين الذين انتدبتهم هيئة الأمم . ولما رأى العرب أن اليهود لم يبالوا بالمراقبين لا ، ولا قام المراقبون بردعهم . نزلوا إلى الميدان . وما هي الا جولة واحدة حتى كان اليهود قد دحروا إلى الوراء . ورجعوا إلى المواضع التي كانوا فيها من قبل . تاركين ورائهم عدداً من القتلى والجرحى . وفشل اليهود في الاستيلاء على عمارة الدكتور باز^(١) . تلك العمارة التي كانت هدفهم في تلك الليلة .

وفي ٨ تشرين الأول اشتبك الفريقان في قتال استعملا فيه الرشاشات والقنابل الصاروخية . وكان ذلك في قطاع النبي داود ، واسفر القتال عن عدد من القتلى والجرحى من كلا الجانبين . وكان بين القتلى ثلاثة من جنود الجيش العربي : أحدهم يماني ، والثاني كركي ، ولا نعرف شيئاً عن الثالث .

وفي ١٣ تشرين الأول اشتبه فوج من المناضلين الفلسطينيين المرابطين في عمارة مرقص^(٢) بالقائد الجديد (محمد بك ماهر)^(٣) . فراحوا يبحثون أمره . وعندما تعمقوا في البحث ايقنوا أنه جاسوس يهودي الجنس ، الماني المولد فالتقوا القبض عليه . وأرسلوه الى عمان مصفداً بالاغلال . وقتل في ذلك اليوم ثلاثة : - احدهم اردني والثاني خليبي والثالثة مقدسية .

وفي الفترة الواقعة بين ١٦ تشرين الأول و ٢٧ كانون الأول قتل في قطاع القدس ستة وثلاثون عربياً : ثمانية منهم مقدسيون ، وثلاثة خليبيون ، وثلاثة سلوانيون ،

(١) - على بعد مئة متر من السور الى الشمال ، بين النوتردام وباب العمود .

(٢) - كانت هذه العمارة القريبة من باب الخليل يومئذ مقراً لمنظمة الشباب العربي .

(٣) زعم هذا أنه انتدب لقيادة الحظيرة التي كان يقودها (باسر يعيش) الذي ذكرنا نبأ استشهاده

في قطاع النبي داود بتاريخ ٩ أيلول سنة ١٩٤٨ .

وواحد من كل من بيت لحم والطور وساطاف والسواخرة ، والباقون جنود من افراد الجيش العربي .

ولم يقتصر اليهود ، في خرقهم للهدنة ، على مدينة القدس . فقد خرقوها في غيرها من الجهات . من ذلك انهم انزلوا طائرة اردنية مدنية كانت متجهة صوب عمان عبر منطقة الحولة ... وعبروا نهر اليرموك ... وهاجموا مخفراً للجيش العربي في العديسية ، ومسكراً للاجئين هناك ... وأغرقوا الطراد المصرية (فاروق) في مياه المجدل ...

ولئن ضربنا صفحاً عن هذه المخالفات كلها ، فانا لانستطيع أن نضرب صفحاً عن مخالفتهم للهدنة في جنوب فلسطين ، تلك المخالفة التي غيرت مجرى التاريخ في ذلك القطاع تغييراً تاماً . فقد أغاروا بجيوشهم وطائراتهم وسفنهم الحربية على المجدل والفالوجة وجورة عسقلان وعلى غزة وبئر السبع والعريش ، وتغلغلوا في الحدود المصرية زهاء مئة كيلو متراً . وفي الفصل الذي يلي هذه السطور ذكر لمعارك بئر السبع .

اقتراحات الوسيط الاخيرة

ارسل الوسيط الدولي في ١٦ أيلول ١٩٤٨ الى المستر تريجفي لي السكرتير العام لهيئة الأمم تقريره عن الأعمال التي قام بها منذ اليوم الذي انتدبته هيئة الأمم لأعمال الوساطة طالبا وضعه على بساط البحث في هيئة الأمم وقد وضع لتقريره مقدمة جاء فيها : ان الفريقين لم يصلوا إلى أي اتفاق أو إلى أية نقطة يمكن اتخاذها أساساً للاتفاق ، رغم الجهود التي بذلها ، ووسائل الاقناع التي لجأ إليها . ومع ذلك فانه ليس بياأس . وهو يرى ان على هيئة الامم ان تسرع في ايجاد الحل المناسب . ومتى وضعت حلا كهذا وعملت على تنفيذه لا بد وأن يقبله الفريقان دون مقاومة .

وذكر الوسيط بعد هذه المقدمة ، النقاط الأساسية السبع التي يرى انه يجب الأخذ بها عند اقرار الحل الاخير . وهي :

أ - لا بد من عودة السلام إلى فلسطين . ولهذا يجب أن تتخذ جميع الوسائل الممكنة لثلا تستأنف الأعمال العدائية مرة اخرى ، ولتتوطد الصلات الودية في النهاية بين العرب واليهود .

ب - توجد في فلسطين دولة يهودية تدعى (اسرائيل) . وليس ثمة أي سبب جدي للاقتراض بأن هذه الدولة لن تدوم .

ج - تعيين حدود هذه الدولة باتفاق الفريقين ، وإذا لم يتفقا فتعين بمعرفة هيئة الأمم
د - ينظر بعين الاعتبار، عند تخطيط الحدود، الى المبدأ الجغرافي المعروف بالتجانس والجمع بين الاجزاء ، لكلا الطرفين : العرب واليهود ، ولا تعتر الخطوط التي عينها قرار ٢٩ نوفمبر بالحرف الواحد .

هـ - يجب الاعتراف بحق الاشخاص الابرياء الذين اخرجوا من ديارهم بطرق الارهاب وهذيان القتال في العودة الى منازلهم ، وتأكيد ذلك بصورة فعلية . ودفع التعويضات العادلة لأولئك الذين لا يرغبون في العودة .

و - مدينة القدس يجب ان تمنح معاملة خاصة ومنفردة بسبب أهميتها الدينية والدولية وبسبب المصالح المتباينة فيها (١) .

ز - يجب ازالة المخاوف القائمة بين الفريقين ، ولا سيما من ناحيتي الحدود والحقوق الانسانية ، عن طريق الضمانات الدولية .

وبعد هذا ذكر الوسيط توأصيه التي يراها مناسبة لتكون أساساً للحل الأخير :

آ - يجب أن تنقلب الهدنة القائمة (وهي هدنة غير محدودة) الى سلم دائم ، أو إلى مهادنة دائمة من شأنها انسحاب القوات المسلحة وتجريدها من السلاح ، أو التفريق بينها بخلق مناطق واسعة ينزع سلاحها وتوضع تحت اشراف هيئة الأمم .

ب - إذا لم يتفق الفريقان على تعيين الحدود بينهما ، يتولى تعيين تلك الحدود لجنة تعينها هيئة الأمم ، على أن يعاد النظر في الحدود الواردة في قرار التقسيم الصادر في ٢٩ نوفمبر بالشكل الآتي . -

١ - يعطى النقب الى العرب .

٢ - تعطى اللد والرملة الى العرب .

٣ - تعطى الجليل الى اليهود .

١ - قارن بين قول الوسيط هذا وبين ما جاء في مقترحاته التي قدمها للفريقين بتاريخ ٢٧ حزيران

(ج) . يقرر مصير الجزء العربي من فلسطين (الذي لا يدخل في نطاق الدولة اليهودية) من لدن حكومات الدول العربية وباستشارة عرب فلسطين استشارة تامة . هذا مع العلم بان الروابط التاريخية والمصالح المشتركة القائمة بين الأردن وفلسطين تجعل من الضروري الحاق هذا الجزء من فلسطين بالمملكة الأردنية .

(د) . على هيئة الامم ان تضمن حدود الفريقين ، العرب واليهود ، الا اذا اتفق الفريقان على ادخال تعديل عليها .

(هـ) . يجب اعلان ميناء حيفا ، بما في ذلك معامل التكرير والخطوط النهائية لانايب البترول ، منطقة حرة ، دون ان يمس ذلك بحقوق الدولة اليهودية او ادارة مدينة حيفا من حيث ادخالها في الحكم اليهودي . ويجب ان يسمح للاقطار العربية بالدخول الى هذه المنطقة . كما يجب على هذه الاقطار ان لانحول دون اسالة البترول من منابعه حتى معامل التكرير . ومن هذه المعامل يجري توزيع البترول على نفس الاسس التي كانت متبعة من قبل .

(و) . مطار اللد يصبح مطاراً حراً . ويسمح بالدخول اليه والاستفادة من مؤسساته للقدس وللأقطار ذات المصالح .

(ز) . مدينة القدس بحدودها التي عينها قرار هيئة الأمم في ٢٩ تشرين ثاني تعامل معاملة منفردة ، وتوضع تحت اشراف هيئة الامم الفعلي ، على ان تمنح الطائفتان العربية واليهودية ، اقصى ما يمكن من الحكم الذاتي كل في منطقتة ، وان تصان الأما كن المقدسة مع حرية الدخول اليها ؛ وضمان الحرية الدينية .

(ح) . يجب ان يمنح الجميع حق الدخول الى مدينة القدس سواء كان ذلك بالطرق البرية او الجوية .

(ط) . على هيئة الامم ان تؤكّد للاجئين العرب حقهم في الرجوع الى ديارهم في المناطق اليهودية في اقصى سرعة ممكنة . وعلى لجنة التوفيق التي انتخبتهما هيئة الامم ان تشرف على اعادة هؤلاء اللاجئين الى اوطانهم ، واعادة اسكانهم ، ورجوعهم الى حياتهم الاعتيادية ، الاجتماعية منها والاقتصادية ، ودفع التعويض العادل للاشخاص الذين يؤثرون عدم العودة الى منازلهم ، عن الممتلكات التي فقدوها .

(ي) . يجب ضمان واحترام جميع الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التي للعرب في الجزء اليهودي من فلسطين ، وكذلك الحقوق التي لليهود في الجزء العربي منها . وعلى لجنة التوفيق التي ذكرت في الفقرة التالية ان تؤمن ذلك .

(ك) . على هيئة الامم ان تؤسس لجنة مهمتها التوفيق بين الفريقين . على ان تعمل هذه اللجنة تحت اشراف الهيئة .

شهداء : هنا وهناك

وفي الفترة الواقعة بين ٧ ايلول و١٧ قتل اثنان وعشرون شخصاً من سكان بيت المقدس ، ستة منهم ارمن ، وستة من المناضلين المقدسيين ، ومناضل من نابلس ، وآخر من سلوان وضابط من ضباط الجيش العربي ، وثمانية من جنوده .

شهداء : هنا وهناك

وفي ١٨ ايلول قام اليهود بهجوم واسع النطاق على المواضع العربية في القدس فقابلهم العرب بالمثل . وقتل مناضل من سكان حارة المغاربة بالقدس وفي ١٩ ايلول قتلت امرأة من سلوان ، كما قتل ثلاثة من جنود الجيش العربي .

من حوادث خرق الهدنة

وفي ٢١ ايلول ١٩٤٨ تسلل اليهود الى عمارة البنك العربي والعمارات المجاورة لها (١) والكائنة في ساحة باب الخليل . فنسفوا بناء عربياً .

ولقد اعاد اليهود الكرة في اليوم التالي ، فنسفوا بناء آخر .

ولقد اطلعت على تقرير ارسله وكيل منظمة الشباب في القدس ، صبحي القطب ، الى امر المنظمة المذكورة ، تاريخه ٢٣ ايلول ١٩٤٨ ، وقد جاء فيه : -

« ان اهمال جنود الجيش العربي المتمركزين على السور فوق باب الخليل قد جعل اليهود يتسللون الى عمارة البنك العربي الكائنة في ساحة باب الخليل والتي ترى بجلاء من استحكاماتهم . وسبب تسلل اليهود نسف بناء عربي وستارا كثيفا من الدخان ،

لو تسلل اليهود تحته الى باب الخليل لدخلوه بسهولة . ولم يطلق رجال الجيش العربي هناك من اسلحتهم شيئاً . »

وفي ٢٢ أيلول قتل مناضل ، من دير الشيخ ؛ كما قتل جنديان من جنود الجيش العربي .

اليهود يغتالون الوسيط الدولي :

وفي ١٧ ايلول ١٩٤٨ اغتال اليهود الكونت فولك برنادوت (١) الوسيط الدولي ، كما اغتالوا رفيقه الكولونيل اندره بير سيرو (٢) الأفرنسي كبير المراقبين الدوليين في الخطوط العربية . اغتالوهما على يد اثنين من رجال العصابة الارهابية المعروفة ب (اشترن) (٣) وكان ذلك في الحي اليهودي بين رحافيا والطالبية . ذلك لانهم اطلعوا على التقارير التي رفعها الكونت الى مجلس الامن ، والى هيئة الامم ؛ فاعتبروها لانتفق مع مطامعهم . وكانوا ، قبل ذلك ، يرتابون في سلوكه ويعتبرونه ميالا للعرب ولم يمتص على ذلك يوم او بعض يوم حتى نشر التقرير الذي رفعه الوسيط الى هيئة الأمم ، وكانت يومئذ مجمعة في باريز (٢١ أيلول) .

ويجدر بنا ان ننزل في السطور التالية بعض ما فعله ، او قاله الكونت برنادوت في مذكراته التي نشرت بعد اغتياله ، فقد قال في احد المواضع ما يلي :

« ومن المؤسف حقاً ان هيئة الامم عاجزت عجزاً مفضوحاً في تنفيذ جميع قراراتها سواء ما كان منها ذا اهمية او كان قليل الاهمية . وكان تنفيذ اي قراراتها يتأثر اولاً وآخراً بنفوذ الدول الكبرى ، لا بنفوذ الهيئة ، وقراراتها . . . وبعبارة اخرى كانت هيئة الامم اداة مسخرة بيد الدول الكبرى . »

Count Folke Bernadotte 1

Colonel André P : Sérot (2

(٣) ذكرت مسز اثريدج Willie Snow Ethridge عقيلة المستر اثريدج العضو الاميركي في لجنة التوفيق السولية ، في الصفحة ١١٧ من كتابها Going to Jerusalem ان رث عقيلة القائد اليهودي موشه دايان حدثتها عندما التقيا في تل ابيب بالارهابي المعروف بتربرغسون Peter Bergson ، انه اي « بتربرغسون » ذو صلة بمقتل الكونت برنادوت ، وانه من حزب (حيروت) وأن اسمه الاصلي هيلل كوك

Hillel Cook

وقال في موضع آخر : -

« ان اليهود رفضوا كل عرض عرضته عليهم . ذلك لأن الانتصارات القليلة القيمة التي نالوها في خلال الأيام العشرة التي مرت بين الهدنتين قد غررت بهم ، ونفخت اوداجهم وجعلتهم شامخين متعجرفين . . . »

« وقال في موضع آخر . :

« كثيرا ما شكنا الي « المراقبون الدوليون واعضاء هيئة الوساطة ، من اليهود ، ومن غطرستهم واستحالة التعاون معهم . . . »

وقال في موضع آخر : -

« ان تقارير جميع المراقبين الدوليين تدل على ان اليهود لا العرب هم المعتدون دائماً . ويظهر ان هذه الاقوال قد تسربت الى آذان اليهود بشكل من الاشكال . فايقنوا انه لن يتيسر لهم الوصول الى ضالتهن المنشودة الا اذا تخلصوا منه . وقد تخلصوا . ولم تحرك هيئة الامم التي انتدبته لمهمة الوساطة ساكنا لقاء ما فعلوا
ورفع الدكتور رالف بانس ، الذي قام باعمال الوساطة بعد مقتل الكونت برنادوت تقريره الى مجلس الامن وقد جاء فيه :

« ان اليهود هم المسؤولون عن مقتل الكونت برنادوت وان السلطات اليهودية اهملت واجبها ، ولم تتخذ التدابير اللازمة للمحافظة على سلامة الكونت ، رغم انها ابلغت سلفا عن الطرق التي سيسلكها ، وان ضابط الأرتباط اليهودي هو الذي اختار سلوك الشوارع والطرق التي اغتيل فيها .

وقد اتهم الدكتور بانس حاكم القدس اليهودي ، برنارد جوزيف ، قائلاً : انه يتزعم حملة ارهابية ضد هيئة الوساطة الدولية .

ومن شاء المزيد من المعلومات عن الوسيط الدولي ، فارجع الى مذكراته التي لم تترك في هذا الباب زيادة المستزيد (١) .

(١) نشرت هذه المذكرات باللغة السويدية ، وقد ترجمها الى اللغة الانكليزية Joan Bulman بعنوان To Jerusalem وطبعت في مطبعة Hodder And Stoughton بلندن عام ١٩٥١ ونشرت ترجمتها الى اللغة العربية تباعا في جريدة (الدفاع) المقدسية بقلم الكاتب المعروف يوسف حنا .

مؤتمر غزة وحكومة عموم فلسطين

في اليوم الأول من شهر تشرين الأول ١٩٤٨ انعقد في غزة مؤتمر حضره عدد من اهل الرأي بفلسطين ، دعت اليه الهيئة العربية العليا لتنفيذ قرارها الذي اصدرته في القاهرة بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٤٨ ، وهذا نصه :

كانت الهيئة العربية العليا قد اعتمدت ايجاد نظام سياسي في البلاد يقوم على تحقيق الرغبة العامة في التمثيل الصحيح . فبدأت الخطوة الأولى من ذلك بتشكيل اللجان القومية وقررت الآن اتخاذ الخطوات الأخرى لاقامة هذا النظام . وذلك بتشكيل ادارة قومية عامة لفلسطين باكملها ، على أن تتألف هذه من :

١ - رئيس أعلى .

٢ - مجلس وطني عام

٣ - مجلس تنفيذي له رئيس مسؤول ينال ثقة المجلس الوطني العام .

وستعمل الهيئة العربية العليا على تنفيذ هذا المشروع خلال الاشهر القادمة
وعندما اجتمع المؤتمر في غزة (١) وكان عددهم خمسة وثمانين (٢) ، الفوا مجلساً اسموه

(١) . عقد المؤتمر في مدرسة الفلاح الاسلامية التابعة صلحة الوقف .

(٢) ثمانية منهم اعضاء في الهيئة العربية العليا وعشرة من رؤساء بلديات واربعة عشر من رؤساء المجالس المحلية وواحد وعشرون من مندوبي اللجان القومية واثنا عشر من اعضاء الوفود التي انتدبت في الماضي للدفاع عن القضية الفلسطينية في اوروبا وستة من مشايخ العشائر واربعة ممثلون لنقابات المهندسين والاطباء والصيدلة والمحامين . ولقد نشرت مجلة (المصور) المصرية تي صدرت في اليوم التالي صورة فوتوغرافية لقرار المؤتمر ، استطعنا ان نتبين منها التواقيع التالية :

الحاج امين الحسيني . احمد حلمي باشا . علي حسنا . ميشال ابكار يوس ، الشيخ حسن ابو السعود . رجائي الحسيني ، يوسف صهيون ، امين عقل ، الدكتور فوني فريج ، ميشال عازر ، اميل الغوري ، حمدي الحسيني ، واصف كبال ، اديب الريماوي ، محمد علي الكيالي ، اكرم زعيتر ، محمد العفيفي ، فارس سرحان . خايل حليف ، فيصل نابلسي ، حسين ابوسته ، حسن جمعة الافرنجي ، حسن ابو جابر ، توفيق جبران ، خليل السكاكيني ، احمد عبد العزيز مهنا . محمد رجب ابو رمضان ، رشدي الامام الحسيني محمد علي الصالح ، عبد الله سمارة ، محمد صبري عابدين ، فائق بسيسو ، يوسف الصايغ ، السيد ابو شرح ، احمد العكي ، علي رضا النحري ، رفيق التميمي ، محمد رفيق اللباييدي ، موسى عمران ، عوني عبد الهادي سعيد حمدان ، فهمي الاغا ، عبد الرحمن الغرا ، محمد عواد علي احمد العطار ، احمد محمد حجة ، عيسى نخله طلعت يعقوب الغصين ، رشاد يوسف السقا ، حسني خيال ، كامل القاضي ، عبد الرحيم ابولبن . عبد ربه ابوشقره ، حسن محمد الزير ، محمد احمد ابو عادرة ، زكي محمد عبد الرحيم ، انور نسيه .

(المجلس الوطني) وانتخب هذا المجلس حكومة اسمها (حكومة عموم فلسطين) .
واصدر المجلس الوطني قرارا جاء فيه مايلي :

« بناء على الحق الطبيعي والتاريخي للشعب العربي الفلسطيني في الحرية والاستقلال .
هذا الحق المقدس الذي بذل في سبيله زكي الدماء ، وقدم من اجله اكرم الشهداء ،
وكافح دونه قوى الاستعمار والصهيونية التي تألبت عليه وحالت بينه وبين التمتع به ،
فاننا نحن اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في غزة هاشم نعلن هذا اليوم الواقع
في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٦٧ وفي اول تشرين الأول ١٩٤٨ ، استقلال
فلسطين كلها التي يحدها شمالا سورية ولبنان وشرقا سورية وشرق الأردن وغربا البحر
الأبيض المتوسط وجنوباً مصر ، استقلالاً تاماً ، واقامة دولة حرة ديموقراطية ذات
سيادة يتمتع فيها المواطنون بحرياتهم وحقوقهم ، وتسير هي وشقيقاتها الدول العربية
متآخية في بناء المجد العربي وخدمة الحضارة الانسانية ، مستلهمين في ذلك روح الأمة
وتاريخها المجيد ، مصممين على صيانة استقلالنا والذود عنه . والله تعالى على
مانقول شهيد . »

وعهد برئاسة الحكومة الى احمد حلمي باشا عبد الباقي (١) . فتولى جمال الحسيني

(١) « احمد حلمي باشا » ولد في صيدا سنة ١٣٠٠ هـ - ١٨٨٢ م وكان والده عبد الباقي ضابطاً في
الجيش العثماني . تلقى دراسته الاولى في سوريا وفلسطين ودرس على يد اساتذة خصوصيين . ملّم بالشؤون
المالية . وكان في العهد التركي محاسباً في لواء الديوانية من اعمال العراق . وكان مديراً لاملاك الدولة في
لواء العمارة . وعندما نشبت الحرب الكونية الاولى « ١٩١٤ » انتدب قائداً لفرقة المتطوعين في جبهة العراق
تلك الفرقة التي سقطت على يدها « كوت العما » سر القائد البريطاني « طوسند » .

وفي العهد الفيصلي بسوريا عين وزيراً ورئيساً للعالية « ١٩١٨ » . وعندما احتل الافرنسيون سوريا رحل
الى شرقي الاردن فاسندت اليه وزارة المالية . كما اسند اليه الملك حسين نظارة الخط الحديدي . ثم هبط
فلسطين فعين مراقباً عاماً للاوقاف « ١٩٢٥ » وقد اشترك ميسر البنك العربي ١٩٣٠ وعن مديراً له .
ثم اسس البنك الزراعي ، واستبدل اسمه بعدئذ فصار « بنك الامة العربية » وهو مديره العام . انه مؤسس
الجمعية الخيرية الصلاحية في القدس ومن المؤسسات التابعة لهذه الجمع معهد ابناء الامة بالبيرة وقد اسس
صندوق الامة . نفاه الانكليز الى سيشل عام ١٩٢٧ مع من نفوهم من احرار البلاد . ثم اطلقوا سراحه في
١٩٣٩ . ترأس الغرفة التجارية بالقدس كما ترأس معظم المؤتمرات الاقتصادية التي انعقدت في فلسطين . كان
عندما نشبت الحرب الفلسطينية عضواً في الهيئة العربية العليا ونائباً لرئيسها الحاج امين . كما كان عضواً في اللجنة
الاقتصادية التابعة لمجلس الجامعة العربية . وله يرجع الفضل في الدفاع عن بيت المقدس في الفترة التي قامت
بين رحيل الانكليز عن هذا البيت « ١٤ ايار ١٩٤٨ » ومجيء الجيش العربي اليه « ١٩ ايار سنة ١٩٤٨ »

وزارة الخارجية وميشال ابكار يوس وزارة المالية وعوني عبد الهادي (١) وزارة الشؤون الاجتماعية ورجائي الحسيني وزارة الدفاع والدكتور حسين فخري الخالدي وزارة الصحة وسليمان عبد الرزاق طوقان (٢) وزارة المواصلات والدكتور فوتي فريج وزارة الاقتصاد وعلي حسنا وزارة العدل ويوسف صهيون وزارة الدعاية وامين عقل وزارة الزراعة . وانتدب انور نسيبة سكرتيراً لمجلس الوزراء .

واذاع رئيس الوزراء ، فور تأليف الحكومة ، بيانا جاء فيه ما يلي :

« في اليوم الخامس عشر من شهر ايار سنة ١٩٤٨ زال عن بلادنا المقدسة الانتداب البريطاني الذي لم تعترف به الأمة في وقت من الأوقات . وزالت بذلك العقبة الكأداء التي كانت تقف في سبيل ممارسة الامة حقها الطبيعي الشرعي في الاستقلال . واصبح الفلسطينيون احرارا في ممارسة جميع الحقوق التي تمارسها الأمم المستقلة . وصار من حقوقها ومن واجبها ان يتولى ابناءؤها بنفسهم شؤونهم السياسية والادارية والمدنية ، وان يعملوا جاهدين على انقاذ وطنهم وصيانة ابنائهم وذرياتهم . ولئن حالت ظروف قاهرة فور انتهاء الأنتداب دون ان يخطوا الخطوة الايجابية في هذا السبيل ، فقد ذلت هذه العقبات الان ، ولم يعد هناك اي مبرر للتأخير . ولذلك قررنا بعد الاتكال عليه تعالى واستنادا الى حقنا الطبيعي والى تاييد الحكومات ومؤازرة البلاد العربية حكومات وشعوبا والى قرارات الجامعة العربية تأليف حكومة لفلسطين بكامل حدودها المعروفة قبل ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ لتضطلع بالمهام التي يطلبها الموقف واستكمال اسباب العمل باعتبارها حكومة ديموقراطية مسؤولة امام مجلس وطني تمثيلي الى ان يتيسر القيام بانتخاب جمعية تأسيسية تضع دستور البلاد ، وتقرر نظام الحكم فيها على ان تكون القدس عاصمة البلاد وان تستقر الحكومة موقتا في مدينة غزة احدى بلدان هذا القطر العربي الكريم .

« وفي هذا اليوم التاريخي الذي نعلن فيه تأليف هذه الحكومة الفتية ندعوك باسم الوطن المقدس الى توحيد الكلمة والعمل صفا واحداً لصد العدوان الاثيم عن مقدساتك وتراث آبائك واجدادك ومهد ابنائك واحفادك وسجل مفاخرك واججادك ، والى

(١) قبل الوزارة ثم استقال .

(٢) لم يقبل الوزارة .

التعاون الوثيق مع الجيوش العربية الباسلة التي تحارب في سبيل تحرير بلادك لتصل عالي الرأس الى اهدافك . امدك الله بعونه وشملك بعنايته وايدك بروح من عنده .

هذا واننا لنرى من الواجب ان نرفع ايات الشكر والامتنان مشفوعة بالتعظيم والتكريم لأصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك العرب ورؤساء جمهورياتهم وامرائهم . ونزجي الشكر لجامعة الدول العربية ورجالات العرب والجيوش العربية وقوادها وللمناضلين الابرار ولللام الاسلامية والشرقية التي آزرت قضية فلسطين بما ابدوه من عطف سام وشعور نبيل على عرب فلسطين ، ولما بذلوه من مساعدات كريمة في سبيل انقاذ البلاد المقدسة .

واننا لنقف خاشعين لذكرى الشهداء الابرار الذين سقطوا في ميدان الشرف والجهاد دفاعا عن الدين والوطن والكرامة ، معاهدين الله تعالى والامة العربية في فلسطين والوطن العربي الكبير على ان نواصل العمل بكل ما في قلوبنا من ايمان ، وما اوتينا من قوة ، الى ان يتم النصر بعون الله وعنايته . سدد الله خطانا الى اقوم سبيل . »

استقبل معظم عرب فلسطين هذا النبأ بشيء كثير من الامل والرجاء . وكذلك فعل سكان بيت المقدس . وفي ١٥ / ١٠ / ٤٨ اعترفت ثلاث حكومات عربية هي لبنان وسوريا والمملكة العربية السعودية بحكومة فلسطين .

وامتعض قليلون . وقال هؤلاء انه لا يحق للذين حضروا المؤتمر - وهم قلائل بالنسبة الى مجموع الأمة - ان يزعموا انهم يمثلون الفلسطينيين جميعا . الا ان الوضع الراهن في البلاد كان قد ساء الى درجة جعلت الاكثرين يرضون بمثل هذه الخطوة ، لعلها تبدد شيئاً من مخاوفهم وتزيل عن نفوسهم بعض ما الم بها من جراء تخاذل الدول العربية . وقال كثيرون ان حكومة كهذه كان يجب ان تتألف عندما نشأ النضال الحالي في فلسطين . وفي كل حال كبرت الامل عندما علم الناس ان الدول العربية التي يتألف منها مجلس الجامعة تؤيد هذه الفكرة . واختفت روح الانهزام تلك الروح التي بدت في الاوساط القومية اثر سقوط اللد والرملة . وراح الشبان يتنادون الى جمع الصفوف ، والتأهب للقتال . وسرت انباء الحركة الجديدة بين الصفوف بسرعة البرق . فما كنت لتسمع اينما حلت وجيها سرت ، سوى نغمة واحدة هي :

هيا بنا الى ميادين القتال ، لنسترجع المدن والقرى التي اغتصبها اليهود منا ، ونسترد كرامتنا .

وتألفت قيادة لأدارة شؤون القتال من المنطقة الجنوبية . وكان مقر هذه القيادة مؤلفاً من :

المقدم عبد الحق الفراوي قائداً للمنطقة

الرئيس الأول محمد تراجزي ضابطاً للركن

الرئيس الأول محمد حسن جراحي مساعداً للضابط الركن .

الرئيس محمود كمال طيب المقر

الملازم الثاني جمال الصوراني ضابط الاستخبارات

هؤلاء تم تعيينهم بأمر من المفتي بوصفه القائد الأعلى . وكان هناك في المقر عدد من الموظفين المدنيين ؛ نذكر منهم حفص بن عمر السقا رئيس الديوان وكاتب ومراسل وجنديان يعملان في اللاسلكي هما : ناصر شكري و خليل الجاعوني .

واطلعت على كتاب ارسله احمد حلمي باشا بوصفه رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للخارجية الى وزير الخارجية للملكة المصرية قال فيه : « ان وحدات جيش الجهاد المقدس التي مازالت تعمل في منطقتي غزة وعراق سويدان والفالوجة تحت امره المقدم عبد الحق الفراوي وبإشراف القيادة المصرية والتابعة للهيئة العربية العليا قد اصبحت اعتباراً من اول ديسمبر تابعة لحكومة عموم فلسطين وقد ارسلنا التعليمات اللازمة الى أمر القوة المذكورة كي يستمر على العمل وفقاً للترتيبات التي مازالت متبعة حتى الآن ، اي ان يظل من الناحية العسكرية تابعاً للقيادة المصرية العامة على ان يكون من الناحية الادارية تابعاً لوزارة الدفاع لحكومة عموم فلسطين . » وكان ذلك بتاريخ ١٨ / ١٢ / ٤٨ واما وزارة الدفاع لحكومة عموم فلسطين فكان مقرها في مصر الجديدة بالقاهرة ٢٢ شارع رمسيس .

ولكن سرعان ما انقلب رجائوهم الى يأس . عندما علموا ان الحكومة الاردنية

الهاشمية^(١) لم تعترف بها وكتب الملك عبد الله ، ملكها ؛ الى محمود فهمي النقراشي باشا ، رئيس الوزارة المصرية ، والى زملائه اعضاء الجامعة كتابا قال فيه^(٢) « ان دولتكم على علم من ان دول الجامعة العربية ، تدخلت لانقاذ فلسطين منكرا للتقسيم والتجزئة ، عاملة على حفظ شرف العرب والاسلام التاريخي . وتعلمون ايضا ، اننا نحشى على سلامة بلادنا ومركزها من اي دولة ضعيفة قد تتكون في فلسطين ، تنتسب الى العرب ، فتضعف عن البقاء ، او يستحوذ عليها اليهود ؛ او بمجرد تكيفها تعترف بها منظمة الامم التي اعترفت باليهود ، فيكون التقسيم امرا واقعا . الأمر الذي حاربنا ضده . وفي وقوع هذا ايضا قطع الطريق على اهل فلسطين ، وهم قد شتوا ايدي سبا في ان يختاروا لأنفسهم ما يريدون بعد انتهاء المعضلة .

« اننا تفاديا من تسبب هؤلاء بحركاتهم واعني بهم امين الحسيني ومن معه من ان تشبثاتهم ستجر الى ما فيه اخلال عصمة الجامعة العربية واتحادها ، اقول اني ساحارب هؤلاء حيث ما كانوا كما احارب اليهود انفسهم ولقد حاول فريق من رجالات مصر ، أن يوفدوا الى عمان وفدا لمقابلة الملك عبد الله ، واقناعه في العدول عن معارضة وتألف الوفد بالفعل من بطل الريف الأمير عبد الكريم الخطابي والمرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين الشيخ حسن البنا ورئيس جمعية مصر الفتاة الأستاذ احمد حسين ورئيس جمعية الشبان المسلمين محمد صالح حرب باشا . ولكن رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا امر ادارة الجوازات بعدم السماح للوفد بالسفر^(٣) . عندئذ (١٩٤٨ / ٩ / ٢١) ارسل الامير عبد الكريم الى الملك عبد الله البرقية التالية :

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية المعظم - عمان

علمت بما كان بين جلالتيكم وبين احمد حلمي باشا رئيس حكومة فلسطين فراعني تفاقم الحال . في حين ان تأييدكم له فيه ضمان لناحياتكم وكل المصلحة بالنظر الى اخلاصه لجلالتيكم . فارجو من ابن بنت الرسول وابن المنقذ الأب الحسين ان تقرروا توحيد

«١» ولما تولى الوزارة العراقية نوري باشا السعيد انضم العراق ايضا الى الاردن . وراح لاثنان « الاردن والعراق » يعملان على احباط مشروع حكومة فلسطين .

«٢» اطلعتني جلالة الملك عبد الله على كتابه هذا غداة اليوم الذي ارسله فيه .

«٣» « معتقل ها كستب » لمحمد علي الطاهر . ص ٦٢

الكلمة وسيكون بعد انقاذ فلسطين كل ما ترغبون ونحن جميعاً معكم وفي جانبكم .
ولاتجوجوني للسفر لرحابكم لتأكيدي نظريتي . وأنا منحرف الصحة . فزيارتكم واجبة
وسأقوم بها في مناسبة سارة . ولكن المهم الآن هو المرافقة على ما اجمعت عليه حكومات
جامعة الدول العربية التي قامت بتأكيديكم . فأرجو انتقاد الموقف بحكمتكم وبعد نظركم .
وان تفصّدوا القوم ارضاء لخدمكم . فهذه نصيحة من اخ لكم مخلص . والحاضر يرى
مالا يراه الغائب . والسلام عليكم .

عبد الكريم الخطابي

ولكن الملك لم يرد

ورأت الحكومة المصرية ان وجود الحاج امين على رأس هذه الحكومة الفتية يزيد
في مخاوف الملك عبد الله . فنصحته^(١) ان يظل بعيداً عنها والا يذهب الى غزة . الا
انه لم يبال بنصحها فاعادته الى مصر ولما تطل اقامته اكثر من عشرة ايام .
الذي تولى نقل المفتي من غزة الى القاهرة هو اللواء حسين سري عامر .
مدير سلاح الحدود في العريش . فقد نقله في سيارته ؛ واتي به الى القاهرة ليلاً ؛
وظهر بعد قليل ان الذين اوغزوا بسحب المفتي من غزة هم الأنكليز ، وكانوا قد لفقوا
على لسانه رسالة قالوا انه ارسلها (؟) الى الروس مخبراً اياهم عن عزيمة على اقامة
حكومة عموم فلسطين على غرار الحكومات السوفياتية . . . ولم تكتشف هذه الحيلة الا
بعد سنة من وقوع الحادث . . .

وتطور القتال في فلسطين بعدئذ بشكل لم يكن في صالح العرب . وكان لا بد من
انتهاج خطة تضمن العمل المشترك بين الحكومات العربية . تلك الحكومات التي ضنت
على الحكومة الفلسطينية الجديدة بما هي في حاجة اليه من تأييد وتعاضد؛ رغم انها كانت
— كما قدمنا — راضية . ولهذا ما لبثت الفكرة ان ماتت وهي في مهدها .

وانه لخليق بنا ان ندور ، من اجل الحقيقة والتاريخ ، وأن ماجري في غزة يومئذ

(١) وعلى قول ان الذين اشتركوا في هذا الرأي والنصح هم محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الوزارة
المصرية ، وجميل مردم بك رئيس الوزارة السورية ، ورياض بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية والباحجي
رئيس وزراء العراق عندما عقد هؤلاء جلسته استشارية في الاسكندرية في صيف ١٩٤٨ .

كان نتيجة لقرار اصدره مجلس الجامعة في اجتماع عقده في القاهرة في اول شهر سبتمبر (ايار) ١٩٤٨ . وكان ذلك بناء على رغبة ابدائها ممثلو الحكومات العربية في هيئة الامم التي كانت مجتمعة في ليك سكس . والمعتمد ان هؤلاء الممثلين وجدوا اروقة هيئة الامم من شجعهم على ذلك ، لا ، بل من دفعهم اليه دفعاً ، من دول الغرب . وكانت انية معقودة على ان تمد دول الجامعة الحكومة الجديدة بكل مايلزمها من وسائل في ميادين السياسة والمال والدفاع . وكانت مصر والمملكة العربية السعودية وسوريا في طليعة تلك الدول التي عملت على تاييد الفكرة . ولكن قرار المجلس هذا ظل ، على ما ظهر بعدئذ ، حبراً على ورق . اذ لم تمد الدول العربية حكومة فلسطين بما تحتاج اليه من وسائل اولية كان لا بد منها اذا ما اريد تكوين حكومة شعبية بسيطة ، بله التنظيم الذي يضمن النصر في حالة الحرب . وسرعان ما ذر قرن الخلاف بينها في هذا الأمر ايضاً كما ذر وتغلغل في الشؤون الأخرى . فكان ما كان فلم تدع حكومة فلسطين لحضور الاجتماع الذي عقده مجلس الجامعة في تشرين اول سنة ١٩٤٩ (١) مع انها دعيت لحضور الاجتماع الذي سبقه في تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ وبمسمى مصطفى النحاس باشا دعيت حكومة فلسطين لحضور الاجتماع الذي انعقد في آذار سنة ١٩٥٠ رغم احتجاج الأردن .

بلغت نفقات المجلس الوطني وحكومة عموم فلسطين منذ تشكيلها الى نهاية سنة ١٩٤٩ واحداً وعشرين الفاً واربعة وخمسين جنيهاً . وقد تولت الهيئة العربية العليا دفعها من المبالغ التي جمعتها باسم (قضية فلسطين) .

تايع حكومة عموم فلسطين

طلبت الحكومة الأردنية ، في عام ١٩٥٢ ، من الجامعة العربية سحب اعترافها بحكومة عموم فلسطين . ولكن الجامعة رفضت هذا الطلب وقررت :

(١) عندما علم الملك فاروق ان حكومة فلسطين لم تدع لحضور الاجتماع الذي عقده مجلس الجامعة ، دعا المجتمعين لتناول طعام الغداء في قصره . ولما اخذ المدعوون اما كنهم على المائدة الملكية رأوا مكان فلسطين شاغراً . فقال لهم الملك . « ان هناك مكاناً خالياً في هذه المائدة هو مكان فلسطين وسيبقى محفوظاً بيننا » .

(أ) الإبقاء عليها ، على ان تقتصر تشكيلاتها على رئيس الحكومة وهو احمد حلمي باشا ، وسكرتيرها العام جميل السراج ، واربعة موظفين هم : تحسين الحدث وقد عهد اليه بشؤون اللاجئين والاعانات التي تدفع اليهم . وعبد الفتاح الشريف الذي عهد اليه بشؤون الطلبة الفلسطينيين . واحسان سرور (جوازات السفر) . واديب الانصاري (كاتب) .

(ب) الغاء الوزارات التسعة التي تألفت منها الحكومة عند تشكيلها . وكان الوزراء بطبيعة الحال ، وبعد تأليف الحكومة ، قد انفضوا . فراح كل واحد منهم يعمل في جهة : امين عقل (وزير الزراعة) موظفاً في الجامعة . والدكتور فوتي فريج (وزير الصحة) افتتح عيادة طبية في مصر الجديدة . وميشال ابكار يوس (وزير المالية) راح يحاضر في الجامعة الأميركية ببيروت . ورجائي الحسين (وزير الدفاع) مستشاراً لوزارة المواصلات في المملكة العربية السعودية . وجوزيف صهيون (وزير الدعاية) انشأ مستودعاً للأدوية في القاهرة . وانور نسيبة (السكرتير العام) والتحق بالحكومة الأردنية فعين وزيراً للمعارف والدفاع . وعلي حسنا (وزير العدل) ايضاً التحق بالحكومة المذكورة فعين نائباً لوزارة الداخلية في الضفة الغربية (فلسطين) . وجمال الحسيني (وزير الخارجية) التحق بابن السعود فعينه مستشاراً لحكومته . وعوني عبد الهادي (وزير الشؤون الاجتماعية) سفيراً للاردن في مصر .

(ج) وخفضت ميزانية الحكومة الى اقل من الربع . فبعد ان كانت الجامعة تدفع لرئيس الوزارة احمد حلمي باشا الف ومئتي جنيه في السنة ولكل وزير من الوزراء ٧٢٠ جنيهاً راحت تدفع الرئيس فقط راتبه . وكذلك قل عن السكرتير العام الجديد جميل السراج . واما الموظفون الاربعة الآخرون فراحوا يأخذون رواتبهم من ايراد الجوازات . وكانوا يجبون مئة قرش عن كل جواز .

وقد اصدرت حكومة عموم فلسطين من بدء تكوينها الى هذا التاريخ (١٩٥٤) ١١,٤٠٠ جواز سفر . واعترفت بهذه الجوازات جميع الحكومات العربية (خلا الأردن) وحكومة الأفغان .

ورأيت بعيني موظفي هذه الحكومة (وان شئت ، فقل بقاياها) يعملون في غرفة متواضعة كانت فيما مضى مطبخاً لنادي (الاتحاد العربي) في ميدان مصطفى كامل بالقاهرة .

ولرب سائل يقول : - ماذا فعل المراقبون الدوليون حيال هذا الخرق الفاضح للهدنة . فالى هذا السائل اقول : - ان كل ماعمله الجنرال ويليام رايلي ، كبير المراقبين الدوليين ، اثر هذه الحوادث انه رفع تقريره الى مجلس الأمن ، وقد جاء فيه : - « ان القتال في الجنوب بدأ في ١٤ تشرين الأول ١٩٤٨ وان اليهود هم البادئون ، وانهم هم المسؤولون (١) . » ورفع الدكتور رالف بانس ، القائم باعمال الوساطة ، ايضاً تقريره الى مجلس الأمن . وقد جاء فيه . - « ان اليهود خرقوا الهدنة اكثر من مرة ، وانهم هو المسؤولون عن مقتل الكونت برنادوت ، »

فبحث مجلس الأمن الموقف على ضوء هذين التقريرين . بحثه في جلسة عقدها في اليوم التاسع عشر من شهر تشرين الأول . واتخذ قراراً دعا فيه الفريقين للكف عن اطلاق النار وطلب منهما ان يسحبا قواتهما الى حيث كانت في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم الرابع عشر . واناب الدكتور بانس في تنفيذ قراره . فضرب هذا الساعة الثانية من بعد ظهر الجمعة الموافق ٢٢ تشرين الأول موعداً لتنفيذ القرار ووقف القتال . ورغم ان الفريقين قالوا في جوابهما انهما اصدرا الأوامر اللازمة لجيشيهما بوقف القتال ، الا انه لم يقف ، ولم يفعل مجلس الأمن شيئاً من اجل تنفيذ قراره ، لا ولا فعلت هيئة الأمم شيئاً من اجل ذلك ، بل جاءت الانباء مؤيدة اتساع نطاقه في الشمال والوسط والجنوب وفي كل مكان .

وقام اليهود غداة اليوم الذي صدر فيه القرار واعطي الأمر بوقف القتال بهجوم عنيف على بئر السبع . فاحتلوها (٢٢ تشرين اول ١٩٤٨) كما سنذكر ذلك في السطور التالية .

(١) . هذا ما قاله كبير المراقبين . ولكنه لم يذكر السبب الذي انتحله اليهود من اجل هجومهم ، ومن عادة اليهود ان ينتحلوا لاعداء ليبروا عملهم . والذي اعرفه انا (المؤلف) انهم انتحلوا مسألة تزويد مستعمراتهم القائم في جنوب فلسطين في القطاع الذي يسيطر عليه المصريون ، بالموثون . فطلبوا الى المصريين بوساطة كبير المراقبين ، ان يسمحوا لهم بامرار قوافلهم حاملة الموثون الى مستعمراتهم . فرفض المصريون وهذا ما حدا باليهود للقيام بحركاتهم . فشقوا طريقهم بالقوة .

وهناك في اعتقادي ، سبب آخر هو اهم من السبب المتقدم ذكره ، ألا وهو خوف اليهود من نجاح الخطة التي اقراها (مؤتمر غزة) . ذلك المؤتمر الذي عقد في غزة قبل قيام اليهود بزحفهم باسبوعين (في ١ تشرين الاول ١٩٤٨) والذي انشق عنه قيام « حكومة عموم فلسطين » .

معارك النقب الاول

بدأت يوم الجمعة الموافق ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٨ . بدأها اليهود بغارة واسعة النطاق شنوها على الخطوط المصرية التي كانت يومئذ ممتدة من اسدود غربا حتى عراق المنشية والفالوجة وجبال الخليل شرقا ، ومن المجدل شمالا حتى غزة وبيرو السبع والعريش جنوباً .

والسبب الذي انتحلوه لهجومهم هذا ، برغم سريان الهدنة بين الفريقين ، وهو رغبتهم في تزويد مستعمراتهم الكائنة في القطاع الجنوبي من فلسطين بالمؤن . ذلك القطاع الذي كانت تسيطر عليه القوات المصرية . وعبثا حاول المراقبون الدوليون اقناع الفريقين بالتفاهم مع الآخر . الا ان جهودهم هذه ذهبت ادراج الرياح . اذ ان اليهود كانوا مصممين على المضي في القتال قبل ان يتقوى المصريون . وكانت قد اتتهم (اي اليهود) نجدة من الغرب هي عبارة عن فرقة اجنبية مؤلفة من عدد كبير من الضباط والجنود الذين اشتركوا في الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٢) جاءوا من اميركا والمانيا وفرنسا ورومانيا وبولونيا وتشيكوسلوفاكيا ومن جهات اخرى بعضهم يهود ، والبعض الآخر مسيحيون استخدمهم اليهود بمرتبات ضخمة وشروط مغرية . فقد دفعوا لكل طيار خمسة الاف جنيه لقاء التحاقه بالجيش ، وخمسين جنيه عن كل غارة يقوم بها واما المهندسون المدنيون فكان الواحد منهم يتقاضى من خمسة الى ثمانية جنيهات في اليوم . هذا بالاضافة الى طعام المتطوعين ومساكنهم ووسائل التسلية التي تقدم اليهم . اضيف الى ذلك ان اليهود سحبوا معظم قواتهم التي كانت ترابط في جهات فلسطين الاخرى ذلك لان الهدوء كان يسود تلك الجهات وقد المعنا الى ذلك في مواضع اخرى من الكتاب .

بدأ اليهود تجمعهم في معسكر كان للبريطانيين على مقربة من جولس الى الشمال من مستعمرتهم (نقبا) وفي مستعمرتهم (غات) وكان ذلك بين اليوم السادس والثاني عشر من شهر اكتوبر . ولما اكتمل الجمع في ١٤ اكتوبر ، راحوا يتقدمون ممهدين لتقدمهم هذا بضرب المواضع المصرية من الفالوجة الى غزة من البحر والبر والجو واستطاعوا فتح ثغرة على بعد ٥ كيلومترات من المجدل الى الشرق وتسللوا ليلا عبر الحقول والطريق التي تربط عراق سويدان بكوكيا وحليقات والطريق المعبدة التي تربط

يافا بغزة . فاحتلوا الجزء الواقع بين عراق المنشية وعراق سويدان من طريق غزة - الخليل . وبهذا قطعوا كل اتصال بين هذين القطاعين وظلوا يتقدمون الى ان وصلوا الى مستعمرتهم (نير حاييم) على مقربة من سمسم . وجاء فريق آخر من ناحية وخاما (الجمامة) فاحتل تل المكحز وتل النجيلة وتل الحسى وما بين هذه التلال من سهول ومرتفعات (١٥ / ١٠ / ٤٨)

وحاول المصريون استرداد (تل المكحز) الواقع بين الفالوجة وبيت جرين فارسل اليه المواوي قوة يقودها اليوزباشي صلاح^(١) وكانت هذه عبارة عن سريتين من المشاة وسرية من المدرعات مؤلفة من اثني عشرة مدرعة من نوع ؟ (همبر) وفي كل مدرعة مدفع من عيار رطلين ورشاش وفي كل منها جهاز لاسلكي وكانت هذه المدرعات بقيادة اليوزباشي نجيب^(٢) .

ولكن اليهود صمدوا لهم . فردوهم على اعقابهم وبقي التل بيد اليهود . ونحسر المصريون ثماني مدرعات وفئة ممتازة من جنودهم وضباطهم . واتصل اليهود الذين احتلوا المكحز باخوانهم المرابطين في دوروت ومحارسمسم فاحتلوا (حليقات^(٣)) احتلوها بثمانئة جندي من مقاتليهم ، وقتلوا جميع رجال حاميتها وكانوا من السعوديين وعددهم ثمانون . وبهذا قطع اليهود كل اتصال كان بين قطاعي بئر السبع وجبل الخليل .

وبناء فريق آخر من الشمال : - من ناحية (غان بينا) وبيرطوفيا فاحتلوا اسدود . وكان المصريون قد اخلوها ، واخلوا بيت داراس فور تحرش اليهود بعراق سويدان . وواصل اليهود زحفهم ، فاموا بيت جانون ، مقتحمين في طريقهم بربرة ودير اسنيد ، ونسفوا الجسر الكبير الكائن بين هذه وغزة (السبت ١٥ اكتوبر ١٩٤٨) وبهذا قطعوا كل اتصال كان بين غزة والشمال وامست المجدل في خطر ، فاخلاها المصريون .

(١) الصاغ صلاح سانم وزير الارشاد القومي في مصر « ١٩٥٤ » واشترك معه في معارك تل المكحز هذه اثنان من اعضاء مجلس الثورة المصرية هما جمال عبد الناصر وزكريا محي الدين

(٢) ابن شيخ الازهر السابق .

(٣) وفي قول انهم لم يحتلوها يومئذ وانما احتلوا السهول الكائنة حولها واما « حليقات » نفسها فقد احتلوها في ١٩ - ٢٠ - ١٠ - ١٩٤٨ .

وفي ليلة الأحد ١٥ و ١٦ أكتوبر تقدم حوالي ٥٠٠ من مقاتليهم من ناحية غات يتقدمهم ١٢ دبابة (٢) فاخترقوا التحصينات الأمامية لعراق المنشية الا ان المصريين قاموا بهجوم مضاد واشتبك الفريقان بالاسلح الأبيض فاندحر اليهود .

وفي ١٦ أكتوبر اغارت الطائرات اليهودية على المجدل وجورة عسقلان والفالوجة وعراق المنشية وغزة وبيير السبع والعريش بقصد الأرهاب ، وقابلهم المصريون بنيران مدافعهم فاسقطوا ست طائرات .

وقام اليهود في الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم بهجوم شديد على مفترق الطرق (طرق المجدل - الخليل) و (طريق غزة - يافا) ، عند عراق سويدان . واشترك في هذا الهجوم عدد كبير من مقاتليهم . وما كاد الليل ينتصف حتى كان هذا الموضع الاستراتيجي الهام قد سقط في ايديهم وخسر المصريون عددا كبيرا من القتلى والجرحى كما خسروا عددا غير قليل من الأسرى ومن الاسلحة والذخائر منها اربعة مدافع .

وفي ساعة مبكرة من صباح ١٧ أكتوبر قام اليهود بغارة جوية شديدة على المجدل . فهدموا حوالي ١٥ ٪ من مباني المدينة . ومن المباني التي هدموها يومئذ مدرسة الذكور ومدرسة الاناث والمستشفى العسكري ومعظم الخراب كان في القسم الجنوبي من المدينة .

وفي مساء اليوم نفسه (١٧ / ١٠ / ٤٨) اعادت الطائرات اليهودية الكرة على المجدل فقتلت عدداً كبيراً من الاهلين ومن اللاجئين المحتمين في شمال المدينة . واشتد القتال على طول الجهة (ثمانية كيلومترات من عراق المنشية والفالوجة الى عراق سويدان) وجاؤل المصريون والمناضلون الفلسطينيون المرابطون في عراق سويدان (١٧ / ١٠) فتح طريق الى قرية كوكبة فقاموا باربع حملات كان يقودها الملازم محمد الغرا والملازم حكيم رشدي ، الا انهم لم يفلحوا . وقد وجدوا (كوكبة) محتلة من قبل الاعداء . وجرح الملازم حكيم .

واعاد اليهود الكرة في ١٨ / ١٠ / فاغارت اربع من طائراتهم الكبيرة ذوات

(١) وزن الدبابة ١٧ طن وهي من صنع تشيكوسلوفاكيا .

الأربعة محركات على القسم الغربي من مدينة المجدل فدمرتة . هذا كان في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشرة صباحاً واما في المساء (س ٩) فقد اغارت الطائرات نفسها على القسم الشرقي منها وهدمت جانباً منه .

وفي ٩ / ١٠ راحت السفن اليهودية الراسية في البحر امام جورة عسقلان تقصف المجدل ظهراً . واغارت طائراتهم على محطة غزة .

وفي مساء اليوم نفسه (١٩ / ٢٠ / ١٠) وقعت بين اليهود والسعوديين في حليقات معركة قادها الأمير الای الرحماني ، قتل فيها من السعوديين خلق كثير قدرهم بعضهم بسبعين .

بعدئذ راح اليهود يزحفون صوب بير السبع قاصدين احتلالها . زحفوا عبر الطريق التي تربط مستعمراتهم غات ببيير السبع والتي تمر من (ام دبكل) و (زباله) . واستمروا في زحفهم الى ان تمكنوا من احتلال مدينة بير السبع (١) .

وفما كان اليهود يزحفون صوب بير السبع كانت فئات منهم تشاغل المصريين المرابطين في قطاع غزة . شاغلتهم من البحر والبر والجو . فقد سجلت ملفات الحكومة اربع عشرة غارة قام بها اليهود على غزة من الجو في ١٨ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٨ واربعاً من البر . وقتل من الفريقين يومئذ تسعة وجرح واحد وعشرون .

واغار اليهود عليها في اليوم التالي (١٩ / ١٠ /) ست عشرة مرة من الجو وثلاثاً من البر وكان عدد القتلى يومئذ ثمانية والجرحي خمسة عشر .

وفي ٢٠ / ١٠ كان عدد الغارات سبعاً كلها من الجو وكان عدد القتلى ستة . وفي ٢١ / ١٠ تسع غارات . سبع من الجو واثنان من البر والقتلى ٦ والجرحي ٣ . وفي ٢٢ / ١٠ غارة واحدة لم تحدث ضرراً وسقطت في ذلك اليوم مدينة بئر السبع . ولم يوقف اليهود تحرشهم بغزة حتي بعد سقوط بير السبع بايديهم خشية أن يأتي المصريون فيستردونها فاغاروا عليها (اي على غزة) :

في ٢٤ / ١٠ ست عشرة مرة فقتلوا اربعة من سكانها وجرحوا تسعة .

١ « اقرأ ما كتبناه عن معارك بير السبع واحتلالها في موضع اخر من الكتاب .

وفي ٢٥ / ١٠ ست غارات من الجو

وفي ٢٦ / ١٠ ثماني غارات

وفي ٢٩ / ١٠ قصفوها من البحر تسع مرات ولكنهم في الغارات الثلاثة الاخيرة لم يصيبوها باذى .

وفي ليلة ٢٥ اكتوبر شن اليهود اربع هجمات على مركز عراق سويدان تساندهم فيها مدافع الهاون وراجمات الألغام وتمكنوا من الوصول الى جدران المركز وتدمير الاسلاك ولكنهم صدوا فارتدوا على اعقابهم ، تاركين وراءهم عددا من القتلى والجرحى ومقادير غير قليلة من الاسلحة والذخائر وتمكن النقيب زكي ابو الدول من احضار اربعة مدافع مورتر واحد منها من عيار ست بوصات . واغتاظ اليهود لعدم تمكنهم من الاستيلاء على هذا المركز نظرا لما له من الهمية ، من الناحية الاستراتيجية ؛ فراحوا يقذحون زناد تفكيرهم من اجل الاستيلاء عليه باي ثمن كان .

انه مركز استراتيجي هام واقع على رأس اكمة مشرفة على سهل واسع من الارض عند تقاطع الطرق التي تربط قطاع غزة بقطاعي يافا والخليل . يبعد عن الفالوجة سبعة كيلومترات وهو منها الى الغرب ، وعن المجدل ثمانية كيلومترات وهو منها الى الشرق .

كان للانكليز فيه حامية قوية يقودها ضباطاً بريطانيون وفي اواخر عهد الانتداب ارسل الأميرالاي اركان حرب محمد نجيب قائد القوات المصرية التي كانت ترابط على الحدود عند العريش قوة مصرية من المتطوعين التابعين لاحمد عبد العزيز وكانت هذه عبارة عن مئتين وعشرة مسلحين يقودهم اليوزباشي مرور رستم . معظمهم ليبينون وبعضهم مصريون فاجتعل هؤلاء قرية عراق سويدان (٥ ايار) ثم احتلوا مركز البوليس هناك (١٢ ايار)

وجاؤل اليهود ان يحتلوا هذا المركز وان يأخذوه من يد العرب المتطوعين قبل ان يدخل الجيش النظامي المصري البلاد . فقاموا بهجوم شديد على المركز الا ان المتطوعين من مصريين وليبيين وفلسطينيين صدوهم . وقد اغتتموا منهم مصفحتين وعددا من البنادق وقتلوا منهم مئة يهودي ، بينهم القائد .

وفي ٢٤ ايار جاء عدد من الجنود المصريين يقودهم اليوزباشي غالي مسيحة فاحتلوا هذا المركز وكان ذلك بامر من السيد طه قائد القوات النظامية في قطاع الفالوجة .

وفي ليلة ٢٦ اكتوبر قام الصهيونيون بهجوم شديد على المواقع الجنوبية من تلال الفالوجة وكان يقود القوة المصرية هناك اليوزباشي سعد الجمال وضرب اليهود نطاقاً حول المنطقة الممتدة بين عراق المنشية وعراق سويدان .

ولم تنقطع غارات اليهود على المجدل من الجو في تلك الفترة واشتدت غاراتهم في الاسبوع الاخير من شهر اكتوبر فذب الذعر في قلوب الاهلين وراحوا يرحلون (٢٦ اكتوبر) وازداد رحيل الاهلين ، عندما رأوا الجيش المصري يرحل من هناك .

وفي ٥ نوفمبر ١٩٤٨ سقطت المجدل في يد الاعداء (١) واستغرب الاهلون كيف سقطت بهذه السرعة اذ كان فيها وفيما جاورها من بقاع ثلاثون الف جندي مصري كما كان فيها خمس عشرة بطارية من المدافع المضادة للطائرات ومحطة قوية للرادار . وكان القائد العام اللواء احمد المواوي قد اتخذها مقراً لقيادته وحصنها تحصيناً لا بأس به (٢) .

وفي ٩ نوفمبر هاجم اليهود بيت عفا وعراق سويدان والفالوجة وكان نصيب الفالوجة من القنابل المحرقة في تلك الليلة ٢٨٨ وكانوا يرمون تدمير المطاحن وخزانات المياه .

وفي ١٠ نوفمبر سقط مركز البوليس في عراق سويدان وسقطت من بعده القرية نفسها .

ولقرية عراق سويدان هذه وكيفية احتلالها من قبل اليهود حكاية رواها لي الاستاذ عبد الله الخطيب مدير مدرسة بير السبع ، وهذا نقلها عن ضابط مصري كان من رجال الحامية وقد التقيا في الاسر اسمه (عادل صادق) ورتبته يوزباشي وكان قبلاً من رجال الحرس الملكي فقال : -

عندما بدأ اليهود زحفهم من (نقبا) رأيناهم وكان باستطاعتنا ان نصدهم اذ كنا متمركزين فوق تل مشرف على المستعمرة يدعى (تل الخيش) وهو اعلى منها . وكان

(١) اقرأ الفصل الذي خصصناه للمجدل واعمال النضال فيها ، ورحيل الجيش عنها وسقوطها بيد الاعداء في موضع اخر من الكتاب .

(٢) قيل ان المواوي سيق الى القاهرة مخفورا وانه اتهم بالتقصير في الدفاع عن هذا القطاع .

مغي في عراق سويدان حامية قوامها مئة مقاتل ؛ فخابرنا الموالي ، فنهانا عن اطلاق النار ولما افهمناه ان اليهود صبغوا التل واقتربوا من عراق سويدان امرنا بالانسحاب الى العراق . فانسحبنا دون ان نطلق رصاصة واحدة .

وجاء اليهود فاحتلوا التل . وباحتلالهم هذا سيطروا على ملتقى الطرق المؤدية الى (آ) المجدل فغزة (ب) برير (ج) كراتيا والفالوجة . ولما فتحت امامهم طريق برير ، راحوا يزحفون نحو الجنوب ، تاركين وراءهم عراق سويدان . فاخلاها المصريون دون قتال . ولكن كيف النجاة وقد اصبحوا مطوقين باليهود من جميع الجهات ؟ ومع ذلك فقد قاوموا ، وردوا ثلاث هجمات قام بها اليهود ، وظلوا يقاتلون الى ان قتل معظمهم . ومن لم يقتل منهم جرح ، واسر . وعدد الذين أسروا خمسين . اربعة منهم ضباط . آمر الحامية اليوزباشي عادل صادق ، واليوزباشي عبد العال ، واركان حرب الكتيبة ، وهو ايضا يوزباشي لم يحضرني اسمه ، وضابط آخر بنجمة واحدة . جرح هؤلاء جروحا بالغة . وما كان في مقدورهم ان يتصلوا بالفالوجة . لان الطريق بينهم وبينها كانت واقعة تحت سيطرة اليهود . لا ، ولا كان باستطاعة الفالوجة ان تنجدهم ولو بنيران مدافعها ، لانها كانت في حاجة الى العتاد »

هذا ما قاله آمر الحامية نفسه . ويحدثك الخبراء المطلعون على حقائق الامور فيقولون ان الذي حدا بالنقراشي لمسألة اليهود من بداية حرب النقب معرفته بقوة اليهود . اذ كان سفير مصر بفرنسا قد اخبره ان قوات يهودية كبيرة ، قدرها بعضهم باربعين الف مقاتلا ، اقلعت قبل بدء معارك النقب من شواطئ فرنسا في طريقها الى فلسطين ، قاصدة الاستيلاء على النقب . وكانت تلك القوة مؤلفة من فرق المقاومة اليهودية السرية التي كانت اثناء الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٣) تعمل خلف الخطوط الالمانية . اذا لاصحة للقول القائل ان معركة النقب الاولى كانت مفاجئة للمصريين . وان كان القول بان معظم ضباطهم كانوا غائبين في اجازتهم بمصر ، مطابق للواقع .

والغريب في الامر ان طيارا مصريا ضرب ، ومعركة النقب قائمة في جنوب فلسطين احدى محطات السيارات اليهودية في شمال البلاد ، فقتل ٦٥ يهوديا . ولما نقلت شركات الانباء العالمية انباء تلك الغارة اصدر النقراشي ، بوصفه رئيس الوزراء ، امره الى سلاح الجو طالبا ألا تضرب الطائرات المصرية المدن اليهودية ، وان نكتفي بضرب القلاع

والحصون وما الى ذلك من الاهداف العسكرية ، لثلا يقال (؟) ان المصريين قوم متوحشون (؟) وهكذا كان ...

لم ينج من حامية عراق سويدان ، وكان عدد رجالها مئة وخمسين ، سوى اربعة .
واما الباقيون فمنهم من قتل ، ومنهم من اسر . ومن الاسرى ، عدا الذين ذكرناهم في
السطور المتقدمة ، اليوزباشي صلاح قائد المركز . وهو الذي رفع العلم الابيض . فدخلها
اليهود بقوات كبيرة ، تؤيدها سبع دبابات ثقيلة من طراز شيرمان . في كل دبابة مدفع
من عيار ستة ارطال .

وفي اليوم نفسه (١٠ نوفمبر) سقطت بيت عفا .

وانسحب من استطاع ان ينسحب من سكان هاتين القريتين والقرى المجاورة لهما
الى الفالوجة ، التي تمكن اليهود بعدئذ من تطويقها من جميع الجهات . وعرض اليهود على
قائد القوات المصرية المحصورة في الفالوجة ، بعد ذلك ، ان يستسلم او يقبل هدنة بين
الفريقين . ولكنه رفض كلا الامرين .

والغلطة الكبرى التي ارتكبها الجيش المصري في معارك النقب هذه هي انه وزع
قواته على مساحات واسعة بشكل مكن اليهود من خرق صفوفه . فتغلغلوا الى الجنوب
الى ان وصلوا الى (رفح) . وجزأوا الجيش المصري ، فتركوا قسما من وحداته مطوقا
في الفالوجة وبيت جرين .

نكتفي بهذا القدر من المعلومات عن معارك النقب الاولى لنحدثك في فصول مستقلة
عن ذيولها . ومن اهم تلك الذيول سقوط (المجدل) و (بير السبع) وبقاء الفالوجة
تحت الحصار ... يوما .

معارك بئر السبع

عندما اعلن الانكليز عن عزمهم على الانسحاب من فلسطين ، تكونت في بير السبع
حامية للدفاع عنها . وكانت هذه مؤلفة من : (آ) افراد البوليس الوطني والهجانة من
ابناء هذا القطاع ... قطاع بير السبع ... وكانوا عبارة عن ستين رجلا من بدو وحضر .
عرفنا منهم : عودة ابو رفيق (هجان) فرحان ابو محفوظ (لاسلكي) . سعيد

ابو عويلى (هجان) . مصطفى الكردي (شرطي) . سالم اللطاع (لاسلكي) . صلاح
الخصري (مشاة) . رزق الطلاع (هجان) . جميل الوحيددي (شرطي) : عبد الرحمن الفرنجي
(لاسلكي) . الجاويش لطفي العكاوي (مشاة) . الجاويش عبد السلام العطاونة ،
وصلمان العطاونة ، ومحمد العوضات ، وهلال عيد ، وخاله فوزي ، الجاويش داود العضيبي

ب) مناضلين تنادوا للنضال من ابناء المدينة ، وكانوا عبارة عن مئة (١) . يقودهم
رأفت سالم التركماني ، ومحمود الحاج حمد الخطيب ، ويوسف الشرفا ، واسحق بسيسو .
ولقد درب هؤلاء على القتال مدة شهرين في مدرسة العريش العسكرية وعلى يد ضباط
مصريين ، وكانت اسلحتهم عبارة عن بنادق انكليزية هي التي ابقاها الانكليز بيد
البوليس والهجانة ، وبضع بنادق اعتيادية اشترتها اللجنة القومية من مختلف الأنواع .
وبضع بنادق اخرى اشترها الناس باموالهم ولم تكن هذه الاسلحة من الكم والكيف
بحيث تدفع عادية كبيرة على البلاد .

وكانت هناك جبهة اسموها (جبهة الشباب) الفها قائمقام بير السبع محمد عبد الهادي .
وقد انضم اليها عدد من الشباب من سكان المدينة ، وآخرون من ابناء البدو .
عرفنا منهم : فريج ابو محفوظ (ترايين) جمعه بن جهامة (ترايين) . عودة ابو غادرة
(ترايين) حمد الخطيب (المضاهرية) . شريف الحلبي (بير السبع) . عواد ابو غادرة
(ترايين) . يوسف الوحيددي (ترايين) . محمد الطلاع (تياها) . ابن محمد ابو خليل
(اجوات) . مصطفى فريج ابو مدين (حناجرة) . ابراهيم ابو ستة (ترايين) .
وكان هذا سكرتيرهم . واما قائد حركة النضال في بير السبع كلها فكان عبد الله ابو
سته (٢) (ترايين) . فقد تم ذلك بقرار من الهيئة العربية العليا في مصر . واتبع باللواء

١) كان المناضل يتناول راتباً شهرياً قدره اربعة جنيهات . واذا استشهد تناولت عائلته جنيهين في الشهر
واما اذا اسر فتناول اسرته جنيهين في الشهر

٢) ثراني الاصل . ولد عام ١٩١٤ وتعلم في مدرسة البشارة بالمعين (ترايين) . ثم سافر الى القدس
فدخل مدرسة (الروضة) . واتم فيها تعليمه الثانوي (ثاني ثانوي) واشترك في الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦
وطارده الحكومة بعد وقت الثورة ، ففر الى مصر . وعين بعض الوقت (١٩٣٧) في مصلحة المساحة .
ثم استقال . والتحق بالثورة مرة اخرى عام ١٩٣٨ . ولما وقفت غادر البلاد الى مصر ، حيث قضى ثلاث
سنوات . ولما نشبت القتال في فلسطين اثر قرار التقسيم (١٩٤٧) انضم الى المقاتلين ، وراح يعمل مع
عبد القادر الحسيني في قوات الجهاد المقدس . فعينه الهيئة العربية العليا قائداً للمناضلين في قطاع بير السبع .

سليمان عبد الواحد سبل المصري الذي عينته الجامعة العربية قائداً عاماً للجبهة الجنوبية (بير السبع وغزة^(١) والخليل) ولكنه لم يلبث الا قليلاً .

وراحت هذه تعمل خارج المدينة وتشن على المستعمرات اليهودية غارات متقطعة من النوع المعروف بالغوريلا .

وتألفت في المدينة (لجنة قومية) راحت تشرف على شؤون النضال ، وبصورة خاصة شؤون الدفاع عن المدينة ، وكانت هذه مؤلفة من شفيق مشتها رئيس البلدية ومن اعضاء البلدية وعدد اخر من رجال المدينة نذكر منهم : السادة حسين علي الشرفا ، بتر و ترزي الحاج توفيق الشوا ، تاج الدين شعث ، علي شعث ، رشاد السقا عبد الله ابو ستة الحاج حسن الفرنجي سعيد بسيو . سعيد السراج . يوسف القيس .

وعملت اللجنة كل ما في وسعها لانجاح حركة النضال في المدينة وفي سائر انحاء القضاء . وانضم اليها عدد من الشباب المثقفين ، نذكر منهم : جواد شحير^(٢) (مفتش المئون) عبد الله الخطيب (مدير المدرسة) . علي العطاونة ، عبد الله ابو ستة . ابراهيم العصبي ، حمدي حرز الله ، هاشم الحاج توفيق الشوا ، محمد الشوا « محمد بالي . يونس شعث . محمد الرمادي - اسحاق نسيبو - كامل مشتها . وغيرهم كثيرين . وجاء بعد قليل خمسة من الالمان الخبيرين في صنع الاسلحة فانضموا الى المناضلين . وتكنى هؤلاء باسمااء عربية .

وكان لدى المناضلين اربعة اجهزة لاسلكية واربعة عشر تلفوناً من تلفونات الميدان بدرت اول بادرة للخلاف بين الكهول والشبان عندما تلقت اللجنة القومية في ١٥ آذار ١٩٤٨ كتاباً من مدير البوليس البريطاني وقد قال فيه ان اليهود يعرضون على العرب هدنة مدتها خمسة واربعون يوماً . وان هذا التكليف جاء في كتاب وقع عليه

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذا القائد في الفصل الذي خصناه لمدينة (غزة) .

(٢) يذكر السكان بالثناء والتقدير الخدمات الجلى التي اداها هذا الموظف لحركة النضال في بير السبع . اذ انه صرف من ماله الخاص مالا يقل عن اربعة آلاف جنيه وتمكن بوساطه عدد من الانكليز الذين عرفهم وعرفوه في ذلك القطاع من الحصول على مقدار لا بأس به من السلاح والعتاد ، وكانت هناك سرية من المدرعات الانكليزية عهد اليها بأمين سير القواقل على طريق غزة - بير السبع :

مختار مستعمرة (بيت ايشل) ومختار مستعمرة (ريفافيم) في قطاعة مقبولة . مشترطين ان يسمح للعرب ولليهود بحصد مزروعاتهم . الا مزروعات العرب القريبة من المستعمرات فيحصدها اليهود ويسلمونها للبريطانيين ، فيسلمها هؤلاء لا أصحابها العرب . فوافق عبد الرزاق قلسو وشفيق مشتها على هذه الشروط . ورفضها باقي اعضاء اللجنة .

ورغم الاختلاف الذي بدا بين الكهول والشباب من القائمين على شؤون الكفاح في بير السبع (١) فقد قامت اللجنة بجمع الاعانات من الاهلين ، كل حسب طاقته (٢) فراحت تشتري بها السلاح (٣) . ولما لم تجد منه في البلاد ما يكفيها - اذ كانت البلاد كلها في حاجة للسلاح - اوفدت سكرتيرها رشاد السقا مع السيد محمد الرمادي الى مصر وشري هذا بمعرفته وبوساطة الهيئة العربية العليا عددا من البنادق ، ثبت بعد ، قليل ان معظمها غير صالح ، وانه ايطالي الصنع ، ليس له عتاد من نوعه . فاستنجد القوم عندئذ بالجيش العربي وارسلوا الى عمان وفداً قوامه ستة من اعضاء اللجنة القومية ، فارسل اليهم كلوب باشا الرئيس نزار المفلح مكلفا بتعيين خمسين شابا في الجيش العربي لقاء راتب معين على ان يكون مركزهم في المدينة . وارسل اليهم ايضاً بعد قليل جنديا درزيا برتبة نائب اسمه محمد علي (٤) وكان هذا متعلماً ، فمرن الشبان الذين لم يتمرنوا على القتال في العريش ، وقد زود بخمسين بندقية من بنادق الجيش العربي .

ارتاب ابناء بير السبع من حركة الاردنيين فارسلوا من قبلهم رشاد السقا . فاستشار هذا المفتي الحاج امين . وبعد مخابرات مع المصريين ارسل هؤلاء الى بير السبع عدد أمن الاخوان المسلمين بقيادة احمد عبد العزيز وقد ذكرنا هم في غير هذا المكان . وكان الاردنيون قد رحلوا قبل وصولهم .

(١) كايقود الشباب ويحرضهم على الكهول محمد عبد الهادي قائمقام القضاء ، واما رئيسه غبسد الرزاق فليبوا وكان يومئذ مساعداً لحاكم اللواء فكان يؤيد الكهول

(٢) قبل انها جمعت مبلغا يقرب من عشرة الاف جنيه وان هذا المبلغ حصلته اللجنة من الاهلين كضريبة فرضتها على المؤن ووسائل النقل . وتبرعت البلدية باربعة الاف جنيه صرفت في سبيل تحصين المدينة .

(٣) بلغ ثمن البندقية الانكليزية مئة جنيه والبرن مئتين وخمسين وفي بعض الحالات ٣٥٠ جنيه ، ومشط الفشك بخمسة وثلاثين قرشاً وفي بعض الحالات نصف جنيه :

(٤) انسحب هذا من بير السبع عند دخول الجيش المصري ، وقتل في معارك باب الواد :

وبهذا تقوت معنويات الالهين والمناضلين الذين ما كانوا يملكون من السلاح ولا كانوا يعرفون عن طرق النضال الا النذر اليسير واليك ملخص الحوادث التي حدثت بين المناضلين واليهود في قطاع بير السبع قبل انسحاب البريطانيين في ذلك القطاع :

(١) ادعى العرب من رجال البوليس الفلسطيني المقيمين في العوجا - حضر ان اسلحتهم سرقت من لندن مجهولين ، فسلموها الى رفاقهم من المناضلين ؛ وعددها ١٢ بندقية انكليزية وخمسة صناديق من العتاد فسلمتهم الحكومة اسلحة مثلها . كان هذا من شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧ .

(٢) . هاجم المناضلون قافلة يهودية تتقدمها مصفحة بقصد الحراسة . هاجموها عند بير السبع وهي في طريقها الى بيت ايشل (السر) من الجمامة . ولما لم يتمكنوا من منعها ، حاصروا المستعمرة نفسها . ودام حصارهم لها عشرين يوماً . الى ان نقلوا بالطائرة . ونهب المناضلون بعد بضعة ايام مصفحة يهودية كانت آتية من عسلوج . وكان ذلك في شهر ديسمبر ايضاً .

(٣) وفي الشهر نفسه تصدى جماعة من العرضات وادى عشية لاحد عشر يهودياً كانوا قادمين من الجمامة الى المويلح . تصدوا لهم عند خربة ابن عيشة ؛ فقتلوهم عن بكرة ابيهم ، ونهبوا اسلحتهم وكانت هذه عبارة عن سبع بنادق واربعة سنتات .

(٤) . واشتبك المناضلون مع اليهود المقيمين في مستعمرة (سدى عقيفاً) المعروفة بـ wireless الواقعة على طريق بير السبع - غزة ، في قتال بقصد فتح الطريق المذكورة ، الا انهم لم يفلحوا . وظلت الطريق صعبة الاجتياز . والذين اشتركوا في هذه المعركة من المناضلين العرب هم عبد الله ابو ستة وابراهيم ابو ستة وعمر وابو ستة وفرح عودة الغبيد وخمسة آخرون معهم الالمان الخمسة الخبيرون الذين جاءوا من مصر لتدريب المناضلين في صنع الالغام وكان منهم ايضاً الدكتور طاهر الخطيب واليوز باشي المصري عبد المنعم النجار . وكان هذا قد أرسل من لدن الجيش المصري للاستطلاع . واصيب عبد الله ابو ستة في هذه المعركة بجرح في عظم الترقوة الايمن . كما جرح ابراهيم ابو ستة . واحد الالمان الخمسة .

(٥) جرت محاولات كثيرة تمكن المناضلون خلالها من تدمير انا بيب الماء التي تصل بين بيت حانون والمستعمرات اليهودية القائمة في قطاع بير السبع . كان ذلك في شهر

ديسمبر ١٩٤٧ . ولما حاول اليهود تفجير هذه الأنايب في ٢ يناير ١٩٤٨ قاومهم المناضلون . وجرت بين الفريقين معركة حامية ، قلعت فيها عين المنيوي . فعاد الى مصر .

٦ (اشتبك خمسة من المناضلين من ابناء البدو (عبد الله ابو ستة . شطى الصوفي . عمرو وابو ستة حماد الصوفي . كريم ابوستة) مع قافلة من السيارات اليهودية شرقي العمارة في قتال في اواخر شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، وكان الوقت ظهراً ، وكان مع المناضلين برن واحد واربع بنادق . ودام القتال الى أن جاء الجنود البريطانيون وفصلوا بين الفريقين . واذاع راديو القدس في المساء ان عدد القتلى من اليهود سبعة وعشرون ، وقتل من العرب يومئذ الشيخ حسن ابو عمرة شيخ عشيرة ابن عمرة (ترايين) ومنصور ابو شباب .

٧ (في اوائل شهر نيسان ١٩٤٨ نقلت الحكومة جميع سجلات الاراضي والاملاك من بير السبع الى غزة .

٨ (في اوائل شهر نيسان ١٩٤٨ عبر ثمانية من اليهود المسلحين اراضي الترايين ، ولما وصلوا الى (الدمات) موضع ميلين عن مركز بوليس العمارة اربعة كيلومترات وهو منه الى الشمال - فقتلوا بدوياً يدعي (عودة ابو شباب) فلاحق بهم جماعة من الترايين تقصد الانتقام . والتقوا بهم عند وادي الشريعة فقتلوا خمسة منهم . وتمكن الثلاثة الباقون من الهرب . ولكن هؤلاء الهاربين ما كادوا يصلون الى الموضع المعروف بـ (تل المقرى) حتى لاقوا حتفهم على يد شطى ابن جدوع الصوفي وعدد من المحاربين من عشيرة الوحيدات وحسنات ابي معيلق .

٩ (وفي اواخر الشهر نفسه (نيسان ١٩٤٨) ذبح عرب الشعوث (ترايين) ستة من اليهود المسلحين ، خمسة شباب وفتاة ، قتلوهم في موضع يقال له (الراية) .

١٠ (في ٨ ايار ١٩٤٨ هاجم اليهود مضارب عشيرة ابن ستة (ترايين) في المعين واعادوا الكرة في ١٠ و ١٢ ولكن المناضلين ردوهم على اعقابهم . وفي ١٤ ايار قام اليهود بهجوم كبير اشترك فيه اثنان وعشرون من مصفحاتهم . فנסفوا منازل الشيخ حسين ابوستة ، وبيارته ، وما كنة الطحين . ومع ذلك فقد تمكن رجال العشيرة

بمساعدة الأخوان المسلمين والمناضلين من خان يونس من صدهم - ولم يغادر العربان منازلهم في المعين الا في ٢٢ / ١٢ / ٤٨ .

وهكذا كان الوضع في المدينة في آخر يوم من عهد الانتداب .

ويؤكد المطلعون انه كان بيد للمناضلين من حماة المدينة ، عندما غادرها البريطانيون في اليوم الرابع عشر من شهر ايار سنة ١٩٤٨ ، حوالي مئتي قطعة سلاح (بنادق اعتيادية) ومدفعين صغيرين من مدافع الهاون وخمس رشاشات من طراز برن ثمانية مدافع من المقاومة للدبابات واربعة مدافع قوسية (مورتر) اثنان من غيار بوصتين وآخران من غيار ثلاث بوصات . وبطارية الغام حديثة . وزهاء مليون من الطلقات (الانكليزية والالمانية والايطالية) اخذ منها الجيش المصري عند مجيئه بير السبع اربعمائة الف طلقة .

وقد غادرها الجيش البريطاني في ١٤ ايار سنة ١٩٤٨ . وفي ذلك اليوم تم - في حفل مهيب - ائزال العلم البريطاني ورفع مكانه العلم العربي . وحضر الحفلة عرب وبريطانيون والذي رفع العلم على سارية الحكومة هو شفيق مشتها - رئيس البلدية .

وبينما كان البريطانيون ينسحبون من قطاع بير السبع كان اليهود يبسطون سيطرتهم في البقاع الممتدة بينها (اي بير السبع) وبين المدن المجاورة لها من الغرب (خان يونس) والشمال الغربي (غزة) والجنوب (العوجا) وكانوا قد استولوا على الطرق التي تربطها بالمدن المتقدم ذكرها . اما طريق بير السبع - غزة فقد استولوا عليها فور انسحاب الجيش البريطاني من ذلك القطاع . واحتل اليهود (العمارة) في ١٠ ايار وتصدوا لسيارة عربية كبيرة كانت آتية من خان يونس ، في ١٥ ايار ، تحمل خضارا فقتلوا تسعة من ركابها : ثلاثة من عرب الشعوث واربعة من الجراوين واثنان من خان يونس .

وكذلك قل عن الطريق الواقعة بين بير السبع وعصلوج ، فقد سيطروا عليها فور انسحاب الانكليز من هناك . . . حتى انهم كمنوا لسيارة شحن عربية آتية من العوجا فحرقوها ، وقتلوا ٢٥ عربيا من ركابها . سبعة منهم من سكان المدينة (بير السبع) وثلاثة من الخليل وامراتان والباقون من البدو . وفي اليوم التالي (١٩ ايار) قتل اليهود ثمانية اشخاص اخرين كلهم من البدو . قتلوهم بين الخلصة وبير السبع .

وكان قد هبط المدينة ، قبل ذلك بيومين (١٧ أيار) ، حوالي ثمانين مقاتلاً من
الاخوان المسلمين المصريين . وفي قولي أن هؤلاء المتطوعين كانوا زهاء مئتين وخمسين ،
وكانوا خليطاً من المصريين والليبيين منهم عدد من الجامعيين . اثنا عشر منهم ضباط
جاء هؤلاء اليها من ناحية خان يونس ، ، ودخلوها ليلاً . وضربوا ، وهم في طريقهم
اليها ، المستعمرة اليهودية التي كانت في قطاع (العمارة) . ولما دخلوا المدينة ، في ١٧ أيار
نزلوا في مدرسة بير السبع وكان يقودهم يومئذ احمد عبد العزيز . وفي ١٨ / ٥ تمركزت
المدافع المصرية على الطريق العام التي تربط بئر السبع بالخليل ، على مقربة من (الكرانتينا) .
وكان هناك عند مركز الجمر ك على طريق عصابوج (بيك أب) مسلح بمدفع من عيار ٢
رطل بقيادة ملازم ثان مصري . وكان فيه القائمقام محمد عبد الهادي . والمسافة بين
القوتين لا تزيد عن ٥ كيلومترات ورابط المشاة من الاخوان المسلمين المصريين ومن
معهم من ابناء المدينة المناضلين في خط يقع على حافة (وادي السبع) عند الطريق التي
كان يمر منها الخط الحديدي التركي القديم . وفي يوم الجمعة الموافق ٢٣ أيار صدر
الأمر من احمد عبد العزيز بالتقدم صوب مستعمرة بيت ايشل . وراحت المدافع المصرية
وعدها اثنان ، تضرب المستعمرة ، حتى لقد اصابت برجها وبعض مبانيها التي
احترقت . واستمر الضرب زهاء ساعة توقف بعدها . وعلم ان احمد عبد العزيز ما كان
ينوي الزحف نحو المستعمرة ، وأن اراد ان يضربها مهدداً . هذا رغم ان المناضلين
وصلوا في زحفهم الى السلك الشائك الذي يحيط بالمستعمرة .

وفيما كان المصريون يقصفون المستعمرة بنيران مدافعهم اصيب اليوزباشي المصري
(انور محمد الصبحي) برصاصة يهودية انطلقت من تلك المستعمرة ، (بيت ايشل)
اصيب وهو يطلق نار مدافعه على المستعمرة . اصابته في جبهته فاخرقت الجمجمة .
وخر صريعاً . عندئذ انسحب الاخوان المسلمون من الخط الواقع على حافة وادي
السبع الى المدرسة . وهنا قال احمد عبد العزيز انه انتهى من مهمته في بئر السبع وانه
مسافر مع قواته الى الخليل فالقدس .

ولكن عاد فنزل عند رجاء الأهلين ، وابقى في بئر السبع حامية صغيرة من الاخوان
بقيادة الملازم احمد عبده وترك معه مدفعاً واحداً من عيار رطلين . وكانت هذه الحامية

ضعيفة للغاية . ولم تكن مجهزة بكل ما يحتاج اليه القتال من ادوات . حتى ان السيد جواد شحير وضع تحت تصرف قائدها احمد عبده سيارته وآلته اللاسلكية .

اقام المصريون في بئر السبع ، عندما هبطوها ، ادارتين : احدهما مدنية ، والاخرى عسكرية . ودامت هاتان الادارتان زهاء خمسة شهور . وراح القطاع يدار من الناحية المدنية ، من لدن حاكم عسكري هو الرئيس (محمد حلمي جمعة) وكان هذا اول حاكم تولى شؤون ذلك القطاع باسم المصريين بعد انسحاب البريطانيين . وكان يستعين على تمشية الامور باثنين من كبار الموظفين الفلسطينيين كانوا هناك من عهد الانتداب هما : عبد الرزاق قليبو (مساعد الحاكم) و محمد عبد الهادي (القائمقام) .

حدثني اثنان من كبار المناضلين في بئر السبع (عبد الله ابوستة ورشاد السقا) ان احمد عبد العزيز رفض ، عندما هبط مدينة بئر السبع ، ان يتعاون مع الفلسطينيين او أن يقبلهم في صفوفه ليقاتلوا مع الأخوان المسلمين المصريين ، قائلاً انهم (اي الفلسطينيين) لا يحسنون (؟) القتال . وكذلك فعل المواوي قائد الجيش النظامي المصري عندما دخل فلسطين في ١٥ أيار ، وقابله عند الحدود (الشيخ زويد) الشيخ عبد الله ابوستة ، فعرض عليه نفسه ومئة من المناضلين الذين كانوا يعملون تحت قيادته . فرفضهم المواوي ورفض الافادة من اسلحتهم . لا ، بل ورفض استخدامهم ادلة يرشدونه الى مداخل البلاد ومعابرها ! ! . .

ليس هذا فحسب . فقد صادر المصريون اسلحة المناضلين من ابناء بئر السبع . واليك بيان ما اخذوه يومئذ منهم .

٢ هوشكس ٥ برن ٦ مدافع مضادة للدبابات ٦ صناديق ت . ن . ت .

٤٠ بند قية ٤٠٠ قنبلة يدوية (ايطالية) . ٣ صناديق ديناميت .

١٤ آلة تلفون ميدان ٤ ماكنات لاسلكي ٤ مسدسات اشارة .

٥٠ لغماً كهربائياً ٢٠٠٠ كيس رمل ٥ مسدسات ومقادير كبيرة من العتاد

والقنابل المضيفة .

ومكث الجنود المصريون الذين هبطوا المدينة اسبوعاً كاملاً لا يكلمون احداً من ابناء بئر السبع . لا ، ولم يخالطوهم . ولم يستشيروا احداً منهم : لا من المدنيين ، ولا من المناضلين ؛ حتى ولا من اعضاء اللجنة القومية . اتاهم بدوي ليخبرهم عن احتشاد اليهود في احد المواضع القريبة من المدينة ، فاتهموه بالغدر والتجسس ، واعتقلوه .

ولما جرح الحاكم العسكري المصري (محمد جمعة) نقلوه الى مستشفى بيت لحم . حيث قضى نحبه ، ودفن على مقربة من قبة راحيل . وكان ذلك قبل سقوط بئر السبع بخمسة ايام . واقاموا في بئر السبع بدلا منه حاكما عسكريا آخر هو الرئيس (شاكر ابو السبع) وعهدوا بحماية المدينة الى البكباشي (ابراهيم شبيب) . ولكن التدابير التي اتخذت يومئذ للدفاع عن المدينة كانت هزيلة للغاية . والاغرب من هذا ان القائد العام للقوات المصرية (المواوي) سحب من المدينة خيرة جنوده (١) ومعظم الاسلحة التي كانت هناك (٢) . ولما ابدى آمر الحامية اسفه ، اعتذر المواوي بقوله انه مضطر لهذا العمل بسبب اشتداد المعارك في الناحية الاخرى من الجبهة .

ولم يبق في المدينة سوى مدفعين من عيار ستة ارجال ، ومدفع واحد من عيار ثلاث بوصات وبعض المدافع الصغيرة من عيار بوصتين . والانكى من هذا ان هذه المدافع نصبت بعضها عند المحطة الى الشمال من المدينة ، والبعض الاخر في الحرج الكائن بين المدرسة والمقبرة العسكرية الى الغرب من المدينة . ولم تنصب على التلال المرتفعة المحيطة بها ، ولا حفرت على التلال خطوط للدفاع . وانما حفرت خطوط في نقاط ملاصقة لل عمران . واقيم على هذه الخطوط اسلاك شائكة . وفتحت ثغرتان لدخول الناس وخروجهم : واحدة على طريق الخليل ، والاخرى على طريق غزة .

يبدو ان هذه التدابير اتخذت بالإضافة الى التدابير المماثلة التي كان المناضلون المحليون قبل وصول المصريين ، قد اتخذوها : يوم حفروا الخنادق حول المدينة ، ونصبوا الاسلاك الشائكة على ثلاثة خطوط ، وبثوا الالغام ، وأنشأوا الأستحكامات (الدشم) ٢٦ دشمة بالاسمنت المسلح ، وبنوا حول المدينة ستة ابراج ، وفتحوا ثلاثة معابر لدخول المدينة والخروج منها : واحد باتجاه غزة ، وثنان باتجاه الخليل ، وثالث باتجاه عسلاج .

ولقد كلفتهم هذه التدابير الفتي جنيهه ، هي التي كانت لجنة المعارف المحلية قد جمعتها لفتح بستان للاطفال في عهد الانتداب .

(١) قيل ان حامية بئر السبع كانت يومئذ قد نافت على الاربعمئة . وانه سحب منها ر مئتين وخمسين مقاتلا ، ارسل مئتين منهم الى الخليل والقطاع الجنوبي في القدس بقيادة (سيف اليزل خليفة) وخمسين الى الفالوجة .

(٢) من الاسلحة التي اخذها ، خمسين ماكنة تعرف بفيكرز ، وكانت هناك منها عشرة .

ليس هذا فحسب ، فان ذلك القطاع المترامي الاطراف والذي تزيد مساحته على نصف مساحة فلسطين كان خالياً من وسائل الدفاع . يعيش فيه عربان متجولون ، يسودهم الفقر والجهل ، وقد فقدوا في فترة الاحتلال البريطاني - الشيء الكثير من مميزاتهم البدوية ، كالفروسية والكرم واصابة الهدف . فلا خيل عندهم ، ولا مال ولا سلاح . وكانوا محاطين بعدد من المستعمرات اليهودية ، كروخاما في الجمامة . والدفقور على مقربة من رفح ، وبيت ايشل الى الشرق من بئر السبع وغيرها من المستعمرات (١) .

وكانت هذه المستعمرات رابضة في مواضع استراتيجية هامة ، بشكل يعرقل سير القوافل العربية . كالمستعمرة القائمة على الطريق بين غزة وبئر السبع : (بيروت اسحق) والتي حالت دون اتصال سكان هاتين المدينتين . وقد سدت تلك الطريق فور انسحاب البريطانيين من البلاد (٢) . (١٤ أيار سنة ١٩٤٨) . وامتنع العرب عن اجتيازها بعد ذلك التاريخ .

راح الناس ، بعد امتناع طريق بئر السبع - غزة ، يسلكون طريقاً اطول هي التي تمر من بئر السبع - عصلوج - العوجا - رفح - خان يونس - دير البلح - غزة . وطول هذه الطريق لا يقل عن مئتي كيلومتراً .

وبعد ان احتل اليهود عصلوجاً - كما ذكرنا ذلك في غير هذا المكان - انقطع الاتصال بين غزة وبئر السبع وراح سكان هاتين المدينتين يتصلون عن طريق بئر السبع - الخليل - بيت جبرين - الفالوجة - المجدل - غزة .

وامل الناس ان يحتل الجيش المصري هذه المستعمرات وينسفها نسفاً ، عندما اجتاز الحدود في اليوم الخامس عشر من شهر ايار . ولكن شيئاً من هذا لم يقع . اذ انه اكتفي بضربها من بعيد . وتركها خلف الخطوط ، بينما راح يزحف الى الامام . وكانت هذه غلطة عسكرية كبرى . لم يدرك المسؤولون فداحتها الا بعد حين .

(١) اكد لي بعض المطلعين انه كان لليهود عند انتهاء الانتداب ست وثلاثون مستعمرة . ولم يكن هناك ، في عام ١٩٣٨ ، سوى مستعمرة واحدة هي روخاما (الجمامة)
(٢) السحب الجيش البريطاني من هناك عن طريق سيناء وقنال السويس .

قلنا في غيز هذا الموضع ان معارك النقب الاولى بدأت في ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٤٨ ، يوم شن اليهود هجوماً على اسدود والمجدل فاحتلواهما . ومضوا في زحفهم تاركين وراءهم القالوجة بعد أن ضربوا نطاقاً حولها «١» . فاحتلوا عراق سويدان وبربرة والقرى الكائنة في ذلك القطاع بين القالوجة وغزة . وعندما وصلوا الى دير اسنيد ، وقفوا على ابواب غزة يبغون احتلالها .

وان مجلس الامن ، عندما وصلته هذه الاخبار وتلقى تقرير الكونت رالف بانس القائم باعمال الوساطة والقائل بان اليهود هم البادئون ، اصدر أمره بوقف القتال وطلب الى الفريقين المتحاربين (المصريين واليهود) أن يسحبا قواتهما الى حيث كانت في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم الرابع عشر من شهر تشرين الاول . وأتاب مجلس الامن عنه الدكتور رالف بانس كي ينفذ هذا القرار . فضرب هذا الساعة الثانية من بعد ظهر الجمعة الموافق ٢٢ تشرين الاول موعداً لتنفيذ القرار ووقف القتال . ورغم ان كلا الفريقين قالوا في جوابها انه اصدر الاوامر اللازمة لجيشه بالانسحاب . فقد قام اليهود غداة اليوم الذي صدر فيه القرار بهجوم عنيف على بئر السبع ، فاحتلوها (٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٤٨) وسنحدثك في السطور التالية كيف احتلوها ؟

في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٤٨ بدأ اليهود هجومهم على بئر السبع ، بعد ان شنوا عليها حرب اعصاب . فراحوا يمتطرون سكانها بالمناشير تلقيها عليهم طائراتهم .

قال اليهود في منشوراتهم هذه ان طائراتهم ستقذف المدينة من الجو وان غاراتهم هذه ستكرر سبع مرار في تلك الليلة . وسقطت هذه المنشورات رزمة واحدة في وادي السبع عند جسر السكة الحديدية القديمة . فالتقطها رجال السلطة ومزقوها قبل ان تصل الى ايدي السكان ، ولم يعرف السكان بالامر الا عندما بدأت الغارة الاولى في تمام الساعة الثانية من مساء ذلك اليوم (١٨/١٠/١٩٤٨) . فلقى اليهود على المدينة عشرين قنبلة . ولسوء حظ المدينة انه لم يكن فيها يومئذ مدافع مضادة للطائرات . لا ولا كان فيها ملاجئ ولا ابواء النساء والاطفال .

وراحت الطائرات المقاتلة تقذفها من الجو قذفاً شديداً . وكانت تلك الطائرات تقذف حمماً في الوقت نفسه ، على غزة والقالوجة وبيت جبرين وما بين هذه المدن من قرى .

«١» رفض السيد طه الامر الذي اصدره المواوي بالانسحاب من القالوجة قبل حصارها التوجه الى بئر السبع ولو انسحب اليها لما سقطت هذه .

واما القائد المسؤول عن الحامية فقد كان يومئذ الصاغ ابراهيم شهاب . وراح أمر الحامية يلح في طلب السلاح من القيادة المصرية العامة (الموالي في المجلد) وبدلاً من ان تعطيه هذه ما يطلب امرته ان يرسل اليها المدافع الثمانية التي كانت لديه من طراز فيكرز ، كما امرته أن يرسل اليها اربعة من المدافع الستة التي كانت لديه من عيار ستة ارطال . ولم يبق في المدينة سوى مدفعين من هذا العيار وبنادق اعتيادية هي التي كانت بيد المشاة ، وبضعة برنات .

قدر عدد اليهود الذين هاجموا بئر السبع يومئذ بخمسة آلاف مقاتل . وكانوا مزودين بالمصفحات والمدافع الثقيلة وراجمات الالغام . وكانت اسلحتهم متنوعة بين روسية وفرنسية . وكان معظم المقاتلين من يهود فرنسا^(١) وكان يقودهم جنرال من يهود المانيا اسمه شنتهايم^(٢) . يساعده عدد من اليهود المدربين على القتال من ابناء البلاد نذكر منهم موشه دايان^(٣) ومخائيل نقبي^(٤) وغيرهما كثيرين . وكان اليهود قد مهدوا لهجومهم هذا بغارات جوية دامت خمس ليال . وكانت طائراتهم تهاجم المدينة من مطار انشأوه فوق ارض واقعة بين خربة (زباله) من اراضي عشيرة الهزبل وخربة (ام وبكل) من اراضي عرب البديئات على بعد عشرة اميال من بئر السبع .

قذف اليهود من الجو في الليلة الاولى (٢٠/٢١ - ٤٨/١٠) ثمانى قذائف ، فتهدم من جراء ذلك عشرة منازل ، وقتل سبعة اشخاص . وكانت الساعة قد دقت الثامنة من مساء ذلك اليوم (العشرين من شهر تشرين الاول) .

وقبل ان يزحف المشاة كانت المدافع اليهودية (الهاون والمورتر) تقصف المدينة بشدة . وكان هذا (أي قصف المدينة بالمدافع) عبارة عن تمهيد لزحف المشاة . وقابلهم المصريون بنيران مدافعهم التي نصبوها على مقربة من محطة السكة الحديدية التركية (٥) . ولم يكتف اليهود بهذا . بل راحوا يقصفون المدينة براجمات الالغام التي نصبوها على طريق العمارة ، وعلى تل (ام صميدع) الى الجنوب الغربي من المدينة . وراح المشاة يزحفون صوب المدينة .

«١» اقرأ ما كتبناه في هذا الصدد عند ذكرنا لمارك النقب الاولى .

«٢» قتل هذا الجنرال في المعركة نفسها .

«٣» رقي هذا بعد وقف القتال فأصبح رئيساً لاركان الجيش الاسرائيلي .

«٤» كان هذا في اواخر عهد الانتداب مختاراً لمستعمرة نقبا اليهودية من اعمال غزة .

«٥» كان للمصريين فوق تل مرتفع ما بين بئر السبع وعصلاج حامية من المصريين النظاميين ولكنهما

لم تنفع في صد اليهود عن بئر السبع .

وكانوا عند البدء عبارة عن الف مقاتل ثم تبعهم كثيرون ، جاءوا في عدد كبير من السيارات الميكانيكية من طراز (جيب)^(١) بعضها اعد لحمل الجنود، والبعض الآخر كان مصفحاً . في كل منها برج للمراقبة ، ومدفع من طراز برن . وفي بعضها مدافع مقاومة للطائرات . وكانت الساعة قد دقت العاشرة والدقيقة الثلاثين .

ولكن الهجوم من هذه الناحية صُدم بسهولة . وثبت بعد قليل انه كان هجوماً مصطنعاً المقصد منه التضليل . اذ ما كادت راجمات الالغام هنا تسكت، حتى بدأ الهجوم الحقيقي من النواحي الاخرى ولا سيما من الشمال والشمال الغربي حيث المطار وضربة الشرباص . وعبثاً حاولت حامية المدينة الاستنجاد بالقيادة المصرية . فلم تأت بها اية نجدة . هذا رغم البرقيات التي تلقاها أمر الحامية من المواوي بالمجدل، ومن سيف اليزل بالخليل بان النجدة آتية ، والطائرات المصرية قادمة .

والغريب في الامر انه وصلت المدينة في عصر ذلك اليوم (٢٠ / ١٠ / ١٩٤٨) قوة مصرية عن طريق عصلوج . ففرح بها سكان بئر السبع ، كما فرح المناضلون . وظنوها قوة آتية للنجدة . ولكنهم ما عتموا ان استولى عليهم اليأس ، عندما رأوها تغادر المدينة في طريقها الى الخليل . وكانت فور وصولها بئر السبع تلقت من القيادة المصرية بالمجدل امراً بمغادرة بئر السبع الى الخليل .

فدب الرعب في قلوب الاهلين . وارادوا ترحيل نساءهم واطفالهم . الا ان المصريين لم يسمحوا لهم بذلك . وفيما كان الناس في حيرة من امرهم كان اليهود يتابعون قصف المدينة من البر والجو . واشتد القصف بعد قليل . فاصيب عدد غير قليل من الجنود والسكان . وانتشرت الفوضى في المدينة . فراح الناس ، شيوخاً ونساء واطفالاً ، يرحلون .

وفي قول ان اليهود القوا في تلك الليلة ٢٥٧ قنبلة كان اعنفها القنابل السبع الاخيرة . وراح اليهود بعدئذ يزحفون صوب المدينة الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين من بعد نصف الليل (٢٠ - ٢١ / ١٠ / ٤٨) : فريق منهم جاء من ناحية الفالوجة ، وآخرون من طريق غزة . تدعمهم المصفحات ، وقد قدرها بعضهم بمئة . ولقد احاطوا بالمدينة من ثلاث جهات : من الشمال والجنوب والغرب . وجاء بعد منتصف الليل بقليل ، عدد من المصفحات اليهودية من مستعمرات بيت ايشل (السر) ومن وادي الحمام الى الشرق من المدينة . فاكتمل الحصار . واصبحت بئر السبع محاطة بالاعداء من اربع جهات .

« ١ » استطاع الاستاذ عبد الله الخطيب مدير المدرسة ان يحمي منها مالا يقل عن مئة سيارة .

وبلغ عدد اليهود ثلاثة آلاف ولم يكن فيها يومئذ سوى ٢١٦ مقاتلاً من العرب :

١١٦ منهم مصريون و ١٠٠ مناضلون فلسطينيون .

وان بالغ بعضهم فقال انه كان فيه يومئذ الف مقاتل : ثمانئة جنود نظاميون

(مصريون) ومثتان مناضلون فلسطينيون ! . والحقيقة انهم ما كانوا يزيدوا على المئتين

الا قليلا .

اما الجنود النظاميون من المصريين فكانوا من الناحية الغربية ، وأما المتطوعون من

المصريين والليبيين فكانوا في شرق المدينة وشمالها على طريق الخليل ، واما المناضلون

الفلسطينيون فكانوا في شمال المدينة وجنوبها . وانه وان كان هناك بعض المدافع المصرية

(اربعة) منصوبة في الحرج الكائن بين المدرسة والمقبرة على طريق غزة ؛ الا انه لم يكن

بين هذه المدافع ، ولو مدفع واحد من النوع الذي يستعمل لمقاومة الطائرات .

ولقد دام تبادل النيران الليل بأكمله . واطلق اليهود بضع طلقات من مدفع نصبوه

في بيت ايشل . فظن المصريون ان اليهود يستغنون الزحف من تلك الناحية ، وان لهم

فيها مدافع كثيرة . فراحوا يصبون نيران مدافعهم بالاكثر على تلك الناحية . بينما كان

اليهود يزحفون صوب المدينة من النواحي الاخرى .

في الساعة الثانية صباحاً (٢١ / ١٠ / ٤٨) تقدمت دبابة يهودية من طراز شيرمان من

ناحية خربة الشرباص ، كما تقدم عدد كبير من المصفحات من طريق الخليل . فدخلوا

— اول ما دخلوا — سوق الحيوانات . ثم احتملوا مقبرة المدينة . ثم المستشفى . وكانت

الساعة قد دقت الرابعة والنصف . وما كاد الفجر يبرغ حتى كان اليهود قد احتلوا

النصف الشمالي للمدينة . يفصل بينهم وبين المصريين المرابطين في النصف الجنوبي الشارع

العام . وفي تمام الساعة السادسة والنصف احتلوا مدرسة الاناث والمسجد .

ونصبوا في ساحة المسجد مدفعاً من مدافع الميدان . واستعاد اليهود من المدافع

المصرية ، فاستعملوها لاختضاع ما تبقى من المدينة وراحوا يقاتلون بقيمة الحامية التي

تحصنت في مركز البوليس (تيجارت) . وثبتت حامية هذا المركز ، فراحت تقاتل

اليهود قتالاً عنيفاً ، وكانت مؤلفة من ثلاثة وخمسين مقاتلاً : — بعضهم مصريون

وسودانيون ، والبعض الآخر من رجال البوليس الفلسطيني ، وبينهم احد عشر مناضلاً

يتسمون الى فرق الجهاد المقدس . وكان هؤلاء قبل ثلاثة ايام — سُجنوا هناك بأمر من

المصريين الذين ارتابوا في امرهم ، فسجنوهم . ولما جد الجد . وجاء اليهود اشتركوا في القتال . وأبلو فيه بلاء حسنا .

ظلت حامية المدينة ، التي انكشت في مركز البوليس كما قدمنا ، تقاتل الاعداء حتى نفذ كل ما كان لديها من ذخيرة . وعبثاً حاولت حامية المدينة اتماع القيادة العامة في انجاده . ذلك لان القيادة كانت يومئذ مشغولة بتثبيت اقدامها في غزة . وكان الجيش قد انسحب اليها (اي الى غزة) بعد ان تخلى عن قطاعي المجدل والفالوجة . وكان اليهود يشاغلون المصريين المرابطين فيها بغارات وهمية : تارة من البحر وطوراً من الجو ، الامر الذي جعل هؤلاء يظنون انهم سيهاجمون . ولهذا لم يستطيعوا انجاد بئر السبع بجندي واحد .

انذر اليهود رجال الحامية العربية الذين تحصنوا في مركز البوليس كي يستسلموا ، وامهلوهم ربع ساعة ، ولقد ارسلوا اذارهم الخطي مع عربي اعتقلوه في المستشفى يدعى (يحيى بسيسو) وهو ممرض . قام هذا المركز حاملاً علماً ابيض . واختلف رجال الحامية في الامر . فمنهم من اراد ان ينصاع للانذار . ومنهم من رفض . والذين رفضوا انقسموا الى شطرين . شطر فر من العمارة ، وشطر آثر الصمود فيها والمقاومة حتى النفس الاخير . والذين فروا (زهاء مئة شخص) تعرضوا لنيران اليهود من مدرسة الاناث . فقتل منهم ثلاثون . بعضهم مصريون والبعض الآخر فلسطينيون ونجا الآخرون ومن الناجين امر الحامية ابراهيم شبيب و ١٣ من جنوده . ولما انتهى الوقت المحدد في الانذار ولم يأت الجواب قصف اليهود البرج بمدفعهم الذين نصبوه في ساحة المسجد . فهدم البرج واصابت قبلة خزان الماء ، فانفجر وجرت المياه المتدفقة المدافعين . فسقطوا الى اسفل العمارة . وبهذا انهارت قوة الدفاع ، فرفع المصريون العلم الابيض ، وفتحوا باب العمارة . فجاء اليهود واحتلوها . وكانت الساعة قد دقت الثامنة والدقيقة الخامسة والاربعين (٢١ تشرين الاول ١٩٤٨) .

ويؤكد محمد عبد الهادي ان حامية المدينة ارسلت الى القيادة العامة ٨٥ برقية لم تتلق جواباً الا على الاخرة منها . وقد قال المواوي :

« الخط كله مشغول . والضرب في كل مكان : لا يمكن ارسال نجدة » وختم المواوي برقيته بقوله :

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً ، بل احياء عند ربهم يرزقون . »
وهكذا لم يكن بد من التسليم . فسقطت بئر السبع بيد الاعداء ..

لا نعرف بالضبط كم عدد الذين نالوا الشهادة في معارك بئر السبع ، إلا من المناضلين ولا من الاهلين . وان كنا سمعنا ، من صديق شهد اواقعة بنفسه يوم الاحتلال ، ان عدد الشهداء اربعون وان اليهود قتلوا في ناحية واحدة عشرة من العرب (١) : سبعة رجال وثلاث نساء . وتمكن من الافلات ثلاثة هم : الاستاذ عبد الله الخطيب (مدير المدرسة) وحمدي حرز الله (موظف البريد) وشاب من عائلة حرارة (مباشر المحكمة الشرعية) وكان هؤلاء جميعاً مختبئين في بئر كانت قد حفرت هناك الي جانب احدى المباني الجديدة .

وقال ان عدد الشهداء العرب ، يوم سقوط بئر السبع ، ناف على السبعين . منهم توفيق السودة ، حسن النابلسي ، علي ابو عيشه ، هاشم الشوا ، الحاج علي جراده ، عبد الله هنية وامراته وأولاده الصغار وعددهم أربعة (ولدان وبتتان) ، حسن عويضة وولده وبنته ، وحماد أبو بيض ، وامرأة من دار الغزالي ، وشخصان من دار ابي عيشه ، رش اليهود رجال الحامية ، عند استسلامهم ، بمدفع من طراز (طومي غن) . فقتلوا أربعة منهم وجرحوا سبعة . رشوهم ، رغم انهم كانوا رافعين ايديهم علامة الاستسلام .

وهدم عدد كبير من منازل المدينة ، اثناء القتال . وجمع اليهود في صباح اليوم التالي (٢٢ / ١٠ / ١٩٤٧) سكان المدينة من رجال ونساء في ساحة السرايا ، داخل السلك الشائك . وكان عددهم يقرب من الف . معظمهم فلسطينيون (٢) . ولم يكن بينهم سوى عدد لا يزيد عن المئة من المصريين .

اما الشباب من هؤلاء فقد اسرهم اليهود .
اسر اليهود ٥٣٥ رجلا : ٣٥٠ منهم جنود مصريون و١٨٥ من سكان المدينة ، بعضهم

«١» المختار الحاج علي جرادة وولده . الشيخ علي بسيسو وزوجته . شخص من آل الشوا « كان في جيبه سبعة الاف جنيه » لحام من بئر السبع . وفلاحتان .

«٢» كان يقطن في مدينة بئر السبع قبل ان يحتلها اليهود ، زهاء ستة آلاف وسبعماية نسمة ، بعضهم « زهاء المئة » من اللاجئين . والبعض الاخر موظفون والباقيون من سكان المدينة الاصلين . نرح خمسم قبل الهجوم ببضعة ايام ، اثر ضرب المدينة من الجو بالطائرات وحالت السلطة دون نزوح الاخرين . وكان فريق من هؤلاء يقضون لياليهم علي طريق عسلوج وطريق الخليل . ويعودون لمباشرة اعمالهم في النهار . ولما اشتد القتال نرح معظمهم رغم انف السلطة حتى لم يبق منهم فيها الا الاقلون . ولم يستطع الهاربون انقاذ شيء من اموالهم وامنتهم . والقليل الذي استطاعوا انقاذه وحمله معهم نهبه منهم البدوي بالطريق .

مناضلون والبعض الآخر مدنيون . نذكر منهم الاستاذ عبد الله ابراهيم الخطيب مدير المدرسة (١٩٣٩-١٩٤٨) . ولما كان مجروحاً فقد أبقاه اليهود مدة في المستشفى بيافا ثم نقلوه مع الاسرى الآخرين الى معتقل الاسرى في (جليل) الى الشمال من يافا . وكذلك قل عن الاسرى الآخرين الذين بعد أن ابقوهم في المدينة بضعة ايام ، نقلوهم الى المعتقل المذكور .

وحمل اليهود الشيوخ والنساء والاطفال الذين بقوا في المدينة ولم يبرحوها . حملوهم في سياراتهم . فنقلوهم الى مستعمرة (بيروت اسحق) القريبة من غزة . وهناك تركوهم دون ان يسمحوا لهم بحمل شيء من امتعتهم . فجاء المصريون واخذوهم الى غزة . حدثني الاستاذ عبد الله الخطيب مدير مدرسة بئر السبع ان المصريين رفضوا ، بادىء ذي بدء قبول هؤلاء الشيوخ والنساء والاطفال خشية ان يكون قد اندس بينهم الجواسيس . ولكنهم عادوا فعدلوا عن رأيهم . وقبلوهم . وقال محمد عبد الهادي قائم مقام بئر السبع ان حاكم الخليل المصري عبد المحسن أبو النور أيضاً رفض ، في بادىء الامر ، أن يسمح للاجئي بئر السبع بدخول منطقتهم . ولكنه عاد فوافق على ادخالهم .

وما فتىء القوم ، الى يومنا هذا ، يتحدثون عن سقوط بئر السبع . تلك المدينة التي بسقوطها تمكن اليهود من الاستيلاء على جنوب فلسطين (النقب) ، ويعزون ذلك الى ان الجيش المصري اهمل الدفاع عنها ولم يرسل لها خلال المعركة اية نجدة خلا المئتين وخمسين من المصريين والليبيين المتطوعين . ولم تظهر في سماءها أية طائرة لترد كيد الطائرات اليهودية التي ظلت تعمل ، كما أسلفنا خمس ليال دون انقطاع .

وفي عصر ذلك اليوم الذي سقطت فيه بئر السبع ظهرت في سماء المدينة طائرة مصرية واحدة القت قبلة واحدة على مستعمرة بيت ايشل . فسقطت هذه في العراء بعيدة عن المستعمرة ، ولم تحدث ضرراً . وعادت الطائرة بعدئذ ادراجها .

فقد قال بعضهم : - ان الطائرات المصرية كانت مشغولة بتغطية انسحاب المصرية من قطاع النجدل . وترك المستعمرات خلف الخطوط المصرية وقال آخرون ان في الامر لسراً . والا فلماذا سحب اللواء المواوي بك ثلاثمئة وخمسين جندياً من رجال الحامية . ومن الانصاف أيضاً أن نعترف ، من اجل الحقيقة والتاريخ ، أن الجيوش العربية الاخرى (ولا سيما الجيش الاردني والجيش العراقي) وقفت ، والمعركة قائمة في

ذلك القطاع ، صامته . لم تحرك ساكناً . وكانت المصلحة تقضي باشغال العدو في الجبهات الاخرى ليخفف الضغط عن تلك الجبهة .

وأما البدو وسكان ذلك القطاع ، فحدث عنهم وعن جمودهم ولا حرج ، فلقد كانوا عادمي النفع بالمرّة ، لا من الناحية الحربية فحسب ، بل من النواحي الوطنية والاقتصادية والادبية والاجتماعية أيضاً ، ولا بدع فقد كانوا من الجهل بسبب فقدان المدارس ، والقفر بسبب المحول المتواصلة ، على جانب عظيم . الا من عصم ربّي منهم ، وكانوا قليلين ، فانهم لم يقصروا في واجبههم نحو امتهم وبلادهم .

ووصل هؤلاء من سوء الحظ إلى درجة أن المصريين أنفسهم لم يسمحوا لهم بأي نشاط حربي . ليس هذا فحسب ، بل انهم حظروا عليهم دخول المدينة لاعتقادهم بانهم جواسيس ، واثن صحت هذه التهمة على عدد ضئيل منهم ، فانها لا تصح على الاكثرين (١) وفوق كل ذي علم عليم .

وهكذا سقطت (بئر السبع) ... المدينة التاريخية التي ملكها الفلسطينيون منذ احقاب وقرون ... وسكنها جد الانبياء ابراهيم ، فعقد مع ابيمالك ملك الفلسطينيين ميثاقاً حلالاً بموجبه الخلاف الذي كان قائماً من اجل الماء . وكانت في يوم من الايام الحد الجنوبي لارض كنعان (٢) . كما كانت منزلاً للعائلة وملوك الرعاة (الهيكسوس) .

واكتسحها الاشوريون ، والبابليون ، والفرس والأنباط . كما اكتسحها اليونان . وتاه في وديانها جند الرومان . والبيزنطيون . وهؤلاء واولئك فيها وفيما حولها من ديار آثار وخرائب وسدود وآبار .

وتزلها قبل الاسلام (جرهم) من بني قحطان ، كما تزلها عدد من القبائل الاخرى من بني كنانة وبني حمير وكلاب .

ودخلت في حوزة الاسلام على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . وأقام فيها عمرو ابن العاصي عندما عزله عثمان بن عفان بعد أن ولاه مصر (٣) وفي أرضها توفي عبد الله بن عمرو .

واحتلها الصليبيون ، وكان لريكاردوس قلب الأسد جولات في سهولها ، واستردها منهم صلاح الدين .

«١» اقرأ ما كتبناه عن بدو بئر السبع في موضع آخر من هذا الكتاب .

«٢» اقرأ الاصحاحين ٢١ و٢٢ من سفر التكوين .

«٣» (معجم البلدان) لياقوت الحموي .

ودانت لسلطان الأتراك في زمن السلطان سليم الملقب بـ (ياووز) كما دانت لوالي مصر محمد علي باشا يوم اجتازها جيشه يقوده ولده ابراهيم .

وكانت مسرحاً لقتال عنيف قام بين الأتراك والانكليزي في الحرب الكونية الاولى (١٩١٧ م) وما كان الجيش الانكليزي ليستولي على غزة (وكان قد حاول الاستيلاء عليها مرتين : مرة في ٢٦ آذار سنة ١٩١٧ واخرى في ١٩ نيسان ١٩١٧ ولكنه فشل في المرتين) لولا انه استولى أولاً على بئر السبع . ولما استولى عليها (في ٣١ تشرين الأول ١٩١٧) سقطت غزة أيضاً بيده وكان ذلك في ٧ تشرين الثاني ١٩١٧ .

وقد الامر من قبل ومن بعد .

عصلوج

سقطت (عصلوج) بيد اليهود مرتين : الاولى في ١١ حزيران ١٩٤٨ وقبل الموعد المضروب لبدء الهدنة بساعتين ، والثانية في ٢٥ كانون الأول ١٩٤٨ عندما قاموا بهجومهم الذي ذكرناه في الفصل السابق ، ولهذين الاحتلالين قصة نزويها في السطور التالية : -

١ - لم يعن أحد من العرب ، لا من المناضلين الفلسطينيين ، ولا من الاخوان المسلمين المصريين الذين تطوعوا للقتال وراحوا يصلون في جنوب فلسطين ، حتى ولا الجيش المصري الذي كانت تلك البقعة من الارض ... بموجب الخطة العربية العامة - داخلة في نطاق تصرفه ؛ أجل ، لم يعن احد من هؤلاء بهذه البلدة الصغيرة . عصلوج . رغم انها واقعة على الطريق التي تربط مصر بالقطاع الجنوبي من فلسطين ، ولها قيمة من الناحية الاستراتيجية ، تبعد عن بئر السبع أربعة وثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب ، تربطها بها وبالحدود المصرية طريق معبدة ، وفيها ثلاثة آبار ، مياهها عذبة ، انها من ديرة العزازمة . ولها مكانة في التاريخ ، أحرقتها العالقة ، وسكنها بنو يهودا بعد السبي ، وبني الرومان فيها سداً ، واتخذها الأتراك مركزاً للتموين في حملتهم على قناة السويس (١٩١٤) ومنها هاجم الانكليز بئر السبع في الحرب الكونية الاولى ، وكانت مقراً لقبلى خيالة الصحراء (١٩١٧) . وأقاموا فيها بعد الاحتلال مخفراً كان من أهم المخافر التي تسيطر على صحراء النقب .

٢ - كان أول من اعتنى بها في حرب فلسطين البكباشي أحمد عبد العزيز الذي سبق

وقلنا أنه قاد الكتيبة الاولى من كتائب الأخوان المسلمين الذين تطوعوا للقتال في فلسطين ودخلوها في اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان ١٩٤٨ .

فقد أقام فيها خمسين جندياً يقودهم اليوزباشي (عبد المنعم عبد الرؤوف) وجعلها نقطة للمواصلات . ذلك لأن المؤن والذخائر كانت تأتي من مصر عن طريقها .

وظلت عصلوج بيد المصريين حتى اليوم العاشر من شهر حزيران .

٣ - حدثني الملازم الاول عمر عمر البنبلي التونسي انه في اليوم العاشر من شهر حزيران تلقى أمراً من أحمد عبد العزيز بالتوجه نحو العريش ، واحضار الذخائر التي كانت بانتظاره . فاخذ هذا سبع سيارات للشحن . وحرساً مؤلفاً من واحد وعشرين جندياً وسبعة مدافع رشاشة من طراز برن . وسافر إلى العريش . وبعد أن قام بالمهمة التي بعث من أجلها وعاد إلى عصلوج كان الليل قد انتصف (١٠ / ١١ حزيران) . وم كان استغرابه شديداً عندما شعر بحركة غير اعتيادية في التلال التي تحيط بها . وكانت تلك الحركة على أن اليهود ينوون مهاجمتها . فأراد أن يغادرها لئلا تقع الذخائر التي في جوزته بيد الأعداء . ولكن اليوزباشي (عبد المنعم عبد الرؤوف) منعه ، واستبقاه حتى الصباح . وفيما كان الاثنان يتباحثان ماذا يفعلان راح اليهود يقصفون المكان . قصفوه بمدافعهم التي نصبوها وراء التل ، وما عتا أن تلقيا نبأ آخر يقول انهم (أي اليهود) قطعوا الطريق التي تربط عصلوج ببئر السبع . كما قطعوا الطريق التي تربطها بالعوجا . وراحوا بعدئذ يهاجمون عصلوج . وقد طوقوها من كل جهة . ودام القتال في الليل وكان عددهم كبيراً .

هذا ما رواه الاخوان المسلمون المصريون عن سقوط عصلوج . وأما السيد محمد عبد الهادي الذي كان يقود فريقاً من المناضلين من البدو في ذلك القطاع ، وكان في أواخر عهد الانتداب قائماً هناك فانه يقول (١) : -

« ان قوة يهودية قوامها ثلاثمئة مقاتل هاجمت عصلوج (٢) في منتصف الليلة التي

« ١ » اقرأ حديثه المنشور في العدد ٦٥ من جريدة « الجهاد المقدسية بتاريخ ١١ / ١٠ / ١٩٥٣

« ٢ » قرية صغيرة واقعة على طريق بئر السبع - العوجا . تبعد عن الاولى اربعة وثلاثين كيلو متراً وعن الثانية ٤٣ كيلومتراً . وهي من المراكز الاستراتيجية الهامة في جنوب فلسطين ، فيها دائماً مخفر لبوايس ، وثلاثة آبار ذات مياه عذبة يردها جنود المخفر والعربان المجاورون وهم من العصابات والفراحين والصبيحات والمسعوديين وما الى ذلك من افخاذ العزازمة .

سبقت اعلان الهدنة الاولى (١٠/١١/١٩٤٨) . وكانت حاميتها يومئذ عبارة عن مئة متطوع من الليبيين والمصريين يقودهم اليوزباشي عبد الرؤوف عبد المنعم ، وهو من ضباط الجيش المصري النظامي ؛ وانه كان هناك تسعة من افراد البوليس (الهجانة) من البدو يرأسهم عريف اسمه عيد ابو خليل . وكان مع الحامية آلة لاسلكية يديرها عريف من البدو أيضاً يدعى سالم البلوي . وان هذه الحامية كانت تأتمر باوامر البكباشي ابراهيم الورداني في بئر السبع ؛ وان اليهود لم يجدوا صعوبة في الوصول الى عصلوج ، اذ كانت حاميتها قليلة العدد ، كما كانت قليلة العتاد والمؤن . ولهذا تفهقرت الحامية . ودخل اليهود القرية . وعندما وصلوا الى المكان الذي كان قد تحصن فيه الهجانة من أبناء البدو ، حاصروه ، وما لبثوا أن نسفوه على من فيه (١) .

« وأبرق البكباشي ابراهيم الورداني ، بوصفه القائد المسؤول عن ذلك القطاع ، وكان ساعة وقوع الحادث في بئر السبع ، الى القائد العام المواوي يقول : « ان اليهود احتلوا عصلوج ، وانهم ما كانوا يستطيعوا احتلالها لولا أن أفراد البوليس هربوا من اماكنهم ، وبهرجهم فتحت ثغرة ، ودخل منها العدو . »

ويؤكد السيد عبد الهادي : « ان ما جاء في تقرير الورداني غير صحيح ، وان الهجانة من أبناء البدو المحصورين في داخل المركز قاوموا اليهود الذين حاصروهم بكل ما اوتوا من قوة ، وانهم ظلوا يقاومون الى أن نفذ عتادهم ؛ وان اليهود نسفوا المركز على من فيه ، فمات منهم من مات ، واسر من اسر ؛ ولم يسلم منهم إلا عامل اللاسلكي سالم البلوي الذي كان قد غادر المركز قبل تطويقه بمهمة انتدبه لها رفاقه الآخرون .. » ولقد أيد هذا الحديث مناضل آخر هو السيد جواد شحير ، إذ قال :

« ان الهجانة البدو أبدوا بسالة منقطعة النظير ، وانهم ، عندما شن اليهود هجومهم على عصلوج ، انقسموا إلى شطرين ؛ سطر تحصن في مركز البوليس ، وآخر صعد الى مئذنة الجامع وراح من هناك يقام اليهود . واستمر الفريقان في المقاومة الى ان تغلب اليهود عليهما ، فهدموا الجامع ومئذنته ؛ وأخذوا جميع الهجانة اسرى . فلم ينج منهم سوى سالم البلوي عامل اللاسلكي الذي عريفه بمهمة من المركز الى الجامع ، فلم يتمكن من الوصول اليه ؛ لا ، ولا تمكن من العودة الى مركزه . ففر الى بئر السبع . ومن الذين قتلوا في معركة عصلوج هذه (وضمفي علي الوزني) من سكان بئر السبع .

«١» وهناك رواية اخرى تقول ان المحصورين انفسهم ، عندما نفذ عتادهم وايقنوا انهم لا محالة واقعون في شرك اعدائهم ، نسفوا المركز ، متذكّرين قول شمشون الجبار : لي ، وباعدائي يا رب ! ...

وما كان باستطاعة المصريين ان يصدوهم . وراح اليهود من مستعمرة بيت ايشل يشاغلون المصريين المرابطين في بئر السبع بنيران مدافعهم القوية ليحولوا دون نجدة عصلوج . وما كادت تدق السادسة صباحاً (١١ حزيران) حتى كان اليهود قد احتلوا عصلوج . ولم يبق لم يعد البدء بالهدنة سوى ساعتين .

وقتل من المصريين في تلك الليلة زهاء اربعين جندياً . ولم يبق من حاميتها سوى ثلاثين والضابطين . فاسرهم اليهود . الا الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف فقد عاد الى العوجا سالمأ ، ويظهر ان عودته على هذا الشكل احدث بعض الريبة في قلب رئيسه فقد أمر هذا بسوقه إلى مصر محفوظاً .

٤ ... نسف اليهود بعد أن تم لهم احتلال عصلوج مستودع الذخيرة الذي كان فيها ولحادث النسف هذا قصة يرويها لك الاخوان المسلمون . فيقولون :

ان ثلاثة من الاخوان المجاهدين (وهم رشاد زكي ومحمود حامد ماهر وعبد الله البتاتوني) عندما رأوا أن عصلوج لا محالة واقعة بيد اليهود وانهم واقعون في شرك الاسر ، وان مستودع الذخائر الذي كان في حراستهم سوف يستولي عليه الاعداء فيستعملونه ضد امتهم . قرروا أن ينسفوه ولو أدى ذلك إلى هلاكهم . فقبعوا في المستودع ، واختبأوا خلف كومة من الصناديق . ولما دخل اليهود المستودع اشعل الثلاثة المختبئون النار في صناديق المفرقات . وفي اقل من لمح البصر كان البناء كله قد استحال إلى كومة من الانقاض . فهلك اليهود الذين دخلوه ، وقضى ، في الوقت نفسه ، الابطال الثلاثة نجبتهم ، قضوا ولسان حالهم يردد ما قاله شمشون الجبار في سالف الزمان :

(بي وباعدائي يا رب ...)

يعتبر سقوط عصلوج بيد اليهود كارثة لا تقدر ، ذلك لانه يعني قطع مواصلات الجيش المصري في الجبهة الشرقية . ولهذا قررت هيئة الأركان العامة استردادها مهما كلف ذلك من ثمن وارسلت هذه الى المواوي برقية بهذا المعنى . فأمر المواوي بارسال قوة من الجيش النظامي . وارسلت القوة في اليوم التالي (١٢ حزيران) . ولكنها فشلت في مهمتها ، رغم انها كانت مزودة بالمدافع والسيارات المصفحة ، واستمات اليهود في الدفاع عنها . فاستنجد المواوي باحمد عبد العزيز . وعهد هذا بالمهمة الى اليوزباشي (محمود عبده) قائد الأخوان في صور باهر . فأرسل قوة من الاخوان يقودها

ضابط برتبة ملازم هو (يحيى عبد الحليم) من اخوان القاهرة . فاحتلها وجرح في المعركة .

عندئذ ، وعندئذ فقط ، أخذت القيادة المصرية تعنى باحمد عبد العزيز ورجاله . فراحت تملهم بالاسلحة والذخائر ، كما أمدتهم بعدد من الجنود النظاميين .

٥ - ظلت عصلوج بيد المصريين الى أن قام اليهود بهجومهم الكبير على القطاع للكائن بين بئر السبع والعوجا ، واحتلوا معظم المواضع الحربية الكائنة في ذلك القطاع . وكان ذلك في ٢٥ كانون الاول ١٩٤٨ .

معارك النقب الثانية

ما كادت انباء القاهرة ، وما قاله رؤساء الأركان العرب في ذلك المؤتمر ، تصل إلى اليهود ، حتى قرروا القيام بهجوم عام على المواضع المصرية في النقب ، وكادوا ينجحون ، لولا أن انقذت مصر ، وانقذ الجزء الجنوبي من فلسطين في اللحظة الأخيرة . وتفصيل الخبر ان الحكومة المصرية اقتنعت ، بعد انتهاء معارك النقب الاولى ، ان المسؤولية تقع في الدرجة الاولى على عاتق القائد المصري اللواء علي المواوي . فاعفته من منصبه . وعهدت بقيادة الجيش إلى اللواء أحمد فؤاد صادق باشا ، وكان ذلك في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٨ وأصدر اللواء أحمد فؤاد أمره إلى اللواء العاشر ، فتولى هذا مهمة الدفاع . وكان اللواء يومئذ مؤلفاً من أربعة أفواج من المشاة وقوات من المدفعية والدبابات والمهندسين . وكان يقوده محمد نجيب . وانضم اليه بعد اسبوعين لواء آخر ، هو اللواء الرابع للمشاة .

بدأ اليهود هجومهم في ٢٢ كانون الأول ١٩٤٨ ، فانقضوا على خط القتال المصري إلى الجنوب من غزة ؛ بين دير البلح وخان يونس . واحتلوا التل ذا الرقم ٨٦ . ومن ذلك المرتفع راحوا يقصفون قرية دير البلح ومدينة خان يونس . وفي الوقت الذي كان اليهود يقصفون فيه هذين البلدين بنيران مدافعهم من التل ٨٦ راحوا يقصفونها بقنابل طائراتهم من الجو . وكر المصريون على ذلك التل في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي (٢٣ كانون الأول) بثلاث فصائل من الجنود وخمس دبابات . ولكنهم في بادئ الأمر فشلوا ، وتعطلت دباباتهم لأن بطارياتها لم تكن صالحة لتسيير محركاتها . وأضاهت القوة المصرية المهاجمة وقتاً طويلاً في استبدال تلك البطاريات . ففلتت من يدها فرصة المباغتة .

واصيب التماثد محمد نجيب بجروح مختلفة في صدره وفي خاصرته اليمنى .

فتسلم المير آلاي محمود رفعت قائد القطاع تلك المهمة . . مهمة استرداد ذلك التل .
وقد نجح في استرداده . فطرد اليهود منه ، ومن المواضع التي كانوا قد احتلوها
امام دير البلح وخان يونس .

خسر اليهود في هذه المعركة التي سميت فيما بعد : (معركة دير البلح) - دأ كبيراً
من مقاتليهم . وقد ارتدوا إلى الوراء . وكذلك قتل عن المعركتين الكبيرتين اللتين وقعتا
بينهم وبين المصريين في (العوجا) و (رفح) . ويقدر الخبراء خسائر اليهود في هاتين
المعركتين بما لا يقل عن أحد عشر الف مقاتل . والفضل في بقاء ذلك القطاع الكائن في
جنوب فلسطين من غزة إلى رفح بيد العرب راجع إلى ذلك القائد المصري النبيل الذي
ذكرناه في السطور المتقدمة : اللواء احمد فؤاد صادق باشا . وقد رقي بعدئذ الى رتبة
(فريق) .

واستغرب القوم : لماذا لم يقم الجيشان العربيان المجاوران للجيش المصري باية
حركة ولم تقصد مشاغلة الجيش الاسرائيلي ليخفف هذا ضغطه عن المصريين ، ولو
شاغلاه لما تمكن اليهود من سحب قطعات كبيرة من جيشهم المرابط في شمال فلسطين
الى جنوبها ، كذلك كان الوضع في معارك النقب الاولى والثانية .

فقد جاء في ملفات وزارة الدفاع العراقية أن الذي كان يقود القوات العراقية يومئذ
في فلسطين هو الفريق الركن نور الدين محمود باشا . وقد رفض هذا الامر الذي اصدره
اليه رئيس الوزراء مزاحم الباجه جي كي يقاتل اليهود . وكان ذلك في شهر كانون
الاول ١٩٤٨ .

وكذلك فعل الاردن . فان الجيش العربي الاردني الذي كان يتحرق شوقاً إلى
القتال ، ولا بدع فان جنوده وضباطه من خيرة الرجال واكثرهم اخلاصاً نقضية
ببلادهم ؛ الا ان قياده كان بيد فئة من الأغيار . وفي طليعتهم غلوب باشا الانكليزي
صاحب الكلمة الاولى . وقد ابى هذا ان يحرك ساكناً أو يساعد الجيش المصري
في قتاله .

وكان مجلس الجامعة العربية قد أشار على كل من الجيوش العربية الثلاثة العراقي
والسوري والاردني ، ان ينجد الجبهة المصرية بكتيبة من كتائبه . ولكن غلوب باشا

رفض الانصياع لهذه الخطة . وقد اعتبرها سقيمة . قائلاً ان الجيش العربي وحده قادر على تنفيذها إذا ما رضي الجيش العراقي أن يتسلم منه قطاع اللطرون . ويقول غلوب الذي نقلنا عنه هذه الراوية ^(١) : ان العراقيين رفضوا اقتراحه قائلين : انه ليس في مقدورهم أن يفعلوا ذلك . ولكنه (أي غلوب) ما لبث ان اعترف في الصفحة نفسها ان العراقيين ساقوا كتيبة من كتائبهم صوب بيت لحم تنفيذاً لقرار الجامعة ^(٢) وكل ما فعله هو انه حشد في مكان ما الى الشمال من مدينة القدس قوة صغيرة مؤلفة من سريتين من المشاة ومن عدد من السيارات المصفحة ، مجموع رجالها ٣٥٠ مقاتلاً ، وبعد قليل أرسلها شرقاً حيث راحت ترابط في قطاع بيت لحم ، ولم تكن مزودة بأي نوع من انواع المدافع . سُئل فيما إذا كان يتوقع خيراً (؟) من وجود قوة مثل هذه القوة الضعيفة في مكان كهذا بعيد عن الجبهة المصرية .. ودون عمل في جنوب فلسطين اجاب انه لا يستطيع الاستغناء عن قوة اكثر من ذلك وانه ارسل تلك القوة وهو يعلم انها لا تفي بالمرام ^(٣) .. وقال ايضاً ان لدى المصريين في جنوب فلسطين قوة تكاد تعادل القوة الاسرائيلية هناك ، وقد قدرها بخمسة عشر الفاً .. وأضاف غلوب الى ما تقدم قوله : ان المصريين أنفسهم عندما نزلوا قطاع الخليل وبيت لحم خلال النصف الثاني من شهر ايار ، طلبوا انسحاب الجيش العربي من ذلك القطاع قائلين انهم هم المسؤولون عن ذلك القطاع ؟ وان الحكومة الاردنية وافقت ، بناء على اقتراحه ، على الانسحاب من هناك . وقد انسحب «٤» ولكن هذا القول لا يخلصه من المسؤولية ، كما لا يخلصه قوله : انه ما كان يعرف (؟) شيئاً عن انهزام الجيش المصري في تلك الجبهة ، الا (؟) بعد وقوع الانهزام ! ..

بدو بشر السبع بعد سقوطها

عندما وطد اليهود اقدامهم في قطاع بشر السبع راحوا يطردون من لم يغادر ذلك

«١» اقرأ الصفحة ٢١ من كتابه . A solotier With thu Hrad

«٢» يقول العراقيون ان تلك الكتيبة وصلت الى مدينة الخليل . وانها ظلت ترابط شهراً كاملاً . ولما لم يطلب المصريون منها أن تقوم بعمل «؟» عادت ادراجها ! . ولكن هذا القول لا ينقذ قادة الجيش العراقي من المسؤولية ، اذ كان بإمكانهم ان يشاغلوا الاسرائيليين في القطاع الاوسط بشكل يحول دون سحبهم لقواتهم منه وارسالها الى الجنوب . ولو فعلوا ذلك لحففوا من ضغط القوات اليهودية في الجنوب .

«٣» وهي في الحقيقة لم تقم بأي عمل هناك .

«٤» اقرأ الصفحة ١٩٩ من كتابه . AS. W the A.

القطاع من تلقاء نفسه من البدو . فلم يبق سوى عدد ضئيل منهم . وقد استوطن المدينة على الفور عشرة آلاف يهودي ، ثم أضادوها بالكهرباء ، وأتوا إليها بالماء من قطاع غزه . جرورة في أنابيب قطرها ٢٤ بوصة . وأنشأوا فيها المباني الضخمة والعمارات المعدة للسكن . كما أنشأوا الطرق ، وعبدوا الشوارع . وتأسس فيها بعد ذلك بقليل فروع لبعض الشركات العالمية كشركات السيارات ولوازم البناء والآلات الزراعية .

وحظر على البدو دخول المدينة إلا في أيام معدودة ، ومن طرق معينة . كما حظر عليهم الإقامة في المربع الكائن بين بيت جبرين والمجدل وغزه وزباله وللدوايمة ، وهو ما يسمونه (النقب الشمالي) ، وفي هذا المربع أقاموا عدداً من المستعمرات الزراعية ومعامل الدفاع .

وأما العشائر التي كانت ضارية خيامها في مواقع متعددة من قضاء بئر السبع (وعددها سبع وسبعون عشيرة منحدره من سبع قبائل) فقد تبعثت . بعضها (وهو القليل) بقي في منازلها . والبعض الآخر (وهو الكثير) نرح . والذين نرحوا جطوا رحالهم في جهات مختلفة .

أ - أما الذين بقوا في قطاع بئر السبع تحت السيطرة اليهودية (١٩٤٨) الحكوك (الهزيل ، الاسد ، ابو عبدون) ، القديرات (الصانع . أبو كف . الاعسم ، الهواشله) الظلام (أبو جويعد ، أبو ربيعه ، أبو قرينات) . الجراوين (أبو غليون ، أبو يحيى ، ابو صعيليك) . العزازمة (الزربة ، الفراحين ، المسعوديون ، الصبحيون) . الترايين (نجات الصانع ، نجات الصوفي ، نجات أبي صهيان) . بنو عقبة ، النتوش (عطاونة) . الا بعض أفراد من هذه العشائر . فقد رحلوا مع الراحلين .

ب - وأما الذين نرحوا ، فانهم فئتان : فئة رحلت إلى الجزء الذي ظل بيد المصريين من جنوب فلسطين . وهم : القلازين (جبارات) . القطاطوه . والرواشلة (تياها) . خوالي أبي سته ، خوالي أبي ختله . الوحيدات (من الترايين) ، ولم يرحل الحناجره عن منازلهم الواقعة في هذا الجزء وهم ابو مدين ، المصدر ، السميري ، الظواهره .

وفئة رحلت الى المملكة الاردنية الهاشمية ، وهم : السعيديون (معان) ، البديينات (البلقا) .

واستوطن قطاع الخليل جماعة من التياها (علامات ابي لبه ، ابي شنار ، ابي جقيم ،)

وفريق من البديينات ، وفريق من بني عقبة ، والرماضين (شعور ومسامره) ، والشلالين
ومن الجبارات كل من ارتيمات ابي العدوس ، والحسنات ، والوحيديات ، والدقوس
والسعادنة ، والولايدة ، والرواوعة . (١) .

والعشائر الندوية التي رضيت بأن تبقى في منازلها خاضعة للحكم اليهودي ، عاد
اليهود فضيقوا الخناق عليها ، وأرغموها (وإن شئت فقل أرغموا معظمها) على الرحيل
فمنهم من اجبر على الرحيل رغم أنه كما جرى للمحمديين ولفريق آخر من العزازمة
عام ١٩٥٠ ومنهم من لم يستطع البقاء والخضوع للقوانين الصارمة التي فرضها اليهود
فغادر منازلهم من تلقاء نفسه ، كما جرى للتقديرات ولعريق آخر من التياها عام ١٩٥١ .

واعترف الاخوان المسلمون المصريون الذين حاربوا في قطاع بئر السبع ان عدداً
كبيراً من البدو كانوا مخلصين . وبعضهم حارب اليهود حرباً لا هوادة فيها ، ولا سيما
عشائر الترايين ، والتياها والنصيرات والمعالقه . وإذا استثنيا أفراد قلائل منهم «٢» -
وفي كل امة أفراد من هذا القبيل - فانه لا صحة للقول القائل أن البدو كانوا يتجسسون
لليهود .

استخدم اليوزباشي (عبد المنعم عبد الرؤوف) قائد منطقة عصلوج بدوياً يدعى
(ابن عقيل) بعد ان اختبره وأيقن أنه شجاع وخبير بمسالك الصحراء . استخدمه لزرع
الألغام على طريق اليهود . فقام الرجل بعمله بامانة واخلاص . وعندما نقل اليوزباشي

«١» بعد هذا اقرأ ما كتبناه عن وقف القتال في جنوب فلسطين في ٧/١/٤٩ وعن اتفاق الهدنة بين
مصر واسرائيل في ١٢/١/١٩٤٩ وعن رحيل الجيش المصري عن قطاع بيت المقدس في ١ أيار ١٩٤٩ .

«٢» من هؤلاء الشيخ سلمان الهزبل ، شيخ عشيرة حكوك الهزبل « تياها » فان هذا الرجل الذي لا
يعرف من الدنيا سوى المال والخمر والنساء والذي تزوج في حياته من ست وعشرين امرأة اسماهن لي
باسمائهم يوم كنت حاكماً لبئر السبع « ١٩٣٨ » والذي لا يعبأ كثيراً بهموم هذه الحياة ولا يهمه ان عمرت
الدنيا ام خربت ، وان عاش الناس او ماتوا فقد سائر اليهود الى ابعد حدود المسيرة ، حتى رضوا عنه
وأولوه ثقتهم ، وافسحوا له المجال فوضع يده على كل ما تركه بنو قومه بعد رحيلهم بسبب استيلاء اليهود على
منازلهم من مال ومتاع . حتى اصبح من اغنى الاغنياء .

ويقول بعض المطلعين على بواطن الامور في ذلك القطاع انه ما كان باستطاعة الشيخ سلمان الهزبل ان
يفعل ما فعل . لوقوع منازلهم ومزارعهم بين مستمرتين من اقوى المستعمرات اليهودية الواقعة في ذلك القطاع
حتى انه اضطر لمسيرتهم . ولولا ذلك لاصابه ما اصاب غيره من العشائر من فقر وشتات .

بفرقته إلى مكان آخر ، وحل محلهم آخرون استمر ابن عقيل في تأدية رسالته . وتمكن من نزع عدد من الألغام وضعبها اليهود في طريق الجيش المصري وحملها فخوراً في كيس على كتفه وأم مقر القيادة المصرية ليسلمها إلى ولاية الامور ولكن .. ما كاد الحراس يرونه حاملاً الغاماً ، حتى راحوا يصرخون : جاسوس ! جاسوس !

وسرعان ما أُدين من لدن محكمة عسكرية مصرية بالخيانة العظمى وحكم عليه بالاعدام وشاء ربك أن يسمع الخبر شيخ من البدو ، كان مطلعاً على حقيقة الحال فقص على ولاية الامور قصة ذلك البدوي الشجاع المخلص الامين ، فاعيدت محاكمته . وطلب البدوي شهادة الضابط الذي استخدمه في بداية الامر ألا وهو اليوزباشي عبد المنعم عبد الرؤوف ؛ فجاء هذا وأدى شهادته بعد أن أقسم على صحة قوله بالقرآن ، وكان مما قاله انه لو لا ابن عقيل لقضي على أحمد سالم باشا ورتل من السيارات العسكرية التي كانت معه نجبهم اذ أنه هو الذي أرشدهم إلى اللغم الهائل الذي وضعه اليهود في طريقهم ، فما كان من المحكمة العسكرية إلا ان برأته . ولولا ذلك لقضى المسكين نجبة ، وراح ضحية الوهم وسوء الظن شأنه في ذلك شأن الكثيرين من ابناء فلسطين الذين صورتهم الدعايات اليهودية الخبيثة في أدمغة الكثيرين من رجالات الأقطار العربية الشقيقة خونة وجواسيس . وقد ذكر ذلك بالتفصيل السيد كامل اسماعيل الشريف في كتابه (الاخوان المسلمون في حرب فلسطين) ص ٦٣ - ٦٦ فليرجع اليه من شاء .

وهكذا عاش البدو المساكين بين حجري الطاحون ؛ فلا ارضوا أعداءهم ، ولا ارضوا أصدقاءهم . أما الذين غادروا منازلهم واستوطنوا الأراضي المجاورة لهم فقد كان بنو قومهم من الحضر الذين عاشوا بين ظهرانيهم ينظرون اليهم نظرات كلها استهتار وإحتقار . وأما الذين بقوا في منازلهم ولم يرحوها ، فقد ذاقوا الامر تحت حكم اليهود وغطرستهم . وراح هؤلاء (أي اليهود) يشددون الخناق عليهم ويفعلون كل ما في استطاعتهم ليَجبروهم على الرحيل ، والذين رحلوا قبل سقوط ذلك القطاع بيد اليهود وأرادوا العودة إلى منازلهم ، منعهم اليهود بنجدة انهم من أصل مصري ، وانهم تسللوا عبر الحدود إلى فلسطين ، وهذا ما أصاب الكثيرين منهم نذكر على سبيل المثال لا الحصر عشيرة المحمدين (من قبيلة العزازمة ؛

فقد رفض اليهود أن يعود هؤلاء إلى منازلهم ، وغبثاً حاول المصريون اقناعهم ان المحمدين كأمثالهم من فروع العزازمة قبائل فلسطينية ، وانهم كعرب رحل كانوا قبل بدء

القتال قد ظعنوا الى سينا ، وان من حقهم الرجوع الى منازلهم . ولما لم يصل الفريقان الى اتفاق في هذا الصدد رفع الأمر الى مجلس الأمن . واستشهد المصريون بكتابي (القضاء بين البدو) و (تاريخ بئر السبع وقبائلها) وفيهما ما فيهما من معلومات وأسماء وأرقام تثبت أنهم (أي العزازمة والمحمديين خاصة) من فلسطين ، وان لهم في قضاء بئر السبع من الأراضي والآبار والمنازل ما لا يدع مجالاً للشك . وأرسل اليّ الجنرال رايلي اربعة من مساعديه مستطلعاً رأيي في هذا الصدد ، فابدت لهم رأيي ، وأطلعتهم على كتيبي وتراجمها الى اللغتين الانكليزية والعبرية . وبعد لؤي اقتنعوا ، وسمحوا لهم بالرجوع إلى منازلهم .

ولما رأوا ان هذا الضرب من التعذيب لا يجدي ، راحوا يخترعون من الأساليب الشيطانية ما لا يعلم بها إلا الله لتعذيب البدو وارغامهم على الرحيل . من ذلك انهم حرموا على البدو ان يغادروا منازلهم طلباً للماء والكلاء ، وخصصوا لكل بدوى مساحة من الأراضي قالوا انها تكفي لمعيشته . ولا يجوز له ان يغادرها بالمرّة . الامر الذي يكرهه هذا كرهاً لا مزيد عليه . وهو الذي اعتاد الظعن والرحيل إلى حيث يشاء ، وفي أي وقت شاء . وكانت نتيجة هذا الضغط ان راحت قبائل بئر السبع وعشائرها تغادر منازلها وانفها في الرغام .

قام اليهود ، في اوائل عام ١٩٥٤ باحصاء البدو الضاربين خيامهم في النقب ، فكان عددهم ١١,٤٣٣ نسمة ، ينتمون الى تسع عشرة عشيرة ، ذكروا منها عشيرة ابو رقيق (٢٠٠٠ نسمة) من القديرات (تياها) وعشيرة ابي ربيعة (١٦٠٠) من الظلام (تياها) وعشيرة الهزيل (١٤٥٠) من الحكوك (تياها) . ولا يعلم شيئاً عن العشائر الاخرى .

زعماء العرب يظهرون ما لا يبطنون

في ٢٣ تشرين الأول ١٩٤٨ (أي بعد سقوط بئر السبع بيوم واحد) عقد في عمان اجتماع حضره رهط من ساسة العرب وقادتهم ، منهم : الملك عبدالله بن الحسين ورئيس وزارته توفيق باشا ابو الهدى ووزير الدفاع الاردني فوزي باشا الملقى ، والأمير عبد الاله الوصي على عرش العراق والسيد شاكر الوادي وزير الدفاع العراقي وامير اللواء

صالح صائب باشا رئيس اركان حرب الجيش العراقي ، ورئيس الوزارة السورية جميل مردم بك ورئيس اركان حرب الجيش السوري حسني الزعيم ، ورئيس وزراء مصر محمود فهمي النقراشي باشا .

وتابع المؤتمر عملهم ، بعد ذلك بيومين ، في دمشق ، فعقدوا فيها مؤتمراً حضره الرؤساء انفسهم (خلا الملك عبدالله والنقراشي باشا) . وقيل ، بعد انفضاض المؤتمر ، ان قرارات خطيرة ذات صلة بالقضية الفلسطينية من الناحية العسكرية بحثت في بغداد ، ووضعت في عمان ، ووقع عليها في الشام . وبات الناس يأملون خيراً .

إلا ان الملك عبدالله أكد لفريق من زعماء الشعب الفلسطيني الذين دعاهم أثر ذلك لمواجهة ان المؤتمرين لم يصلوا إلى اتفاق ما في أي شأن من الشؤون التي بحثوها ، وان رجال الحكم في الأقطار الشقيقة يخشون ان يجابهوا شعوبهم بذكر الحقائق . وفهم القادة من كلام الملك انه متخوف من الوضع الحالي ، وانه مقتنع بان العرب لا يستطيعون قهر اليهود لقلة ما في أيديهم من سلاح ، وانه - لهذا - أصبح ميالاً للتسليم بالأمر الواقع .

ولكن . سرعان ما نهض في اليوم التالي (١ تشرين الثاني ١٩٤٨) ذالقي في مجلس الأمة الأردني خطاب العرش . وقد جاء فيه : ان الدول العربية متفقة ، وانه لا خلاف بينها ؛ وان النصر مضمون . وان فلسطين ستنتقل من الصهيونيين ، وان الركود الذي طرأ على الحركات الحربية في ساحة القتال ليس إلا ركوداً مؤقتاً ...

وكذلك فعل النقراشي في مجلس النواب المصري . وحذا حذوهم باقي الرؤساء والملوك والزعماء في سائر الأقطار العربية . فانهم لم يظهروا لشعوبهم ما كانوا يبطنون^(١) .

(١) قال الوسيط الدولي ، الكونت برنادوت في مذكراته التي نشرت بعد وفاته ان زعماء العرب وان تابروا على المضي في بياناتهم التي يشتم منها انهم معزومون مقاومة اليهود حتى النهاية ، الا ان مسلكهم هذا كان من باب ذر الرمان في اعين شعوبهم . واني في الواقع فهمت من محادثاتي الشخصية مع هؤلاء الزعماء ، ومن محادثات الدكتور بانس مع عزام باشا ، انهم يبطنون غير ما يبدو . وانهم ، في الحقيقة لا يؤمنون بما يقولونه لشعوبهم وصحفهم .

وقال الوسيط ، في موضع اخر من مذكراته ، ان الصلواته الاخيرة بزعماء العرب دلته على انهم شعروا

حتى ان اللجنة السياسية المنبثقة عن جامعة الدول العربية التي راحت تعالج الموقف بنشاط خلال النصف الأول من شهر تشرين الثاني ١٩٤٨ لم تنجح في عملها ولم تصل الى هدفها .

وفيما كانت هذه المهازل تمثل على مسارح السياسة العربية كانت فضائح الرجال الممثلين هذه المهازل تتسرب إلى الاوساط الشعبية . فعلم السوريون ان رئيس وزراءهم جميل مردم بك انتدب احد اقاربه ليشتري السلاح للجيش السوري من اوروبا ؛ وان السلاح الذي اشتراه هذا بمبلغ كبير من المال وشحنه إلى سوريا وصل ، بصورة من الصور ، إلى تل ابيب . كما علموا ان صديقه الشراباتي الذي ولاه وزارة الدفاع متزوج من امرأة اجنبية ، وانه شريك لاحد اليهود الدمشقيين في تجارة . فهاجموا متجره ، وحرقوه . ثم راحوا يبحثون عنه ليمزقوه . ولكنه كان قد ولى الأدبار . وعلم اللبنانيون ان وزير دفاعهم الامير مجيد ارسلان ، عهد الى صديقه الجاسوس اليهودي المعروف كامل الحسين بحراسة حصن لبناني قائم على الحدود ، فسلمه الى اليهود ، وهذا ما دعا عدداً من السوريين لقتله . فغضب رئيس الوزراء رياض بك الصلح لهذا القتل ، معتبراً اياه امراً ماساً بكرامة الحكومة اللبنانية . مع ان هذه الحكومة التي يرأسها لم تغضب مثل هذا الغضب عندما احتل اليهود عشرين قرية من قرى لبنان . لا ، ولا غضب عندما سمع ان هؤلاء اليهود قد فتكوا بسكان تلك القرى ، وهتكوا اعراضها . لا ، ولا غضب

بان التقسيم احسن حل لمشكلة فلسطين . ولكنهم يرفضون المجاهرة بذلك .

وقال عبد الرحمن عزام ، الذي ملأ الدنيا صراخاً بوصفه السكرتير العام لجامعة الدول العربية ، وكان يطالب باخراج اليهود من فلسطين . وكان يقول ان فلسطين العربية لا تستوعب غير العرب من سكانها الفلسطينيين ، اعترف في حديث جري له مع الكاتب المعري المعروف لطفي رضوان (١) انه « بذل جهده من اجل الوصول الى حل وسط يرضي اليهود من حيث اقامة دولة تمثل اليهودية العالمية . وبرضى العرب من حيث الاحتفاظا بفلسطين في جملتها عربية . » ولهذا اقترح . في مؤتمر فلسطين (٢) « ان يسمح لليهود باقامة دولة في فلسطين تشبه دولة الفاتيكان بايطاليا وان تعطى هذه الدولة من الارض والسكان ما يتناسب مع حاجتها الرمزية » .

(١) اقرا العدد ١٤٨٤ من مجلة (المصور) المصرية بتاريخ ٢٠ آذار (مارس) ١٩٥٣

(٢) ذلك المؤتمر الذي عقد في لندن سنة ١٩٣٩

عندما رأى المطران مبارك يزود اللبنانيين والمسافرين من لبنان الى الجزء الذي احتله اليهود من فلسطين بجواز سفر^(١) رغم قيام حالة الحرب بين البلدين .

وعلم المصريون ان عشرة من رجالهم الذين يشار اليهم بالبنان قد اقترفوا اغتصاب جريمة عرفها الجيش المصري واشتروا - عن علم ومعرفة - اسلحة فاسدة لجيشهم ، قدرت قيمتها بخمسة ملايين دولار ، مع انها لا تنفع للقتال ، كما ذكرنا ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

وادرك الفلسطينيون ان رجال الحكم فيما وراء الاردن يريدون بهم شراً . فهاجوا ، وماجوا . وراحوا يسلقون اولئك الرجال بالسنة حداد . ولاولئك على مبلغ غضبهم اريد ان اذكر لك الحادث التالي الذي جرى في الاسبوع الاخير من شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ : -

ذهب الى عمان ، اثر تقهقر القوات المصرية في جنوب فلسطين وفد من التحليل مؤلف من مئة وعشرة اشخاص ، يتقدمهم رئيس البلدية ورئيس اللجنة القومية^(٢) الشيخ محمد علي الحصري ، وقد قابلوا الملك عبدالله ورئيس وزارته توفيق ابو الهدى ووزير الدفاع فوزي الملقى . ومما قاله الحصري للملك في الخطاب الذي القاه بين يديه : « اذا لم تشدوا ازرننا وتدافعوا عن وطننا ، فانا سنمد ايدينا الى اليهود ، وسنحارب دول الجامعة العربية . »

ولقد وعدهم الملك خيراً . ولكنه لم يفعل شيئاً .

وقطع الفلسطينيون كل أمل سواء من الملوك او الدول . وراحت كل مدينة من مدنهم تفكر في نفسها ، وتعد العدة للذود عن حياضها . ولكن هذه الجهود لم تؤت اكلها ، لأنها جهود متفرقة . لم تنلها يد التنظيم .

(١) هذا ما ذكرته جريدة (كل شيء) اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ ١٠ تموز ١٩٤٩

(٢) تألفت هذه اللجنة قبل صدور قرار التقسيم بقليل . وقد ألفت من الشيخ محمد علي الحصري ، الشيخ عبد الحمي عرفة ، رشاد الخطيب ، طلال عابدين ، عثمان التكروري . كمال بدر . الحاج علي حامد العريبي . الحاج احمد الشراباني . حجازي الدويك . عمران طهوب . حكمت المحوري . عبد الرحيم الشريف . الدكتور محمد شادر . رشاد البكري . النور نبروخ . عبد النبي ابو خلف .

وفي ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨ بحث مجلس الأمن حوادث خرق الهدنة، فصدر قراره التالي:
« حيث ان مجلس الأمن قرر في ١٥ تموز بان الهدنة يجب ان تبقى قائمة المفعول ،
ما لم يتخذ المجلس والجمعية العمومية قراراً جديداً بموجب قرار ١٥ تموز و ٢١ أيار سنة
١٩٤٨ حتى تحل مشكلة فلسطين جلا سلمياً .

« وحيث انه قرر في ١٩ آب انه لا يجوز لاحد الفريقين خرق الهدنة بذريعة الانتقام
والرد بالمثل وانه ليس لاحدهما الحق بالحصول على فوائد عسكرية وسياسية
بخرق الهدنة .

« وحيث انه قرر في ٢٩ أيار انه إذا خرقت الهدنة أو رفضت من قبل احد الفريقين
أو كلاهما ، فان الحالة في فلسطين تبحث ثانية لايجاد التدابير المنطبقة على الفصل السابع
من الميثاق .

« لذلك يأخذ علماً بالطلب المبلغ من الوسيط بالوكالة الى حكومة مصر وحكومة
اسرائيل ، ويطلب اليهما سحب قواتهما العسكرية الى المراكز التي كانتا تحتلانها في ١٤
تشرين الاول ، ليتسنى ايجاد خط دائم للهدنة ، دون ان يكون في ذلك أي ضرر على
الحقوق والمطالب أو على حل المشكلة في المستقبل أو على موقف إحدى الدول
اعضاء المنظمة .

« ويقرر تشكيل لجنة من مجلس الامن مؤلفة من اعضائه الخمسة الدائمين بالاضافة الى
بلجيكا وكولومبيا لتزويد الوسيط بالآراء التي قد يطلبها في اثناء توليه العبء الملقى عليه
بموجب هذا القرار . وإذا لم يتقيد احد الفريقين او كلاهما باحكام الفقرة السابعة من
القرار المذكور في المهلة التي يراها الوسيط بالوكالة كافية فانه يشرع في درس التدابير
الخاصة في نطاق الفصل السابع من الميثاق ، ويرفع تقريراً بها الى المجلس . «

رضي المصريون بهذا القرار . واما اليهود فلم يرضوا به . وكان جوابهم عليه انهم
اخذوا علماً به . . وبموجب هذا القرار اصدر الدكتور بانس ، القائم باعمال الوساطة ،
امره الى اليهود بالانسحاب الى المراكز التي كانوا فيها قبل ١٤ تشرين الفات . وضرب
لانسحابهم موعداً ينتهي في ١٩ / ١١ / ١٩٤٨ إلا انهم لم ينسحبوا .

مؤتمر القاهرة

عندما اجتمع مجلس الأمن في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ وأصدر قراره القاضي بانسحاب الفريقين (الجيش المصري والجيش الاسرائيلي) الى حيث كانا قبل بدء القتال في ١٦ تشرين الأول (اكتوبر) ، ضرب لانسحابهما موعداً نهايته اليوم التاسع عشر من شهر تشرين الثاني . عندئذ تنادى القائمون على الأمر في بلاد العرب ف عقدوا في (كوبرى القبة) بالقاهرة، في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني مؤتمراً حضره رؤساء اركان الجيش العرب : الزعيم حسني الزعيم عن سوريا ، الجنرال فؤاد شهاب عن لبنان . المقدم احمد صدقي الجندي عن الاردن . عثمان المهدي باشا عن مصر . اسماعيل صفوت باشا عن العراق . وما لا يقل عن خمسة من كبار الضباط ذوي الرتب العليا من لواء وزعيم وعقيد . ودام المؤتمر اربعة أيام (١٠ - ١٣ / ١١ / ١٩٤٨) تدارس الرؤساء خلالها الوضع الراهن في فلسطين . ليروا أي موقف يقفون فيما اذا تأزمت الامور وكان لا بد من استئناف القتال وبعد أخذ ورد طويلاً رفعوا الى اللجنة السياسية التابعة لمجلس الجامعة العربية تقريرهم . وقد جاء فيه ما يلي (١) :

أ - اليهود يتفوقون على القوات العربية من حيث العدد .

ب - اليهود يتفوقون على القوات العربية من حيث السلاح بجميع انواعه خلا مدفعية الميدان . القوات العربية مفتقرة الى ذخيرة لهذه المدفعية .

ج - القوات الجوية العربية ، ولا سيما المصرية ، كانت في بادىء الأمر متفوقة ومسيطره على الجو . وانزلت بالعدو خسائر فادحة . واكن وصل الى العدو بعد ذلك عدد كبير من الطائرات والطيارين المدربين . وبذلك انتقلت السيطرة الجوية الى يده .

(١) اقتبسنا كل ما جاء في هذا الفصل عن (مؤتمر القاهرة) من تقرير وضعه اللواء اسماعيل صفوت باشا بوصفه معاوناً لرئيس اركان الجيش . وقد رفعه الى وزير الدفاع بتاريخ ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ ٩١٨٨ وهو الذي اطلعني عليه عندما زرت بغداد مستظماً طلع الخبر .

- د - موقف الذخيرة في الجيوش العربية خطر جديدا . على عكس اليهود . فق - د
وصلتهم امدادات كثيرة . ولا تزال الامدادات تأتيهم بالاضافة الى مصانعهم المحلية .
- هـ - المستعمرات اليهودية محصنة تحصيناً تاماً . تربطها طرق مواصلات كثيرة تمكنهم
من التنقل بسرعة .
- و - جميع القوات اليهودية على اخلاف أنراعتها تسيطر عليها قيادة واحدة . بينما
ليس للجيوش العربية قيادة موحدة . وليس بين هذه الجيوش تعاون وثيق .
- ز - اليهود متفوقون في قواتهم البحرية
للاسباب المتقدمة كلها ولا سيما قلة السلاح الجيوش العربية مضطرة لاتخاذ خطة
الدفاع في الوقت الحاضر .
- والدفاع لا يؤدي الى انتصار عسكري . وبقاء الحال معناه خسران الحرب .
وعالج التقرير الأسباب الرئيسية التي أدت الى هذه النتيجة فقال :
- أ - لم تكن الجيوش العربية قبل بدء القتال مستعدة لحرب طويلة الاجل .
- ب - لم تستطع الدول العربية منذ بدء القتال الى الآن ان تحشد قوات كافية للتغلب
على العدو . ولم يكن باستطاعتها الحصول على السلاح والعتاد لرد الخطر المفروض
عليها . والذي لم يطبق بصورة فعلية الا عليها .
- ج - الدول العربية لم تستخدم جميع مواردها لأغراض الحرب .
- د - لم تؤلف قيادة موحدة .
- هـ - لم تستطع الحكومات العربية الاستفادة من الهدنتين الاولى والثانية لا كمال
نواقصها . على النقيض من ذلك اليهود الذين لم يضيعوا لحظة واحدة الا استغلوها .
وعالج التقرير ما يجب على الحكومات العربية ان تعمله بعد اليوم ، فقال : -
- أ - الحصول على ما تحتاجه الجيوش العربية من اسلحة وذخائر ومهمات وطائرات
وقوة بحرية . والتغلب على جميع الصعوبات .
- ب - تسخر كل ما في البلاد من موارد وامكانيات لأغراض الحرب ، ولو ادى

ذلك الى اعلان التعبئة العامة .

ج - ترك حرية العمل للعسكريين . وحصر جهود الحكومات في تأمين احتياجات الجيوش .

د - على السياسيين قبل اتخاذ أي قرار عسكري ان يحيطوا العسكريين بالموقف السياسي الذي يتطلب تدخل الجيوش . كي تكون قراراتهم متناسبة وامكانيات الجيوش ومقدرتها ١١ نوفمبر ١٩٤٨

هذا هو التقرير . وقد ارفق المؤتمر به سبعة ملاحق ، ذاكرين في كل ملحق علي حده ما يملكه كل جيش من الجيوش العربية التي في الميدان ، من سلاح وعتاد . والمدة التي يستطيع كل جيش من هذه الجيوش ان يصمد فيها ، في حالتها الهجوم والدفاع ، وكذلك قل عن الجيش الاسرائيلي وفيما يلي محتويات كل ملحق من الملاحق المذكورة كما وردت في التقرير :-

ملحق مؤتمر القاهرة ، ١١ - ١١ - ٤٨ - الجيش المصري

٤ ألوية عاملة . كل لواء ٣ كتائب . الكتيبة ٨٠٠ جندي

٨ كتائب احتياط . وقوتها ٦٠٠ جندي

٤ كتائب من القوات المرابطة . وقوتها ٦٠٠ جندي

آلاي واحد سيارات حدود خفيفة تنقل المشاة .

ثلاث كتائب رشاش فيكرس كل واحدة ٤٨ رشاشة .

٣ آلايات مدفعية ميدان . يؤلف كل منها من ٣ بطريات .

آلاي ٢٥ رطل

آلاي ٧ ر ٣ بوصة

آلاي مختلط

آلاي مضاد للدبابات + آلاي مضاد للطائرات (بوفرس ٧ ر ٣)

آلاي هاون (٨١ ملم) + آلاي استطلاع + آلاي دبابات خفيفة .

أربعة مستشفيات ميدان .

٥ سرايا سعودية + ٥ سرايا سودانية + ١٥٠٠ متطوع في بيت لحم .

القوة الجوية : سرب سبت فاير (عدد ٦) + سرب (٩ - ١٢) سرب مختلط

٦ - ٨ واكوتا وكوماندو .

٦ طائرات و ٦ خالية من التسليح .

القوة البحرية : ١١ قطعة ، ٣ للحراسة و ٧ كاشفات انغام وواحدة مسلحة

ومستعدة للعمل .

عجز في المعتاد . لا يكفي لأكثر من ١١ يوماً + المعتاد الجوي لاسبوعين . القنابل

اليدوية والالغام متيسرة من صنع محلي .

١٢٠ كيلو متر

الموقف : من الفوجا - رفع - غزه :

١٢ كيلو متر

من الفالوجه - عراق المنشية

٢٥ كيلو متر

الخليل - بيت لحم

ملحق مؤتمر القاهرة ١١ - ١١ - ٤٨ - الجيش الاردني

ثلاثة الوية اللواء ثلاثة كتائب - الكتائب نوعان : كتيبة آلية : مؤلفة من ثلاث

سرايا مشاة + سرية مدرعة (١٥ عدد) + سرية اسناد مدافع (٦ رطل) + فيكرس ٣

عقدة موجودها ٨٠٠ عدد الكتائب بهذا التنظيم ٣

كتيبة مشاة : ٣ سرايا مشاة + سرية اسناد + سرية قيادة . موجود ١٠٠

كتيبة مدفعية ٢٥ رطل (٢٤ مدفع)

بطرية هاون ٢ ر ٤ عقدة (٨ مدافع)

كتيبة مدفعية خفيفة مضادة للطائرات اولكن .

سرية هندسية .

العتاد يكفي للدفاع لمدة اسبوع . العتاد يباع بواسطة الأهلين .

الموقف : كتيبة في حربثا + كتيبة في اللطرون + كتيبة في باب الواد + كتيبة في المثلث عند بيت سيراتقوم بواجب الارتباط بين اللطرون وحربثا + كتيبة في بدو والنبي صمويل + كتيبة في بيت لحم ومعها سرية فرسان وسرية هجانة وسرية هندسية .

المدفعية : بطرية في حربثا - اللطرون - باب الواد .

بطرية في منطقة القدس - بدو

٢ ر ٤ في منطقة حربثا .

لا يتمكن الجيش الاردني من الهجوم لسعة الجبهة وعدم وجود الاحتياط وقلة العتاد .

ملحق لمؤتمر للقاهرة ١١ - ١١ - ٤٨ - الجيش العراقي

٤ جحافل : كل جحفل يتألف من لواء مشاة + كتيبة مدفعية + مستشفى ميدان + والاسلحة المساعدة .

القوة الآلية ومؤلفة من : فوج مشاة ينقلون باللوريات ، بطرية ضد الجو

كتيبة مدرعات ، كتيبة مدفعية (٢٥ رطل)

بطرية متوسطة

قوات شرطة في جسر الجامع • وفوجان في موضع آخر •

مناضلون يحتلون خطأ أمام القواطع •

القوة الجوية • سرب مستعملة كثيراً ، لا يمكن استخدامها لمدة طويلة • ثمانية طائرات فيوري • كان عشرة • مزقت واحدة وتحطمت اخرى • طلباتنا الاخرى لم تصل من انكلترا رغم الاحتياج • حجز الانكليز في الهند ١٨ طائرة •

لايستطيع القيام بحرب لمدة ثلاثة شهور •

عندهم مصنع للعتاد ولكن انتاجه محدود جداً لقلة المواد الابتدائية وقلة الصناع الماهرين

• غتادهم قليل •

ملحق لمؤتمر القاهرة ١١-١١-٤٨-الجيش السوري

٣ ألوية ، اللواء من ٣ أفواج .

فوج مدفعية من بطريتين

فوج مدرعات من سريتين (٢٢ مدرعة)

سرية هندسة

فوج هجاة

٣ كتائب خيالة ٤ سرايا

القوة الجوية ١٤ هارفارد

العتاد يكفي لاسبوعين

عتاد الطائرات قليل وهو اميركي

يعملون على املاء الظروف الفارغة ، الانتاج يومياً عشرة آلاف طلقة .

الموقف في الجهات من بانياس الى الحمة :

في الشمال من بانياس : لواء فوجين في الجبهة وفوج احتياط مع المدفعية والمدرعات .

في الوسط في جسر بنات يعقوب : لواء كامل يحتل مشمار هاياردن .

في الجنوب من الحمة الى الشجرة : فوج من قوة البادية .

احتياط : لواء . أرسل فوجان منه للاشتراك في حركات الجليل ، والباقي فوج

واحد مع فوج مدرعات وفوج مدفعية في الاحتياط .

ملحق لمؤتمر القاهرة ١١-١١-٤٨-الجيش اللبناني

أربعة أفواج نظامية : قوة الفوج ٥٠٠ التسليح ضعيف .

فوج واحد غير نظامي

بطارية ١٠٥ ملم + بطارية ٧٥ ملم

كتيبة مصفحات (٩ عدد)

كتيبة دبابات (٩ عدد)

سرية خيالة (تستخدم داخل البلاد لمقاصد الامن)

زوارق صغيرة مسلحة .

صرفوا ثلث العتاد مع أنهم لم يقاتلوا سوى في المالكية وقدس وتجاه الكومندو

العتاد الباقي يكفي لثلاثة أيام في حالة الهجوم ، ولسبعة ايام في حالة الدفاع
الجيش : قسم في الناقورة ، وقسم في مرجعيون ، وليس له احتياط .
دخل اليهود لبنان ، وتغلغلوا كيلو مترين ، وبامكانهم أن يتغلغلوا الى عشرين
كيلومتراً .

ملحق لمؤتمر القاهرة ١١-١١-٤٨ - الجيش السعودي

ست سرايا : السرية ٣ فصائل مشاة + وفصيل رشاش .
فصيلان مصفحان : الفصيل ٥ مصفحات .
سرية رشاشات (عيار نصف عقدة) مؤلفه من ٣ فصائل كل فصيل ٣ رشاشات
ورشاشة احتياط في قيادة السرية .
الجيش السعودي مؤلف من جيش نظامي وجيش القبيلة ، والجيش النظامي مؤلف
من ٢٢ سرية ، ست منها في فلسطين والباقي موزع في المملكة ، وفوج مدفعية (الفوج
ثلاث سرايا والسرية ٤ مدافع (سكودا للجبال) .
وفوج صحراء ٧٥ ملم .
١٢ طائرة داكوتا مدنية .
٣ سرايا مدرعات ، كل سرية ١٥ مدرعة .
'جمع العتاد كله وخصص للرشاشات .
البنادق بدلها الجيش المصري ببنادق انكليزية ، وصرف العتاد اليها منه .
الجيش السعودي يستخدم من لدن الجيش المصري .

ملحق لمؤتمر القاهرة ١١-١١-٤٨ - جيش الانقاذ

سنة أفواج : الفوج ٣ سرايا + وسرية المقر .
٤ رشاشات فكرس وهو جكس .
قوة الفوج ٥٣٠ مقاتل .
لكل فوج : (٢) هاون ٨ هاون (٨١ ملم) . ٢٢ رشاشة الخفيفة المجموع =
٣٠٠٠ مقاتل .
بطرية مدفعية (٤ عدد) أحدها تألف ، لكل مدفع ١٥٠ طلقة .
١٢ مصفحة يهودية .

مستشفى ميدان .

الجنود مختلفون ، عراقيون ، سوريون ، لبنانيون ، اردنيون ، فلسطينيون .

القيادة ضعيفة .

العتاد يكفي إلى ١٢ يوم قتال جدي ، موارد العتاد من الحكومات . وما يشتري .
وقد انقطع المورد الآن .

يحتل الآن خط التلال المشرفة على (عتروب) في الاراضي اللبنانية . وقد أعاد تنظيمه بعد انسحابه إلى هذا الخط .

اصيب هذا الجيش بخسائر كبيرة من جراء اندحاره أمام الهجوم اليهودي الأخير .
وقد اقترح إعادة تنظيمه على أساس لواء مشاة واحد من ثلاثة أفواج ، وربطه بأقرب قيادة عسكرية ليعمل بامرتها .

ملحق لمؤتمر القاهرة في ١١-١١-٤٨ - الجيش الاسرائيلي

أ - القوة الجوية :

٥٠ قاصفة ، ٥٠ مقاتلة ، ١٠٠ للنقل والتدريب ، ست مطارات (تل ابيب ،
عافر ، اللد ، رامات دافيد ، بئر السبع ، الخ . مدافع مضادة للطائرات في المطارات
معامل للتصليح .

ب - القوة البرية :

الجيش : ١٠٠,٠٠٠ مقاتل .
مقادير كبيرة من الهاون والرشاشات + مصفحات ودبابات استخدموا مدافع
ثقيلة ، عتاد كثير .

ج - القوة البحرية :

خمس بواخر مسلحة بمدافع ٣ عقدة ومدفع بوفرس ومدافع اورلكن .
باخره كبيرة فرنسية سرعتها ١٦-١٨ .
زوارق في بحر الميت تكفي لنقل ٧٠٠-٨٠٠ شخص دفعة واحدة .

والغريب في الأمر أن أخبار هذا المؤتمر الذي عُقد في القاهرة والذي دام من اليوم
العاشر إلى اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ والذي حدد فيه
رؤساء أركان الدول العربية امكانيات جيوشهم للقتال وما يملكون من مدافع وبنادق

وطائرات وعتاد والمدة التي تستطيع كل دولة عربية أن نصمد فيها ضد اليهود في حالات الهجوم والدفاع... ان هذا القرار وصل - ولسنا ندري كيف وصل؟ - الى يد اليهود وهذا ما جعلهم في مطالبهم حدا بهم لمهاجمة المصريين في جنوب فلسطين^(١) وهو الذي جعلهم يتصلبون في المؤتمرات التي عقدت بعدئذ في رودس والتي انتهت باتفاقات الهدنة التي ذكرناها في أما كن اخرى من هذا الكتاب .

كيف احتل اليهود وادي العربية والمرشش على خليج العقبة؟

ذكرنا في الصفحة ٤٢٧ من الجزء الثاني لكتابنا هذا ، كيف نجا اليهود ، الذين كانوا في مستعمرة كاليه^(٢) الواقعة على البحر الميت من الشمال من الاسر نتيجة لاهمال غلوب باشا رئيس الاركان ، وقد ذهب الكثيرون يومئذ إلى حشد الظن ان في الأمر لنية سوء! وقلنا أن عدد الذين انسحبوا من شمال البحر إلى جنوبه تسعمائة ، جلهم - ان لم نقل كلهم - مسلحون وقد انضم هؤلاء إلى أخوانهم المقيمين في الجنوب بين جبل اصدم وغور الصافي ، فأصبحوا قوة لا يستهان بها . وقد قدر الخبراء العسكريون عددهم هناك يومئذ بالف وخمسمائة مقاتل .

وعندما حان الحين ، وسقطت بئر السبع بيد اليهود (٢٢ تشرين اول سنة ١٩٤٨) وانسحب الجيش المصري من ذلك القطاع اتصل هؤلاء باولئك في موضع يسمى (الحصب) وهو واقع في الجزء الشمالي من وادي العربية . وراحوا يتحينون الفرص لنزحف صوب (العقبة) والاستيلاء على القسم الجنوبي من فلسطين .

وفي شهر شباط سنة ١٩٤٩ راحوا يزحفون ولكن بشيء من الحذر . ذلك لان الحكومة الاردنية كانت قد استجابت لنداء مجلس الامن ، وقررت في العاشر من الشهر الاول الدخول في مفاوضات مع اسرائيل من أجل وقف اطلاق النوا وقرار هدنة دائمة . فليس من الحكمة في شيء أن يثيروا غضب الاردن في ذلك الوقت . ولهذا احاطوا حركاتهم بشيء من الكتمان والحذر . ومع ذلك فان الحكومة الاردنية اطلعت على حركاتهم وأرسلت إلى الدكتور رالف بانس القائم باعمال الوساطة في رودس برقية لاسلكية

«١» اقرأ ما كتبناه عن (معارك النقب الثانية) في موضع آخر .

«٢» مقر شركة البوتاس الفلسطينية تلك الشركة اليهودية ملكتها حكومة الانتداب (١٩٢٩) امتيازاً

لاستخراج البوتاس من البحر الميت مدته خمس وسبعون سنة .

احتجت فيها هلى الجيش الاسرائيلي وعلى حركاته في الجزء الشمالي من وادي العربية ذلك الوادي المكائن بين جبال الاردن من الشرق وفلسطين من الغرب والممتد من البحر الميت في الشمال الى خليج العقبة جنوباً «١» .

كان بانس يومئذ في رودس ، وكان الجنرال رايلي هو الذي يمثل الامم المتحدة في القدس ، وعندما تلقى بانس احتجاج الاردن ، ابرق الى رايلي يسأله عن حقيقة الوضع فاجابه هذا : انه بحث الشكوى الاردنية بحثاً دقيقاً (٢) وانه بعد ان قام بتفتيش واسع (٣) في وادي العربية لم يشاهد (٤) اية حركة للجيش الاسرائيلي !..

كان هذا في ٢٥ شباط سنة ١٩٤٩ أي قبل ان يسافر الوفد الاردني الى رودس . ذلك الوفد الذي انتدب لمفاوضة اسرائيل في موضوع الهدنة . وعندما وصل الوفد الى رودس (٢٨ شباط) تلقى برقية لاسلكية ثانية من حكومته جاء فيها : (ان حركات الجيش الاسرائيلي في وادي العربية لم تنقطع ... وان قطعات من هذا الجيش تتجمع الآن في جنوب الوادي المذكور الى الشمال من المواقع الاردنية ...) وقد طلبت الحكومة من وفدها ان يبلغ شكواها الى الدكتور بانس . فكان جواب بانس ان الاسرائيليين ينكرون وجود أية تحركات لجيشهم في تلك المنطقة .

وفي ٢ آذار ١٩٤٩ اعترف المراقبون الدوليون للاردن انهم على علم بحركات الجيش الاسرائيلي هناك وانهم اخبروا رؤسائهم (المراقبين الدوليين في جيفا) حقيقة الوضع .

(١) انه واد عجيب ونحيف . طوله مئة وعشرون كيلو متراً وعرضه يتراوح بين خمسة كيلو مترات واثني عشر كيلو متراً ليس فيها زرع ولا ضرع . وان كان فيه ثلاثة وثلاثون عيناً الا ان ماها كله اجاج . ويسميه البدو (وادي النار) ويقولون انه كان دائماً وابدأ (مجمع القيان) . فما من غزو قام في تلك الديار او حرب نشبت بين مكان المناطق المجاورة الا كان لها نصيب من ضحاياها . عندما ذكرته في كتابي (تاريخ بير السبع وقبائلها) قلت ص ١٥٨ انه (اي وادي العربية) لم يذق طعم الراحة منذ اقل من سبائه نجم الانباط . وكان ذلك في اوائل القرن الثاني للميلاد حتى الرومان الذين تغلبوا على الانباط وتحصنوا في المرتفعات المطلة عليه فانهم لم يتمكنوا من توطيد سلطانهم عليه الا فترات متقطعة . واما الاتراك فان اقدامهم لم تطأ هذا الوادي المحاط بجبال شاهقة يعسر اجتيازها الا من مسالك معدودة ومغابر منيعة يسميها البدو نقابة وواحدتها (لقب) . وفي استطاعة من يحتل اي نقب من هذه النقابة ان يصد العدو الذي تحدته نفسه بالمجيء اليه منها كان عدده . وهناك ثلاثون نقبا تطل على الوادي ذكرتها في الكتاب .

ولكنهم لم يتلقوا بعد (؟) أي أمر في صدد الخطة التي يجب اتخاذها (؟) في هذا الصدد ...

وفيما كانت الحكومة الاردنية تنتظر نتيجة الاجراءات (؟) التي سيتخذها المراقبين الدوليين كان الجيش الاسرائيلي مثابراً على زحفه صوب الجنوب . فعادت الحكومة الى عاداتها من حيث الاحتجاج ! ... وأبرقت الى وفدها في رودس تقول : (اخبروا الدكتور بانش ان قوة كبيرة من سيارات الجيب والمصفحات اليهودية اجتازت اليوم خطوطنا في موضع يبعد عن بئر ابن عودة كيلو متراً واحداً .. الوضع خطر ما لم توقف اسرائيل حركات جيشها اثناء المفاوضات ...

وبدلاً من الانسحاب ، قام الجيش الاسرائيلي في اليوم نفسه أي (في ٧ آذار) بهجوم على الجيش العربي المرابط هناك واما الجيش العربي فانه لم يقم بأي عمل لصد العدوان . وكل ما فعله غلوب والحكومة القائمة في عمان من ورائه انهم أرسلوا برقيات في اليوم التالي (٨ آذار) الى وفدهم في رودس قالوا فيها : (ان القوات اليهودية تزحف صوب العقبة باتجاهين : اجدهما بزمليحان ، والاخر مليحة . الطائرات اليهودية تقوم بغارات متواصلة من الجو على المنطقة كلها . اخبروا الدكتور بانش ان الحكومة الاردنية قلقة للغاية ! ... ولا سيما لأن هذا الاهتداء الفاضح يجري في وقت يجتمع فيه الوفدان الاردني والاسرائيلي للتفاوض في رودس . »

ان هذا الاحتجاج أيضاً كان نصيبه الاهمال . وكل ما فعله الدكتور بانش انه اجاب عن البرقية الاردنية ببرقية تاريخها ٩ آذار وقد طلب فيها تزويده بتفصيلات (؟) اخرى ! ...

وفيما كانت أمواج الاثر تنقل سؤالا من هنا وجواباً من هناك !!! كان اليهود يسرون قدماً نحو أهدافهم .

وبعد ان كانوا ينكرون وجود أية حركة لجيشهم في تلك المنطقة وظلوا يخاتلون المراقبين الدوليين والمفاوضين الاردنين الجالسين معهم في رودس حتى انهم تمكنوا من تأجيل التوقيع على الاتفاق القائل بوقف اطلاق النار خمسة ايام صحاح ، راجوا في

اليوم العاشر من آذار يصارجون اعضاء الوفد الاردني في رودس ، فقالوا لهم : انهم يعتبرون المنطقة الواقعة في وادي العربية والممتدة حتى خليج العقبة منطقة يهودية ٠٠٠ خصصت لليهود في قرار التقسيم ٠٠٠ ذلك القرار الذي اصدرته هيئة الامم عام ١٩٤٧ ولهذا فقد قرروا اجتلال هذه المنطقة كلها بما فيها القسم الواقع على شاطئ الخليج من ارض فلسطين ٠٠

وقد قرروا قوطهم هذا بالفعل . فراح جيشهم يواصل زحفه حتى استولى على ذلك الجزء من شاطئ خليج العقبة (١٠ آذار سنة ١٩٤٩) ورفعوا العلم الصهيوني على (المرشش) الذي اسموه (ايلات) ٠

تلك هي صفحة اخرى من صفحات (المأساة) التي مثلت على مسرح الاجداث في فلسطين ! ٠ وانها لصفحة مليئة بالخزي والعار ٠

والغريب في الأمر ان هذه الصفحة كانت تكتب وذلك الاجتلال كان يجري على مرأى ومسمع من الملك عبدالله ومن رئيس وزرائه توفيق ابو الهدى دون ان يحمل احدهما مؤونة الذهاب الى ميدان القتال ، او الى اي موضع قريب منه ليستطلع طلع الخبر ٠

وكذلك قل عن غلوب باشا ٠٠ رئيس الأركان ٠٠ الذي كان على علم بتحركات الجيش الاسرائيلي ، وكانت ترسل اليه اخبارها باللاسلكي وقد اشار اليها في احاديثه^(١) فانه لم يفعل شيئاً ٠ ولم يحاول مقاومة اليهود بالقوة رغم انه في موضع آخر من كتابه اعترف ان الجيش الذي كان يقوده بلغ يومئذاً عشر الف مقاتل^(٢) ٠٠٠١٠٠ ولم يكن الجيش العراقي قد انسحب بعد من قطاع السامرة ٠

بلى وربك انه (اي غلوب) لم يرسل الى تلك الجبهة جندياً واحداً من اولئك الاجد عشر الفاً لتقوية السرية الوحيدة التي كانت هناك في القسم الجنوبي من وادي العربية ، وهي سرية ضعيفة عدد رجالها لا يزيد على المئة ، لا ، ولا طلب الى الجيش البريطاني الذي

(١) اقرأ الصفحة ٢٢٩ من كتابه

(٢) اقرأ الصفحة ٢٢١ من كتابه .

كان مرابطاً هناك في العقبة - تقوية تلك السرية ، وانقاذ الاردن من الخطر الذي يتهدهده من تلك الناحية عملاً بالمعاهدة البريطانية الاردنية التي لم يمض على ابرامها سوى بضعة شهور! ...

والأنكى من هذا انه (اي غلوب) كان يدير معركة العقبة من مكتبه الكائن في عمان والبعيد عن ميدان المعركة مئتين وستين ميلاً ولم يكلف نفسه مؤونة الذهاب الى العقبة ولو بالطائرة وكان السفر الى العقبة جواً يومئذ سهلاً ٠٠٠ كلاً انه لم ير لزوماً لمغادرة مكتبه! ومن ذلك المكتب ارسل امره باللاسلكي الى قائد السرية الذي استشاره فيما يجب ان يفعل فأجابه قائلاً : (لك الخيار في ان تفعل ما تشاء)^(١) .

ولم يجد المسكين مناصاً من الانسحاب بسبب قلة ما لديه من جند وعتاد وانعزاله عن العالم كله - وليس عن الاردن وحده في تلك البقعة النائية من الأرض ، فانسحب .

وعندما كان الجيش الاسرائيلي يحتل ذلك الجزء من فلسطين ، ويركز أهلامه على شاطئ خليج العقبة وقد تم له ذلك في مساء اليوم العاشر من شهر آذار سنة ١٩٤٩ - كان الأركان الذي سيطر على مقدرات الجيش ثلاثين عاماً .. كان يجلس على مقعد وثير في احد مباني العاصمة الفخمة يشاهد مناظر قصة عنيفة قام بتمثيلها فريق من هواة التمثيل من الجالية البريطانية في عمان ! ..

ليست هذه فرية من عندي! .. وإنما هي حقيقة واقعة .. اقتبستها من كتاب غلوب نفسه! ..، وإذا كنت في شك من قولي هذا فاقراً الصفحة ٢٣٢ من الكتاب الذي وضعه هو بعد وقف القتال وعنوان ذلك الكتاب : A soldier With The Arabs

وما كاد فجر اليوم التالي (١١ آذار سنة ١٩٤٩) يطل حتى أم صاحبنا ديوانه بوزارة الدفاع بعان ليوزع أوامره ذات اليمين وذات اليسار .

ويبدو ان باله كان قلقاً من ناحية المنظمة المعروفة بـ (الجهاد المقدس) تلك المنظمة التي اسسها ابناء فلسطين عند بدء النضال والتي صدر الأمر بجلها في ١٨ كانون الثاني

(١) اقرأ السطر ٣١ من الصفحة ٢٣٢ من كتاب غلوب .

(يناير) سنة ١٩٤٩ - فقد تلغن الى عملائه في فلسطين وقد اطلق عليها يومئذ (الضفة الغربية) - يساهم عما إذا كانوا قد نفذوا أو امره وجمعوا أسلحة المجاهدين الفلسطينيين الذين ينتمون إلى تلك المنظمة ! وفيما كان يفعل ذلك جاءت من رودس اخبار تقول : « ان الوفد الاردني والاسرائيلي أمضيا اتفاقية تقضي بوقف اطلاق النار »

وكفى الله المؤمنين القتال ! ...

المعاهدة الاردنية - البريطانية -

عندما أتم اليهود احتلالهم لوادي العربة ، وحطوا رجليهم على شاطئ خليج العقبة ، عند الموضع المعروف بـ (المرشش^(١)) أصبحت مدينة (العقبة) نفسها ، وهي اردنية ، في خطر . عندئذ طلبت الحكومة الاردنية من الحكومة البريطانية ان تتولى مسؤولية الدفاع عن العقبة وما حولها من بقاع ، عملاً بالالتزامات التي فرضتها المعاهدة الاردنية - البريطانية . وما لبثت هذه ان لبّت الطلب . فانزلت قواتها في ميناء العقبة . والقمت احدى بوارجها البحرية مراسيها أمام الميناء . وقد تم ذلك في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني ١٩٤٨

هذا ولا بد لنا من الاشارة هنا الى المعاهدة التي عقدها بريطانيا مع الحومة الاردنية ، قبل رحيلها عن فلسطين بشهرين ، لتتمكن من تثبيت اقدامها في هذا الجزء من الشرق بعد ان ازمنت الرحيل عن فلسطين .

ففي اليوم الخامس عشر من شهر آذار ١٩٤٨ امضى الفريقان (معاهدة تحالف) في عمان . امضاها توفيق باشا ابو الهدى رئيس الوزراء وفوزي باشا الملقى وزير الشؤون الخارجية باسم الملك عبدالله ، والسير اليك كركير وزير بريطانيا المفوض في عمان باسم ملك بريطانيا وشمالى ايرلنده والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار .

(١) موضع يقوم على شاطئ خليج العقبة ، وعلى بعد بضعة اميال من مدينة (العقبة) الاردنية . كان العرب يسمونه : (المرشش) . وقد اطلق اليهود عليه اسم . (ايلات) وهو الاسم الذي كانوا يطلقونه على العقبة في غابر الازمان .

ونشرت هذه المعاهدة في عدد ممتاز من الجريدة الرسمية (٩٣٩) بتاريخ ١٨ آذار ١٩٤٨ . مدتها عشرون سنة . وهي مؤلفة من سبع مواد ولها ملحق وعشر رسائل . ولهذا الغيت المعاهدة السابقة التي امضاها الفريقان في لندن . بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٤٦

لم ارثمة لزوماً لنشر المعاهدة الجديدة كلها ، وانما اراني مضطراً لتلخيص اهم البنود فيها . . سيما تلك التي لها صلة بموضوع كتابي هذا . ليتمكن القارئ من اصدار حكمه فيما اذا كانت بريطانيا تصرفت اثناء القتال الذي نشب بين العرب واليهود ، تصرفاً شريفاً يتلاءم والتعهدات التي اخذتها على نفسها في تلك الوثيقة الدولية .

انها (أي مع هدة ١٩٤٨) تقضي بقيام سلم وصدافة من الفريقين . . وتحالف وثيق . . وتفاهم وودي . . وتعهد ان لا يقف اي فريق منها تجاه البلاد الاجنبية موقفاً قد يخلق مصاعب للفريق الآخر . . (اقرأ المادة الاولى)

واذا نشأ نزاع بين اي من الفريقين ودولة ثالثة يتشاور الفريقان المتعاقدان معاً للنظر في تسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية . . . (اقرأ المادة الثانية)

واذا اشتبك احد الفريقين في حرب مع دولة ثالثة رغم احكام المادة الثانية ، فعلى الفريق الآخر ان يبادر فوراً الى مساعدته كاجراء للدفاع الاجتماعي بشرط التقيد دائماً باحكام المادة الرابعة من هذه المعاهدة . . (اقرأ المادة الثالثة)

والمادة الرابعة تقول انه ليس في هذه المعاهدة ما يرمي الى الاخلال بالحقوق والالتزامات المترتبة او التي قد تترتب على اي من الفريقين المتعاقدين وفقاً لميثاق الامم المتحدة او لأية اتفاقات دولية مرعية وعهود ومعاهدات . .

هذه اهم المواد التي ذكرت في صلب المعاهدة .

وعلى الرغم من التناقض الملحوظ في المادتين الثالثة والرابعة (١) فقد جاء في المادة

(١) هذا التناقض فرضته بريطانيا عن قصد : اذ فيما جمعت الاردن من المادة الثالثة يتوقع من حليفته ان تركز لمساعدته فيما اذا اشتبك في قتال مع اليهود (وهذا هو الغرض المقصود من المعاهدة) عادت ، فتذرت في المادة الرابعة بالامم المتحدة وميثاقها للتخص من تمهدها ، ذلك لانها تعلم اليقين تلك الامم ، ولاسيما الكبيرة منها وفي طبيعتها اميركا ، لن تسمح للاردن او غير الاردن من الدول العربية بكسر اسرائيل هدوة العرب . . تلك الدولة التي سمح الغرب بوجودها في الشرق جسراً يمر عنه كلما اراد المضي في استثماره . .

الاولى (الفقرة ب) من الملحق انه « في حالة اشتباك احد الفريقين في حرب او تعرضه لتهديد عدائي يقوم بدعوة الفريق الآخر لجلب م... ا يلزم من قواه المسلحة بانواعها الى اراضيه .. »

ودعا ملك الاردن بريطانيا في المادة نفسها (الفقرة د) من الملحق « ان تحتفظ بوحدات من قوة الطيران البريطانية في مطاري عمان والمفرق » وتعهد هو (اي ملك الاردن) « بتقديم جميع التسهيلات اللازمة لاقامة الوحدات المذكورة وتأمينها ، وتقديم التسهيلات اللازمة لخزن الذخائر والتجهيزات .. وتأجيراته ارض لازمة لذلك .. » كما تعهد بمرور القوات البريطانية من الاراضي الاردنية وتزويد السفن البريطانية للمواني الاردنية من شأنها .

وأعفيت القوات البريطانية من دفع اية ضريبة الى الخزانة الاردنية ..

وفي الملحق مادة (هي الثانية) تقضي بتأليف هيئة استشارية عسكرية مشتركة من ممثلين ذري اختصاص من كلتا الحكومتين باعداد متساوية : لوضع خطط استراتيجية يتفق عليها .. والتشاور في حالة تهديد بالحرب .. وتنسيق التدابير على وجه يمكن قوات الفريق من القيام بتعهداتها .. وصيانة المواصلات .. وحراسة المنشآت العسكرية .. والتدريب .. واعداد التجهيزات ..

وفي الملحق ايضاً مادة (هي الثالثة) تقضي على بريطانيا ان تدفع للاردن جميع التكاليف التي تتحملها الحكومة الاردنية في سبيل التسهيلات المتقدم ذكرها .. يستثنى من ذلك « الاضرار الناجمة عن العمليات العسكرية » ..

وتعهد الاردن ايضاً ان لا يستعمل من انواع الاسلحة الا النوع الذي تستعمله القوات البريطانية .. والا يرسل جنوده وضباطه من اجل التدريب في الخارج الا الى مدارس بريطانية ..

وبين الرسائل التي تبادلها الفريقان رسالة تعهد بها الوزير البريطاني المفوض على لسان

حكومتها انها (اي الحكومة للبريطانية) ستقوم بتقديم مساعدة مالية للحكومة الاردنية من اجل تمكينها من تنفيذ التزاماتها المنصوص عليها في هذه المعاهدة .



هذا موجز لاهم البنود التي اتفق عليها في المعاهدة . وسنرى من سير الحوادث التي وقعت بعد توقيعها ان بريطانيا لم تنف بجميع تعهداتها ، وانه كان لها بهذه المعاهدة الفخ ، وعلى الاردن العز وانها لم تقدم للاردن السلاح والعتاد الذي كان الجيش البري في امس الحاجة اليه عندما كان الجيش الاسرائيلي يتحداه . وقد اشرنا الى ذلك في مواضع جديدة من هذا الكتاب .

مجلس الامن يدعو الى اقامة هدنة دائمة في فلسطين

وفي ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٨ : أقر مجلس الامن الاقتراح الذي قدمته كندا وفرنسا والبلجيك والذي يقضي باقامة هدنة دائمة في فلسطين بدلا من الهدنة الموقته الحالية . ودعا العرب واليهود الى التفاوض من أجل احلال سلم دائم في فلسطين . وهذا قراره (١) :

« ان مجلس الأمن ، عملا بالقرارات السابقة ومنها قرار ١٥ تموز ١٩٤٨ الذي يعتبر القتال في فلسطين خطراً على السلام في العالم ، ومع علمه بأن الجمعية العامة للأمم المتحدة تدرس مسألة الحكم المستقبل في فلسطين بناء على طلب مجلس الأمن في أول نيسان ١٩٤٨ دون أن تؤثر في ذلك أعمال الوسيط بالوكالة ، وتنفيذاً لقرار ٤ تشرين الجاري ، يقرر : -

رغبة منه في ابعاد الخطر عن السلام العالمي وتسهيل انتقال الحال في فلسطين من هدنة موقته إلى سلام دائم ، يعلن الهدنة العامة الدائمة في فلسطين كلها ، ويدعو الطرفين إلى اتخاذ كل التدابير للوصول إلى اتفاق سواء بمفاوضات مباشرة أو بوساطة الوسيط لاقامة الهدنة الدائمة فوراً ، وذلك

(١) ان الدول التي ايدت هذا الاقتراح هي : كندا وفرنسا والبلجيك واميركا وانكترا والصين والارجنتين وكولومبيا واوكرانيا . وصوت ضده مندوب سوريا . وامتنع عن التصويت مندوب روسيا .

١ - باقامة خطوط للهدنة الدائمة تقف قوات الطرفين خلفها ولا تتحرك

٢ - واتخاذ كل التدابير لتخفيض قوې الطرفين العسكرية ، وتجريدھا من السلاح بشكل يسمح بحفظ الهدنة تمهيداً للانتقال إلى حالة السلام الدائم في فلسطين .

والغريب في الامر ان مجلس الأمن اصدر قراره هذا وفرض الهدنة الدائمة ولم يستطع تنفيذ قراراته السابقة . اذ ان اليهود لم يمثلوا اوامره ، لا ولا اوامر الوسيط الدولي بالوكالة الدكتور بانئس . تلك الأوامر التي تقضي برجوع للقوات اليهودية الى حيث كانت قبل ١٤ تشرين الاول ١٩٤٨

ومع ذلك فقد قبلت الدول العربية (مصر والاردن وسوريا ولبنان) قرار مجلس الامن هذا ، ودخلت في مفاوضات مع اسرائيل ، وعقدت في رودس هدنة دائمة . الا العراق ، فقد وكل الأمر الى الاردن، وكان ذلك في ٢٠ آذار ١٩٤٩

فهرس الاماكن

(أ)

٥٦٣	اكرم (قرية)	٥٢٥	أبو ظهير (موضع)
٦٣١	اكسال (قرية)	٧٣٨	ارض كنعان
٦٩٩ ، ٥٤٢	الاماكن المقدسة	٥٢٢	ارض المشتقة
٧٣٢ ، ٧١٦	ام ديكل	٦١٢ ، ٥٦٥ ، ٥١٩	اريجا
٦٥٧	الانشراح (قرية)	٧٤٩	
٥٦٢	اوروبا	٦٩٤ ، ٦٣٥ ، ٥٣٥	اسدود
٧٦٧ ، ٧٦٥	ايلات	٧١٣ ، ٧٣١ ، ٧١٤	
		٧٠٩	الاسكندرية

(ب)

٦٠٨ ، ٦٠٤	البرية (قرية)	٥٥٥ ، ٥٤٩ ، ٥٤٨	باب الواد (اللطرون)
٥٣٥	البطاني (قرية)	٦١٦ ، ٦٠٤ ، ٥٣٧	
٥٩١ ، ٥٧٣ ، ٥٥٢	بغداد (والعراق حكومة وشعباً)	٦٦٢ ، ٦٦٩ ، ٦١٨	
٦٦١ ، ٦٥٥ ، ٦٥٠		٧٤٥ ، ٦٩٤ ، ٦٨٩	
٦٦٥ ، ٦٦٤ ، ٦٦٣		٧٠١	باريز
٧٠٨ ، ٦٨٢ ، ٦٨١		٥٣٤ ، ٥٣٢	باقة الغربية
٧٥٠		٥٢٣	البحر الاحمر
٧٤٦	البلقاء	٧٦٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٢	البحر الميت
٦٨٨	بيت جالا	٧٦٣	
٦١٣ ، ٥٩٩ ، ٥٦٧		٥٩٨ ، ٥٣٩ ، ٥١٨	بدو
٧٢٠ ، ٦٩٤ ، ٦٩٢	بيت جبرين	٦١٧	
٧٤٦ ، ٧٣١		٥٦٢	براغ
٥٥٢	بيت جنز	٦٩١	البراق
٧٢٤ ، ٧١٤	بيت حانون	٧٣١ ، ٧١٤	بربرة
٥٣٩	بيت حنينا	٦٦٢	البرج (قرية)
٥٥٦ ، ٥٣٦ - ٥٣٤		٥٢٨ ، ٥٢٧	برقين
٧١٤ ، ٥٩٩	بيت داراس	٥٧٦	برلين

٦٢٦	بيار غلدس	٦٣٦	بيت دقو
٧٦٤	بير ابن عوده	٥٥٢	بيت سوسين
٦٦٢	بيرام معين	٦٦٢ ، ٦١٧	بيت سيرا
٥٩٧	بير زيت	٥٩٧	بيت صفافا
٥٧٠ ، ٥٦٧ ، ٥٢٣		٦٠٣	بيت عريف
٧١٤ ، ٧١٣ ، ٦٩٧		٧٢٠ ، ٧١٨	بيت عفا
٧٢٠ ، ٧١٦ ، ٧١٥	بير السبع	٦٣٦	بيت عنان
٧٤٧ ، ٧٣٩		٦١٧	بيت عور
٧٦٢ ، ٧٤٩		٥٢٨	بيت قاد
٧٦٤	بير مليحان	٦١١ ، ٥٩٧ ، ٥٦٧	بيت لحم
٦٣١ ، ٥٤٧ ، ٥٤٢		٧٤٥ ، ٦٩٤ ، ٦٨٧	بيت لقيا
٦٥٣ ، ٦٥١ ، ٦٤٩	بيروت (ولبنان)	٦٦٢	بيت المقدس
٦٦٥ ، ٦٦١ ، ٦٥٧	(حكومة وشعبا)	٧٤٧ ، ٦٢٢	(انظر القدس ايضا)
٧٠٦ ، ٦٧٠ ، ٦٦٩		٦٠٣ ، ٥٨٢ ، ٥١٩	بيت نبالا
٦٨٦ ، ٦١٣ ، ٥١٧	البيرة	٦٠٨ ، ٦٠٥ ، ٦٠٤	
٧٠٤			

(ت)

٥٩٩ ، ٥٦٧	تل الصافي	٦٣٧	ترشيحا
٦٣٩	تل صهيون	٦٨٤	التل الافرنسي
٦٥٧	تل العدس	٧٣٢	تل ام صميدع
٦٥٧	تل العز	٥٨٨ ، ٥٢٧ ، ٥٢٥	تل الخروبة
٧٢٥	تل المعرش	٥٩٢	تل الخيش
٦٩٣ ، ٦٩٢ ، ٥٩٩		٧١٨	تل الحسي
٧١٤	تل المكحز	٧١٤	تل الشام
٧١٤	تل النجيلة	٦٥٧	

(ج)

٥٦٣ ، ٥٨٣	جبع	٦٥٧	الجالود
٥١٨ ، ٥١٧ ، ٦١٧	جبل الرادار	٥٢٧	جامع جنين الكبير
٦٣٦		٦٥٧	جباننا

٦٠٥، ٦٠٤، ٦٠٣	جزو	٧٦٢	جبل اصدوم
٦١٣، ٦١٠		٦٥٧	الجديدة (قرية)
٥٤٨، ٥٣٠-٥٢٤	جنين	٥٥٦	جسير
٥٩٢-٥٨٨		٦٣٧	الجش
٧١٣، ٦٢٠، ٥٥٦	جولس	٥٨٩، ٥٢٥، ٥٢٤	حلمة
٧١٥، ٦٩٧، ٦٢١	جورة عسقلان	٦٢٢، ٦٢١، ٥٧٢	الجليل
٧١٦		٦٩٨، ٦٩٤، ٦٣٧	
٦٤٢، ٦٣٩	الجيب	٧٣٠، ٧٢٤	الجمامة
٦٥٧	الجيدة	٦٥٧	جنجا

(ح)

٧١٦، ٧١٤، ٧١٣	حليقات	٦٧٤	حاكورة المسكوب
٦٩٧، ٦٥٧	الحولة	٦٢٣	جدثا (قرية)
٥٧٨، ٥٧٧، ٥٧٢	حيفا	٧٦٢	الحصب
٧٦٣، ٦٩٩		٦٢٢	حطين

(خ)

٦١١، ٥٦٧، ٥٦٥		٧٢٦، ٧٤٤، ٧٤٣	خان يونس
٧١٣، ٦٩٤، ٦٩٢		٦٣٥	خرب اللحم
٧٣٣، ٧٢٧، ٧١٤	الخليل	٧٢٤	خربة ابن عيشة
٧٤٩، ٧٤٦، ٧٤٥		٧٣٤، ٧٣٣	خربة الشرباص
٧٥٢		٦٠٤، ٦٠٣، ٥٥٢	خلدا
٦٥٧	خنيفيس	٧٢٦	الخلصة

(د)

٦٣٨، ٥٣٩	دار الوكالة اليهودية	٥٣٩	دار الاذاعة الفلسطينية
٦١٠، ٦٠٤، ٦٠٣	دانيال (قرية)	٦٤٠	دار الايتام الاسلامية
٦٣١، ٦٢٤	دبوريا	٦٣٢	دار الايتام-الكاثوليك
٧٢٥	الدماث	٦٥٧	الدار البيضاء
٥٦٢	الدهيشة	٦٣٢	دار جمعية الشباب المسيحية
٧٤٦، ٥٩٩	الدوايمة (قرية)	٦٤٣	دار غوشه

٧٣١ ، ٧١٤	دير سنيد	٥٤٧ ، ٥٤٢ ، ٥١٩	دمشق (وسوريا) حكومة وشعبا)
٥٢٩ ، ٥٢٦ ، ٥٢٥	دير شرف	٦٥٩ ، ٥٩٤ ، ٥٦٥	
٦٠٣ ، ٥٨٢ ، ٥١٩	دير طريف	٦٦١ ، ٦٥٧ ، ٦٥٣	
٥٨٩	دير غزالة	٦٦٥ ، ٦٦٤ ، ٦٦٣	
٥٢١	دير فيرونيكا	٧٥٠ ، ٧١٠ ، ٧٠٦	
٥٣٧	دير قازانوقا	٦٤٠	دير الآباء البيض
٦٣٢	دير القديس اندروز	٦٣٣	دير الآباء العازارين
٦٣٢	دير القديس سمعان	٥٣٧	دير الآباء الفرنسيين
٦٣٣ ، ٦٣٢	دير القديس شارل	٦٣٢	دير الآباء الكبوشيين
٦٣٢	دير القديس يوسف	٦٣٣	دير الآباء الكرملين
٦٣٢	دير القديسة كلير	٦٣٤	دير الآباء اليسوعيين
٦٣٣	دير مار الياس	٦٣٢	دير ابي ثور
٦٣٣	دير مار توما	٦٠٣	دير ابي سلامة
٦٣٣	دير المصلبة	٥٥٤	دير ايوب
٦٩٤	دير نظام	٧٤٤ ، ٧٤٣ ، ٥٨٥	دير البلح
٥٩٨ ، ٥٤٨ ، ٥٢١	دير النوتردام	٦٣٤	دير راهبات ايفيريا
٦٣٩ ، ٦٣٢ ، ٦١٨		٦٣٣	دير الراهبات الساليزيات
٦٩٦ ، ٦٤٤		٦٣٢	دير الراهبات الفرنسيات
٧٣٩	دير الازامة	٦٣٣ ، ٥٦٩ ، ٥٢١	دير راهبات القربان
٦٣٠	دير يسوع	٦٣٣	دير راهبات المحبة
٧٠٤	الديوانية	٦٣٣	دير الراهبات الوردية

(-)

٥٢٨	رمانة	٥٤٨ ، ٥٢٠ - ٥١٨	رأس العين
٥٨٢ ، ٥٦٦ ، ٥٦١	الرملة	٦٠٨ ، ٦٠٣ ، ٥٨٢	
٦٠٦ ، ٥٩٤ ، ٥٩١		٦١٨ ، ٦١٣ ، ٦١١	
٦١٧ - ٦١٢ ، ٦١١		٦٨٦ - ٦٨٣ ، ٦٢٦	
٦٩٨ ، ٦٨٣ ، ٦٦٠		٦٨٩	
٥٧١ ، ٥٧٠ ، ٥٦٩		٥٨٢ ، ٥٦٥ ، ٥١٧	
٧٦٢ ، ٦٥٣ ، ٥٩٥	رودس	٦١٢ ، ٦١١ ، ٦٠٥	رام الله
٧٧١ ، ٧٦٧ ، ٧٦٥		٦١٨ ، ٦١٧ ، ٦١٣	
٦٣١	الرنية	٦٨٦ ، ٦٨٤	رفح
		٧٤٤ ، ٧٣٠ ، ٧٢٠	

(ز)

٧٢٨	الشيخ زويد (موضع)	٧٤٦ ، ٧٣٢ ، ٧١٦	زبالة
		٥٩٢ ، ٥٩٠ ، ٥٢٤	زرعين

(س)

٧١٤	شمس	٥٤١	السافرية
٥٩٩ ، ٥٣٥	السوافير	٦٩٤ ، ٧٦٥	السامرة
٥٣٣ ، ٥٣١	سهل شارون	٦٣٧	سخنين
٥٦٦	السويس	٧٣٣ ، ٧٢٤	السر (موضع)
٦٢٣	سيرة العجل	٦٣٨	سعسع
٦٢٣	سيرين	٦٠٧	سكنة فانوس
٧٠٤	سيشل	٦٠١	سكة حديد القدس - يافا
٧٤٩	سينا	٦٠١	سكة حديد حيفا - القنطرة
٥٢٨	صيلة الظهر	٦١٠	سليبيتا
		٧٠٠ ، ٦٨٩	سلوان

(ش)

٦٨٧ ، ٦٤٢ ، ٥٨٧	شعفاط	٧٠٧	شارع رمسيس
٦٢٩	شفا عمرو	٥٦٢	شيرد (فندق)
٥٣٤	الشويكة	٦٢١ - ٦٢٦ ، ٦٣١	الشجرة (قرية)
٦٥٧	شيخ بريك	٦٣٧	

(ص)

٥٨٩ ، ٥٢٥ ، ٥٢٤	صندله (قرية)	٥٢٨	صانور
٥٩٨	صوبا	٦٠٣ ، ٥٤١	صرفند
٦٣١	صور	٦٣٨	الصفصاف
٧٤٢	صور باهر	٦٢٩ ، ٦٢٨	صفوريا

(ض)

٦٠٣	الضهيرية	٧٢١	الضاهرة
-----	----------	-----	---------

٦٨٧ ، ٥٨٦ ، ٥٨٤	العيسوية	٧٢٥	العمارة
٦٣٧	عيلبون	٦٤٤	عمارة الاوقاف
٦٣١	عيلوط	٦٩٦	عمارة مرقص
٦٢١ ، ٥٤٦ ، ٥٤٥	عين ماهل	٦٢٢	عموقة
٦٣١ ، ٦٢٤	عين فارة	٦١٣ ، ٦١٠ ، ٦٠٣	عناية
٦٨٥ ، ٦٨٤ ، ٥١٨	عين فارة	٦١٧ ، ٥١٧	العنب (قرية)
٥٩٨ ، ٦٨٥ ، ٥٤٠	عين كارم	٥٣٢	عنبتا
٦٨٥ ، ٥٩٩	عين الشريف	٧٢٦ ، ٧٢٤ ، ٥٥٦	عوجا - الحفير
٥٢٧	عين تين	٧٤٤ ، ٧٤٣	عولم
٥٢٨	عين غزال	٦٢٣	عيترون
٥٦٣		٦٣٧	اليزرية
		٦٨٧	

(غ)

٥٩٠	غوربيان	٥٦٥ ، ٥٧٠ ، ٥٨٥	
٥٢٣ - ٥٢٢	غور الصافي	٦٢٠ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥	غزة
٦٧٢		٦٦٦ ، ٦٩٧ ، ٧١٢ - ٧٠٣	
		٧١٣ - ٧١٦ ، ٧٢٦	
		٧٣٥ ، ٧٣١ ، ٧٣٩	
		٧٤٤ ، ٧٤٣ ، ٧٤٦	

(ف)

٦٣٧	فراده	٥٣٥ ، ٦٩٧ ، ٧٠٧	
٦٥٧	فوله	٧١٣ ، ٧١٥ ، ٧١٧	الفالوجة
		٧١٨ ، ٧٢٠ ، ٧٣١	
		٧٣٣	

(و)

٦٣٦	القبيبة	٥٣١ - ٥٣٤	قاقون
٦٥٧	قدس (قرية)	٥٢٣ ، ٥٤٢ ، ٥٤٧	
	القدس (ابوابها)	٥٥٠ ، ٥٦٧ ، ٥٧١	
٦٧١ ، ٦١٩ ، ٥٦٥	باب الاسباط	٥٧٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤	
٥٦٥ ، ٥٣٧ ، ٥٢١	الباب الجديد	٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥	القاهرة (ومصر)
٦٤٠ ، ٦٣٩		٥٥٦ ، ٦٦١ ، ٦٦٣	حكومة وشعبا)
٦٣٩ ، ٥٦٩ ، ٥٦٥		٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٧٠	
٦٨٩ ، ٦٧١ ، ٦٤٠	باب الخليل	٦٧٦ ، ٦٨٠ ، ٦٨١	
٧٠٠		٦٨٢ ، ٧٠٩ ، ٧١٠	
٦٧١ ، ٥٦٥	باب الساهرة	٦١٩ ، ٦٥٠ ، ٧١١	
٦٤٣ ، ٥٩٧	الباب العتم	٥٢٧ ، ٥٢٩	قباطية
		٥٥٢	قبرص

٦٨٦ ، ٦٧١ ، ٥٣٩	جبل المكبر	٧٤٢ ، ٥٤٠ ، ٥٣٨	
	القدس (حاراتها)	٥٦١ ، ٥٥٤ ، ٥٤٩	
٦٤١ ، ٦٤٠	حارة الارمن	٥٦٧ ، ٥٦٥ ، ٥٦٢	
٥٩٨ ، ٥٩٧ ، ٥٣٨	- الحرم	٥٧٢ ، ٥٦٩ ، ٥٦٨	
٦٩٠ ، ٦١٩		٥٧٦ ، ٥٧٥ ، ٥٧٤	
٦٤٠	- الدباغة	٥٩٥ ، ٥٧٨ ، ٥٧٧	
٥٣٩	- شرفة عين كارم	٦١٢ ، ٥٩٨ ، ٥٩٧	
٥٥٥ ، ٥٣٩ ، ٥٣٧		٦١٨ ، ٦١٧ ، ٦١٣	
٥٨٦ ، ٥٦٨ ، ٥٦٧	- الشيخ جراح	٦٣٢ ، ٦٢٠ ، ٦١٩	القدس (بيت المقدس)
٦٨٤ ، ٦٧١ ، ٥٩٧		٦٤١ ، ٦٤٠ ، ٦٣٩	
٧٠١	- الطالبية	٦٥٩ ، ٦٥٨ ، ٦٤٤	
٥٩٧ ، ٥٢١	حارة عقبة المفتي	٦٦٩ ، ٦٦٥ ، ٦٦٢	
٦٣٩ ، ٦٣٨	- المسكوبية	٦٧٢ ، ٦٧١ ، ٦٧٠	
٦٧١ ، ٥٦٩ ، ٥٣٩		٦٧٩ ، ٦٧٤ ، ٦٧٣	
٦٩٦	- المصراة	٦٨٣ - ٦٨٦ ،	
٧٠٠	- المغاربة	٦٩٤ ، ٦٨٧ ، ٦٨٤	
٥٦٩	- المونتغيوري	٦٩٥ ، ٦٩٦ ،	
٥٦٩ ، ٥٦٥ ، ٥٣٩		٦٩٨ - ٧٠٠ ،	
٦٨٩ ، ٦٨٤ ، ٦٣٩	- النبي داود	٧٤٥	
٦٩٦ ، ٦٩١ ، ٦٩٠		٦٩٦ ، ٦٩٠ ، ٥٦٥	باب العمود
٦١٩ ، ٥٦٩	حارة النصارى	٥٩٧	
٥٢١	- الواد	٦٩٠ ، ٥٦٥	باب المغاربة
٥٩٨ ، ٥٦٨ ، ٥٦٧	- واد الجوز	٥٧٠ ، ٥٦٩ ، ٥٦٥	باب النبي داود
٦٧١		٦٣٩	
٦٤٠ ، ٥٧٠ ، ٥٣٦	- اليهود	٥٨٧	بوابة مند لبادم
	القدس (دروبها وشورعها)		القدس (اسواقها)
٦٤٠ ، ٥٩٧	درب الآلام	٥٦٩	سوق باب خان الزيت
٥٦٩	شارع مأمّن الله	٥٦٩	- البازار
٥٣٩	- الملكة مليستده	٥٦٩	- العطارين
٥٩٤ ، ٥٤٣	قصر رغدان	٥٦٩	- علون
٦٦٦	قصر عابدين		القدس (بركها)
٦٣٦	قطنة	٦٨٥ ، ٥٤٠	بركة السلطان
٥٦٦	قلعة باب الخليل	٦٨٥ ، ٥٤٠	بركة مأمّن الله
٦١١	قليلية		القدس (جبالها)
٥٣٢	قلنسوة	٥٨٣ ، ٥٥٥ ، ٥٣٩	جبل الزيتون
٧٣٩	قناة السويس	٦٢٠ ، ٥٨٧	(الطور)
٥٨٢ ، ٥٢٠ ، ٥١٩		٥٣٩ ، ٥٢١ ،	جبل المشارف
٦١٣ ، ٦١٠ ، ٦٠٣	قولة	٥٨٣ - ٥٨٥ ،	(سكوبس)
		٦٨٤ ، ٥٩٨	

(ك)

٦٣٢	كنيسة الحبش	٥٢٢	الكرك
٦١٩ ، ٥٧٦ ، ٥٣٨	- القيامة	٥٣٠	كر كوك
٦٤٠	- مار فرنسيس	٦٠٩	كرم التاجي
٦٣٣	- نصف الدنيا	٥٦٤ (جزيرة)	كريت
٦٤٠	- نياحة العذراء	٦٢٣	كفر سبت
٦٩١ ، ٦٣٢	كوبري القبة	٥٤١	كفر عازة
٧٥٤	كوت العمارة	٥٢٠ ، ٦١١ ، ٦١٣	كفر قاسم
٧٠٤	كوكبا	٦٢٣	كفر كما
٧١٥ ، ٧١٣	كيتي دان (فندق) ٥٥٨	٥٤٥ ، ٦٢١ ، ٦٣١	كفر كنه
		٦١٠ (قرية)	الكنيسة (قرية)
		٥٣٧ ، ٥٢١	كنيسة الارمن الكاثوليك

(ل)

٦٨٧ ، ٦٨٥ ، ٥٤٠	لفتا	٥٨٢ ، ٥٦٦ ، ٥٦١	
٧٥١	لندن	٥٩٩ ، ٥٩٤ ، ٥٩١	
٥٦٠ (ثغر فرنسي)	لوبوك	٦٠٢ - ٦٠٥ ،	اللد
٦٢٦ - ٦٢١	لوبية	٦١٢ - ٦١٧ ،	
٦٣١	ليك سكسس	٦٦٠ ، ٦٨٣ ، ٦٩٨	
٧١٠ ، ٥٩٥		٦٨٤	اللطرون

(م)

٦٣٣	مدرسة طاليتا قدس	٦٤٠	المالحة
٦٣٩ ، ٦٤٤ ، ٥٣٩	شنلر	٦٣٧	المالكية
٦٣٣	- صهيون	٥٢٠ ، ٦٠٣ ، ٦١١	مجدل صادق (يابا)
٦٨٥	- الفرندز	٥٩٠ ، ٦١٣	مجد الكروم
٥٩٧ ، ٥٢١	- الفرير	٦٣٧	
٧٠٣	- الفلاح الاسلامية	٥٣٥ ، ٥٩٩ ، ٦٩٢	
٦٣٣	مدرسة البنات الاكاذ	٦٩٧ ، ٧١٣ ، ٧١٤	
٦٢٤	- النجاح الوطنية	٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧	المجيدل
٦٣٣	- مار يوسف	٧١٨ ، ٧٣١ ، ٧٣٣	
٦٩٥	- المطران	٧٤٦	
٥٢٥ (موضع)	المراح (موضع)	٦٢٩	المجيدلي
٦٢٨ ، ٥٩١ ، ٥٩	مرج بن عامر	٧٣٢	محطة بير السبع
٦٥٧	المرشرش	٦٣٣	مدرسة ترازيا
٧٦٥ ، ٧٦٧	المريصد	٥٣٧	- ترسانطة
٥٢٢	المزار (قرية)	٥٢٨	- جنين
٥٩٠ ، ٥٨٩ ، ٥٢٥	المزيرة	٦٢١	- خاضوري
٥٩٢		٦٣٢	مدرسة دار الايتام السورية
٦١٠ ، ٦٠٣ ، ٥٢٠		٦٣٣	- الراتز نون
٦١٣		٦٣٣	- شميت الالماتية

٦٢١	مستعمرة سارونا	٦٣٣	٥٢١	المستشفى الافرنسي
٧٢٣	- ريفافيم	٦٣٢		- الالماني
٦٢١ - ٦٢٦	- السجرة	٦٣٢		- الانكليزي
٥٢٢	- سدوم	٥٨٤		- اوغستا فكتوريا
٧٢٤	- سدى عقيفا	٦٣٢		- الايطالي
٦٤٢ ، ٥٩٨ ، ٥٩٧	- سنهدريا	٧٢٩		مستشفى بيت لحم
٦٨٤	- الشعارة	٦٣٣		- الجزام
٦٢١	مستعمرة عيقرون (عافر)	٦٣٢		مستشفى القديس يوحنا
٦٨٥	- عين حارور	٦٤٤		- المسكوبية
٦٥٧	- غات	٥٣٧ ، ٥٨٣		- الهداسا
٧١٥ ، ٧١٣ ، ٦٩٢	- غان بينا	٦٨٤ ، ٥٨٥		- الهوسبيس
٧١٤ ، ٦٩٢	- غوليم	٦٤١		مستعمرة تبساح
٥٣٣	- الفولة	٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٦٠٣		تيكفا (ملبس)
٥٩٠ ، ٦٥٧	مستعمرة قريات عنافيم	٦١١ ، ٦١٠		مستعمرة النجارالية
٥١٧	- كالية	٥٩٨		- بلفوريا
٧٦٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٢	- كفار باروخ	٦٥٧		- بن شيمون
٦٥٧	- كفار داروم	٦٠٣ ، ٦٠٥ ، ٦٠٨		- بيت ابشل
٥٨٥	- كفار دافيد	٦١٠		- بيت هاكريم
٦٥٧	- كفار سركين	٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٧		- بيرطوفيا
٦١١	- كفار طابور	٧٣٠ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤		- بيروت اسحق
٦٢١	- كفار عصون	٧٤٢ ، ٧٣٧		- ترانسلفانيا
٥٦٢	- كفا رفتكين	٥٣٩		- تل بيوت
٥٦٠ ، ٥٥٧	مستعمرة كفارهاحورشر	٥٣٤ ، ٦٩٢ ، ٧١٤		- تل لتفنسكي
٥٣٤	- كفار نتسالييم	٦٣٥ ، ٧٣٠ ، ٧٣٧		مستعمرة حبعات شاؤول
٦٢٨	- كفار يونا	٦٥٧		- حبيزر
٥٣٣	- كيشت	٥٤٠ ، ٥٤٩ ، ٥٦٠		- خامشة (معلى)
٦٢١ ، ٥٤٥	- كيشر	٥٦٤ ، ٥٦٩ ، ٥٧١		- خلدا
٥٣١	- عارسمسم	٥٧٧ ، ٥٩٨ ، ٦١١		- الدنقور
٧١٤	- مرحافيا	٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٧١		- دوروت
٦٥٧	- مسحة	٦٨٦ ، ٧٠١ ، ٧٥١		مستعمرة رحافيا
٦٢١	- مشمار هاياردن	٦٤٢		مستعمرة روخاما (الجمادة)
٦٩٤	- مياشورم	٦٠٢		- روميما
٦٣٨ ، ٥٩٨ ، ٥٣٩	مستعمرة ناتانيا	٦٣٩ ، ٥٣٩ ، ٦٠٨		
٦٤٤	- نحلات شمعون	٥٤١ ، ٥١٧ ، ٦٣٦		
٥٣٣ ، ٥٢٦	- نقبا	٦٦٢		
٧١٣ ، ٦٩٢ ، ٦٣٥	- نهاريا	٦٨٥		
٧٣٢ ، ٧١٨	- نهلال	٧٣٠		
٦٥٧	- نير حاييم	٧١٤		
٦٥٧ ، ٥٩١ ، ٥٩٠	- ويلهلما	٧٠١ ، ٦٩٢ ، ٧٣٠		
٧١٤		٦٤٢ ، ٥٣٩		
٦١٣ ، ٥٨٢ ، ٥٧٩				

٦٤٢	معسكر العلمين	٦٩١ ، ٦٤١ ، ٦٤٠	المسجد الاقصى
٦٥٧	معلول	٦٩٢ ، ٦٤١ ، ٦٤٠	مسجد الصخرة
٧٠٤	معهد ابناء الامة	٦٢٩	المشهد
٧٢٦ ، ٧٢٥ ، ٧٢١	المعين	٧٣٣	مطار بير السبع
٦٦٠	المفرق	٥٩٨	- جبات شاؤول
٦٣٣	مقابر المسيحيين	٦٠١	- الرملة
٧٣٤	مقبرة بير السبع	٥٦٤	مطار زاتيك
٥٨٧	- جبل الزيتون	(التشيكوسلوفاكي)	
٧٢٩	- قبة راحيل	٥٦٠	- الشيخ بدر
٥٨٩	مقبلة	٥٤٣	- عمان
٦٠٧	ملجأ الرجاء	٦١٦ ، ٥٩٨	- القدس (قلندية)
٦٣٩	الملك داود (فندق)	٥٧٢ ، ٦٠١	
٧٦٤	مليحة	٦١٣ ، ٦١١ ، ٦٠٣	- اللد
٦٥٧	المنشية	٦٩٩	
٦٧٢	موسكو	٧٤٦	معان
٥٣٠	الموصل	٧٠٨	معتقل هاكتب
٧٢٤	المويلح	٦٢٣	معذر
		٦٠١ ، ٦٠٢	معسكر صرفند

(٧)

٧٠٧	ناصر شكري	٥٣٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٠	نابلس
٦٠٧	نايف الحديد	٦١٧ ، ٥٩٠ ، ٥٦٥	
٥٢٦ ، ٥٢٥ ، ٥٢٤	نايف صالح البرغوش	٥٩٠ ، ٥٤٦ ، ٥٤٥	الناصره
٦٦٥	النجديون (ونجد)	٦٢٧ ، ٦٢٤	
٧١٤	نجيب (ليوزباش)	٥٦٢	الني دانيال [موضع
٦٠٨	نجيب الربيعي	٦٣٩ ، ٥٩٨ ، ٥٣٩	الني صنوئيل
٦٣٠	نخلة بشارة	٦٤٢	
٥٢٢	نديم رجب	٥٣٥	نصار (موضع)
٥٢٦	نصفت كال (الدكتور)	٦٠٥	نعلين
٦٠٢	نمر (الدكتور)	٦٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٧٢	
٥٣٠ - ٥٢٤	نوح عبد الله الحلبي	٧٢٠ ، ٧١٣ ، ٦٩٨	
٥٢٦	نور الدين العبوش	٧٤٥ - ٧٤٣ ، ٧٣٩	النقب
٥٩١ ، ٥٩٠ ، ٥٥٠	نور الدين محمود	٧٦٢ ، ٧٤٩	
٧٤٤ ، ٦٨٠	باشا (الفريق)	٥٢٣	نقب الابرش
٧٠٨ ، ٦٦٥	فوري السعيد	٦٢٤	نمرين
٥٨٢	نيرون روما	٦٩٧	نهر اليرموك
٥٨٤	نيلس برونسن (كولونيل)	٥٩٢	نورنس
٥٨٤	ينوفان هريز	٧١١	نادي الاتحاد العربي
		٦٤٧	النازي

(م)

٥٨٣ - ٥٨٥	هنداسا (اتفاقية)	٦٢٩ ، ٥٤٦ ، ٥٣١	الهيئة العربية العليا
٥٨٦		٦٦٦ ، ٦٦٥ ، ٦٥٢	
٦٥٧		٦٦٧ ، ٧٠٣ - ٧٢٣ ، ٧١٢	

(و)

٧٢٥	وادي الشريعة	٥٨٧	وادي ام العم -
٥٥٤	وادي الصرار	٥٢٨ ، ٥٢٥	وادي برقين
٧٦٣ ، ٧٦٢ ، ٥٢٣	وادي العربية	٥٢٩	وادي البيدان
٧٦٧ ، ٧٦٥		٧٣١ ، ٧٢٧	وادي بير السبع
٧٦٣	وادي النار	٥٩١ ، ٥٩٠	وادي بيسان
٦٥٥ ، ٥٩٣	وادي النيل	٧٣٣	وادي الحمام
٦٥٧	الورقاني	٦٥٧	وادي الحوارث

(ي)

٥٧٢	يافا	٦٥٧	الياجور
-----	------	-----	---------

فهرس الاعلام

(٢)

احمد الظاهر ٦٩١	الديك	ابراهيم (جد ٧٣٨	الانبياء)
٧٢٧ ، ٧٢٣ ، ٧١٧	احمد عبد العزيز	٧٢٤ ، ٧٢١	ستة
٧٤٠ ، ٧٣٩ ، ٧٨٢	(المصري)	٧٣٩	ابراهيم باشا
٧٤٣ ، ٧٤٢		٥٦٧	ابراهيم حقي
٧٠٣	احمد عبد العزيز	٥٢٢	ابراهيم السحاقيات
٧٢٨ ، ٧٢٧	احمد عبده	٧٣٥ ، ٧٣٢ ، ٧٢٩	ابراهيم شهاب
٧٠٣	احمد العكي	٧٢٢	ابراهيم العاصي
٥٢٢	احمد عودة	٥٢٢	ابراهيم العايد
٧٤٥-٧٤٣	احمد فؤاد صادق	٦٣٠	ابراهيم الفاهوم
	با شا (اللواء)	٥٢٢	ابراهيم محمد
٧٠٣	احمد محمد حجة		الشوبكي
٧٠٨ ، ٦٦٨ ، ٦١٢		٧٤١	ابراهيم الورداني
٧٢٤ ، ٧٢٣ ، ٧١٧	الاخوان المسلمون	٦٦٥ ، ٦٦٤ ، ٦٦٣	ابن السعود
٧٢٩ ، ٧٢٨ ، ٧٢٧	المصريون	٧٤٨ ، ٧٤٧	ابن عقيل
٧٤٢ ، ٧٤٠ ، ٧٣٩		٥٣٨	ابو الخير الميداني
٧٤٧ ، ٧٤٣		٧٤٩	ابو ربيعة
٦٠٣ ، ٥٨٢ ، ٥٢٧	ادريس عبد	٧٤٩	ابو رقيق
٦٠٥	اللطيف	٧٤٧	ابو العدوس
٧١١	اديب الانصاري	٦٠٠	ابو هريرة
٧٠٣	اديب الريماوي		ابيمالك (ملك
٦٣٧	اديب الشيشكلي	٧٣٨	الافلسطينيين
٦٠٩ ، ٦٠٦	اديب القاسم		القدماء)
٧٧٠	الارجنتين	٧٦٣ ، ٧٣٩	الاتراك
٥٦٢ ، ٥٥٢ ، ٥٣٩	آرتور كوستلر	٧٠١	اتريدج (مسز)
٦٣٣	الارسالية الروسية	٧١١	احسان سرور
٥٣٨	الازهر	٥٨٠	احمد جلال
٦٥٥	اسبانيا	٧٠٨	احمد حسين
٧٢٢ ، ٧٢١	اسحق بسيسو	٧٠٤ ، ٧٠٣ ، ٥٦٨	احمد حلمي باشا
٦٦٨	اسحق درويش	٧١١ ، ٧٠٧	
٥٦٣ ، ٥٦٠ ، ٥٤٧		٧٤٨	احمد سالم باشا
٥٧٤ ، ٥٧٣ ، ٥٦٤		٥٣٨	احمد الدقر
٥٩٢ ، ٥٧٦ ، ٥٧٥	اسرائيل	٧٥٢	احمد الشراباتى
٦٧١ ، ٦٧٠ ، ٥٩٥		٥٦٩	احمد الشقيري
٧٦٢ ، ٦٩٨ ، ٦٨٩		٧٥٤ ، ٦٥٣	احمد صدقي
٧٥٣ ، ٧٧١ ، ٧٤٧			الجندي

٦٠٣	٥٨٣	الامان (و المانيا)
	٥٣١	آل النابلسي
	٥٥٧	الياهولانكن
	٧٦٧	اليك كركبرايد
	٥٩٢	ام محمد (سيله) (الظهر)
٦١٦	٥٨٤	٥٣٨
٦٩٩	٦٩٨	٦٧١
	٧٦٨	٧٠١١
٥٦٢	٥٥٧	٥٤٠
٥٧٧	٥٧٣	٥٦٧
٥٩٥	٥٩٣	٥٨٤
٦٦٤	٦٥٠	٦٠٣
٦٩٥	٦٧٢	٦٧٠
	٧٧٠	٧٦٨
		٧٠٣
		اميل الغوري
٦٦٥	٦٠١	٥١٩
٦٦٨	٧٦٧	٦٦٦
٧٠٣	٦٩٤	٦٧٢
	٧٢٣	٧١٢
		امين السيد علي
		٦٩١
		المصري
٧١١	٧٠٥	٧٠٣
	٧٣٨	٧٦٣
		اندره بترسبرد
		٧٠١
		(كولونيل)
		اندونيسيون
		٦٥٥
		(واندونيسيا)
		انور محمد صبحي
٧١١	٧٠٥	٧٠٣
		انور نسبية
		٧٥٢
		انور نيروخ
		٧٧٠
		اوكرانيون
		(و اوكرانيا)
		ايطاليون (و ايطاليا)
		٦٥٥

		اسحق موسى
		٥٦٨
		الحسيني
٦٥٢	٥٥٩	اسرائيل غاليلي
		٥٦٨
		اسعاف النشاشيبي
		٥٨٣
		الاسكندر المقدوني
		(ذو القرنين)
		٥٨٠
		اسماعيل الحنطي
٧٥٤	٦٥٤	اسماعيل صفوة
		باشا
		٥٢٢
		اسماعيل عثمان
		٧٠٣
		السيد ابو شرح
		٦٠٨
		اشتون (كولونيل)
٧٣٨	٥٢٨	الآشوريون
		٦٥٥
		الافريقيون (و افريقيا)
		٧٠٣
		اكرم رعيترا
		٥٦٤
		البانيون (و البانيا)
		٦٥٧
		آل التيان
		٦٥٧
		آل التويني
		٦٥٧
		آل الجزائرلي
		٦٦٧
		آل الحسيني
		٦٥٧
		آل سرسق
		٦٥٧
		آل سلام
		٥٣١
		آل سمارة
		٦٥٧
		آل شمعة
		٦٥٧
		آل الصباغ
		٥٥٧
٥٦٩	٥٦١	الطالينا (الباخرة)
	٦١٩	٦٠١
		٥٧٩
		العاس (ولي)
		٥٥٢
		الكيس (المراقب)
		(الدولي)
		٦٥٧
		آل القباني
		٦٥٧
		آل القوتلي
		٦٥٧
		آل مارديني
		٥٣١
		آل المصري

(ب)

٧٦٢	٧٣١	٧٠٢
٧٥٠	٧٧١	٧٦٣
	٧٦٤	٧٥٣
٧٠١	٥٥٩	٥٥٧
		٧٢٢
		٥٥٢

٥٣٨	البابا
٧٣٨	البابليون (و بابل)
٥٩١	البارزانيون
٦٩٦	باز (الدكتور)
٦٥٥	الباكستانيون
	(و باكستان)

٥٢٣	برود هارست (الزعيم)	٧٤٩	٧٣٨	٥٨٨	بدر الدين علي
٦٠٧	برومج (ضابط بريطاني)		٥٦٧		بدو بير السبع
٦٥١	بشارة الخوري	٥٤٢	٥٢١		بدو الاردن
٦٧٧	بكر صدقي	٥٥٥	٥٥٤	٥٥١	
٧٥٣	البلجيكيون (والبلجيك)	٥٦٠	٥٥٧	٥٥٦	
٧٧٠		٥٧١	٥٧٠	٥٦٩	
٥٤٩		٥٧٦	٥٧٣	٥٧٢	
٥٤٠		٥٨٤	٥٧٨	٥٧٧	
٥٥٨	بن غوريون (دافيد)	٦١٦	٥٩٧	٥٩٥	برنادوت (الكونت فولك)
٥٦٢		٦٥٢	٦٤٦	٦٢٠	الوسيط الدولي
٦٤٤	بنك انجلو - فلسطين	٦٧١	٦٧٠	٦٦٩	
٧٠٤	بنك الامة	٦٧٤	٦٧٣	٦٧٢	
٧٠٤	البنك الزراعي العربي	٦٨٦	٦٨٦	٦٧٥	
٧٠٤		٦٩٥	٦٩٠	٦٨٩	
٧٣٨	بنو حمير	٧٠١	٦٩٨	٦٩٧	
٧٣٨	بنو قحطان		٧٠٢	٧٠٢	
٧٣٨	بنو كلاب		٧٥٠	٧٣١	
٧٣٨	بنو كنانة	٦٨٨	٦٧٤	٦٥٤	برنارد جوزيف
٧٣٩	بنو يهودا		٧٠٢	٧٠٢	
٥٧٧	البولونيون (وبولونيا)	٥٥٢	٥٢٣	٥١٥	
٥٧٠	بوند (كولونيل)	٥٦٣	٥٦٢	٥٥٥	
٦٠٩	بير الزئبق	٥٨١	٥٧٧	٥٦٧	
٧٤٩	بير السبع	٥٩٥	٥٩٣	٥٨٤	
٧٣٨	البيزنطيون	٦٥٠	٦١٣	٦٠٤	البريطانيون (وبريطانيا)
٥٥٨		٦٥٨	٦٥٦	٦٥٢	
٥٥٧		٦٧٠	٦٦٤	٦٥٩	
٦٠٧	بيفن (مناحيم)	٧٢٢	٧٠٩	٦٧٧	
٦٣٩		٧٦٧	٧٣٩	٧٢٦	
٦٠٤	بيفن (وزير الخارجية)			٧٧٠	

(ت)

٧٠٣	توفيق جبران	٧٢٢	٧٢٢	٧٢٢	تاج الدين شعث
٦١٧		٧١١	٧١١	٧١١	تحسين الخيري
٦٧٦	توفيق ابو الهدى (باشا)	٦٤٧	٥٤٣	٥٤٢	تريجفي لي (الامين العام للامم المتحدة)
٧٦٥		٦٢٧	٦٢٢	٥٤٥	توفيق الابراهيم
٧٦٧		٦٢٩	٦٢٩	٦٢٩	(ابو ابراهيم الصغر)
٧٣٦	توفيق السوده	٥٦٣	٥٦٢	٥٦٠	تشيكوسلوفاكيون (تشيكوسلوفاكيا)
٧٢٢	توفيق الشوا	٦٠٣	٦٠٣	٥٦٤	
٦٥٥	تونسيون (تونس)				

(ج)

٦٢٩ ، ٦٠٦ ، ٦٠٢	٥٧٨ ، ٥٥٠ ، ٥٤٢	
٦٢٩ ، ٦٠٦ ، ٦٤٢	٥٨٣ - ٥٨٥ ،	
٧٠٧ ، ٦٩٤ ، ٦٨٩	٦٤٩ ، ٦١٥ ، ٦١٣	جامعة الدولة
٧٦٦ ، ٧٣٤	٦٦٣ ، ٦٥٥ ، ٦٥٠	العربية
٥٦٦ ، ٥٦٣ ، ٥٤٩	٧٤٤ ، ٧١٠ ، ٦٧٠	
٥٩٢ ، ٥٦٧	٧٥٤ ، ٧٥٢ ، ٧٥١	
٧٥٤ ، ٧٤٤ ، ٥٤٩		جبهة الشباب
٧٦١ ، ٧٦٤ ، ٧٦٣		٧٢١
٧٦٦		جراي (ليدي) ٥٨٣
٥٦٧ ، ٥٤٦ ، ٥٣٣		جريدة (الاهرام) ٥٤٠
٦٢٩ ، ٦٢٧ ، ٥٨٢		- (بالستان بوست) ٦٥٢ ، ٥٦٢
٦٣٨ ، ٦٣٧ ، ٦٣٦		- (التايمس) ٥٦٣
٧٦٠ ، ٦٩٤ ، ٦٦٦		- (الجهاد) ٧٤٠
٥٨١ ، ٧٢٦ ، ٦٥٦	٦٦٥ ، ٥٦٢ ، ٥٤٩	- (الحياة)
٧٦٥	٦٧٥ ، ٦٦٧	
٧٦٠ ، ٧١٦ ، ٧١٤	٧٠٢ ، ٦٥٤	- (الدفاع)
٦٩٤ ، ٥٦٧ ، ٥٤٨	٧٥٢	- (كل شيء)
٧٥٩ ، ٧٤٤		- (الوحدة) ٦٥٠
٥٢٨ ، ٥٢٦ ، ٥١٨		العربية (
٥٣٤ - ٥٣١		جريف (انكليزي) ٦٥٤
٥٦٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٠		٦٥٥
٦١١ ، ٥٩١ ، ٥٨٢		الجزائر
٦٤٢ ، ٦٢٨ ، ٦١٣	٧١١ ، ٧٠٤ ، ٦٦٧	جمال بازيان ٦٤٣
٦٧٧ - ٦٨٠		جمال الحسيني ٦٦٧
٧٣٧ ، ٦٩٤ ، ٦٨٣	٦٢٠ ، ٥٩٩ ، ٥٥٦	جمال الصوراني ٧٠٧
٧٦٥ ، ٧٤٥ ، ٧٤٤	٧١٤ ، ٦٣٥	جمال عبد الناصر ٦٣٥
٧٥٨		جمال المجالي ٦٠٧
٥٤٨ ، ٥٤٠ ، ٥١٧	٦١١ ، ٥٧٣	جمعية انقاذ فلسطين ٦١١
٥٥٤ ، ٥٥٢ ، ٥٤٩		الجمعة الخيرية ٧٠٤
٥٨٤ ، ٥٨٢ ، ٥٦٦		الصلاحية
٥٩٧ ، ٥٩٣ ، ٥٨٧		جمعية الشبان ٧٠٨
٦١١ - ٦٠٢		المسلمين
٦١٦ ، ٦١٥ ، ٦١٣		جمعية الصليب ٦٨٥
٦٥٨ ، ٦٥٣ ، ٦٤٢		الاحمر
٦٦٣ ، ٦٦٠		جمعية مصر الفتاة ٧٠٨
٦٧٥ - ٦٨٣		جميل السراج ٧١١
٦٩٠ ، ٦٨٧ ، ٦٨٥	٧٠٩ ، ٦٨١ ، ٦٤٩	جميل مردم ٧٥١ ، ٧٥٠
٧٠٠ ، ٦٩٦ ، ٦٩٤		جميل الوحيدي ٧٢١
٧٣٧ ، ٧٢٣ ، ٧٠١		جواد شحيب ٧٢٢
٧٦٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٤	٧٢٨ ، ٧٤١	جورج نقولا حنانيا ٦٤٤
٧٥٧ ، ٧٥٦ ، ٧٦٢		

	٥٥٤ ، ٥٤٨ ، ٥٤٠	
	٥٩٣ ، ٥٧٠ ، ٥٦٦	
	٦١٤ ، ٦١٣ ، ٦١١	
٧١١	٦٦٠ ، ٦٥٩ ، ٦٤٢	الجيش المصري
	٧١٨ ، ٦٩٤ ، ٦٩٢	
٧٥٩ ، ٦٩٣ ، ٥٦٧	٧٣٠ ، ٧٢٦ ، ٧٢٠	
	٧٣٩ ، ٧٣٧ ، ٧٣٤	
	٧٤٥ ، ٧٤٣ ، ٧٤١	
	٧٥٤ ، ٧٤٨ ، ٧٥٢	
	٧٤٧	

(ع)

٧٠٩	٦٦٢ ، ٦٦٠ ، ٥٢٥	حابس المجالي
		حجازي الدويح
		حجازويون
٥٢٢	٦٦٥ ، ٦٦٣	(والحجاز)
٥٢٨		حسن ابو جابر
٧٢٢	٧٠٣	حسن ابو السعود
٧٠٧	٧٠٣ ، ٦٦٨ ، ٦٠٦	حسن البنا
٧٠٥	٧٠٨	حسن الترك
	٥٢٠	حسن جمعة
٧٥٢	٧٢٢ ، ٧٠٣	الافرنجي
٧١١		
٧٦٢ ، ٦٥٧	٥٨١ ، ٥٧٩ ، ٥١٩	حسن سلامة
٦٥٧	٦٠٦ ، ٦٠٢ ، ٦٠١	
٧٠٣ -	٦٦٦ ، ٦٦٨	حسن عويضة
	٧٣٦	حسن محمد الزير
٧١٥	٧٠٣	حسن النابلسي
٧٢٥	٧٣٦	حسني خيال
٧٣٦	٧٠٣	حسني الزعيم
٧٢١	٧٥٠ ، ٧٥٤ ، ٦٣٨	حسين ابو ستة
٦٦٢	٧٢٥ ، ٧٠٣	الحسين بن علي
٧٣٦ ، ٧٢٢	٧٠٤	(الملك)
٧٠٣	٦٣٠	حسين الزعبي

(ف)

٧٠٣ ، ٥٦٨	٦٣٦	خالد الصحن
٥٢٦	٥٦٨	خليل بيدس
٥٨٠	٧٠٧	خليل الجاعوني
٥٧٩	٧٠٣	خليل جليف

(د)

دولة الفاتيكان ٧٥١
دليل (الجنرال) ٦٥٦

داود الفصلي ٧٢١
دايان (موشه) ٧٣٢ ، ٥٤٠
الدروز ٥٦٧

(ذ)

٥١٩

ذو الكفل عبد اللطيف

(ر)

رفيق التميمي ٧٠٣
رفيق عارف باشا ٥٢٦
(اللواء)
رملة (امرأة) ٦٠٠
بدوية (

رابين وفتش ٥٥٢
(بريفادير)
راضية المهدي ٦٢٨
رقل نمر ٥٣٣

رث (عقيلة موشه ٧٠١
دايان)

٦٠٣ ، ٥٧٧ ، ٥٧٣

٧٧٠ ، ٧٠٩ ، ٦٥٥

٧٦٣ ، ٧٣٩ ، ٧٣٨

٥٦٩

٦٧٠ ، ٦٤٩ ، ٥٥٠

٧٠٩ ، ٦٧٥

روبين (دكتور) ٦٥٧

الروس (وروسيا) ٧١١ ، ٧٠٥

الرومان

رويفين شيلواح ٥٦٩

رياض الصلح ٦٧٥ ، ٧٠٩

ريكاردوس قلب ٧٣٨

الاسد

رأفت التركماني ٧٢١

رالف نيومن ٦٥٤

(ميجر)

٧٤٩ ، ٥٨٨ ، ٥٨٧

رايلي (الجنرال) ٧٦٣

ويليام (

رجائي الحسين ٧٠٣ ، ٧٠٥ ، ٧١١

رحماني (ميرآلي) ٧١٦

رزق الطلاع ٧٢١

رشاد البكري ٧٥٢

رشاد الخطيب ٧٥٢

رشاد زكي ٧٤٢

رشاد يوسف السقا ٧٢٨ ، ٧٠٣

رشدي الامام ٧٠٣

الحسين

رشيد عالي الكيلاني ٥١٩

رفيفان المجالي ٥٢٥

(باشا)

(ز)

زكي عبد الحميد ٦٦٦

زكي محمد عبد ٧٠٣ ، ٥٧٩

الرحيم

زايد رشيد الطواليه ٥٢٢

زكريا محي الدين ٧١٤ ، ٦٩٣

زكي ابو الدولي ٧١٧

(س)

سرور رستم ٧١٧

سعد الجمال ٧١٨

(يوز باشي)

سعد الدين العلمي ٦٣١ ، ٦٣٠ ، ٦٢٩

سالم البلوي ٧٤١

سالم الطلاع ٧٢١

سامي الحناوي ٦٣٧

(الزعيم)

٦٠٠	سلیمان بن عبد	٦٥١	سعود عبد العزيز
	الملك	٧٢٠	سعيد ابو عويلى
٥٢٣	سلیمان الساكت	٧٢٢	سعيد بسيسو
٧٠٥ ، ٦١١	سلیمان طوقان	٥٨٠	سعيد جاد الله
٧٢٢	سلیمان عبد الواحد	٧٠٣	سعيد حمدان
	سبل	٧٢٢	سعيد السراج
٧٣٤ ، ٥٩٣	سودانيون	٥٨٠	سعيد عبد الله
	(وسوادن)	٥٦٤	سكودا (شركة)
٦٦٤ ، ٦٦٣	سوريا الكبرى	٧٢١	سلمان العطاونة
٧٣١ ، ٧١٨	السيد طه	٦٠٠	سلمان الفارس
٧٢٩ ، ٧٣٣	سيف اليزل خليفه	٧٤٧	سلمان الهزيل
٦٥٤	سيلقر	٧٣٩	سليم (السلطان)
٦٠٢	سيمون		

(س)

٦٣٠	شفيق الجسر	٥٧٤ ، ٥٦١ ، ٥٥٩	شاريت (موشه)
٧٢٦ ، ٧٢٣ ، ٧٢٢	شفيق مشتها	٦٧٤ ، ٦٧١ ، ٥٧٦	شرتوك ()
٦٦٣ ، ٦٥١ ، ٥٩٤	شكري القوتلي	٦٨٨ ، ٦٨٦	شاكر ابو السبع
٦٦٤	شكري محمود نديم	٧٢٩	شاكر الوادي
٥٣٤	شليمون ميخائيل	٧٤٩	شالتائيل
٥٢٨	شمشون الجبار	٥٨٤	الشراباتى
٧٤٢ ، ٧٤١	شنتهايم (جنرال)	٧٥١	شركة البوتاس
٧٣٢	شوكت شقير	٧٦٢	شريف الحلبي
٦٣٧	الشيوعيون	٧٢١	شطى الصوفي
٦٧٠		٧٢٥	

(ص)

٧٣٨ ، ٦٢٢ ، ٦٠٠	صلاح الدين	٥٩٤	صادق البصام
	الايبوبي	٥٢٦ ، ٥٨٨ ، ٥٩١	صالح زكي توفيق
٧٢٠ ، ٧١٤	صلاح سالم	٥٩٢	(العقيد)
	(يوزباشي)	٥٩٤ ، ٦٨٠ ، ٦٩٣	صالح صائب
٦٤٣	صلاح عبد الغني	٧٥٠	الجبوري (باشا)
٧٣٨ ، ٦٢٢ ، ٦٠٠	الصليبيون	٥٦٧	صالح المجالي
٧٠٤	صندوق الامة	٦٤٣	صباح الدين القحف
٦٥٥	الصومال	٧٠٠	صبحي القطب
٧٧٠	صينيون (والصين)	٧٢١	صلاح الخضري

(ط)

طاهر الزبيدي باشا	٥٢٦ ، ٥٨٢ ، ٥٩٢	طارق الافريقي	٦٣٩ ، ٦٧٢
(اللواء)		طارق سعيد فهمي	٥٣٢ - ٥٣٤
طه الهاشمي	٥٦٥ ، ٦٠١ ، ٦٢٧	طاهر الخطيب	٧٢٤
(باشا)		(الدكتور)	
طلعت القصين	٧٠٣	طاووزند (جنرال)	٧٠٤

(ظ)

٥٨٠

ظريف مصطفى امين

(ع)

عبد الرحيم محمود	٦٢٢ ، ٦٢٤	عادل الجميلي	٦٣٤
عبد الرزاق قليبو	٧٢٣ ، ٧٢٨	(البكباشي)	
عبد السلام	٧٢١	عادل صادق	٧١٨ ، ٧١٩
العطاونة		(يوز باشي)	
عبد العال (يوز	٧١٩	عادل المدني	٦٠٢
باشي)		عامر حسك	٦٢٧ ، ٦٣٧
عبد الغني ابو خلق	٧٥٢	عائشة سحبان	٥٨٠
عبد الغني سنان	٥٩٢	عبد الجبار العراقي	٦٠١
عبد الفتاح	٦٩٣	عبد الحق العزاوي	٧٠٧
(الشاويش)		عبد الحميد	٥٨٣
عبد الفتاح	٧١١	(السلطان)	
الشريف		عبد الحي عرفة	٧٥٢
عبد القادر الحسيني		عبد ربه ابو شقره	٧٠٣
(انظر ايضا الجهاد	٦٦٦ ، ٦٦٨	عبد الرحمن ابولبن	٧٠٣
المقدس)		عبد الرحمن	٧٢١
عبد الكريم الخطابي	٧٠٨ ، ٧٠٩	الافرنجي	
عبد اللطيف	٦٢٢ ، ٦٢٤ ، ٦٢٧	عبد الرحمن شياق	٥٦٨
الفاهوم	٦٣١	عبد الرحمن	٥٢٢
عبد الله ابو ستة	٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٤	الشخبي	
	٧٢٨ ، ٧٢٥	عبد الرحمن الصحر	٥٢٤
	٥١٥ ، ٥٥٥ ، ٥٩٣		٥١٧ ، ٥٤٧ ، ٥٥١
	٥٩٤ ، ٦١٤ ، ٦١٦		٥٧٣ ، ٥٧٨ ، ٤٦٧
	٦٤٣ ، ٦٥١ ، ٦٥٢	عبد الرحمن عزام	٦٥٠ ، ٦٥٤ ، ٦٦٩
عبد الله بن الحسين	٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٧٠		٦٧٠ ، ٦٧٤ ، ٦٨٠
(الملك)			٦٨١ ، ٧٥١
	٦٧٣ ، ٦٧٥ ، ٦٨٩	عبد الرحمن الفرا	٧٠٣
	٧٠٨ ، ٧٥٠ ، ٧٥٢	عبد الرحيم	٧٥٢
	٧٦٥ ، ٧٤٩ ، ٧٦٧	الشريف	

عشيرة			عبد الله (الامير ٦٥١ سيف الاسلام)
٧٤٦ - ابي صعيليك (جراوين- ترايين)	٦٦٥ ، ٦٥١ ، ٦٤٣		
٧٤٦ - ابي مهيان (نجمات - ترايين)	٦٨١ ، ٦٨٠ ، ٦٧٧		عبد الاله (الامير) ٧٤٩
٧٤٦ - ابي عبيدون (حرك تياها)			عبد الله التباتوني ٧٤٢
٧٤٦ - ابي غليون (جراوين-ترايين)	٦٥٨ ، ٦١٤ ، ٥٤٠		عبد الله بن عمرو ٧٣٨
٧٤٦ - ابي قرينات (ظلام - تياها)	٦٧٣ ، ٦٦٠ ، ٦٥٩		عبد الله البيطار ٥٩٨
٧٤٦ - ابي كف (قديرات-تياها)	٧٣٣ ، ٧٢٢ ، ٧١٨		عبد الله التل
٧٤٦ - ابي لبه (علامات - تياها)	٧٣٧ ، ٧٣٦		عادل جبر ٥٦٨
٧٤٦ - ابي مدين (حناجرة)			عبد الله الخطيب ٧١٨
٧٤٦ - ابي يحيى (جراوين- ترايين)			عبد الله الرشيد ٥٨٠
عشيرة الاسد ٧٤٦ (حرك - تياها)	٧٤١ ، ٧٤٠ ، ٧٢٤		عبد الله سماره ٧٠٣
٧٤٦ - الاعسم (قديرات - تياها)	٧٤٧ ، ٧٤٢		عبد الله مخلص ٥٦٨
٧٤٦ ، ٧٣٢ - البدنيات (تياها)			عبد الله هنية ٧٣٦
٧٤٦ ، ٧٤٧ - بني عقبه (تياها)	٧٤١ ، ٧٤٠ ، ٧٢٤		عبد المحسن ابو النور ٧٣٧
٧٤٧ ، ٧٢٥ - الحسنات (ابو معلق - ترايين)	٧٤٧ ، ٧٤٢		عبد المنعم عبد الرؤوف (يوزباشي) ٧٤٢
٧٤٧ - الحسنات (جبارات)	٧٣٨ ، ٧٣٦		عثمان بن عفان ٧٣٨
٦٢١ - الدباحين	٧٥٢ ، ٧٥١ ، ٥٤٧		عثمان التكروري ٧٥٢
عشيرة الدقوس ٧٤٧ (جبارات)	٦٦٣ ، ٦٦١ ، ٦٥٣		عجاج نو هصين ٥٦٨
عشيرة الرماضين ٧٤٧ (تياها)	٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٥٦		العربية السعودية (حكومة وشعبا) ٧١٠
عشيرة الرواشدة ٧٤٦ (تياها)			عزمي النشاشيبي ٥٨٦
٧٤٧ - الرواوعة (تياها)			عزة حسن ٦٦١
٧٤٦ - الزربة (عزازمة)	٧٤٦ ، ٧٢٥		عشيرة ابي جقيم ٧٤٦ (علامات - تياها)
عشيرة السعادنة ٧٤٧ (تياها)			- ابي جويد (ظلام - تياها) ٧٤٦
			- ابي ختلة (غوالي - ترايين) ٧٤٦
			- ابي ربيعة (ظلام - تياها) ٧٤٦
			- ابي ستة (غوالي - ترايين) ٧٢٥ ، ٧٤٦
			- ابي شنبار (علامات - تياها) ٧٤٦

٧٤٦	عشيرة النتوش (عطاوثة - تياها)	٧٤٦	عشيرة الصانع (نجمات - ترايين)
٧٤٧	- الولايدة (جبارات)	٧٤٦	- السمييري (حناجرة)
٥٢٥	عصر المجالي	٧٤٧	- الشعور (رماخين - تياها)
٦٥٢	العلم الاردني	٧٤٧	- الشلالين (تياها)
٦٥٢	العلم المصري	٧٤٦	- الصانع (قديرات - تياها)
٦٣٧	علم الدين القواص	٧٤٦	- الصبحيين (عزازمة)
٧٣٦	علي ابو عيشة	٥٤٥ - ٥٤٦	- الصبيح
٧٠٣	علي احمد العطار	٦٢١	- الصبيحات (عزازمة)
٧٣٦	علي بسنيو	٧٤٠	- الصبيحات (عزازمة)
٧٥٢	علي حامد (الحاج)	٧٤٦	- الصوفي (نجمات - ترايين)
٧٠٣	علي حسنا	٧٤٦	عشيرة الظواهره (حناجرة)
٧٠٣	علي رضا النحوي	٧٤٠	- العصيات (عزازمة)
٧٢٢	علي شعت	٧٤٠	- الضراحين (عزازمة)
٧٢٢	علي العطاونة	٧٤٠	- القديرات (تياها)
٥٢٠	٥١٩	٥١٨	علي غالب عزيز
٥٢٠	٥١٩	٥١٨	علي الضارع
٥٢٠	٥١٩	٥١٨	علي محفوظ ابو لاوي
٥٢٠	٥١٩	٥١٨	علي النمر
٧٣٩	٧٣٨	٧٣٨	العمالقة
٧٧١	٧٤٥	٧١١	عمان (والاردن حكومة وشعبا)
٧٦٤	٧٦٧	٧٦٢	عمران طهبوب
٧٦٤	٧٦٧	٧٦٢	عمر ابو ستة
٧٦٤	٧٦٧	٧٦٢	عمر بن الخطاب
٧٦٤	٧٦٧	٧٦٢	عمر بهاء الاميري
٥٦٣	٥٦٨	٥٦٨	عمر الصالح
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	البرغوش
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	عمر علي (الزعيم)
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	عمر عمر البنبلي
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	التونسي
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	عمر ابو ستة
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	عمر بن العاص
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	العمرى
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	العنبوس (وقف)
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	عودة ابو رفيق
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	عودة ابو شباب
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	عودة ابو عاذرة
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	المصدر (حناجرة)
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	- النصيرات (حناجرة)
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	- الهزيل (حكوك - تياها)
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	- الهواشلة (قديرات - تياها)
٥٢٠	٥٢٤	٥٢٤	- الوحيندات (ترايين)

عوني عبد الهادي ٧٠٣، ٧٠٥ ٧١١ عيسى نخلة ٧٠٣
عيد ابو خليل ٧٤١ عصام رشدي الشوا ٥٢٦، ٥٢٨

(غ)

٥٢٣، ٥١٩، ٥١٦		٥٩٨	غازي حربي
٥٥٥، ٥٤١، ٥٤٠		٧١٨	غالي مسيحه
٦١١، ٥٦٦، ٥٦٥			(يوز باشي)
٦٥٣، ٦١٦، ٦١٤	غلوب (جون باغوت)	٥٥٤	غذيت (كاتب)
٦٦٤، ٦٦٠، ٦٥٩	شلوب (باشا)		(يهودي)
٧٢٣، ٦٨٧، ٦٧٣		٥٦٢	غروشن اغرونسكي
٧٦٤، ٧٤٥، ٧٤٤		٧٠٤	الغرفة التجارية
٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٢		٦٣٧	بالقدس غسان شديد

(ف)

٧٢١	فوزي عيد	٥٢٣	فارادي (الزعيم)
٧١١، ٧٠٥، ٧٠٣	فوتي فريج	٦٥٠، ٥٥١	فارس الخوري
٧٥٤	فؤاد شهاب	٧٠٣	فارس سرحان
٦٢٨	فؤاد العلوطي	٥٨٥، ٦٣٤، ٦٥١	
٦٢٣	قرتيس يوردن	٦٦٤، ٦٦٣، ٦٥٢	فاروق (الملك)
٧٢١	فريح ابو محفوظ	٧١٠	
٦٣٤	فريدة (طراد بحري)	٦٦٧	فاروق (طراد بحري)
٦٠٠	الفضل بن العباس	٧٠٣	فائق بسيو
٧٠٣	فهمي الاغا	٦٣٦	فخري اسماعيل
٥٩٠، ٥٨٣، ٥٨٢		٧٢٠	فرحان ابو محفوظ
٦٢٧، ٦٢٢، ٥٩٢		٧٢٤	فرح عوده العبيد
٦٥٤، ٦٣٧، ٦٢٩	فوزي القاوقجي	٧٣٨	الفرس
٦٩٤، ٦٦٦		٦٤٣	فرقة التدمير العربية
٧٥٢، ٧٦٧، ٧٤٩	فوزي الملقن (باشا)	٥٣٧، ٦٥٥، ٧٧٠	فرنسا
٦٩٤	فيشر	٥٩٠، ٥٩٢، ٥٢٤	فوزي جرار
٦٣٠	فيشمان	٥٨٨	
٦٠٧	فيصل شهوان	٦٤٢	فوزي الجميل
٧٠٣	فيصل النابلسي		

(و)

٨٤٧، ٧٤٦، ٧٢١	قبيلة الترايين	٥٢٢	قاسم الزعبي
٧٤٧، ٧٤٩، ٧٤٦	قبيلة التياها	٦٩١	القاصد الرسولي
٧٤٧	قبيلة الجبارات	٧٣٦، ٧٤٥، ٧٤٦	قبائل بير السبع

٧٤٦	قبيلة السعديين	٧٣٨	قبيلة جرهم
٦٨٤	قروازية	٧٢١ ، ٧٤٦	لخاجرة
٦٩٢	قنصل ايطاليا	٧٤٧ ، ٧٤٦ ، ٧٤٠	قبيلة العزازمة
٥٨٤	قنصل البلجيك	٧٤٩ ، ٧٤٨	

(ك)

٥٤٩	- (عبرة فلسطين)	٦٤٣	كاظم صالح
٥٦٨	- (العقد الفريد)	٧٤٨ ، ٦١٢	كامل اسماعيل الشريف
٧٤٩	- (القضاء بين البدو)	٧٥١	كامل الحسين
٦١١ ، ٥٧٤ ، ٥٧٣	- (كارثة فلسطين)	٧٠٣	كامل القاضي
٦٠٠	كتاب (مسالك الابصار)	٦٧٥	كامل مروة
٧٣٨	- (معجم البلدان)	٧٢٢	كامل مشتها
٥٥٨	- (نجم جديد في الشرق الاوسط)	٦١٢	كتاب (الاخوان المسلمون المصريون في حرب فلسطين)
٥٦٢ ، ٥٥٢ ، ٥٣٩	- (وعد ووفاء) Promise Fulfillment	٧٦٣ ، ٧٤٩	- (تاريخ بير السبع وقبائلها)
٧٤٥	- (ذو آراب) A soldier with the Arabs	٥٤٨ ، ٥٤٦	- (جيروزاليم امباتلد)
٧٢٥	كريم ابو ستة	٥٤٨ ، ٥٤٦	Gerusalem eimboitt led
٥٦٢	كلايتون (بريفادير)	٦٠٧ ، ٦٣٩ ، ٥٦١	- (ذو ريفولت) The Revolt
٧٧٠ ، ٧٥٣	كولومبيا	٦٠٠	- (الروض المعطار)
٧٧٠	كندا	٧٣٨	- (سفر التكوين)
٥٦٠ ، ٥٥٨	كنيث بلي	٥٤٩ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦	- (سيفن فالن بيلرز)
٦٥٥	الكونغو	٥٩٢ ، ٥٦٧	Seven Follen Billars

(ل)

٥٥٧	لجنة التحرير القومي العبري	٦٣٦	لواء اليرموك الاول
٧٠٠ ، ٦٩٩	لجنة التوفيق	٦٣٧	لواء اليرموك الثاني
٦٦٥ ، ٦٠١	اللجنة العسكرية	٦٣٧	لواء اليرموك الثالث
٦٧٤ ، ٥٥٤	لجنة الهدنة القنصلية	٦٩٩	اللاجئون
٥٨٨ ، ٥١٥	لجنة الهدنة المشتركة	٥٥٥ ، ٥٨٤ ، ٦٠٨	لاش (بريفادير)
٧٥١	لطفي رضوان	٦١٥ ، ٦١٢	لافوازيه
		٦٤١	لانسد ستروم
		٦٨٩	(جنرال)

٥٦٩ ليو فوهين
٦٠٢ ليوي (اضون)

٧٢١ لطفي العكاوي
٦٦٢ لوكت (ميجر)
٦٥٥ ليبيا

(م)

٥٣٨ محمد سعيد آل حمزة

٦٧٢ مارشال (جنرال)
٦٤٦ مانولسكي

٦٤٣ محمد سليم عبد الغني

٧٥٢ مبارك (المطران)

٥١٩ محمد سمحان

٥٣٨ ، ٥٣٧ ، ٥٢١

٧٥٢ محمد شادر

٥٥٩ ، ٥٥١ ، ٥٤٢

٦٦٣ محمد الشريقي

٥٩٥ ، ٥٧١ ، ٥٦٣

٥٣٨ محمد شكري الاسطواني

٦٥٠ ، ٦٤٦ ، ٦١٦

٧٢٢ محمد الشنوا

٦٩٥ ، ٦٨٣ ، ٦٨١

٧٠٨ محمد صالح حرب (باشا)

٧٤٩ ، ٧٣١ ، ٧٠١

٧٠٣ محمد صبري عابدين

٧٧٠ ، ٧٥٤ ، ٧٥٣

٦٣٦ محمد صفا المقدم

٥٥٦ ، ٥٤٠ ، ٥١٧

٧٢١ محمد الطلاع

٦٥٩ ، ٦٢٠ ، ٥٩٩

٥٨٠ محمد عبد الحفيظ

٥١٧ (الصريح)

٧٢٧ ، ٧٢٣ ، ٧٢١

٧٥١ ، ٧٠٣ (مجلة المصور)

٧٣٧ ، ٧٣٥ ، ٧٢٨

٧٥١ ، ٦٢٩

٧٤١ ، ٧٤٠

٥٢٥

٥٣٨ محمد عزيز الخاني

٦٦٥ ، ٦٦٧ ، ٥٦٢

٧٣٩ محمد علي باشا

٥٣٨ محمد ابراهيم الغلاييني

٧٥٢ محمد علي الجبري

٧٢١ محمد ابو خليل

٧٢٣ محمد علي الدرزي

٧٠٣ محمد احمد ابو عادرة

٥٢٢ محمد علي الروسان

٥٣٣ محمد اسحق

٧٠٣ محمد علي صالح

٧٢٢ محمد بالي

٧٠٨ محمد علي الطاهر

٦٥٩ محمد البيلي

٧٠٣ محمد علي الكيالي

٧٠٧ محمد تراجازي (رئيس اول)

٧٠٣ محمد عواد

٧٠٧ محمد حسن جراحي

٥٤٥ محمد العورتاني

٥٣٨ محمد حسن الميداني

٧٢١ محمد العوضات

٧٢٩ ، ٧٢٨ محمد حلمي جمعة

٧١٥ محمد الفرا

٥٢٢ محمد راشد الحنيطي

٦٩٦ محمد ماهر

٧٠٣ محمد رجب ابو رمضان

٥٣٩ محمد المبارك

٧١٧ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ محمد نجيب

٥٣٨ محمد المكي الكناني

٧٠٣ محمد رفيق اللباييدي

٦٣٤ محمود احمد دباش

٧٢٣ ، ٧٢٢ محمد الرمادي

٧٤٢ محمود حامد ماهر

٦١٤ ، ٦١٣ ، ٦٠٤	ملوك العرب	٧٢١	محمود حمد الخطيب
٥٥٨ ، ٥٥٧ ، ٥٤٩	منظمة ارغون	٧٤٤	محمود رفعت
٦٣٩ ، ٥٦١ ، ٥٥٩	تسفاي لتومي	٦٢٢	محمود سليم الصالح
٦٩٥ ، ٦٧٤ ، ٦٧٢	منظمة البالمخ	٥٣٩	محمود الشقفة
٦٠٥ ، ٦٠٣ ، ٥٥٢	منظمة حيروت	٧٤٢	محمود عبده
٥٧٠	منظمة الشباب	٦٠٨ ، ٦٠٦	محمود علاء الدين
٧٠١	منظمة شترن	٥٥٦ ، ٥٥١ ، ٥٤٧	
٧٠٠	منظمة كرن فايتم	٥٩٣ ، ٥٧٣ ، ٥٧٠	محمود فهمي
٧٠١ ، ٦٣٩ ، ٥٦١	منظمة الهاغانا	٦٦٦ ، ٦٤٩ ، ٦١١	النقراشي باشا
٥٦١ ، ٥٥٩ ، ٥٥٨	الميناوي	٧٠٨ ، ٦٧٥ ، ٦٧٤	
٦٣٩ ، ٦٠٧ ، ٥٦٧	منيب اللبان	٧٥٠ ، ٧١٩ ، ٧٠٩	محمود كمال
٦٥٤	منير ابو فاضل	٧٠٧	مدلول عباس
٧٢٥	منيف الحسيني	٦٢٧ ، ٦٢٩ ، ٥٣٣	المراقبون الدوليون
٦٩٠	مهدي المعاني (العقيد)	٥٨٤ ، ٥٥٩ ، ٥٥٨	
٦١٢		٦٩٥ ، ٦٨٣ ، ٦٢٠	مراكشيون
٦٦٨ ، ٦٦٥		٦٥٥	(ومراكش)
٦٣٧		٥٩٤ ، ٦٤٩ ، ٥٥٠	مزاحم الباجه جي
٧١٩ ، ٧١٨ ، ٧١٤	المواوي (اللواء احمد علي)	٧٤٤ ، ٧٠٩	
٧٣١ ، ٧٢٩ ، ٧٢٨		٥٨٠	مصطفى يوسلبد
٧٣٧ ، ٧٣٥ ، ٧٣٣		٦١٠ ، ٦٠٦	مصطفى الخيري
٧٤٣ ، ٧٤١		٥٩٢	مصطفى راغب
٦٦٨ ، ٦٥١	مؤتمر انشاص		(باشا)
٦٥٣ ، ٦٥١	مؤتمر بلودان	٥٦٧	مصطفى الرفاعي
٧٥٤ ، ٧٤٣ ، ٦٥٣	مؤتمر القاهرة	٥٧٩	مصطفى الطاهر
٧١٢ ، ٧٠٣	مؤتمر غزة	٧٢١	مصطفى فريج ابو
٥٤٩	موسى العلمي		مدين
٧٠٣	موسى عمران	٧٢١	مصطفى الكردي
٥٥٩	موشه شابيرو	٧١٠	مصطفى النحاس
٥٥٩ ، ٥٥٧	مونرو فاين (الربان)		(باشا)
٧٣٢	ميخائيل نقي	٥٢٢	مفلح مصطفى
٧١١ ، ٧٠٥ ، ٧٠٣	ميشال ابيكار يوس	٧٣٨	ملوك الرعاية (الهيكسوس)
٧٠٣	ميشال عازر		

(٥)

٥١٧	هاشم السبع	٦٥٦ (جنرال)	هاردينغ
٥٨٣	هرتل	٥٤٨ ، ٥٤٦	هاري ليفين
٦٣٨	هرست (ميجر)	٧٣٦ ، ٧٢٢	هاشم توفيق
٧٢١	هلال عيد		الشوا